

دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بدمشق

تأليف: أنور

د. ع. ح. فون ايزنباك

# سنوات المصير

وقائع الحزب الشيوعي

١٩٤١ - ١٩٤٣

مترجم

الملازم الأول رضا سنبولي



وافقت رئاسة الأركان العامة للجيش واللواء المسلحة  
على طبع ونشر هذا الكتاب بموجب  
أمرها الإداري رقم ٤٦٥ - م ع بتاريخ ١٠ نيسان ١٩٥٤

سلسلة عيون التاريخ العالمي

٤

مفروق الترجمة والطبع والنشر والاقتباس  
محفوظة



الى

جموع الشهداء الابرار ابطال الجيش السوري العربي الذين قضوا في سبيل  
الذود والدفاع عن حرية العرب العالية .

والى

الرجال الاحياء ضباط وافراد هذا الجيش الساعين الى القيام بواجباتهم  
المقدسة والمسارعين في السبل المثلى الى المجد والخلود .

ارفع هذا الكتاب

عليهم يجدون في طياته ما يعنيه من معاني البطولات المماثلة التي حفلت بها  
وقائع تاريخهم المجيد والتي ورثوها عن اسلافهم الغر الميامين .

دمشق في ٢ تشرين اول ١٩٥٥

محمد رضا استقبولي

## التاريخ العسكري

— سيرة البطولة وقصة الأبطال

— وامثولة الرجال الصاعدين الى مصاف القادة الكبار

— ما أحرانا ان نجعله دراسة قومية وطنية يلقيها رجال الفداء  
لأبناء الفداء

رضا الحنايتولي



# مقدمة المؤلف للنسخة العربية

الجنرال هـ . ج . فون إيزيبك

Vorwort Fur Arabische ausgabe

H , G . Von Eisebeck

في صباح ١٢ نيسان عام ١٩٤١ وقفت للمرة الاولى تجاه الرجل الذي لا يزال العالم يمجّد ذكره حتى اليوم وهو المارشال رومل . وكان ذلك عند الكيلومتر ٣١ على أبواب بلدة طبرق حين أعلمته بتنفيذ مهمة كان أوكل إلي أمر تنفيذها إذ قال لي : « اذا أردت أن تتطلع على شيء فما عليك إلا أن تتبعني » ثم تسلق إحدى المدرعات الانكليزية المسماة « ماموت » وكان قد غنمها في إحدى المارك واتخذها مقراً لقيادته ، وانعطف نحو الطريق المؤدية الى بلدة « اكروما » وكانت تتبعه في طريقه هذه خمس من السيارات المعروفة بالسيارات الشعبية ( فولكس فاكن Volks - Wagen ) . فاستطلعنا مواضع الانطلاق للهجوم الاول على بلدة طبرق ولاحظنا فجأة ان بعض المدرعات الانكليزية آخذة بالاقتراب نحونا . فأمر المارشال رومل بمهاجمتها ولكن بأي شيء ؟ أجل بالسيارات الشعبية . لم تكن متفائلين من هذا الهجوم إلا ان الحذر والشجاعة كلاهما كان رائدنا . فاتجهنا نحوها سالكين طرقاً لوائية تاركين وراءنا أعمدة من الغبار . فما أن رأينا المدرعات الانكليزية حتى أقفلت راجعة من حيث أتت معتقدة ان هنالك قوة كبيرة تهاجمها .

لقد قام المارشال رومل مراراً بكسب بعض المعارك على هذه الصورة .  
 وكان يحسن التستر دائماً عندما كانت عدد قواته دون القوات المعادية .  
 وكان الأسبق دوماً في سرعة التفكير وتقرير المصير . وكان شجاعاً لا  
 يتسرب الخوف الى قلبه مما جعله موضع الاجلال والعبادة لدى جنوده كما  
 ان العدو نفسه كان يهابه هيبه لم تعرف لرجل من قبله ، وذلك بفضل  
 بديهيته ومفاجأته غير المنتظرة وسرعته في التفكير وفي تقرير المصير حتى  
 في الظروف الحرجة .

إن الجندي الألماني الذي كان يحارب في افريقيا ليفخر اليوم بعد  
 مرور اكثر من عشر سنوات على الحملة الافريقية بمساهمته في تلك المعارك .  
 فلقد عاش وحارب اكثر من سنتين في بلاد غريبة محاطاً بالعدو من كل  
 جانب ، إلا انه قد تعرف في هذه الاشهر المتقلبة بين نصر مبین وهزيمة  
 نكراء على الصحراء التي أحبها والتي تركت في نفسه أطيب الذكريات .  
 فهو لا يزال يحن الى شمسها الساطعة والى نجومها اللامعة المتلألئة والى  
 مياهها العذبة القليلة والى عواصفها الرملية الهوجاء التي تتم عن قدرة  
 إلهية كبيرة ، وإذا ما هبت غمرت البلاد والناس بحلة رملية مختلفة  
 الألوان .

لقد كان هناك صديقان عرفناهما بصورة خاصة وبقيت آثارهما في  
 تخيلاتنا أحدهما الزهور التي كانت تنبت في الربيع بعد هطول الامطار ،  
 فتجعل من الصحراء الليبية جنة من الجنان ، وثانيهما سكان وأسياد صحراء  
 العرب الذين عرفوا بحسن الوفادة وكرم الضيافة . فلقد اعانوا كثيراً  
 الجنود الالمان فضمموا جراحهم وأطفأوا غليلهم وانقذوا المشتكين منهم  
 حتى لا تصل اليهم يد العدو وكنا كلما سمعنا بمثل هذه الحوادث ازدادت  
 معرفتنا بحبهم لرومل .

فقد كانت ذكر اسمه كافياً لأن تفتح في وجهنا الأبواب والخيام والقلوب معاً .

إنه ليس المؤلف لا بل ليشرفه أن يرى قصة الحملة الافريقية تحت قيادة المارشال رومل تنشر باللغة العربية كما انه يتقدم بجزيل الشكر باسم جميع الالمان الذين اشتركوا في هذه المعارك والذين يحملون في قلوبهم أجل الذكريات لسكان هذه البلاد الذين عرفوا بتقديرهم وإجلالهم لزغينة رومل المحبوب .

التوقيع

ه . ج . فون ايزيديك

## VORWORT FÜR ARABISCHEN AUSGABE

---

Am Morgen des 12 April 1941 stand ich am Kilomètre 31 vor Tobruk zum ersten Mal dem Manne gegenüber, dessen Andenken die Welt bis zum heutigen Tage ehrt. « Wenn Sie was erleben wollen », sagte General Rommel, meine Meldung entgegennehmend, dann schliessene Sie sich an ». Und damit kletterte er auf das Dach des (MAMMUT) seines englischen Beute - Befehlspanzers, und bog auf die Piste nach Acroma ein. Fünf Volkswagen folgten ihm. Wir erkundeten die Ausgangstellungen für den ersten Angriff auf Tobruk. Als sich plötzlich englische Panzer naherten, befahl uns Rommel, sie anzugreifen. Mit Volkswagen ! Nun wir waren keineswegs begeistert und Vorsicht die Mutter der Tapferkeit ist, fuhren wir in Zickzack auf den Gegner los, gewaltige Staubwirbel hinter uns Irasend. Die englischen Panzer aber drehten ab. Offenbar vermuteten sie eine gewaltige Streitmacht.

Feldmarschal Rommel hat später noch manche Schlacht mit ( Staub ) gewonnen und seine Ständige Unterlegenheit gut dabei zu tarnen gewusst. Immer war er der Listen - reiche, der Schnellere im Entschluss. Ein Ritter ohne Furcht und Tadel wurde er zum Abgott seiner Soldaten und für den Gegner zu jenem gefürchteten Manne, der durch sein

Entschlüsse stets überraschte , immer des Unerwarteten tat und in selbst ausweglosen situationen den sicheren Instinkt für die letzte Möglichkeit erwies, das Gesetz des Handelns in seine Hand zu nehmen .

Der deutsche Soldat , der dem Deutschen Afrikakorps angehorte, bekennt auch heute, mehr als zehn Jahre nach diesem Feldzug, voller Stolz, einen guten und ritterlichen kampf ausgetragen zu haben, ihm oft feindlichen Umwelt .

Aber in disem Monaten der wechselnden Siege und Niederlagen wiederfuhr ihm etwrs Seltsames : er lernte die Wüste lieben und seither blieb in ihm eine geheime Sehnsucht nach diesem Lande wach, über dem Cottes Sterne die Nacht wie mit einem Zauberstab erhellte , das ihm des süsseste allen Wassers kennen lernen liess und in dem er auf die Stimmen unbekannter Gotter lauschte, wenn sie im Sturm den Staubmantel über Mensch und Land ausbreiteten. Zwei Frennde waren es , die wir dabei auf eine besondere weise fanden und in Gedachtnis beihalten. Es waren die Blumen , die im Frühjahr nach der Regenzeit die lybische Wüste in einen Garten Eden verwandelten . Und es waren die Bewohner der wüste , die Araber die uns freundlich, gästlich und herzlich stets entgegentraten Sie haben manchem deutschen Soldaten geholfen , haben seinen Funden gepflegt , den Durstanden gestillt , den Versprengten unter eigener Lebensgefahr durch die feindlichen Linien geschleust . Und immer , wenn uns solches wiederfuhr oder wir von solchen Taten hörten , wussten wir dass der Name Rommel das Zauberwort war , das uns

die Zelt , die Türen und die Herzen öffnete

So ist es für eine Freude aber auch eine hohe Ehre, diese Geschichte des Deutschen Afrikakorps unter Fieldmarschal Rommel in einer arabischen Ausgabe herausgegeben zu sehen . Denn er darf dabei zugleich den Danke aller jener deutschen Soldaten zum Ausdruck bringen Welche echte Freundschaft in einem Lande erfuhren , dessen freundliche

Bewohner eine Gemeinsamkeit mit ihnen auf wiesen die Bewunderung und die Achtung zu unseren Rommel

HANS HERT VON ESEBECK



# التاريخ الممارس لوقائع الحرب الكونية الثانية

## ZEITTAFFEL

مواصفات الوقائع	تاريخ الوقائع الكونية	مواصفات الوقائع	تاريخ الوقائع الليلية
تعليمات القيادة الألمانية ألمانيا رقم ١٨ بشأن تحضير الهجوم على جبل طارق عبر إسبانيا . مساعدة إيطاليا ضد اليونان . وفي أفريقيا الشمالية باجراء هجوم على مصر في خريف عام ١٩٤١ .	١٩٤٠ / ١١ / ١٢	ابتداء هجوم ويفل على ليبيا	١٩٤٠ / ١٢ / ٩
الغناء العمليات الحربية على جبل طارق بسبب رفض إسبانيا السماح باجرائها . تعليمات القيادة ألمانيا الألمانية رقم ٢٠ بشأن الهجوم على اليونان وسلافيك من بلغاريا لمنع الانكسار من اقامة قواعد جوية فيها .	١٩٤٠ / ١٢ / ١٢		
تعليمات القيادة العليا الألمانية الألمانية رقم ٢١ بشأن	١٩٤٠ / ١٢ / ١٨		

تاريخ الوقائع للمدينة	مواصفات الوقائع	تاريخ الوقائع الكونية	مواصفات الوقائع
			تخفيض عمليات بربروسا لمواجهة الاتحاد السوفياتي .
٩٤١/١١/٣	نقل الفيلق الجوي العاشر الى سيسيليا	٩٤١/١/١٦	اعلان هتلر بأن عمليات بربروسا تشكل المهمة الحاسمة لحسام ١٩٤١ . وفي افريقيا منع انهبسار الايطاليين وارسال جيوش مسلحة لتأمين سلامة افريقيا وتنفيد العمليات الحربية السائرة بواسطة بعض القوى الهجومية .
٩٤١/٣/٦	تعيين رومل لقيادة الفيلق الافريقي		
٩٤٢/٢/٦	وصول رومل الى طرابلس الغرب		
٩٤١/٢/١٢	أول هجوم جوي ألماني على ميناء بنغازي		

٩٤١/٣/٢٢/١	اجتياز الجيش الألماني الثاني عشر نهر الطونة ودخوله بلغاريا .	٩٤١/٣/٢٢/١	حملة الانتزال الانكليزية على اليونان
٩٤١/٣/٢٢	احتلال المصيلة ( المقيلة )	٩٤١/٣/٢٢	امتداد العمليات الحربية في اليونان واحتلال كافة الاراضي المحيطة على القواعد الازمسة لتحقيق السيطرة الجوية على البحر الأبيض المتوسط الشرقي .
٩٤١/٤/٢	احتلال اجداية	٩٤١/٣/٢٦	انقلاب يوغسلافيا .
٩٤١/٤/٨	الهجوم الاول على طبرق واحتلال البردية والسالم .	٩٤١/٤/٦	حملات اليونان ويوغسلافيا .



تاريخ الوقائع الليبية	مواصفات الوقائع	تاريخ الوقائع الكونية	مواصفات الوقائع
٩٤١/٧\٢٥	تشكيل زمرة المدرعات الالمانية في افريقيا الشمالية .	٩٤١/٧\١٠	احتلال بلسكاو ، وصول الدبابات الالمانية امام مدينة كينيف ، بدء الهجوم الالمانى - الفلاندري . وصول زمرة المدرعات الاربعة امام ليندنراد .
٩٤١/١١\١٨	هجوم اوكليليك وكونغهام الماكس	٩٤١/٧\٢١	موقعة سمولنسك .
٩٤١/١١\٢٣	موقعة سيدى رزق	٩٤١/٨\١٠	دخول القوات الانكليزية الى ايران .
٩٤١/١٢\٧	الانكفاء على خطالزنالة وترك طريق	٩٤١/٩\١٠	موقعة كينيف .
		٩٤١/١٠\٣	زمرة الجيوش الوسطى امام موسكو .
		٩٤١/١١\٣٠	الهجوم الماكس على روستوف . انسحاب الجيش المدرع الالمانى الاول الى قطاع ميوس .
		٩٤١/١٢\٦	الانحدار امام موسكو ، بدء الهجوم الشتوي الروسي
		٩٤١/١٢\٧	حادثة برل هاربور . دخول اليابان الحرب .

تاريخ الوقائع اللمدية	مواصفات الوقائع	تاريخ الوقائع المكونية	مواصفات الوقائع
٩٤٢/١/٢٠	استسلام حامية حلفايا		
٩٤٢/١/٢١	الهجوم النماكس لاحتلال سيرانكا (برقة البيضاء).		
٧٤٢/١/٢٨	احتلال بنغازي		
٩٤٢/٢/١٥	بدء الهجوم الجوي على مالطة	٩٤٢/٣/٤	اجتماع اركان الحرب البريطاني الاميركي في لندن وخطاة الغزو الاولى.
٩٤٢/٥/٢٩	هجوم رومل الثالث على جبهة الغزالة	٩٤٢/٦/١	قرار روزفلت وتشوشل الانزال على افريقيا الشمالية
٩٤٢/٦/٢	موقعة بير حكيك	٩٤٢/٦/٢٢	ابتداء هجوم الصيف على الجبهة الشرقية .
٩٤٢/٦/٢٠	احتلال طبرق	٩٤٢/٧/١	احتلال سيداستيوبول .
٩٤٢/٦/٢٢	الهجوم على مصر	٩٤٢/٨/١٩	الانزال البريطاني على ديب .
٩٤٢/٦/٢٩	احتلال مرسى مطروح		
٩٤٢/٧/١	الهجوم الاول على جبهة الملمين		
٩٤٢/٧/٩	الهجوم الثاني على قطاع الملمين الجنوبي		
٩٤٢/٨/٣٠	اختراق جبهة الملمين		
٩٤٢/٩/٢	ايقاف العمليات الحربية ضد جبهة دلتا النيل		

تاريخ الوقائع الميدية	مواصفات الوقائع	تاريخ الوقائع الكونية	مواصفات الوقائع
٩٤٢/١٠/٢٣	بداية هجورم موشه مري والاسكندر	٩٤٢/٩/٢٥	رايتزل يستبدل هالدر على رأس الاركانت
٩٤٢/١١/٢	اختراق الجيش الخامس البريطاني جبهة الملمين	٩٤٢/١١/٧	المامة الالمانية .
٩٤٢/١١/١٤	الانسحاب الى خط فوكه الدفاعي	٩٤٢/١١/١٩	الانزال الاميركي الانكليزي على افريقيا الشمالية .
٩٤٢/١١/٢٠	الوصول الى خط مرسى البرينا	٩٤٣/٢/١٠	ابتداء الهجوم الروسي على ستالينغراد .
٩٤٢/١٢/٢٤	الهجورم على خط البويرات ( بويرات الحسون ) الدفاعي .		سقوط ستالينغراد .
٩٤٣/١/٢٢	إخلاء منطقة طرابلس الغرب		
٩٤٣/٢/١٢	وصول جيش رومل الى خط ماريت		
	التلاقي مع الجيش الخامس .		
٩٤٣/٢/١٥	الغارة على قفصة وسيلدي بوزيد .		
٩٤٣/٢/٢٠	الغارة على طاننا الكبير		
٩٤٣/٢/٢٣	تشكيل زمرة جيوش افريقيا .		
٩٤٣/٣/٣١	موقعة القطار		
٩٤٣/٤/٢	الهجورم على خط انقندافيل من قبل الجيش الخامس .	٩٤٣/٥/١	قرار روزفلت وتشرشل لتعيين موعد الانزال على فرنسا في صيف ١٩٤٤ .

تاريخ الوقائع الالمانية	مواصفات الوقائع	تاريخ الوقائع الالكوفية	مواصفات الوقائع
٩٤٣/٥/٣	اختراق خط مالتسور .		
٩٤٣/٥/٧	سقوط تونس .		
٩٤٣/٥/١٢	استسلام الجيوش الالمانية الابطالية .		

## موجز

### تاريخ حياة المارشال روميل

ولد إروين رومل Erwin Rommel في الخامس عشر من تشرين الثاني ١٨٩١ في مدينة هايدن هايم Heidenheim من أعمال مقاطعة فرتنبورغ Wurttemberg وهو ابن استاذ في إحدى الجامعات الألمانية . دخل المدرسة الحربية في الثامنة عشر كتلميذ ضابط وتخرج عام ١٩١٤ برتبة ملازم ثان ، وألحق بكتيبة المشاة السادسة التابعة لقوات فرتنبورغ . تعين عام ١٩١٥ في فوج جبلي واشترك في الحرب العالمية الأولى في ساحات جبال الفوج ، ثم انتقل إلى رومانيا ومنها إلى الجبهة الإيطالية . وكانت أعماله وتصرفاته الحربية كلها موضع إعجاب رؤسائه ، فأنعم عليه بوسام صليب الاستحقاق وكان آنئذ برتبة ملازم أول .

تسلم في جيش جمهورية وايمار Weimar أمرة سرية من وحدات ستوتغارت Stuttgart . وفي عام ١٩٢٧ عين استاذاً في مدرسة المشاة الحربية في درسدن Dresden .

ثم عين في عام ١٩٣٥ استاذاً في المدرسة الحربية العليا في بوتسدام Potsdam وكان برتبة عقيد . ثم ترأس مدرسة الحرب العليا في فينر نويشدات Winer-Neustadt وتسلم رتبة زعيم General Major في مطلع الحرب الكونية الثانية وقاد فرقة مدرعة أثناء الحملة الألمانية على فرنسا . ورفع لرتبه لواء General Leutenant وسلم قيادة الفيلق الألماني في أفريقيا في

مطلع عام ١٩٤١ . ثم فريقاً General Obist قائد فرقة مدرعات في  
تـمـوز ١٩٤١ ، وفريقاً أولاً في عام ١٩٤٢ General des Ponzer  
واخيراً رفع الى درجة مارشال Marschal . بعد احتلال طبرق في  
شهر حزيران من نفس العام وفي ١ آذار ١٩٤٣ قلد الوسام العسكري  
الاعلى ( صليب الفروسية ) الماسي .

وبعد قيادة موقعة في إيطاليا عين على رأس زمرة الجيوش الثانية ( ب ب )  
في فرنسا . وفي ١٧ تموز ١٩٤٤ هوجت سيارته من قبل طائرتين  
مقاتلة - قاصفة قرب قرية ليفارو Livaro ، فأصيب بجراحات متعددة  
وكسرين في الجمجمة وقتل سائقه الوكيل الضابط دانيال على الفور .

وبعد أن ارسل مندوبين الى مقر الفوهرر العام تقريراً خافياً  
ينرح فيه بوضوح حوادث الخطة الغربية وعدم إمكان إيقاف الخطر  
مطلقاً وأنهى تقريره الصافي بالمباراة التالية « يجب ان تستخلص منه النتائج » .  
وكانت لهذه المصراحة ابرئة أثرها وخطرها على المارشال . وما كاد يشفى  
من جراحه ، وكان آنذا بقصي نفاذه في منزله في هرلنكن Herrlingen  
قريباً من مدينة Ulm حيث تلقى في ١٤ تشرين عام ١٩٤٤ زيارة  
الجنرال بورعدورف Burgdorf ومايزل Maisel التابعين لمديرية الذاتية  
في الحبس . وقد أعلمه الجنرال بورعدورف من قبل الفوهرر بأنه متهم  
بالاشتراك في مؤامرة ٢٠ تموز ، وكان اسمه مدوناً في اللائحة المقدمة من  
قبل غوبردلي Goerdeler ، وان شهادات الشهود تدينه ايضاً ، وأضاف  
الجنرال الرسول قائلاً : اذا أحب المارشال ان ينتحر (بالسم) فلن يقدم الى  
محكمة الشعب وان تضار عائلته مطلقاً . وكان الجنرال بورعدورف مكلفاً  
بتسليمه السم . وكان رومل يعلم حق العـسـلم بأن لا محكمة الشعب ولا  
النصابو ليعملون في أمره . ولذا فضل ان ينتحر بالسم ، فتجرعه بحضور  
الإشراف الجنرال المذكور .

وفي الرابع عشر من شهر تشرين الثاني في الساعة الثالثة عشر حمل  
جثمان المارشال الى مستشفى اولم . وفي السادس عشر أعلنت رسمياً بأن  
المارشال رومل أصيب بجراح خطيرة في رأسه في حادثة سيارة بينما كان  
على رأس وظيفته في قيادة زمرة الجيوش على الجهة الغربية حيث سببت  
له الوفاة . وأمر القوهرر ان تقام له جنازة وطنية رائعة انتهت بها حياة  
هذا القائد الكبير وأمست سيرة بطولته صفحة رائعة من صفحات التاريخ .



## موجز

جغرافي ، تاريخي للبلاد الليبية

( برقة وطرابلس )

البلاد الليبية وحدودها : برقة وطرابلس الغرب اقليمان عريان  
صحراويان واسمان يقعان بين مصر وتونس والصحراء والبحر الابيض  
المتوسط . ويطلق اسم برقة على المنطقة الممتدة من غربي السلوم حتى  
نهاية خليج السرت على شاطئ البحر الابيض في مكان يقال له المقطاع  
واسمها بالرومية سيرانيكا ( Gyranica ) وتبلغ مساحتها السطحية ٣٤٥  
الف كيلو متر مربع ، وتتألف برقة من منطقتين وهما برقة الشرقية  
( مارماريسكا ) وبرقة الغربية ( سيرانيكا ) السالفة الذكر .

وتمتد حدود طرابلس من المقطاع حتى حدود تونس غربا ومساحتها  
السطحية تقديرا ٤٩٠ الف كيلو متر مربع ولكن المساحة الصحيحة  
لهذه البلاد حسب الخرائط الجغرافية تتجاوز المليون كيلو متر مربع .

عدد السكان : بلغ عدد سكان ليبيا قبل الاحتلال الايطالي مليون  
ونصف المليون من العرب المسلمين ولكن هذا العدد هبط الى ( ٧٠٠ )  
الف تقريبا بان الاستعمار بسبب الحروب والفتن المستمرة والهجرة المتوالية  
فرارا من جور الحكم الايطالي الشديد . ويرى فيها كثير من السودانيين  
الذين جاؤا إلى ليبيا عن طريق تجارة الرقيق فتوطنوا فيها واصبحوا  
أحرارا يتمتعون بنعمة الاسلام الذي شملهم بالمساواة ورعاهم بالاخاء .

المذاهب : ان اهالي ليبيا كلهم عرب مسلمون مذهبهم مذهب مالك  
ماعدا قليل منهم يتدين على مذهب الاباضية ، ومع ذلك فليس بين أهل



المذهبيين خلاف ولا نزاع ، وتقوم بينهم روابط وثيقة من المحبة والاخلاص المتبادل ، وقد ثبت ذلك بوجدتهم واتحادهم طيلة الجهاد القومي والوطني ، فكانت الاباضية برجالها في مقدمة المجاهدين .

ويوجد في مدينه طرابلس الغرب حوالي مائة الف من السكان ، منهم خمسة واربعون الفا من العرب المسلمين وخمسة عشر الف يهودي وثلاثين الف ايطالي متوطن ، وعشرة آلاف اجني مهاجر .

المحصولات : تنتج ليبيا التمور على اختلافها حيث توجد ملايين من أشجار النخيل والزيتون والتين والحنطة والشعير والذرة البيضاء والحلفاء التي تستخرج منها أوربا نوعاً من قماش الحرير الصناعي والخضراوات وأشجار الفاكهة .

الري : لا يوجد في البلاد الليبية وديان جارية غزيرة إلا مائذ ، ويؤمن السكان ري مزروعانهم وأشجارهم بواسطة الابار الارتوازية وابار الاعماق . وتتراوح اعماق الابار المفتوحة بين ٢ - ١٠ امتار . أما الزراعة الواسعة فيتوقف نجاح المحصول فيها على مواسم الامطار والعناية الالهية . التجارة : ان أهم تجارة البلاد الليبية المتبادلة مع البلاد الاوربية تقناول تجارة الماج و تراب الذهب ( التبر ) والجلود والبخور والمسك وريش النعام ، وقد تناقصت هذه التجارة كثيراً بعد شق ترعة السويس التي اغلقت في وجه تجار طرابلس الغرب طريق الصحراء فأخرت تجارتها وسببت كسادها . المواصلات : ان طرق المواصلات قليلة جداً بالنسبة لسعة البلاد ، فقليل من الطرق معبد ومزفت بالقار وأكثرها غير معبدة ولكنها صالحة لسير السيارات والعربات .

### ليبيا قبل الهجرة

عرب ليبيا من أشرف سلالة كنعان توطنوا فيها منذ فجر التاريخ وقبل سبعة آلاف عام . فبنوا مدينها التاريخية الشهيرة باسم اويا ( OEA ) ،

ورغم الفحوض الذي يسود تاريخ الامم قبل الطوفان يقال ان أكثر ابناء  
( كوش ) بن نوح نزحوا الى افريقيا بعد جلاء بابل ، ويقال أن ولده  
الثالث ( نوط ) توطن الجهة الشمالية منها ؛ بينما ولده الرابع ( كنعان )  
توطن سوريا ولذا سميت الاراضي الذي استوطنوها بارض كنعان . ومن  
اختلاط ابناء حام وسام تكون ابناء مدين وفلسطين والعانة وغيرهم من  
القبائل العربية .

ثم تغلب بنو اسرائيل في عصر داوود على أعدائهم واقترعت فلسطين  
من العانة . وبسبب هذه السيطرة هاجرت ( قبيلة بربر العربية ) التي  
استوطنت مدة في أرض كنعان الى شاطئ البحر الابيض المتوسط وتركزت  
في مناطق لبنان ثم هاجرت منها قاصدة سواحل افريقيا الشمالية حيث  
اتخذتها موطناً . وكان على رأسها ( افريقس بن ذي النار ) الحيري اليمني  
من ملوك تبع وذلك عام ١٦٢٣ قبل الهجرة الحميرية ؛ ولهذا السبب سميت  
تلك البلاد من شمال افريقيا ببلاد البربر .

وفي عام ١٤٩٦ قبل الهجرة قتل ملك صور بيغالون وصهره الراهب  
« سيشه » طمعاً في اغتصاب أمواله واملاكه ولكن زوج الراهب القتييل  
وشقيقة الملك المذكور ( ديدون اليس ) اخذت معها جميع اموال ومخلفات  
زوجها وفرت مع أفراد عشيرتها على سفينة ابحرت عليها ونزلت ساحل  
افريقيا الشمالية .

وهناك على بعد ثلاث ساعات من تونس الخضراء انشأت مدينة ( قرطاج )  
التي لا تزال آثارها باقية الى الآن ، وبعد ذلك استولت دولة قرطاج  
التي اسسها ديدون آيس على القسم الشمالي من طرابلس الغرب ونظراً  
لاهمية هذه المنطقة وغناها الوفير في ذلك الزمن وجودة اراضيها وسعة  
تجارها كانت سبباً في حدوث حروب طويلة الامد بين الفينيقيين والقرطاجيين .  
ومن آثار فينيقيا فيها مدينة صبراتة التي تبعد ستين ميلاً عن طرابلس

الى الجهة الغربية وانارها ما تزال باقية الى اليوم  
وفي عام ١٢٣٤ قبل الهجرة التفت سفن الاستطلاع المصرية بأمر  
فرعون مصر ( نيكو ) مراسيها على مسافة خمسة عشر دقيقة من مدينة  
( الخمس ) مركز القضاء الآن شرقي طرابلس الغرب . وهناك على مقصد  
واد كبير بنى المنصريون مدينة لبدة ( Liptis ) التي تعتبر من الآثار  
القديمة في البلاد وتبعد عن طرابلس مسافة ستين ميلا إلى الجهة الشرقية  
على ساحل البحر . وهي مدينة غير رومانية ولكن الرومان احيوا مقامها  
بعد استيلائهم على طرابلس وبعد انتصاراتهم في حروب البونيق الشهيرة  
التي بدأت بينهم وبين القرطاجين عام ٨٨٦ قبل الهجرة ، وانتهت بانقراض  
دولة قرطاج عام ٧٧٢ قبل الهجرة بعد حروب طاحنة بينها وبين الرومان  
انظامين في ليبيا وطرابلس لوفرة غناء هذه البلاد وخوفاً من مركزها  
السياسي والحربي ، والتي دامت حوالي ١١٨ عاما .

ان ما بهمننا من هذا التاريخ الموجز ، هو عروبة ليبيا وصحة انساب  
اهلها العرب ودحض الادعاءات الخسافة لهذه الحقيقة وتصحيح اقوال  
المغاطين في فهم أصل قبيلة بربر التي توطنت شمال افريقيا . فهي كما بينا  
عربية الاصل والمخند ، ومن اعرق سلالات كنعان التي هاجرت من  
لبنان الى افريقيا وتوطنت القسم الشمالي منها . إذا فجميع قبائل البربر  
عرب صميمون متخلقون باخلاق العرب ويحافظون على عوائدهم وتقاليدهم  
رغم الاختلاف في الازمان وتباين الحكومات التي تعاقبت على بلادهم وتحكمت  
في امهم ومصائرهم ورغم تعارض عادات الامم الحاكمة مدة ذلك  
الزمن الطويل .

وفي عام ٢٣ هجرية انطلقت العروبة من مرابضها في الجزيرة العربية  
الى شمالي افريقيا بحدوها الاسلام وبسوقها الايمان الجديد حاملاً لواء  
الانقاذ الروحي والمادي في ثوبها الاسلامي الجديد المعطر فوطدت اركانها

في ليبيا ووطنت فيها قبائل جديدة من أعرق قبائل نجد والحجاز واليمن والعراق وتم ذلك الفتح على يد عمرو بن العاص فاتح مصر وبلاد النيل .

وما ان تم عمرو بن العاص اخضاع وادي النيل واجتثاث كل نفوذ سياسي للروم في هذا القطر ، حتى اتجهت همه القائد العربي الى فتح البلاد الليبية المجاورة لمصر فسار اليها في أواخر عام ٢٢ للهجرة وفي أوائل عام ٢٣ وصل الى برقة على رأس بضعة آلاف من الجنود . فاستسلمت اليه دون أية مقاومة تذكر . وصالحه حاكمها الروماني على الجزبة التي كان يحملها البرقاويون الى خزانة مصر في كل عام .

وواصل عمرو الزحف بحيشه الى طرابلس الغرب والمسافة بينها وبين برقة ٢٠٠ كيلومتر فبلغها دون عائق ، فأسرعت الحامية الرومانية المرابطة فيها الى الانسحاب ، والتجأت الى أسوار المدينة واغلقت الابواب . وحاصرت داخل الحصون ولكن لم يطل حصارها فاستسلمت وخضعت لسلطان العرب . ثم وسع عمرو فتوحاته فاحتل صبراتة ثم شروس في الجبل الغربي وأراد ان يواصل زحفه غرباً فيستولي على تونس والجزائر . فكتب الى عمر بن الخطاب يطلعه على عزمه فأوعز اليه الخليفة بالترث والتوقف وعدم التوغل والاستمرار في الزحف صوب الغرب الى اشعار آخر خوف العاقبة . ويمزى سبب احتياط الخليفة بوقف استمرار الزحف الى ان القوات العربية لم تكن آنذاك على جانب من القوة والمدد الكافين وزد على ذلك فانها كانت تجهل طبيعة الاقاليم الجديدة .

والاهمية لإقليم طرابلس الغرب الجغرافي والحربي وسيطرتها الطبيعية على طرق المواصلات البرية والبحرية بين افريقيا وآسيا واوربا وتسلمتها على مصر والسودان وتونس والجزائر وبعبارة أصح تسلط من يمتلك هذه البلاد تسليطاً فعالاً على الممالك والاقطار المجاورة برّاً وبحراً ، والتحكم في مصالحها ومواصلاتها تحكماً خطيراً ، كل هذه الاسباب جعلت من هذه

البقعة ميداناً لحروب وفتن طويلة عبر الزمن . وبعد استقرار مصر في القرون الاولى من العهد الاسلامي نرى ان ليبيا وتونس انطلقت في حروب متواصلة مع حكومات صقلية الايطالية ، تارة مهاجمين وطوراً مدافعين حتى تم اخضاع صقلية للحكم العربي . وقد مهدت دولة بني الاغلب في تونس اخضاع ايطاليا في العهد العباسي عام ١٨٣ تحت قيادة ابراهيم الاغلب الذي قهرها نهائياً في عام ٢١٢ هجرية .

وانتهى أمر العرب في ايطاليا بعد ان حكموها ٢٥٢ سنة أي من عام ٤١٢ الى عام ٦٦٤ وهي السنة التي جلوا عنها نهائياً .

وبالإضافة الى هذه الحروب لم تفتقر الفتن والثورات الداخلية بين الامراء والزعماء من أجل السيطرة والمطامع الذاتية حتى افتحها العثمانيون بقوة بحرية مكونة من ١٢٠ سفينة ابحرت من استانبول تحت قيادة آمر البحر سنان باشا وطوغرول باشا فحاصروها بحراً حتى سلمها الاسباب الذين كانوا استولوا عليها حديثاً من دولة بني حفص ، وتم للعثمانيين افتتاحها في عام ٩٠٨ . وبعد مدة وجيزة من الاستقرار والراحة بدأ يذر دور الاستبداد والفوضى قرنه بسبب تصرفات تشكيلات القول اوغلي رجال الجيش أي جماعات ( الانكشارية ) وهم أفراد وأغوات الجيش العثماني الفساح ، فأخذ هؤلاء ينصبون ويعزلون الولاة حسب مشتهام ورغبتهم غير عابئين بسلطة ولا سلطان ، ولا حاسبين للخليفة والباب العالي حساباً ، وطففت الفوضى وقام الحكم الكيفي حتى سلالة القرمانليين المعروفة في تاريخ طرابلس الحديث والتي ما يزال من بقايا سلالتهم الحاكم الامير سليمان القرمانلي .

وهكذا نرى ان ليبيا تناوبتها الحروب والفتن والثورات الداخلية والمطامع الاجنبية عهداً طويلاً ، وتعلقت بها آمال ومطامع الغزاة الفاتحين من دول الاستعمار الاوربي وفي طليعتهم ايطاليا واسبانيا يتحينون الفرص والمصادفات للانقضاض عليها الى ان ضفت السلطة العثمانية وتفككت عرى

وحدثها الكبرى وجاء اليوم الخامس من تشرين عام ١٩٢١ فأطلقت إيطاليا قبلتها الاولى على طرابلس وانقضت عليها ، وقامت الحروب وتواتت الاحوال بينها وبين المواطنين العرب المجاهدين بمعونة الحكومة العثمانية الهزيلة . وكان من اهل وسائل الدفاع عن هذه البلاد وقعود الخليفة عن نصرتها نصرة خدية ، وسحب عدد كبير من حامياتها وقواتها اسوقها الى بلاد اليمن ، وتجريدها عن وسائل الدفاع والقتال الضروري ، كل هذه الامور يسرت للجيش الايطالية امكانية الاستيلاء على ليبيا ، ولكن بعد عناء طويل ومعارك دامية . ولم يثبط انسحاب الحكومة العثمانية من جهة طرابلس عزائم المجاهدين الطرابلسيين بل زادهم حماساً ونشاطاً واتحدوا فشكوا حكومة عربية وطنية مهتمة بالدفاع عن استقلال البلاد وحريتها حتى عام ١٩١٩ حيث تم الصلح بين الفريقين المتحاربين على أسس معينة ولكن إيطاليا تقضت عهدا وانبرت طامعة في الاستيلاء الفعلي والحكم المباشر على هذه البلاد . وهكذا تأزمت الحالة واستؤنف القتال من جديد بينها وبين عرب ليبيا طيلة ربع قرن في جهاد متواصل الحلقات مستمر الحلقات عدة الاولى فيه العناد والمدة ، والقوة والقدرة والبهي والغدر ، وعدة العرب الايمان والاباء والعزة القومية وحب الحرية والتفاني في الجهاد والنضال للدفاع عن المقدسات الوطنية والدينية . لقد كان هذا الجهاد المقدس صورة حية ناطقة لكامن الروح العربية من عزيمة ومضاء وقوة وثبات ، وما يلزمها من شجاعة وصبر واعتداد بالنفس . ان العقيدة الراسخة المتوارثة عن الاسلاف الاجداد اودعت في نفوس عرب ليبيا الايمان المتيد بأن لا حياة لائمة تحت ظل السيادة الاجنبية ، فضعفوا على ان يحيا حياة شريفة او ان يقضوا في سبيلها اعزاء شرفاء . دامت هذه الحرب الطاحنة بين بكر وفر ربع قرن كامل تبادل فيها زعامة المجاهدين الابرار بطل بطل وفارس بفارس حتى انتهت الى سيد

رجال القرن وخاتمة الابطال والمجاهدين في هذا انقطر ، السيد عمر المختار الذي أسره الايطاليون وأعدموه شنقاً ، وذهب شهيد الغدر رحمه الله ، فحمد باستشهاده عنفوان الجهاد الفائر وهذا البركان الثائر ، وحكم الغادرون البلاد بالحديد والنار والقتل والارهاب الى ان توطدت لهم دطائم السلام الباغي الجائر ، السلام الموقت الصامت .

ودار التاريخ دورته وللتاريخ عودة ورجعة ، واشتملت نيران الحرب العالمية الثانية ودارت رحاها الطاحنة فوق أرض ليبيا تارة في جانب المحور وطوراً في جانب الحلفاء كما سنسرد تفاصيلها وحركاتها العسكرية بصورة مفصلة . وانتهى العراك العنيف بالغلبة للحلفاء ، وطردت جيوش المحور من كافة البلاد الليبية التي استعدت وتوجهت لنيل الاستقلال المؤمل والامل المنتظر منذ سنين طويلة ، جزاء الصبر الطويل والتضحيات الثقيلة والجهاد المير حقق الله آمال هذه الامة الشقيقة وحرسها بعنايته ولطفه من مؤامرات الاستعمار .

وقبل ان نأتي على هذه الخاتمة المفجعة التي سست اليها الدولة الايطالية القوية المتعدنة ، وفرضتها على أمة ضعيفة مسالمة ، عزلاء من كل سلاح الا سلاح الايمان القوي ، ليس بينها سابق عدااء مبيت ، ولا عادية انتقام سالفة . انها صورة العدوان الجسيم الذي تنكره كل مدنية ويأباه الضمير الانساني المذهب ، وناهيك عن هذا العدوان الصارخ على الحقوق والجوار فقد كانت هذه الحرب أشنع حرب شنتها أمة في تاريخ الحروب بعينها وقربها . حرب خلت من كل معاني الانسانية ، وتجردت من كل الاحاسيس الوجدانية ، فأعدمت الاسرى ، وقتلت الشيوخ والاطفال والنساء بالمفرد وبالجملة ، وهتكت الاعراض والحرمان ، ومثلت بالضعفاء ، ودنست المقدسات دونما شفقة أو رحمة ، كان البشر في نظرها قطعان من الدواب والسائمة .

ان هذه الحرب اعتداء لثيم شائن على المدنية والحرمان قام بها جيش سفاك تعري فيها قاداته وضباطه وأفراده من كل معاني الرجولة وكل ما يتصف به البشر من أخلاق عالية وسريرة انسانية نبيلة .  
 انها لمجزرة انتقام شاملة ، وان المدنية وذاتيتها ليكفر وجهها والتاريخ لتسود صفحاته من الجرائم والاعتداءات الشائنة التي فقد القائمون بها شعور الرحمة والرافة بالبشر .

لسنا في مجال تعداد وشرح المظالم والفضائح التي قام بها الايطاليون في ليبيا العربية ، ولو أردنا تدوين جزء منها لضاق عنها المجلدات ، والتي لتنفّر منها النفس والروح منها قسى بها الخلق . انها مجموعة آلام ومآسي لا تحصى تستدعي وتستعطر على فاعلها لعنات القدر الصاخبة . لقد ضج العالم المتحدين منها واستنكرها وعرض بها واحتج على اتيانها قولاً وكتابة سمعناها وقرأنا عنها لا من الشرقيين الذين يعطفون على شعب ليبيا المهشم الذبيح ويتأثرون لمصيره ، ولكن عن مصادر اجنبية وكتاب وصحفيين اوربيين لم تحمل ضمائرهم المشاهد الفظيعة التي كان يقوم بها الجيش الايطالي بدافع روحية القتل والتدمير ، وفي صفحاتها رائحة كريمة منتشرة في ارجاء العالم الحر المتحدين . واذا كان الجزء من جنس العمل فان ما أصيبت به ايطاليا في هذه الحرب هو جزء مما اسلفته مع الشعب الليبي ، وان طردها من البلاد نهائياً لم يكن سوى حكم القضاء الالهي العادل الذي حكمت به ايطاليا جزاء وفقاً للطغيان والظلم وعقاب اعتداءاتها على هذا الشعب المسالم الاعمين .





## مقدمة المؤلف

الجنرال ابرون رومل والقبلي الاثاني الافريقي

Vorwort des Vevfassers der General Erwin Romel  
an der spitze des deutsch en Afrikakorps

في السادس من شهر شباط عام ١٩٤١ استدعى الفوهرر رئيس الدولة الالمانية اودولف هتلر الجنرال ابرون روميل وكان أحد القادة الشباب في الجيش الالمانى وكلفه بقياده حملة عسكرية مهمتها مساعدة الجيش الايطالي المندحر في شمال افريقيا ( ليبيا ) والذي اصبح في حالة تهديد خطير يحتمل معه سقوط ليبيا بكاملها في ايدي القوات الانكليزية المهاجمة . وما كان هذا القرار المتخذ ليسر قيادة الجيش الالمانى العامة ، ولا ان تستقبله بغبطة ورغبة ، ولا ان ترى نفسها وبلادها مهددة تحت عوامل الخطر المحدق بالحليفة الجديدة ايطاليا .

وما كان دخول ايطاليا الحرب ليخفف عن كاهل المانيا قسماً من اعباء الحرب القائمة بل بالعكس زادها اثقالاً ولا تمضي بعد اسابيع قليلة على دخولها الحرب حتى تحقق لالمانيا ان الجيوش الفاشية غير قادرة على تسيير عمليات الحرب بمفردها في المهمات والاعمال العسكرية التي ترتبت عليها دون مساعدتها وشد أزرها بصورة جدية .

وفي مفرق عامي ١٩٤٠ - ١٩٤١ بدأت تباشير السحب المتسندرة بالفاجعة تتراكم في أجواء روما بشكل مزعج ، وان خطرهما يعتمد الى المانيا بالذات ان تقاعست هذه عن مساعدة حليفتها . وبالرغم من ان

الجنرال غرازباني ( Graziani ) القائد الايطالي لشمالى افريقيا الذي كان يعتبر من أسعد القادة الايطاليين وامهرهم ، دحر في شمال افريقيا اندحاراً مهيماً وأوشكت ليبيا ان تقع في قبضة الانكليز .

وتبلغ مساحة ليبيا ضعف مساحة مصر وقد استوائت عليها ايطاليا منذ عام ١٩١٢ وكانت غير مأهولة بالسكان ما خلا بعض النقاط الساحلية وهي تشكل رقعة واسعة من الصحراء الخالية من الماء والنبات . وتعداد سكانها ما كان ليتجاوز الـ ( ٧٥٠٠٠٠ ) نسمة بينما يبلغ عدد سكان جارتها مصر نيفاً وستة عشر مليوناً . ولم تكن ليبيا لتبعد أكثر من ٤٠٠ كيلومتر عن جزيرة صقلية . وكانت تشكل نقطة استناد وقاعدة عسكرية ذات اهمية سوقية وتعبوية عظيمة الشأن للدفاع عن الممتلكات الايطالية الاخرى في افريقيا . وهي تتصل بمصر من جهة الغرب وتشكل حائلاً منيعاً في وجه توسع النفوذ البريطاني الى افريقيا الشمالية الفرنسية ، وفي حالة المحافظة عليها كان يتعذر على بريطانيا ايجاد السبيل لتطويق القارة الاوربية من الجهة الجنوبية وتحويل دون قيامها بحركة تطويق او حصار او استيلاء عليها من هذا الجانب .

ولنلق الآن نظرة خاطفة على خريطة البلاد الليبية فنلاحظ ان منطقة طرابلس في الغرب ومنطقة برقة في الشرق ليستا سوى منطقتين صحراويتين بكاملهما تقريباً ، تتوسطهما منطقة برقة البيضاء التي جعلت مركزاً لمستعمرات معمورة خصبة يانعة مع عاصمتها مدينة بنغازي ، وما ان وطد المارشال غرازباني دوائيم الامن في البلاد عام ١٩٣٠ حتى شرع في انشاء القرى النموذجية والمزارع الواسعة وبناء المدن والمستعمرات في المنطقة الساحلية الخصبة التي تكثر فيها المياه ، وحول هذه المنطقة الى جنات فيحاء ذات بهاء وروعة وفنينة في الصحراء . كما ان الجنرال بالبو G . Balbo عمل على بناء مرفأ البريد الذي انتهى في عام ١٩٣٦ وشق طريقاً ساحلية

معبدة تمتد من تونس الى حدود مصر على طول النى كيلو متر تقريباً وعلى مسافة ٨٠٠ كيلو متر بين طرابلس الغرب تقع مرسا البريق والطريق بينهما تجتاز مسافات قاحلة عارية ليس فيها نبات ولا ماء . وعلى طول منطقة السرت وعلى مسافة ٨٠٠ كيلو متر ايضاً تصل الطريق الى مدينة طبرق اكبر مرافق منطقة برقة الذي أنشأ ليكون نقطة استناد بحرية حربية ، وقد تحوات هذه المنطقة الى قلعة حصينة منذ الحملة التي شنها غرازياي على قوات السنوسيين .

وفي الثامن عشر من شهر ايلول ١٩٤٠ اجتاز المارشال الايطالي الحدود الليبية المصرية فطرد العدو منها واحتمل في اليوم التالي سيدي براني النقطة المحصنة التي سقطت بعد هجوم سريع خاطف في ايدي الطلائع الامامية الابطالية وكانت بريطانيا لا تملك آنئذ سوى عداد قليلة بقيادة الجنرال البريطاني ويغل « WeveI » والتي كانت موزعة عمقاً على مسافة ٣٠٠ كيلو متر تقريباً . وكان الخط الدفاعي البريطاني يمتد من خليج السلوم على البحر الى واحة سيوا الواقعة في قلب الصحراء . وقد حاول ويغل خديعة عدوه وتضليله طيلة أسابيع اتركه في جهل تام عن ماهية وأهمية قواته المدافعة بقيامه بمناورات ومظاهرات حربية ماهرة ، وليعطيه فكرة خاطئة عن الوضع الحقيقي للقوات الانكليزية .

وقد ظهر بالفعل أن ويغل بوغت بالهجوم المذكور ، وأن السيطرة البريطانية في الشرق الأوسط أصبحت في حالة تهديد خطر . والحقيقة ان دلتا النيل لم تكن معززة بحماية دفاعية تذكر ما خلا الفرق المحشودة في منطقة الحدود على اعماق سطحية متراففة لا تساندها أي قوة احتياطية . بيد ان المارشال غرازياي لم يتابع تقدمه مما أزهل المراقبين العسكريين جداً من توقفه عند سيدي براني حيث اخذ في تحصين الارض بعناية واقامة نقاط استناد اخري الى الجنوب ليوطد قاعدة انطلاق امينة لاستئناف

حركاته القادمة اذا كان لديه اعتقاداً ما لاطلاق هجوم جديد .  
كما أخذ أيضاً في اقامة معسكرات ومستودعات عديدة المذخيرة ، وفتح  
ابار وبناء مواقع حربية . كما أرسل قسماً كبيراً من فرقه الى ليبيا . ان  
المشكلة المويصة التي واجهها غرازياني والتي اوقفته عن الاستمرار في  
هجومه ، هي مسألة التموين والماء إذ أن الاحتياطات المتخذة كانت غير  
كافية تماماً .

وهكذا سمح الوقت للجنرال ويفل بسبب تهاون المارشال غرازياني  
وتخاذله لاستدعاء قوات جديدة تمكنه من اطلاق هجوم معاكس في حينه .  
وكان التصميم السريع عملاً مجيداً اكسبه شرفاً وتقديراً . وفي التاسع  
من شهر كانون الاول ١٩٤٠ انطلقت الفرق البريطانية المدرعة متوغلة  
بين الفرج التي كانت ضعيفة الحماية والمدافعة وبعيدة عن نقاط الاستناد  
التي كانت تفصل فيما بينها ، وتوغلت في انطلاقتها على اخلاف خطوط العدو ،  
دون أن تلاحظها المواقع التي كانت غير مبالية بما يحدث حولها ، وبغنة  
لفظ ويفل هجومه المقرر على الطريق الساحلية بالاتباط مع الاسطولين  
البحري والجوي ، بينما استدارت الفرق المدرعة الى الخلف وأطبقت على  
الايطاليين في مواقعهم المحصنة تفتك بهم فتكا ذريعاً .

لم تلبث الجبهة طويلاً حتى انهارت اركانها منذ الهجمات الاولى . فدخل  
البريطانيون سيدي براني في ١١ كانون الاول ولم ينج من الاسر سوى  
بقايا من جيش غرازياني التي استطاعت الافلات والفرار بأعجوبة . وكان  
قرار ويفل يقضي باستئناف هجومه واستغلال نتائج الموقعة الى أقصى حد ،  
دون أن يترك للايطاليين فرصة الافلات نهائياً . وقد أدرك بشاقب فكره  
أن معنوياتهم تحطمت وتدهورت الى حد بعيد ، فسقطت الباردة المحصنة  
تحصيناً قوياً والواقعة على بعد ٥٠ كيلو متراً من الحدود في ٥ كانون الثاني  
ووقع في الاسر ما يقارب / ٣٠.٠٠٠ / ايطالي ولم تدم المعركة سوى يومين

فقط . لم تكن هذه المدينة المبنية على الصخور العالية المشرفة على البحر بذات أهمية تذكر ما خلا وفرة مياهها العذبة التي كانت تنفجر وتسيل في الاودية القريبة من المرفأ .

وفي العشرين من شهر كانون ثاني هاجمت فرقتان مدرعتان مع ثلاث فرق مشاة ميناء طبرق الذي كان بمثابة نقطة استناد برية وبحرية عظيمة الأهمية والتي تبعد مسافة ١٥٠ كيلومتر عن الحدود . فسقطت في الثالث والعشرين الجاري مدينة درنة ميناء منطقة بركة البيضاء واخلت سراعاً ودون أية مقاومة بكاملها في يد قوات ويغل التي وصلت طلائعها في مطلع شهر شباط الى حدود اجدابيا الواقعة على سفوح جبال السرت الكبير ( الجبل الأخضر ) وتربصت فيها بغية إجراء ترتيب في الوحدات ، وتأمين عمليات النحوين ، وبفضل مساندة سلاح الطيران الفعال المتفوق تمكن ويغل من كسب نصر رائع . ولم يكن من شك مطلقاً بأنه كان مصمماً على استغلال ظفوره وإتمامه ، وتحقيق نصر مبین بهجوم عاجل يسدده على طرابلس الغرب آخر معقل للايطاليين في ليبيا . لقد اسقط في يد غرازياني ولم يبق لديه ولا في حيازته ما يعينه على ايّقف او صد هذا الهجوم المنظم المعزز بالطيران والبحرية ، ولم يبق أمامه سوى فلول قواته المنهزمة التي انسحبت الى طرابلس الموقع الأخير الذي كان ينتظر الدفاع عنه ، ولا أية وسيلة يستطيع معها تلافي الموقف الخطير المهدق بمصيره الحق ، ما يكفل له تحسين الحالة او احراز أي نجاح محتمل على الاطلاق .

ظلت لدى غرازياني قوات محدودة في مدينة الخمس على بعد ١٣٠ كيلو متر نحو الشرق وكانت الجهة تقع تماماً على حدود جبال السرت على بعد ٥٠٠ كيلومتر يربط فيها فوج معزز تسانده بعض بطاريات مدفعية تحت امرة الزعيم كراتي ( Grati ) ، ويشتمل على بعض المدرعات الخفيفة من فوج سانتاماريا وعدد قليل من المدافع المضادة للطائرات من

قياس ٧٥ سم وهي الوحدة الوحيدة التي كان يحتمل ان تواجه قوات ويغل . وكان الانحلال باد بأكمله ، ولم يبق أسلحة ثقيلة البتة ولا أي أثر للإرادة القوية للقتال . ويظهر ملياً بأن الإيطاليين وقعوا ضحية انفسهم . فالمعارك التي كانوا يقومون بها منذ ثلاثين سنة ونيف بدون انقطاع في ليبيا والحبشة ، كانت كافية لتجعل منهم محاربين اشداء في الهجوم والدفاع والمقاومة ، ولقد أظهر غرازياني بعد الاستيلاء على فزان وبعد توطيد الأمن في منطقة برقة البيضاء صفات الجندي الكبير والبناء الكفوء ، بيد أن كل هذه الحملات والمعارك الناجحة التي طبقت اخبارها الآفاق ومهدت جميع المصاعب القائمة بمهارة وقوة ، لم تشن إلا على قوات وطنية وعشائر ليس لها قيمة عسكرية ولا قدرة حربية في نظر الخبراء ، يعوزها السلاح والخبرة الكافية الجيدة .

هذه هي القوى التي جابهتها الحملات الإيطالية المنظمة ، المدربة تدريباً حديثاً ، ودعت لها بكل الوسائل . ولا عجب البتة اذا تغلب الإيطاليون في معاركهم السالفة ، ولكن هذه الجيوش الظافرة على المصائب الوطنية الجريئة المجاهدة ، لم تواجه يوماً قوات منظمة مجهزة مدربة متدبرة . أجل لقد ألف الإيطاليون ملاحم القبائل واستمرواها ، ولكنهم ظلوا بعيدين عن التريخ على الحياة الصحراوية التي تفرض شروطها وعواملها . وحاولوا إخضاع هذه البيئة القاسية وتعديلها بما يتناسب وحياتهم الأوروبية في الجبال الجرداء والارض القاحلة وبين الصخور الجافة والرمال المحرقة والوحدة المقلقة وتحت الطوارئ الجوية المزعجة . وبدلاً من اقامة الاستحكامات والحصون المنيعة التي في إمكانها ان تصد عنهم قنابل المدفعية وقنابر الطائرات وهجمات المدرعات ، راحوا يبنون ملاجئ بسيطة خفيفة تؤمن لهم الحياة الهادئة الهائلة وتحميهم فقط من عواصف الرمال والفتحات السجوم وضربات الشمس القاتلة وقر الليالي الباردة ، فاستحضروا كل

ما طاب لهم من مأكولات ومشروبات وتأنقوا في اختيار الفرش والمفروشات البديعة كالمقاعد والموائد ، والاعطية والنبيد والمياه المعدنية ، بينما الطبيعة في هذه الاصقاع تتطلب مؤاخاتها وأنلافها والتعود على مقاسومة الامراض القاسية لاكتساب المناعة والمقاومة وقوة الاحتمال والقدرة على الصبر والحرمان .

لقد عمل الجيش الايطالي في ليبيا كل ما يستطيع ليلطف الإقامة ويخفف الشروط انقاسية التي تفرضها هذه الطبيعة . وللمرة الاولى عندما امتنعت على هذه القوات المراقبة حياة الرفاهية والراحة ، وتمذرت عليهم مطالبهم الحيوية ، وإزاء الصدمة الاولى فقط تزعزعت القوي ، وانحطت المعنويات وتلاشت الفرق المحاربة كما تلاشى قطرات الندى تحت أشعة الشمس المحرقة في الصباح الصحراوي الباكر . وبالإضافة الى هذه العوامل فإن الجندي الايطالي الذي لم تنسرب الى نفسه العقيدة الصادقة بالفاية السامية التي يتناضل من أجلها ، ولم تتمكن في جنانه شهور الثقة بقدة اماره ورؤسائه ، ولم يجهز كما كان يظهر التجيز الكافي المادي والمعنوي ليشعر بأي حماس واندفاع لتقبل حرب لم يخترها ولم يرغب في خوض غمارها مطلقاً ، فكيف لجندي كهذا ان يجد السبيل الى نهضة قضيته والدفاع عنها بعزم وإيمان واخلاص :

هذه هي العوامل الجوهرية التي عجبت باندحار الجيش الايطالي اندحاراً مريعاً في اللحظة الاولى من المعركة .

والآن وبعد هذا الاندحار المعنوي والمادي الشنيع الذي أصاب الجيش الايطالي وقوض اركانه ، أهل من وسيلة مجدية او امكانية محتلة تحور هذا المصير المحتم ؟ أهل يمكن تحويل هذه الكارثة ؟؟

ان شعباً يعتبر ادنى كلاً بوسائله ومعنوياته وتدريبه وفنه وماضيه العسكري وخلقته التي لم تمرنها الحوادث الجسيمة بالنسبة الى الانكليز

لن يوفق في مبارزتهم ومقاتلتهم ، وإن في خسارة ليبيا وضياعها استعجال  
 نهاية الجيوش التي كانت تحارب من جهتي الصومال والحبشة وإن فقدانها  
 ليحقق سيطرة البريطانيين الشاملة على حوض البحر المتوسط ، وتصبح  
 سواحل أوروبا الجنوبية كلها في خطر دائم ، وإن انهيار الامبراطورية  
 الإيطالية الاستعمارية ليستدرج نتائج سياسية خطيرة بعيدة المدى على موسو وبني  
 ونظامه ، وإن الاندحار النهائي للقوات الإيطالية ونتائجه الثقيلة يؤدي  
 حتما إلى انهيار إيطاليا ، وخروجها نهائياً من دائرة الحرب ، وإن هذا  
 الخطر يهدد ألمانيا ذاتها ويفتح في وجهها ثغرات عديدة تناسب من أرجائها  
 سيول الخطر الجارفة . وهذا ما تم بالفعل في المستقبل عندما تمكن  
 البريطانيون من دحر قوات المحور في ليبيا والاستحواذ على السيطرة النهائية  
 على شواطئ البحر الأبيض الشمالية ، وكانت هذه الوضعية الراهنة سبباً  
 هاماً في اضطراب آلة الحزب في ألمانيا التي كانت تعتبر أداة لا تقهر .  
 لم ير المارشال غرازياني بدءاً من الرضوخ للأمر الواقع وللحالة الراهنة ،  
 فتنازل عن قيادته للجنرال غاريبولدي ( Garibaldi ) الذي كان إلى هذا  
 الوقت رئيس أركان حربه . وعندما اتصل الجنرال روميل بالقائد الإيطالي  
 الجديد في طرابلس وجد نفسه أمام مهمة مفزعة لا ينتظر منها سوى ضياع  
 السمعة والشرف . وليس هنالك ما يعزز الأمل والاحتمال بتعديل أو  
 اصلاح هذه الحالة التي أوشكت على نهايتها الالئمة مهما تنوعت الاسباب  
 والوسائل .

ولكن الجنرال رومل الفذ استطاع ببصيرته ومهارته وقدرته وحسن  
 تدبيره أن يصلح ما أفسده الإيطاليون ، وأن يحول انكسارهم إلى ظفر  
 ومذلتهم إلى معزة وابعاد الخطر عنهم وعن بلادهم إلى أجل آخر .



# مقدمة الحرب

الحرب السكوتية الثانية

Der Zweite Weltkriege , Die Kampfe und Schlachten in  
der Libischen wuste Von 1941 - 1943

## مرهم ومعارك صحراء ليبيا

عام ١٩٤١ - ١٩٤٣

سيرة الحركات - طراز الحركات والمعارك ، شرعة حرب الصحراء

Abriss der Feldzeuge - System der Schlachten und  
operationen - Die Doktrin des wusten Kriges .

### نبذة الكتاب

انها لحرب جديدة ، في أرض جديدة . لم يسبق لها على مدار  
المصور ان شهدت حرباً طاحنة كالحرب التي ابتلتها ، وات الجيش  
المحارب ليجد في ارجائها المختلفة خصمين عنيدين الطبيعة والمدو .  
لقد حرمت الطبيعة هذه الارض النعيم الدائم فشتاؤها ممالك وصيفها  
مرهق . شاسعة واسعة محرقة ، وطرقها مفرقة . هواؤها حرور ، وريحها  
سموم . قل مأواها وكثيره ملح أجاج ، اتسعت رقعتها عبر الصحراء .  
واستطاعت دروبها فوق البيداء وامتدت حدودها المترامية الاطراف ،  
وامتنعت على الفاتحين عبر الزمن امتناع العقاب .  
نسبها الماضي وتعلق بها الحاضر لعظم خطورتها ، فهي مركز سوقي

وتعبوي عظيم الاهمية والقدر ، تنوسط البحر الابيض المتوسط ، وترقب شطريه الحوض الشرقي والحوض الغربي . وترنو الى السواحل الايطالية ومن اطرافها يستطيع المحارب تحقيق السيطرة الواسعة . اهتم بشأنها العالم الغربي انان توسع استعمارهم واعتدائهم ، ولكن اهملها في البدء ساعيا الى الوفير من الغنم ، وليس فيها كسب ولا مغنم ، ليس فيها أرض منبئة ولا ماء منعش ، ولا فبى واق ، ولا طرق امينة ، ولذا ظلت كالسد الحائل بين الاقطار المجاورة ، تمنع طامعا عن طامع وترد فاتحا عن فاتح .

وانا لنرغب توزيع العالم بين الاقوياء المستعمرين ، فبعضهم ينال نصيب الاسد ، وآخر لم يصب حق ولا نصيب الارنب . وكان بين الطامعين ايطاليا الجديدة الغربية عن هذا البلد الآمن . وقد جاءت متأخرة إلى حلبة الاقسام والتوزيع ، فلم يبق أمامها سوى ليبيا العربية ، التي لايفصل بينها سوى مضيق من بحر ، فارتمت عليها بعدتها وعددها ، ونارها وحديدتها الاستلاء عليها وايس أمامها سوى جموع ضعيفة ومدن صغيرة منعزلة وعشائر مبعثرة ، ومع ذلك لم تصل إلى بغيتها دون عناء كبير ، فقااست من مقاومة اهلها ومراسهم ما قاست ، وخسرت ما خسرت ، ولم تستتب لها الامور الا بعد زمن طويل ، لان السياسة العالمية تواطئت على ليبيا والظروف كانت غير مواتية لها ، والمعونة شحت على هذا الشعب المناضل فانطوت المقاومة الجبارة على نفسها ، وضعف شأنها ، وانتهى الصراع الغشوم بالغلبة لايطاليا ، وتحول هذا القطر إلى مستعمرة ايطالية . واخذت ايطاليا تبذل جهدها لاحياء موات هذه الارض وبنائها وتحسين احوالها الزراعية ووسائل الارواء رغبة في الاستفادة منها واستغلالها ، وتوسيع امكانيات الاستيطان فيها ، فاقامت المواقيع والتحصينات والاستحكامات والمنشآت العسكرية ، وفتحت الآبار وشقت الطرق وعبدتها ، وبنيت المرافق

والمواني' لتعزير الملاحه والدفاع بانتظار المستقبل الذي لم يأت لصالحها ، بل كان شؤوما ووبالاً عليها ، فاندلعت نيران الحرب العالمية الثانية ودخلتها ايطاليا الى جانب المانيا الجبارة طامعة في مغنم كثيرة تأخذها ، ولكنها لم تصب غير الخذلان والمغارم .

ودار الزمن دورة وانطلقت عجلانه ، فاذا بايبييا العربية الهادئة تحتاجها العاصفة الجامحة منذرة بالبلاء المصوب ، فتصبح ميدانا لحرب هائلة استطال فيها الكر والفر ، وتوات على الخصمين الانتصارات والهزائم ، فهاجت بريطانيا ايطاليا اثر اعتداء مسبق قامت به الاخيرة على حدود مصر وعلى الانكليز الذين منوا بهزيمة موقته ، ولكنهم استعدوا من جديد ، وحشدوا لها قوات وفيرة فاقوعوا في الايطاليين هزيمة منكرة بالرغم من تفوقهم ووفرة تحكيماتهم التي صرف على انشائها الوقت الطويل والمال الكثير فتراجعوا وارين الادبار ، وطبقت عليهم القوات البريطانية من كل جانب ولاحقهم دون هوادة وتمقبتهم في كل مكان ، واوشكت ايبييا ان تقع في أيدي الانكليز غنيمة عاجلة فاستنجدت ايطاليا بمحليفتها القوية المانيا التي اكتسحت في طريقها الدول والامصار ، ومهدت العقبات والموانع ودوخت اوربا بسرعة البرق الصاعق ، وفرقت أقوى دولها وجيوشها وارهبت الضعيف والقوي واخافت القاصي والداني ، فامجدهتها عاجلا وقد امست ايطاليا على وشك أن تطرد من أرجاء ايبييا القطر الذي اخضعته لسيطرتها بقوة الحديد والنار .

غير أن القدر احب أن يطيل في اعمار الايطاليين ردحا من الزمن وان يمدد في اقامتهم بعض الوقت فاختر لهم عبقرية فذة من عبقریات الحرب ، وبطولة من بطولاتها النادرة ، وهو القائد الالماني الكبير الجنرال ثم المارشال اروين رومل ( erwin Rommel ) . فبارز الانكليز وردهم على اعقابهم وابعد الخطر المهدق موقتا وقهرهم ، ومزق قواتهم

والحق بهم شر الهزائم .  
 اجل لم يكن رومل قائداً فحسب بل كان عبقرية عسكرية لم يشاهد  
 مثلها القرن العشرون ، اننا لم نتعرف على روميل في ميادين السوق ولكننا  
 عرفناه في ميادين التعبئة الحربية ( التاكتيك ) فكان القائد المعلم الكمي  
 المحرب ، وكان عظيماً في قوته وضعفه ، مدبراً ماهراً في ظفـره وانكساره  
 منظماً ممتازاً لا يماثله قائد آخر . يرى ميدان المارك ببصره وبصيرته ،  
 ويستدرك احواله ووقائعه بعين نافذة قوية وفكر ثاقب لاتحده الحدود  
 والموانع . جريء مقدم مغوار . كلف يقود المارك والملاحم ببراعة  
 ومهارة وحسكة انتزعت من النفوس الاعجاب والتقدير . مهارة تسكاد  
 تنكرها عليه العقول والاذهان الراجحة ، يخلق من الضعف قوة ،  
 ويستعمل القوة في سبيلها وأوانها الصحيحة . عنيد جبار يفرض رأيه وقراره  
 بحزم ويدعمهما بمنطق اخاذ وحجة دامغة وبرهان ساطع وعلم وخبرة شأن  
 كبار القادة في التاريخ .

انه قاتل في عداد تتراوح نسبتها بين  $\frac{1}{7}$  وعدة نسبتها  $\frac{1}{1}$  ولم يذكر  
 التاريخ العسكري في صفحاته العديدة قائداً استطاع ان يتدبر ويعمل  
 بنسبة منخفضة كهذه وتمكن معها على تحقيق الغلبة القاهرة كما  
 فعل روميل .

ان عبقرية روميل لم تخلقها الحروب التي طانها وابتلاها في الغرب  
 والشرق . ويحتمل انها اكتسبته حقاً مهارة وخبرة وعسرونة اضافها إلى  
 حسن تدبيره وابداعه في فن الحرب . ان من قرأ مؤلفات الملازم الاول  
 ورئيس ايروين رومل واطلع على مذكراته الخاصة اثناء الحرب الكبرى  
 الاولى ، وكان آتئذ آمر سرية فقط ، ودرس وقائع حركاته وكيفية  
 تسييرها في اطار الوحدات الصغرى ، والتي كانت مثار اعجاب أمانه

ورؤسائه ، يدرك فوراً هذه العبقرية الكامنة ، عبقرية الحياة والفكر النير والنظر الثاقب والتقدير الصائب .

وأخيراً انتهت حياة البطل رومل قبل أوانها وقبل اكمال واجباتها وقبل ان تشمر ثمارها وتؤتي أوكلاها ، وتترك بزوراً حية لتزرع من جديد يتغلدى منها جيل جديد . انها لخسارة جسيمة على عالم الفكر والفن العسكري قاطبة ، وايست خسارة الشعب الالماني وحده . انه كان يود ان يكتب الكثير عن سيرة هذه الحرب ، ويدون تاريخها ووقائعها واسرارها وشرعتها وطرز حركاتها ومعاركها . لقد عجلت الاقدار في انتزاع هذه العبقرية من عالمها المادي لتعيدها الى أزها الخالد ، واسمح بحرم العالم العسكري من أروع الآثار التي كان يعتزم رومل تخليدها وجعلها إرثاً قيماً للاعقاب المساعدة .

كل يعلم حق العلم بأن ميدان ليبيا لم يكن من الالهمية الكبرى التي أعطيت له لو قورن بأهمية الميادين الشرقية والغربية كميادين بولونيا ، وفرنسا والبلقان وروسيا ، ولا يمكن ان يقاس بمظمة الحركات والمعارك التي دارت رحاها في ارجائها ، ولا بأهمية المعدات التي استعملت فيها ، ولكن لم نر ميداناً واحداً من الميادين المذكورة حصل على هذا القدر من الاهتمام وأثار بقدر ما أثار هذا الميدان رغبة النفوس في استطلاعه مثل ميدان ليبيا ولماذا ؟ ؟

لأن تلك الميادين التي أنيدنا على ذكرها كانت دعائمها القوة المادية وحدها ، القوة المادية المسيطرة الطاغية الصاعقة المبيدة البعيدة عن عبقرية الانسان وعبقرية القائد المبدع ، وبعبدة عن شرعة الفن العسكري سييدة التدابير والمناورات الرائعة التي تحقق انتصار العبقرية على المادية بايحاء من العقل وانتاجه .

أجل هذا هو الفرق الواضح بين ميدان ليبيا والميادين الاخرى وما

تفوق به من الالهية والشهرة على غيره ، ولذا زى أغاب العسكريين يستأنسون بدراسة حركات هذا الميدان ومعاركه أكثر من استئناسهم بغيرها من وقائع الحرب الماضية لأنهم ينتصرون لانتصار عامل الفكر والروح أكثر من انتصارهم لعامل المادة المطلقة الساحقة .

كل يذكر خطاب البريطاني الاول « تشرشل » في البرلمان عندما هزم رومل الجيش البريطاني الثامن تحت قيادة الجنرال كونيغهام ( General Cunningham ) والجنرال ريتشي ( Gr. Ritchie ) وكانت الصحف والاذاعات والاطاوساط السياسية البريطانية تعقب وتتحدث تباعاً منذ اسبوع عن الانتصارات البريطانية الرائعة واندحار الفيلق الالماني الافريقي اندحاراً نهائياً . وبينما كانت تتطير هذه الاخبار بسرعة البرق اذ يهزم رومل خصمه هزيمة منكرة ، هزم القوة بالضعف والعزم بالمصمم بالعقل المدبر فينطلق اسان الرجل البريطاني الكبير بتصريحه واعلانه في مجلس العموم واقع الجيش البريطاني ومصيره النهائي المؤسف قائلاً : ( اننا أمام قائد كبير ماهر ) . انها شهادة كاملة وشهادة قوية من خصم عنيد وهي صراحة الحق ازاء الحقيقة البارزة التي لا يمكن اخفاؤها عن المراقبين .

وانما نلرغب ان نذكر هذا الجواب المفحم الذي يرد به رومل على تخرصات قادة الحلفاء الذين كانوا يسخرون منه ويميدون عليه تغيبه عن مقر قيادته في بعض الاحيان ، وتنقلاته المستمرة بين مقر وآخر وقيادة وأخرى ، وهو يقود بنفسه حركات الوحدات الكبرى والصغرى معاً بين قطاع وآخر ، ويرافق بعضها جنباً الى جنب كأنه احد ضباطها ، مدعين ان هذا التدبير ليس من صفات القائد المعلم ، وان القائد العارف يجب ان يظل ملازماً مقر قيادته يأمر ويوجه ويسير ويشرف على التنفيذ .

ولكن رومل رد على سخريه هؤلاء القادة وعلى ما يعيرون فيه ، ان  
 أعطاهم شرعة جديدة في المعارك البرية والصحراوية وهي لا شك ستظل  
 شرعة متبعة في ميدان الصحراء اذ قال بالحرف الواحد :  
 « يأخذ علي قادة الحلفاء بأنني في كل مكان من الجبهة . وقد جهلوا بأن  
 الصحراء كالبحر فهل يستطيع أميرال ان يقود اسطوله وهو في المرفأ » .  
 وهنا نسردها خاتمة عن عظمة قيادة رومل في المعركة . قائد  
 لا يغيب ولا يضيع . يسير الى النهاية المطلوبة في وضوح وبيان ، ودقة  
 متناهية لا يجاريه فيها أحد . وهذا ما يقوله أحد القادة في رومل في  
 معركة المربع طبرق - الباردة - بير الغوبي - سيدي عمر حيث  
 ألقى الانكليز بكافة قواتهم في الميدان تحت قيادة الجنرال ريتش . معركة  
 أظلم فيها الأفق واكفهر الجو وعبست السماء واختلط الحابل بالنابل .  
 فكنت ترى الانكليز مع الالمان جنباً إلى جنب ، سيارات ايطالية تقل  
 جنوداً هندية ، وسيارات بريطانية تسير وراء أرتال المانية ، ومدرعات  
 انكليزية تواكب مشاة المانية وتحميها بدواعة ، وأسرى من الالمان بجانب  
 سيارات انكليزية تركوا وشأنهم وهم عطشى يطلبون الماء وهي عطشى  
 أعوزنها المحروقات فتركهم وشأنهم أحراراً . وترى بخافر أمامية تستبدل  
 الاعلام طيلة النهار ، وأطباء من كلى المسكرين يعملون معاً دون ان  
 يعلم أي فريق منها الأسير . الغبار يملأ الاجواء والدخان يستر الفضاء ،  
 والغيوم الكثيفة تحجب الانوار والامطار الهائلة تغمر الارعاء وتزداد  
 الدنيا ظلاماً على ظلام .

لقد أضع القادة والضباط سياق المعركة . وكانوا يتخبطون فيها خبط  
 عشواء ويسيرون فيها على غير هدى كأنهم في ليل دامس . لا يعرف  
 الصديق صديقه ولا العدو عدوه . كانوا كمن استيقظ من نوم وما تزال  
 أجفانه مثقلة بالنعاس العميق ، ويتلمسون في الصحراء تلمس العميان

التائهين . ولكن رجلاً واحداً ظل حيث هو يقظان ساهراً بملء عقله وحواسه يسوق المعركة الطاحنة كما يريد ويرغب من نصر الى نصر حتى النهاية ، هذا الرجل الفريد هو القائد رومل .

كثير أولئك الذين كتبوا سيرة رومل ودونوا بعضاً من معاركه ، ولكن قليل أولئك الذين عرفوا رومل كما هو بعبقريته وأفكاره . ولقد أحسنت لنا الظروف فيسرت لنا القائد العسكري الرجل الذي خدم وحارب تحت امرته في افريقيا الشمالية ورافق الحملة الالمانية الافريقية ، وهو الجنرال فون ايزيبيك « General Von Eisebeck » منذ البداية حتى الخاتمة الفاجعة . لقد أحاط بجوهر عبقريته احاطة تامة فكان واحداً من أركانه وقائداً من قواد وحداته في كثير من الاحيان . وكان صديقه ورفيقه الدائم ، فوضع بين أيدينا ما كنا نفتقر اليه ، ونرغب في الحصول عليه فكشف لنا عن أسرار حربية كامنة ، وأفصح لنا عن شرعة تعبوية كانت مفقودة الحلقات فدوت بأمر المارشال أوامره اليومية ، وحركاته ومعاركه بالتفصيل وزودها بخرائط ومخططات وأعطى الصورة الصادقة المطلوبة ببيان وافٍ وضح .

وانا لنرجو مخلصين ان نوفق في نقلها بأمانة ووفاء ، وان تقدم لقراء العرب العسكريين هذا الكتاب الذي جمع نهج العبقرية وانتاجها ، وغلال ثمراتها اليانعة عليها تفيدنا في حياتنا العسكرية وتزيدها معرفة وخبرة والله من وراء القصد .





# الفصل الأول

## البراية

Der Vormarsch Rommels auftrag

وقف خمسة رجال يتأملون وكأنهم يتناجون فيما بينهم قائلين « ماذا سيحدث يا ترى ؟ أجل كانوا يتأملون في الأفق الجديد ويرقبون الجو الغريب ، ويستطلعون حولهم في الآفاق البعيدة المتراصة الاطراف . لم يفه أحدهم بكلمة واحدة في غمرة هذا الصمت الرهيب . وكان بينهم رجل فارغ القامة قارب نهاية العقد الخامس . وكان يرتدي بزة عسكرية من القماش الخاكي الاخضر الفاتح ، وينتعل حذاءين عاليين ، ويضع على رأسه قبعة تشبه قبعات الخفراء ، مرصعة بالذهب ، يبدو بوجه ضيق وكان يشبه في منظره ومرآه عالماً من علماء الرياضيات أو العلوم أكثر منه جندياً وقائداً . وكان يظهر على وقار وجهه مسحة من القلق الذاتي والاضطراب النفسي .

وفي هذه اللحظة ، أخذت الشمس تذر قرنمها في الأفق ، وقد تحولت الى قرص ابيض لامع براق ، تشع على ضباب الصباح الخفيف تزيج برفق آخر أثر من آثار الليل الصحراوي . وقريباً على الطريق المحاذية للتلال التي تشبه الازيم البراق يرتفع قصر العقيلة ، وهو حصن كثيف دائروي البناء ، شيد من الغضار والآجر . وكان أشبه في منظره بقطعة الشطرنج المرقعة ، أو بالاحرى ببناء صورته أسطورة ألف ليلة

ولاية . وبعيداً في الصحراء كانت تبصاعد أعمدة من الغبار في أجواء الفضاء ، وتمايل مترنحة تحت اعطاف نسيم الاصبح ، وكانت الارض لتستطيل الى اللانهاية وتتوشى رويداً رويداً بألوان الفجر الرمادي ، ثم يتحول لونها الى منظر الذهب الذائب . وكانت حبات الندى البراقة تلمع فوق غصينات الاعشاب الشائكة . وتتطاير ذراتها وتختفي في حنايا الفضاء ، وكانت زرقة السماء تزداد كثافة لحظة بعد لحظة ، حتى تحورت الشمس من أبخرة الفجر ، وبدأت أشعتها تتأجج على جوانب وحوافي الجبل البعيد .

في هذه الآونة ، بدأ ضجيج المحركات يسمع من بعيد بضربات موزونة منتظمة . وبدأ الضجيج يتعالى ويقرب ، والهواء يزداد حرارة ولهبياً . آنئذ اقتربت ثلاث مدرعات من القصر ، وهذا الضجيج لحظة في هذا السكون القائم ، وعلت اصوات رجال سدنتها الذين كانوا يصرخون الى حماة الموقع في الحصن ، ثم استأنفت المحركات ضجيجها السالف من جديد . وانطلقت السيارات الحربية الثلاث تتابع طريقها في قرقة عالية تثيرها صفائح الجراتات الفولاذية وهي تقطر مدفعين من المدافع المضادة للطائرات من عيار ٨٨ م م ركباً وثبتاً على قاطرة جرارة ، ثم تبعتها الدراجات النارية التابعة لسرية الرماة الآلية ، وكانت أشبه بمجموع الذنابير الهائجة . فالتفت الرجال الخمس الى الطريق بحركة واحدة وعابثوا ساعاتهم ثم تحولت أنظارهم فوراً الى الجو والاطراف يرقبون ويستطلعون .

انهم في منتصف شهر شباط ولما يعض بعد خمسة عشر يوماً على نزول القائد المشار اليه الى اليابسة في ميناء طرابلس على رأس الفرقة الخامسة الالمانية التي هرعت عدواً الى الجبهة مع مجموعة الاستطلاع ، وفصيل قناصة المدرعات .

شعر الجنرال بالتباين الواضح لديه بين معاني ومفاهيم كلمات افريقيا ،

ليبدأ الصحراء التي كانت تدور في خلدّه سابقاً ، وظنّها مجموعة من واحات أشجار النخيل الباسقة يشغلها ما تحمل من الرطب السكري اللذيذ ، واحات شقيقة يانعة ، وبنابيع ترد إليها نسوة البلد بقرابها وجرارها لتسقي وحيث الجمال ترعى الكلاً الأخضر سارحة مترنحة بتؤدة . أجل انه لم ير في هذه المناظر العيانية القائمة ما يشبه المناظر التي ارتسمت في مخيلته في الماضي . ومنذ ان ترك طرابلس الغرب احتضنته العواصف الرملية وألقته في أحشائها الالهية ولفحه ريح السموم النافح من أرجاء الصحراء البعيدة وهو يغمر الاصقاع بفيضه الخائق ويمنع النظر من التطاول الى الابعاد المترامية . كان من الصعب على المرء ان يتنفس بحرية وانطلاق فالخلق تنكش على نفسها من شدة الجفاف واليبوسة والالسة المتضخمة من الحر تستنجد الماء والعيون تلتهب بالحرقه المؤلمة والرمل ينفذ بذراته الدقيقة الى كل مكان ؛ رمل رقيق دقيق جارح دسم خفيف . وكانت العرب والبدو يحتمون من أذاه بنهارهم الماعقود على الرقاب .

أجل لم يطل الزمن على هذا القائد الجديد ليتفهم معاني الصحراء الحقيقية وشروطها وكيف يجب ان يعيش المرء في أرجائها ؟ انها أرض خاوية خالية . كانت هذا الخلاء رهيباً موحشاً مزعجاً . يبدأ الريح بالهبوب عندما تشرع الشمس بتدفئة الصحراء فيتحرك كالسيل الكثيف الجارف . وكانت المياه التي تنبع من أكثر المناطق وخاصة منطقة السرت مالحة لا يتقبلها الشارب الذي لم يأتلف شربها . كل هذه العوامل كانت غريبة على الذوق وشديدة التأثير على النفس الغربية . بيد ان الجنرال وصحبه ورجاله اعتمدوا تمرين انفسهم على هذه الشروط القاسية وتكييف اجسامهم على الحر الجهنمي الهابط من افراان السماء الصادية من الغيوم وعلى صقيع الليل وبرودته وعلى المناظر المترامية الاطراف وعلى شعور الوحدة والانفراد ، الوحدة الخرساء الصامتة الرابضة تحت عديد ملايين النجوم الالامعة في

الافضاء الليبية . لم يسبق لهم ان عاشوا في مثل هذه الاقاليم والاجواء  
 المرهقة ، وفي هذا الوجود الذي لم تألفه احاسيسهم واعصابهم . انهم  
 ارسلوا سراعاً الى هذه الاصقاع النائية بعد معاينة طبية عاجلة اقرت أن  
 أجسامهم مهيأة لتعيش في البلاد الاستوائية . واعطيت لهم التعليمات والتوجيهات  
 اللازمة لكيفية طهي اللحوم ، والتعليمات الصحية الواجب اتباعها وقواعد  
 الجمالة التي يجب أن يتجملوا بها مع السكان العرب . لقد افهموهم ان  
 منطقة السرت اصبحت بلدهم ووطنهم بحكم الاقامة التي فرضت عليهم،  
 ولكنهم لم يجدوا ما يطهى حتى ولا لحماً طرياً ، ولم يشاهدوا شجراً ولا  
 بشراً سواً . وقد اثرت ملوحة المياه في ابدانهم وصحتهم بسرعة مضطردة  
 وتعلموا كيف يدفنون خيامهم وآلياتهم وعرباتهم طي الرمال ويختفون في  
 حناياها وزواياها فراراً من وهج الشمس ولفح الحر ، وأدركوا أن ارجاء  
 هذه الاصقاع المسطحة المكشوفة تهيء معاً إمكانيات الاختفاء والتمويه  
 كغيرها من الأراضي والميادين .

وكانت المهمة المحدودة التي اسندت الى الجنرال آمر الحملة الافريقية  
 لا تتمدى الدفاع عن منطقة السرت وهي مهمة دفاعية بحتة . ولكن منذ  
 المصادات الاولى في مقر القيادة العامة الايطالية تبخرت هذه المهمة  
 وذابت وانتقلت قطعات الفرقة الخامسة الخفيفة من حالة الدفاع الى الهجوم .  
 رفع الجنرال شترايخ ( Streich ) عصاه المعقدة وأخذ ينفذ بها  
 عن بنطاله الغبار . وأحس بشيء من السعادة التي وضعت حداً نهائياً  
 للجمود الدفاعي المقرر . ولم يتردد في الاعتراف بأن المهمة الموكولة  
 اليه ليست سهلة الانجاز ، ولم تكن لديه الوسائل التي تذكر ، ولم  
 يصل حتى هذا الوقت من فرقه سوي قسم صغير ، وكل ما لديه قبضة  
 من الرجال الالمان تستند الى حفنة من القوات الايطالية ذات القيمة الحربية  
 المحدودة . وعلى الجانب الآخر كان ينتظره عدو جلود عنيد توفرت لديه

الوسائل والوسائط الكاملة ، ويتمتع بتفوق عددي هائل . ولكن هذه الحالة الراهنة لم تمنع الرئيس من اتخاذ قرار حاسم والايماز بالهجوم . ولم تبدل الاوضاع من قراره المسبق واعتماده شيئاً . وكان يتق بنفسه وإرادته الحازمة لاعطاء قرار مثبت . فما كان ليتردد قط ، ولم يتبين خطأ مخطوطة ، وبالفعل فهو ليس برجل ذي ميل دفاعي . فاذا كانت مهمته قابلة للتنفيذ فانه لا يتقبلها بانهاج إلا في اطار الهجوم والحركة السائرة ، وكان عليه ان يغامر ، فهل يصل الى غايته ؟ .

وفي هذه الاثناء سمع هدير خفيف تمالى في الفضاء . ثم ظهرت على الاثر طائرة فوق الخليج الرمي وكانت تقل رجلين بأن هيكلها من قفصها الشفاف . فرسعت منحنيًا وغطست هابطة الى الارض ووقفت تماماً أمام الجنرال وصحبه .

خرج منها رجل مربع القامة قصيرها ، تبرز في أعلى وجهه جبهة مرفعة متناسقة تشرف على أنف قائم بارز يشير الى القوة والنشاط والعزيمة ، ذو حدود مندفعة الى الامام وفهم صغير وشفتين ثابتتين فوق الذقن تدل على القدرة والارادة القذة . وكانت التجمعات العميقة التي تحيط بقاعدة الانف والفم تطلقها لفتة باسمية . وكانت عيناه الزرقاوان الصافيتان ذات النظرات الباردة الفاحصة حادة خارقة النظر . هكذا ظهر في ٣١ آذار الجنرال ( اروين رومل ) آمر الفيلق الافريقي الالماني امام رئيس أركان حرب الفرقة الخامسة الخفيفة ، والذي جاء بذاته ليقود الهجوم المعد على مرسى الريغا .

وكانت النجدة التي قررت القيادة العليا الالمانية للجيش ارسالها لتمنع الكارثة المتوقعة في ليبيا تتألف من فرقتين ، ولكن الباقي من الفرقة الخامسة الخفيفة لن يصل الى افريقيا قبل منتصف شهر نيسان ، والفرقة المدرعة الخامسة عشر حوالي نهاية شهر مايس . وكان الامر الذي

تلقاه رومل من القيادة العامة للفوهرر ينص على اجتماع الوحدات في منطقة طرابلس الغرب ، وعدم المبادرة الى سوقها للجهة إلا بعد اكتمال عددها وعدتها ، كما أوحى بتأمين الدفاع عن طرابلس في شرق منطقة السرت وليس في جوار العاصمة كما ارتأت روما اجرائه . ووضعت هذه الخطة لضرورة تأمين حرية الحركة للوحدات الجوية الالمانية التي لا تستطيع القيام بعملياتها في طرابلس المحاصرة . وتم إلحاق القوات الآلية الإيطالية بالفيالق الأفريقية الذي اسندت قيادته العامة الى القائد اعلم الايطالي في ليبيا .

نزل رومل الى اليابسة في طرابلس في ١٢ شباط أي بعد ستة أيام من تلقيه المهمة المعطاة . فوجد القوات الإيطالية في حالة تفكك زريع أكثر مما كان يظن أو اخبر عنه . وحدث ان سقطت بنغازي قبل ثلاثة أيام ، وهلكت الفرقة المدرعة الإيطالية الأخيرة في يضافوم ، وكان ويغل مستمراً في تقدمه على طول الطريق الساحلية وقد اجتاز اجدابيا بالفعل . إذن هل من الممكن ايقاف ويغل ؟ لقد ضاع كل ما يعتمد عليه في الصحراء . ضاع أو هلك أو وقع في ايدي العدو . ولم تبد أية عناية لتعويض الوسائل المفقودة . لقد ذاب كل شيء أمام الهجوم الانكليزي الظافر : المدرعات والسيارات والمدافع ومستودعات المؤن والذخائر والوقود التي جمعها غرازياي بمجهود متواصلة طيلة عدة شهور وساقها الى الجهة او وزعها في منطقتي برقه البيضاء ( سيراينكا ) وبرقه الشرقية ( مرمرىكا ) .

وتفحص بسرعة الوضعية والمصورات والخرائط دون ان تستوقفه العوامل المثبطة للعزائم . أصدر رومل أمره فوراً بدفع الجبهة الى الامام واقامة خط دفاعي قوي بسرعة كلية . وقد تصرف خلافاً للأوامر التي تلقاها حيث كان يلقي بالقوات الالمانية الواصلة تباعاً على هذا الخط . وفي هذه الاثناء وصل الى طرابلس الفيالق الإيطالية المؤلف من فرق ( بافيا Bavaria ) و ( بريشيا Brescia ) والفرقة المدرعة ( اريته Ariete ) المشتعلة على

ستين مدرعة قديمة العهد ، بيد ان الجنرال الايطالي غاريبولدي القائد العام في ليبيا لم تكن تستولي عليه سوى فكرة الدفاع عن طرابلس فقط وتأمين هذه الغاية بأسرع ما يمكن لكي يمنع على الاقل وقوعها في يد ويغل ، ولا شك فانه اجفل فزعاً من استدراكات الجنرال رومل ومقرراته ، والذي كان يعتبر جديداً بين الفادة . وخشي ان يغامر هذا بكل ما لديه بورقة واحدة ودفعة واحدة . كيف لا وهو يعتبر ان رومل يجهل الصحراء ولم يرها قط ، ولا يعرف منطقة السرت المنعزلة الخالية من الماء ، وليس لديه أية فكرة عن المصاعب الواجب التغلب عليها لتدوين الجيوش في الصحراء على مسافات بعيدة .

فابتدعه سائلا وهو منعمور بالقلق ، ماذا يحدث لو افترضنا وصول ويغل الى اجدايبيا ؟ واذا اضطررنا الى خوض معارك شديدة قائمها ولا شك ستمثقلنا بالخسائر الفادحة ، فكيف ينتهي امرنا بعد ذلك ؟ فابتسم رومل ابتسامته المعمودة وأجاب قائلاً : « كل ما نود هو ان ارى ويغل يتقدم الى اجدايبيا فاننا لنُدحره حتما ونرده على أعقابيه ونأتي به وبجيشه اللجب خارج حدود سيرانيكيا ، ان هدف رومل كان واضحاً جلياً وهو ملاقاته ويغل فقط . وكان يرغب ان يغتزم الوقت الملائم فيضرب ويغل قبل ان تصل اليه نجدات وقوات جديدة . يدعم بها الفرق الخمسة التي تحت أمرته . فاذا قبل ويغل المعركة وهو ما يرجي ويؤمل افاض رومل ، فاننا سنتغلب عليه ، وان هو تراجع فاننا نكون قد حققنا الغاية المقصودة ولاحقناه دونما تردد ،

ولدى وصوله قام باستطلاع جوي فوق منطقة الجبهة ولاحظ ملياً عدم كفاية التدابير الدفاعية المتخذة للدفاع ، ولكن فكرة الانطلاق الثابتة ممكنة من اعتماد امكانيات متعددة . انه لم يجزع ولم يخف من تقوى العدو ، ولا من السمعة الرفيعة التي اكتسبها من الانتصارات الرائعة التي

أحرزها ، ولم يدع نفسه تستضعف وتستكين من تدني وتلاشي الوضعية التي يواجهها حلفائه الإيطاليون ، ولا أن يتأثر بمثل هذا الميدان وشروطه لمثل هذه الحركات الحربية ، هذا الميدان الجديد بكلية وشروطه وشرائعه التي تتميز بخصائص كلها جديدة بالنسبة الى الميادين الأوروبية . انه لم يفكر بسوى ناحية واحدة وهي اكتشاف النقطة او النقاط الضعيفة في وضع العدو ، وفي خطوط دفاعه وهي متوفرة دوماً . فاذا تمكن من اكتشافها ومعرفتها تمكن من ضرب ويغل كما كان يتصور .

ومنذ السابع عشر شباط . انطلقت سيارات الاستطلاع الألمانية مع جمهرة سنتماريا لتأمين التماس مع العدو . وعكساً لكل ما هو متوقع لم يستأنف ويغل تقدمه . ومنذ ١٢ الجاري وطبقاً للأوامر التي أصدرها رومل من روما بدأ السلاح الجوي الألماني ( Die Luftwaffe ) يقصف العدو قصفاً شديداً وتباعاً موقعا به خسائر راهنة . وفي ليل ١١ / ١٢ قصفت ميناء بنغازي لأول مرة بنجاح كبير بفضل عمل مفاجي سريع . ومنذ هذا الحين ظلت الطريق الساحلية مفتوحة لمراقبة الألمان . وظن ويغل انه من الأفضل التريث والانتظار ريثما تصله وحدات جديدة ليواصل تقدمه المقرر . وقد امتست قواعد وحدات الطيران البريطاني بعيدة جداً عن القوات المحاربة ومساندتها . والحقيقة التي لامراء فيها انه كان عسيرا جدا إيقاف فرق ويغل عن المضي في تقدمها ، هذه الفرق التي تربضت وتمرت على حرب الصحراء . ولو انها انطلقت مندفعة إلى طرابلس لما وقفت في وجهها اية قوة حالية ولوصلت إلى غايتها بسهولة . والغريب في الأمر ان ويغل توقف عن المضي بعد سقوط بنغازي واجدابيا ، وظل الأمر البريطاني مستمراً في تردده وفي اضاءة الوقت بالانتظار .

وفي هذه الاثناء كانت البواخر تبحر بدون انقطاع من نابولي إلى طرابلس فتفرغ حمواتها من الجيوش والمعدات والدخائر والمؤون . وكانت



الطريق الساحلية المعبدة المسماة لايتوريانا ( La Littoriana ) تمتد نحو الشرق على مسافة ٨٠٠ كيلو متر مارة بمدينة الخمس وارضها القضايرية ولبدة اي ، ليبتس مانيا Leptis Magnia ، واثارها الرومانية القديمة وامام مسراطه « Misurata » التي كان لها طابع المستعمرات الإيطالية . ومن ثم تمتد مسافة ٥٠٠ كيلو متر في اراضي قاحلة جرداء غير منتجة في منطقة السرت الكبير المثقلة باتون الشمس النهاري ، والتي لا يثبت في ارضها سوى نبات الحلفا وبعض شجيرات الاعشاب الشائكة . وفي الافق البعيد الذي لا يتحقق ، ترسم الحوافي الوردية للجبل والتي لا تتميز إلا تحت السماء البلورية الصافية التي تسبق هبوط الليل ، وكانت الرمال الساحلية البيضاء تعكس انوار الشمس الباهرة ، ومن الجهة الداخلية كان السراب يتموج فوق اليابسة تحت اعطاف الريح الهادي فتظهر بحيرات بمياهها الزرقاوية الخيالية العجيبة أمام الانظار .

وفي نهاية شهر شباط تم الاستيلاء على ابار الموفليه ( Nufilia ) وكان مائها ملحا ولكنه ماء ضروري للحياة . وهنا أخذت بعض وحدات فرقتي برشيا وبافيا في بناء خط دفاعي في قطاع السرت واخيراً وبعد مضي شهر تقريباً أخذ الخط الدفاعي المذكور شكله الكامل . وفي نهاية شهر مايس اقترح روميل اجراء حركة تقديمية على اجدايا بعد وصول آخر القوات الألمانية واذا تهيأت الامكانيات وجوب مهاجمة برقة البيضاء فوافقت القيادة الألمانية العليا على القرار باستحسان .

وفي الثاني والعشرين اذار اجرت القوات الألمانية الخفيفة هجوماً استطاعوا مسلحاً على العقيلة ، النقطة المتعسة من الصحراء التي ليس لها اهمية تذكر سوى انها نقطة تروى واحة مراده الواقعة الى الجنوب والتي تشغلها حامية المانية - ايتالية مهمتها حماية الجانب المكشوف من الصحراء فانتفض الانكليز ذعراً من هذه المحاولة الرامية الى تحسين خط الجهة .

وبعد التحام قصير أدخل الحصار للفيلق الألماني الأفريقي والذي كان بمثابة قاعدة انطلاق وهجوم ملائمة ، ويسرت هذه الغارة العاجلة اقتناص بعض الأسرى . وكانوا شبانا أقوياء نحاسي الوجوه والأجسام . أشداء العزيمة تقبلوا مصيرهم بحيرة واندهال ، وكانوا يلقون بنفوسهم على رقابهم وكانوا في بادئ الأمر غير قادرين على الإجابة عندما سئلوا اذ كانوا يعرفون بوجود قوات ألمانية في هذا الميدان فاجابوا قائلين ( وما على الألمان أن يعملوا في هذا الصقع الفناء المبيد وهذا البلد المهجور المحروم من النعمة والنعم ) . لم تتمكن القوات الألمانية من الحصول على استعلامات كافية عن حالة ووضع العدو حتى تاريخ ٢٥ آذار في جبهة العقيلة حيث اقتنصت امراً يومياً اشتمل مضمونه على العبارات التالية : يتوجب على كل منا ألا يتأثر بالواقع الذي سنواجهه وهو أننا بعد قليل سنقاتل قوات وفرنسا مدرعة ألمانية ، بل بالعكس يجب أن نسر ونغتنب باغتنام هذه الفرصة الجديدة . وقد استطرد الأمر المذكور قائلاً ( لا يذهب بنا الظن والاعتقاد بأن الألمان هم اناس فوق البشر كما يدعون بل بالعكس فهم جنود من الدرجة الدنيا . وكان هذا الأمر موقفاً بامضاء الجنرال كامبيرباري Gambier - Parry الذي وجد بعد عشرة أيام في عداد الأسرى الإنجليز الذين وقعوا في قبضة الألمان .

اقبل يوم ٣١ آذار الذي اطلق عليه يوم الذكرى لانه كان اليوم الاول لمجموعة من الايام المشابهة . وبينما كان الجنرال شترايخ ( Streich ) واركان حربه ينتظرون وصول رومل ، انطلق رتل ألماني من الفرقة الخامسة الخفيفة معرجاً نحو الجنوب في اتجاه السويره ( Sueirra ) على الطريق الساحلية المسماة بطريق بابو ، متقدماً نحو الحدود المصرية ، وكان يضم بعض المدرعات ومدافع الدفاع الجوي من قياس ٨٨ مم ومدافع منقولة فاختر منطقة العقيلة حيث يقوم حصن العقيلة التركي القديم . واثناها

كانت قناصة المدرعات تعمل على الجناح الايسر المجانب للبحر ، وبמידا إلى الامام على الجناح الايمن كانت تقوم جمهرة أخرى مؤلفة من مدرعات كاذبة كان رومل ابتدعها من حطام السيارات الايطالية القديمة المهجورة سابقاً والتي كان من السهل الحصول عليها في الصحراء والتي اعدت لايهاام العدو عن مقدار قوة الفيالق الافريقي الالماني الحقيقي .

وكان مرسى البريغا يشتمل على مجموعة من بيوت العرب القائمة حول جامع ابيض يقع على شاطئ البحر ويشكل هدف الحركة المقررة . وكثيراً ما كانت سيارات الفوات السائرة تفرز في اماكن غير قابلة الاجتياز ، وتتمتع وتتقدم ببطء ودقة خطوة خطوة . وكانت وحدات الهندسة تعمل على عزل حقول الالغام ، والمشاة تصعد رويدا رويدا مرتفعات البريغا .

وحول الظاهر تصاعدت درجة الحرارة الى الاربعين بمقياس سانتيفراد وبدأ افح الحر الشديد يطغي بفيضه وانفجاراته المحرقة . وظل الحر فيها بعد الرفيق الثقيل المزعج طيلة أيام الصيف ، وبغثة اطلقت نيران المدفعية الالمانية ضد الطيران من قياس ٨٨ مم نيرانها وجمعها على مدى الرؤية تنصب على مواقع العدو . ولم نخرج المشاة الالمانية من مواقعها الا عندما بدأت القاصفات الالمانية الغاطسة تقصف وتدمر المواقع الانكليزية باحكام ودقة متناهية ، عندها انطلقت في غاراتها العنيفة إلى الامام .

وما ان مالت الشمس إلى المغيب والقت باشعتها التي ترطبت قليلا على زمال الصحراء الساخنة حيث بدأت تظل بيوت بريغا القرية الصغيرة حتى طرد الانكليز نهائياً وجلوا عن كافة مواقعهم وأخرجوا من أعشاش المقاومة الباقية التي نظفت تنظيفاً كاملاً . فسقطت مرسا البريغا فوراً وامست الجيوش الالمانية حينئذ على حدود برقة البيضاء .

أي ضعف اصاب بغثة فرق الجنرال وينغل المدربة المتمرنة . ؟ ولماذا تفهقرت بمثل هذه السرعة ؟ هذا ما كان يتسأله المراقبون فيما بينهم .

انني اظن قال الجنرال رومل بعد معاينته للاسرى البريطانيين ، ان  
ويغل ابدى خفة كبيرة واعتمد تقديرا خاطئا . وكان يظهر بان العدو لم  
يبق في وسعه وطاقته أن يعمل شيئا ، ولا أن يقوم بآية محاولة محتملة  
من شأنها تعديل الموقف في مصلحته ، لانه اعتقد انه قهر الايطاليين .  
انه خدع نفسه في الواقع وتجاهل الاحتمالات الممكنة . اننا سنحتل غداً  
اجدايبا وحيث ان العدو في تقهقر وتراجع ، اذاً فليس ما يخيفنا البتة  
من قيامه بهجوم معاكس ، وبالعكس ايضا فاذا انطلقنا متقدمين في  
ارجاء منطقة برقة في اتجاه برتا ، فقد يسعدنا الحظ ان نقطع عليه  
خط الرجعة .

ووضع اعتماد رومل موضع التنفيذ . كان مصمما على ملاحقة العدو  
دون أن يترك له اية فرصة للتجمع او الراحة .

وكان ان نزع عن اجدايبا تحت ضغط الحوادث سكانها البالغون  
٦٠٠٠ نفس محض اختيارهم ونهبت منازلها ذات الطراز الاوربي منذ زمن  
بعيد من قبل السكان العرب ، وكانت تشكل الهدف التالي . وبالرغم من  
كون الفرقة الخامسة الخفيفة لم تكن بعد كاملة العداد والعدة ، فقد  
تمكنت من الاستيلاء عليها واحتلالها ولم يظهر في المعسكر المقابل أي  
حس أو شعور بضعف قوات رومل آنئذ . ولم يراودهم هذا الخاطر  
مطلقا ، بينما لم يكن لدى الفيلق الافريقي الالمانى من الاسلحة المؤثرة  
العاملة في سياق هذه الحركات سوى عاملين اثنين : القوار والسرعة .

لم يكن مع الفرقة الخامسة الخفيفة سوى جبهة سانتا ماريا الايطالية  
التي اقتربت طلائعها الامامية الى مسافة عشرين كيلو متر من اجدايبا .  
ومنذ اكثر من اربعين كيلو متر لم يشاهد الجنود الالمان من العدو سوى  
اثار الاخلاء السريع : الخوذ الاستعمارية واغلاف الامشاط والذخيرة  
ورسائل الوطن الام النائي المتروكة عرضاً في المواقع والمراكز والذخائر

والعربات والسيارات والآليات . أجل كان هذا المنظر الذي بدأ في الثاني من شهر نيسان لقوات الهندسة ولفصائل فوج الرشاشات تحت امره المقدم بونات « Pouath » ولسيارات الاستطلاع والاستكشاف التي قاربت أجدايا منظرًا مشجعًا للغاية ممكن المزائم واطلق الهمم .

وكانت المدرعات المعرّجة من جانب الصحراء تعمل على الجوانب . وبالرغم من سعة المرائي التي تسمح بمشاهدة مثل هذه البوادر لم يستطع المراقبون تحقق غير أعمدة الغبار المتصاعدة في الجو بينما كانت المدرعات الألمانية تلتحم في القتال مع المدرعات الانكليزية بتفوق ساحق . وكانت مدافع عيار ٨٨ مم تفتح فيرانها وتوجهها مباشرة على مواقع أجدايا . ولم يمض وقت طويل حتى اندلعت ألسنة اللهب من كل جانب ، وتكاثفت سحب الدخان من جراء انفجارات مستودعات الذخائر . فتم احتلال القرية حوالي الظهر تقريباً واقتنص الالمان عدداً كبيراً من الأسرى واغتنموا كميات وفيرة من السلاح والسيارات والذخائر والمؤن والمعدات المتروكة ، وفر العدو سراعاً مستفيداً من التموجات الأرضية المجاورة . وكانت قوات رومل تسير بسرعة فائقة وكان يقول : « يجب ملاحقة العدو على الأثر دون ان يتروك له أية فرصة للراحة والانقلاط ، وإثارة عواصف هائلة من الغبار ورائه ، فالغبار يستر حركاتنا ويخفي تحركاتنا ويوفر علينا صرفيات الذخائر التي لا لزوم لها » . ولم تتوقف جمهرة الاستطلاع إلا على مسافة ثلاثين كيلو متراً شرق أجدايا . وكان التماس يؤمن نادراً أو عابراً مع العدو الهارب واشير انشاء القتال الى وجود عدد هام من المدرعات الانكليزية يظهر انها معطلة عن السير بسبب حاجتها للوقود ، وانها تتجمع وحداتها في جوار بيضافوم ، ولكن الاستطلاع المباشر الداني أثبت خطأ هذه الإشارة ، وانها لم تكن سوى مدرعات ايطالية تركت انشاء معركة الشتاء .

سجلات معركة اجدايا موفقية باهرة وظفراً رائعاً وربحت دون أية خسارة تذكر ، وحقت في نفس الوقت اجتياز حدود منطقة طرابلس وأقصت فوراً كل خطر مباشر وأصبحت طرابلس تبعد حوالي ألف كيلومتر وراء الجبهة . وتوغل الفيالق الافريقي في منطقة برقة وحصل على أهم نتيجة منتظرة في الواقع والحال وهي الاستحواذ على ينابيع المياه الضرورية الغزيرة ووفرت عليه غناء التموين بالماء المالح من منطقة السرت .

وتمكن من الوصول الى ابعد من هدفه المعين في ايام قليلة ، ولا ريب ان هذا التوفيق أثر على وضع الجنرال ويغل الحربي إذ أكد الاستطلاع الجوي الالماني قيام العدو بحركات تراجعية شاملة مما دفع رومـسـل الى استغلال هذه الوضعية استغلالاً كاملاً دونما تردد .

فأوعز الى جبهة الاستطلاع تحت أمرة العقيد فسـون فيكمـار « Von Wechmar » باستئناف الملاحقة . وسبق أن أحرق الانكليز السلوش « Solosch » القرية الصغيرة المبنية من الحجر والتي تحيط بأطرافها الخيم المصنوعة من وبر الجمال وكانت السيارات الانكليزية المعطلة تملأ الرحاب . وقد صنعت بعض الصليبان الخشبية بصورة عاجلة لتوضع على قبور القتلي الالمان والانكليز في مدافن الصحراء .

وكان الحد الكيلومـتري يشير « بنغازي » ٤٠ كيلومتر ، وهنا اخذ المنظر الطبيعي يتبدل الانظار فالارض مغطاة بالكلاّ اليابس وهو منظر جديد في حد ذاته بالنسبة الى الصحراء ، وكانت ارتال الجمال المبعثرة تسير الهويـنا نافرة نائمة تطلّع طويلاً الى جانب الطريق كأنها تشاهد غريباً وتتوقع خطراً ، وكانت أعالي الاشجار الباسقة تظهر من بعيد على الخليج ومنها اشجار الزيتون ذات اللون الغامق ، وكانت حقول الشعير تظهر هنا وهناك . ومن آن لآخر كان يري بعض السكان العرب يردون الى

الآبار يملأون قريتهم الاستسقاء . وكان الهواء تنطهره روائح نبات الزعتر العبقة .

ظهرت بنغازي الخصبة الخضراء لأول وهلة تفيء أرجائها ظلال الأشجار المائنة على الطريق وبالفعل كانت هذه المناظر وفرح الناظر الذي لم يشاهد حتى الآن سوى الاصقاع الجرداء والرمال .

وكانت جمهرة الاستطلاع التي لم تستعد بعد التماس مع العدو وصلت ليلا الى مطار المدينة حيث كانت تنكوم الطائرات المحطمة سابقاً وهي تلعب تحت أشعة القمر البراقة . وكانت تغطي أجواء المدينة سحب كثيفة من الدخان المتصاعد من حرائق وانفجارات مستودعات الذخائر التي كانت تضيء وتخبو بين الحين والآخر وترسل أضوائها بين الفترة والفترة وقد اخلت بنغازي منذ أمد قصير .

أنشأ المهاجرون الايطاليون بنغازي ، هذه المدينة الجديدة بالعمل والجد والجهد . وكان بين المائة والاربعين الف ايطالي النازحين الى هذه البلاد تسعة عشر ألفاً منهم يقطنون بنغازي عاصمة المقاطعة التي تزينا الشوارع الجميلة الواسعة وتحيط بها البساتين والحدائق الغناء ، وترصع مبانيها الحديثة الابنية الرسمية المنسقة التي كانت تعطي هذه المدينة منظرًا أنيقاً ، ولكن بنغازي الجميلة الضاحكة الهائنة بالائس أصبحت في سياق الماضي منذ الآن وقد تناوأتها الحرب القائمة فقهرتها بموجاتها وفيضها ، لقد تراجع عنها غرازياني بجيوشه وقواته فراراً من العدو الزاحف وجاء في اثره الاوستراليون والنيوزيلانديون والهندوس والبولانديون والانكليز واستبدلت المدينة من جديد أسياداً بأسياد وهي لم تشهد بعد الايام السوداء التي ستحقق بمصيرها القادم ، بيد انها اصبحت بجروح عديدة ولم تبق فيها بيوتاً لم تتصدع والميناء لم تعد سوى خرائب واطلال بفعل القصف والتدمير ، وأرصفتها محطمة وحطائر محترقة واعمدة مطوية ، وسفن غارقة في اليم .

وفي صباح اليوم التالي تركت جمهرة الاستطلاع المدينة التي احتلتها قوات المانية جديدة وفي المساء دخلتها وحدات ايطالية أخرى . واعتري الاهلين الذهول من هذا التبدل المفاجئ الغير متوقع . كان رومل آنذا يتمركز في اجدابيا ويتهبأ ليضرب ضربته القادمة وكان يقول : ان سوق الانكليز امامنا لا يفيدنا شيئاً بل يجب القضاء عليهم نهائياً . ووجد على خارطة برقة درباً ينطلق من اجدابيا عبر الصحراء ماراً بمروس والخبيلي ويصل الى الطريق الساحلية على خليج بامبا على الجانب الآخر من مدينة درنه فقرر سلوكها ليقطع على الانكليز مخرج برقة .

جزع الايطاليون الذين يعرفون البلاد من هذا القرار وانتصرف ، وأفهموا رومل انه ليس من الممكن التقدم في جوف الصحراء . إلا اذا تهيأت الوسائل الكافية بدقة لنجاح هذه المغامرة الخطيرة . فالوحدات الكبرى معرضة للتوزع والانتشار والمنطقة الجبلية الواجب اجتيازها تشتمل على اقسام غير قابلة العبور بالاضافة الى ان الجيوش الالمانية يعوزها التدريب المسبق للقيام بمثل هذه الحركات .

كانت هذه الاعتراضات واهية في نظر رومل بالرغم من ان الجنرال غاريبولدي نفسه لم يوافق على هذه الفكرة وعارضها معارضة شديدة ، وقد ارسل في ٢ نيسان برقية الى رومل ما نصها : « ان المعلومات التي وصلتني تفيد انك ستستمر في تقدمك وهذا يخالف ما كنت حددته . ارجوك ان تنتظر حضوري قبل الانطلاق » .

ولدى وصوله والتقائه برومل ، أبدى اعتراضاته على قرار القسائد الالمانى ، واوضح بأن خطته غير قابلة التطبيق والتنفيذ وانها تتعارض تماماً والاوامر التي اصدرها الدوتشي موسوليني بشأن تسيير الحركات . وأضاف بأن التموين لم ينظم بعد تنظيمأ كافياً لمثل هذه الحركات وطلب انصياعاً مطلقاً لهذه الاوامر وعدم اتخاذ أي قرار أو اجراء من هذا



النوع دون موافقته مبدئياً أو قبل السؤال من روما والحصول على موافقتها قبل البدء بالحركات المقررة .

بيد ان رومل رد كل الاعتراضات المعروضة وأكد اعتماده وتصميمه على العمل فوراً مبدئياً مطالعته بأن الحالة الراهنة وشروطها في الوقت الحاضر أكثر ملائمة وموافقة للاجراء ، وان طلب الموافقة من روما قد يتأخر ، والظروف والشروط قد تتبدل ، وقد تنقلب الامور في صالح العدو . وكانت الفرقة الخامسة الخفيفة يعوزها الوقود فأوعز اليها بالقيام بسير قهري والذهاب بعيداً لاستلام الوقود اللازمة فوراً وكان عليها ان تسير مسافة ٣٠٠ كيلومتر . وأنشد أشير الى وجود جيوش انكليزية في الخيلي . وحال وصول رومل الى بنغازي أعطى أمراً للتوجه الى تميمي على البحر لقطع الطريق الساحية واستئناف سيره بعيداً عن بنغازي .

كلفتم جمهرة بونات « Ponath » بالاستيلاء على درنه واهمال الخيلي . وكانت تتألف من رتلين تدعمهما عناصر ايطالية تلقت أمراً بالمسير الى هذه النقطة المعينة . ولم يتناول الجنود طيلة الخمسة أيام سوى الماء والبسكوت واللحم المملح المحفوظ وقدمت جمهرة المدفعية الايطالية فابريس « Fabris » خمسة وثلاثين صفيحة من البنزين وهي آخر احتياط لديها .

وكانت السيارات تسير على مسافات كبيرة فيما بينها منطلقة على الطريق المعبد المزفت باتجاه ( السالوش ) في ربح سموم تحدد الرؤية والنظر ثم عرجت نحو الشرق على زاوية قائمة وبدأ السير في قلب الصحراء .

فالدرب هنا ككل الدروب الصحراوية . درب قديم كانت تسلكه القوافل العابرة وقد تحول قاعه مع الزمن الى طبقات من الرمل تغطي سطحه على عمق كثيف . ولتحاشي الغبار الصاعد اضطرت أرتال السيارات الى التمريج ذات اليمين وذات الشمال بصورة ان الطريق أصبحت بعد أيام قليلة واسعة فسيحة . وكانت الارتال تسير سير عمياء تحيطها الرمال

المحرقة بن جراء هبوب رياح السموم ، وتكتنفها غيوم كثيفة من الغبار المتصاعد . وكانت مدينة ( انثيلات ) المؤلفة من مجموعة من القباب الغضارية ترمز الى آخر أثر للحياة المتحركة في هذا الصقع . وفي هذه النقطة بدت كافة الخرائط مشوهة مغلوطة لا يعتمد على صحتها ، وخطئها ناتج عن عدم معرفة قراءتها ، وكأن خرائط الصحراء لها قراءة خاصة فالاسماء المدونة تغيب آثارها مع الزمن ويتطلب كشفها نباهة واستقراء واستطلاعاً خاصاً . وغالباً ما تظهر بئر معطلة مهجورة غمرتها الرمال أطلق عليها العرب أسماء تتفق وحائتها ومعناها ، ومرة أخرى تشاهد اكواماً من الحجارة يستدل منها ان القوافل كانت تستفيد منها أو تجمعها لربط جمالها ، هذا كل ما يشاهده العابر . فلا مخلوق ولا شجرة ولا نقطة اتجاه سوى التجاوب الاصم اليأس في هذه الارض العارية الجرداء حيث عواصف الرمال تغمرها وتغطيها . واذا هدت الريح تفتح الصحراء للشمس أحضانها الواسعة فينبعث السراب المتلاعب بمياهه وبحيراته الواهية البراقة الصافية ويعطي الاشماع الاعشاب الحقيمة أشكالاً متفاوتة الاحجام والضخامة ويمنع رؤية السيارات وتندفع العيون بأشكال خيالية لا أثر لها في الواقع فيعجز السائر عن اتباع طريقه الا بواسطة الموجبات المغناطيسية ( البوصلات ) ، وكان اجتياز الجبال شاقاً صعباً للغاية وكانت الارتال تسير رويداً رويداً في عماية مطبقة ثم تنزل من جديد في عرض الصحراء .

ولكن رومل كان ذو حظ عظيم ، فقد نجحت الجيوش في اجتياز الجبل رغم كل الموانع المعترضة . وفي اليوم التالي انصبت على الطرف الآخر بسرعة عجيبة هذه السرعة التي اتصفت بها فيما بعد كل حركات وتنقلات رومل والتي كانت احدي الاسباب الهامة العاملة على تحقيق المفاجئات على العدو والقضاء عليه . وتصادف في ذلك الوقت ان طائرتين

المانيتين صغيرتين هبطتا مطار الخيلي باشارة من رومل الذي أوعز اليها بالاتصال بكافة الارتال الالمانية الموزعة المبعثرة والايماز اليها باتخاذ اتجاه الخيلي وأثناء ذلك استطلعتا تجمعات وحركات العدو وتبينتا ان معظم الفرقة الهندية متربصة في جوار هذه القرية .

كانت عملية جريئة جداً ومغامرة تفوق حد التقدير والتصور . فلو ان الانكليز اكتشفوا أو عرفوا بما يحدث ويجري عبر الصحراء أو توصلوا الى معرفة شيء عن هذه الحركات وفهموا ان الارتال الصغيرة الموزعة كانت تتجمع تباعاً في نقاط استنادية ، لو انهم أدركوا هذه البوادر في حينها ما كان أسهل عليهم التقدم الى هذه النقاط والتربص لهذه الارتال الصاعدة الى الميدان لمهاجمتها والقضاء عليها افرادياً ونهائياً . انهم كانوا في جهل تام مطبق . وكانت مفارز الاستطلاع والاستكشاف الانكليزية في غيبوبة عميقة ، وكانت تجهل براعة وحذق الالمان في ابتداع وتطبيق مثل هذه التبعثات الخطيرة .

وقد ضاق رومل صبراً ، فركب احدى الطائرات الصغيرة وانطلق بنفسه للبحث عن قواته وارتالها لاستدراجها في سير حثيث الى نقاط القتال ، وقد أوشك ان يقع أسيراً في قبضة الانكليز ولكنه تبين وهو على ارتفاع ٨٠ متراً انه فوق منطقة معادية فارتفعت الطائرة مرة ثانية ونجا من الوقوع في الأسر .

وقد تم اجتماع القوات في المساء ، وانطلقت بعض الارتال نحو درنه وتميمي ، وانهقدت شبكتها حول الخيلي . وهدأت عندئذ رياح السحوم بعد نهـار استعير من الجحيم الالهب . وعادت الرطوبة تبرد ذلك الجو المحموم . وفي هذا اليوم الصافي الاديم تحدرت الارض من كل مشاهداتها ومناظرها الطائرة فبان للناظر منظر عظيم في مباغتته ، ليس من جراء مشهد هذه القرية الصغيرة التي برزت لعابري الصحراء ولا لهيكل الجبل

في الأفق البعيد ، ولكن لمنظر كتلة الجيوش الانكليزية في وسط سياراتهم المعطلة بسبب الوقود .

فأوعز اليهم بالاستسلام المرة بعد المرة عند محاصرة الخيلي . ولكنهم رفضوا الاجابة والخضوع ، فانطلقت القوات المصفحة والمدركات في فجر ٨ نيسان تهاجم القوات الانكليزية المحاصرة . وبعد معركة سريعة ماحقة احتلت القوات الالمانية القرية . ولم يتمكن من الفرار سوى قسم صغير من الحامية . وأسرت النفي جندي . وعلم بأن الفرقة اصبحت بخسائر دموية فادحة . وفي نفس الوقت أخبر بونات بأن درنه حوصرت ايضاً وأنه اسر عدة مئات من الاسرى الانكليز بينهم الجنرال ب . نيامه « G. P. Neame » القائد الاعلى لمصر وشرق الاردن وكان قادماً في زيارة الى الجهة اللبانية ، والجنرال فيارد « G. Wiard » الذي قاد فيما سبق القوات الانكليزية في الانزال على اندالسن « Andalsnes » في النرويج والجنرالان اوكنور « G. Ocnnor » وكامبيهيري « G. Cambier Pierry » وكان الآخر آمر الفرقة المدرعة الثانية .

وكانت الغنائم لا تعد ولا تحصى ، وهي في نظر العدو اكبر أهمية من خسارة الرجال والبواسل والجنود الشجعان . واغتتم الالمان عدد وفير من الاسلحة والمدافع والذخائر ومعسكرات ومستودعات متبعة بالمؤن والذخائر والوقود بالإضافة الى سقوط بارشه في يد الالمان وقطع الطريق الساحلية ، وتحقيق السيطرة التامة على مدخل برقه الغربية التي اصبحت مفتوحة الاطراف .

وفي التاسع نيسان أعطيت الاوامر بملاحقة العدو ، وقد تولى الجنرال فون بريتويتز « G. Von Pritwitz » آمر الفرقة الخامسة عشر المدرعة الذي لم يصل بعد أمرة الجبهة المكلفة بالتقدم من تيمحي نحو الغزاة وطبرق . وكان على الجنرال شترايخ « G. Streich » آمر الفرقة الخامسة

الخفيفة ان يتبع الفرقة الآتية الذكر مع كل قواته في حين ان القوات الابطالية كلفت بحماية الخيلي وأخلافها .

وكان النجاح الذي أحرزه رومل في الخيلي برهاناً قوياً يؤكد المرة الاولى تفوق رومل التعبوي وتفهمه جيداً طبيعة الارض الصحراوية التي تفرض على القيادة الزاميات محتمة وتقضي بحسن التجاوب والاتلاف ووجوب وضع اسس وشرعة لحرب الصحراء تتناول النقاط التالية :

- تأمين قيادة حرة متحركة نشيطة تقدمية
- تحقيق امكانية التدخل فوراً في تسيير وتعديل اية حركة موجهة
- اتخاذ وتنفيذ القرارات والمقررات العاجلة على ضوء التطورات الراهنة

- تأمين اعمال المباغئات بالسرعة المطلوبة
- التمتع بقدرة وحرية العمل السريع
- اجبار العدو على قبول شريعة وشرعة حوب الصحراء .
- ان ميدان حركات ليميا كان ميدان المباغئات ، والقائد الذي يحسنها له الحظ الاوفر باكتساب النصر بدون منازع . ومحاصرة الخيلي كانت نموذجاً مطابقاً لهذه السرعة .

وعلى اثر هذا الظفر الرائع والانتصار الساحق في هذه الموقعة الكبرى قال رومل : « لم يكن لدينا شيئاً يذكر نعتد عليه ونستعين به . لقد انسقنا الى هذه الموقعة عن غير قصد والزمنا العدو بها ودفعنا اليها . وواجب علينا ان نخوض غمارها ، ولكن لما انتهت بعد وقد تبقى علينا أصعب ما يستوجب عمله وهي تمة هذه البداية » .

ولم يكن من عادة رومل الاستخفاف بخصمه او التقليل من قيمته وقدرته الحربية .





مكة الميادين في قطائع السلام حزيران ١٩٤١

# الفصل الثاني

## طبرق، حرب الموضع

STELLUNGSKRIEG , « TOBROK »

انتشر فوج الرشاش تحت امرة بونات « Ponath » على جانبي الطريق عند قرية ( كازا استوريا ) الواقعة على بعد ٣١ كيلومترا من طبرق استعدادا للهجوم . وعلى الجانب الايمن من القرية يتفرع درب يسير نحو الجنوب باتجاه اكروما . وهو قليل العرض في البداية ثم يتوسع بعد عدة مئات من الامتار . وعلى الجهة الاخرى من الطريق على الجانب الايسر باتجاه المرتفعات المحاذية للبحر تقوم مقبرة تضم رفاة جندي انكليزي وأربعة جنود فرنسيين قضوا نحبهم الاخير ابان معارك الشتاء الماضية . وبعيدا ينتصب شح الجبل الاحمر الذي يتصل بسلسلة هضبات ( البوشه ) وهي مرتفعات صخرية جرداء حيث تقع عند قاعدتها الغربية قرية عين الغزالة . تقدم الفوج المذكور في بادئ الامر بصورة مرضية . وقد بدأت سحب الغبار ترتفع بفعل القنابل المتساقطة على جانبي الطريق . وكانت اسلحة المشاة تفرقع بدون انقطاع على نسق متدافع ثم بدأت مدفعية العدو نصب حممها على مسافة ٢٠ كيلومتر من طبرق حيث نصبت حاجز أرتاج منيع أوقف الهجوم المنطلق . وكان من المستحيل اجتياز هذا الجدار الناري واصيب في اثنائها الجنرال فون بريتينز الذي تعمد سوق سراياه الى الامام

إصابة مباشرة قاتلة بقذيفة من المدافع ضد المدرعات . فقتل فوراً أمام طبرق  
وكان أول القتلى الذين سقطوا في هذا الميدان . وعلى السهل المرتفع الهادي  
الذي لا يختلف في طبيعته عن هذه الأرض الصامتة ، كانت المدرعات  
الإنكليزية تجوب خلاله وتجول في أطرافه وهي تثير عجاجاً هائلاً من  
الغبار . وكان جنود الألمان يتطلعون إليها باستغراب وانذهال لأنهم ما  
كانوا يملكون من الوسائل ما يجابهون به هذا التعرض وليس من المعقول  
مواجهة الخطر المحقق في أرض لم تهيم فيها أسباب التحصين ووسائل  
الدفاع . وقد واجه الفوج المذكور حقول الغام عميقة ، فأوقف واستبدل  
إيلاً بقوات إيطالية جديدة وكان مقررًا القيام بالهجوم على طبرق من الجهة  
الجنوبية صباح الغد .

تقدم رومل في مدرعة إنكليزية واسعة كانا اقتنصها حديثاً من  
العدو في جوار الخيلي ، وشرع في دراسة الأرض واستطلاعها يرافقه عدد  
من المصفحات حيث استطلع وتبين إمكانية الدفاعات الإنكليزية ، كما تقدمت  
جبهة المانية بأمر الزعيم ( الكولونيل كنبه Knabe ) مستحرة في  
اتجاهها نحو حصن كابوزو Capozo ، نقطة الاستناد الإيطالية الواقعة  
على الحدود المصرية ، واستولت عليها بعد مهاجمة عاجلة قصيرة . ووصلت  
جبهة الاستطلاع والاستكشاف الألمانية تحت أمر الزعيم فيكار ( Wichmar ،  
طريق بارديا - السلوم واجتازتها باتجاه الشرق . وأخذت الحلقة تغلق  
رويداً رويداً حول طبرق التي توقع سقوطها في صبيحة الغد .

ركز رومل مقر قيادته في شرق اكروما في جنوب الميناء وكانت  
سحب الغبار المتصاعدة من سير القوات الزاحفة لاشغال مواضعها المعينة  
تختلط بالعجاج الناتج من جراء القنابل الإنكليزية المتساقطة .

وحوالي الظهر بدأت المدفعية تقصف باستمرار الأرض المقابلة وكان  
من الصعب تبين الأهداف بسبب الإشعاعات المتولدة من السراب المتراكم



أمام الانظار وآلات الرصد والتي كانت تبدل المرأي والمناظر الحقيقية القائمة .  
وتدخل السلاح الجوي البريطاني الملكي « R.A.F » برسالة أسراب  
عديدة من القاصفات لتعميق الانفتاح وتحضير الهجوم . ولم يتمكن السلاح  
الجوي الألماني « Die Luftwaffe » من متابعة سير رومل الحثيث والذي  
ما تزال مطاراته ومهابطه بعيدة المدى في منطقة السرت بينما مهبط سلاح  
الطيران الانكليزي كانت اقرب الى الجبهة . وكانت أسرابها القاصفة تتناوب  
تباعاً في كل نصف ساعة مفرغة شحناتها من القنابر التي كانت تؤثر في  
اعصاب الجنود الالمانية وترهقهم وتضعف مجرودهم . آجل انارة الاعصاب  
فقط لان الاشعاعات كانت تحول دون رؤية الطائرات المهاجمة أهدافها  
بصورة واضحة ، وكانت القنابر تلقى على غير هدى .

وعند ظهيرة يوم ١ نيسان لفظت المدرعات والمصفحات والمشاة الالمانية  
هجوماً مركزياً متلاقياً على الجبهة ، بيد أن أعشاش المقاومة البريطانية  
كانت مستورة مموهة تماماً ومتجاوبة مع تعاريج الارض ومنعطفتها تجاوباً  
ملائماً . وكانت موزعة بصورة متقنة ومدعومة دعماً قوياً مما ساعد منظمة  
النيران الانكليزية على تحطيم وإيقاف الغارة الالمانية . وكان الدفاع الانكليزي  
بنى خنادق مغطاة بالاعشاب تسترّها الرمال مشكلة حاجزاً غير قابل الاجتياز .  
وفي صبيحة الغد تقدم رومل بنفسه الى الخطوط الامامية للتحقق من  
الوضعية الراهنة . فقرر في مساء ٣ الجاري اجراء هجوم عام على طول  
الجبهة ، وتبرز القوات المهاجمة بعناصر ايطالية . وكان منصفاً على توجيه  
الضربة الحاسمة نحو الجنوب الشرقي لفتح فرجة في خطوط الدفاع ثم دعم  
هذه الحركة بغارة جديدة تطلق في الغد .

وأوجز رومل في محاضرة ألقاها في ساحة القتال بأن الهجوم المقرر  
يجب أن تقوم به جيوش الصدام ، واننا بفضل سرعتنا تمكنا من طرد  
الانكليز من برقه البيضاء ووصلنا الآن الى السلاوم . اني أعرف ان

قواتنا متعبة ولكننا مع ذلك لا نستطيع التبرص والبقاء على هذا الجود ،  
 إذ يتوجب علينا ان تدفع الى الامام بدافع الاضطراب قيل ان تصل الى  
 الانكليز نجدات جديدة من الشرق الاوسط . اذا فليس لدينا ما نضيقه  
 في الانتظار والتريث . وبالفعل نجح الفصل الاول من الحركة واجتاز  
 فوج الهندسة وفوج بونات حقول الانعام والخنادق ضد المدرعات وفتحا  
 ثغرة واسعة عميقة في خطوط الدفاع الانكليزية . وبعد تحضير مدفعية  
 كثيفة موفق انطلقت القارة في ١٤ نيسان صباحاً واحتلت جانباً من الارض  
 وتوغلت المشاة بعمداً داخل مواضع الدفاع الانكليزية . وقد اجرت هذه  
 الحركة دون أن تتعرف جيداً على تنظيمات سياق الدفاع حيث تركت  
 ورائها أعشاش مقاومة سالمة على اليمين واليسار كما اهتمت اعطاء الفرجة  
 الاتساع والعرض لتتمكن الفارات التالية من الانسياب فيها . كما توقفت  
 المدرعات الالمانية التي وصلت الى مسافة ٤ كيلومترات من طبرق ، ووقعت  
 تحت وابل نيران المدفعية والاسلحة المضادة المدرعات المركزة بعناية ،  
 فاضطرت الانسحاب خشية التدمير المحقق . ولكن الحقيقة هي انها وصلت  
 الى المرتفع المسيطر على المدينة واستتوت على أهم قسم من المنطقة المحصنة .  
 ولكنها لم تستطع استغلال النجاح الكامل لنقص مساندة المدفعية لها ،  
 والسبب الارتباط الضعيف بينها وبين فوج بونات . ولو انها حاولت توسيع  
 الفرجة على الجوانب بشكل انها مكنت دخول قوات جديدة اسقطت طبرق  
 في نفس اليوم . ولكن المدرعات تراجعت وظل فوج بونات دون اسناد  
 وارتباط وهوجم من الخلف من نقاط الاستناد الانكليزية . ففقد قسماً  
 كبيراً من قواته وسقط الكولونيل بونات آمر الفوج بين القتلى وكان  
 يوم أحد عيد الفصح . وكان رومل يظن أن في وسعه دخول طبرق قبل  
 المساء . وظهر ان المدينة كانت محاطة بقلعة قوية التحكيم كاملة التجهيز  
 تدافع عنها حامية مصممة على الدفاع وعدم الاستسلام بسهولة . وتبين من

نتيجة الغارات بأن الظفر غير مستدرك بدون اسلحة ثقيلة ، بل وثقيلة جداً ، . وتقرر أخيراً تأجيل الحركات الحربية الواسعة بانتظار وصول الفرقة المدرعة الخامسة عشر والتي كان قسم منها يؤلف جبهة الباردة السلوم تحت امره الزعيم فون هرف ( Von Herf ) من الفرقة المذكورة . وفي الايام التالية وقعت بعض المعارك المختلفة التي اثبتت ان التعليم والتدريب العسكري الايطالي كان بحاجة لاعادة النظر فيه من أساسه كي ينطبق انطباقاً تاماً على طرق الحرب الحديثة . لقد كان تأثير اندحار جيش غريزاني ذي اثر كبير على تدني معنويات الجندي الايطالي وضف ثفته بنفسه ورؤسائه وبالتالي بسلاحه . فقد أضعاف وقد معظم اسلحته الثقيلة أثناء المعارك الاخيرة واصبح السلاح الباقي لديه غير كاف ولا يعتمد عليه . ولم يظهر حتى ذلك الحين أية بادرة جدية تدل على الاستعداد لتعويض الاسلحة المفقودة ، وكان ينقص المشاة الاسلحة المضادة المدرعات والاسلحة الاوتوماتيكية . وكانت المدفعية من طراز قديم ومدافعها من ايام الحرب الماضية الاولى ضعيفة القدرة محدودة المرمى . وكان من جراء انحطاط القيمة الحربية الابطالية وتنقص المدفعية الكامل ، انه أصبح من الجراف القول بأن طبرق حوصرت واحيطت ضمن دائرة فولاذية . والحقيقة فانه كان من السهل على حامية طبرق البريطانية أن تخرق دائرة الحصار في أي وقت كان ، وان تضع الفيلق الافريقي في وضعية عظيمة الخطورة ولكن من حسن الحظ ظلت متربصة على الدفاع المطلق ولم تصدر عن ويفل أية محاولة جريئة وظل بالفعل متردداً عن دفع القوات الالمانية إلا في قطاع السلوم عند الحدود المصرية . ونرى في هذه الجبهة اعتماد وضعية جديدة لم تلاحظ قبلاً ولم تشبه أية وضعية أخرى مماثلة في عهد ( حرب الصاعقة ) ، وكانت العمليات الدائرة عبارة عن حرب مواضع حرب عنيفة صارمة كحرب ١٩١٧ - ١٩١٨

اذا فما هي طبرق هذه التي كانت تقف كالسد المنيع الاجتياز على طريق الفيلق الافريقي. تنذرة وتهده بالتوقف وعدم الاندفاع الى الامام ؟ ولما بدأت الفرقة الخامسة الخفيفة هجومها يوم احدى عيد الفصح لم تكن تملك اية خريطة واضحة . وكانت تجهل تماما مدى وقدرة دفاعات المدينة المحصنة . وقد صممت القيادة الايطالية العليا وسكت ضباط الارتباط الايطاليون لدى رومل . ولم يقدموا له اية معلومات تتعلق بهذه التحصينات والتحصينات بالرغم من ان بعضهم وجد أو اشترك في اعمال التحصينات المذكورة . وكان على القوات الالمانية والايطالية نفسها أن تعمل على اقتناص المعلومات التي كانت تنقصها والتي كلفتها مع الاسف كثيراً من التضحيات والدماء . وكانت مدينة طبرق أصغر من درنة وتعد حوالى ( ٤٠٠٠ ) نسمة فقط أيام السلم . وهي مستعمرة اوروبية تقوم في منتصف الصحراء القاحلة وتقع على خليج يتراوح عمق الماء فيه بين ١٥ / ٢٠ متراً وتتمتع بحماية كافية للسفن الراسية في الميناء . هذه الخواص والاسباب جعلت منها بصورة خاصة ميناء من خير موانئ برقة ، وكان من الطبيعي بل من الضروري تحويل هذه المدينة ذات الخليج الطبيعي على البحر الى قلعة محصنة . وكانت المدينة مبنية على الساحل فوق المنحدرات المقابلة للجبل . وقد صرف غرزياني جهودا كبيرة وأبدى عناية تامة بها عندما هيا حملته فبنى ما يقارب من ١٧٠ استحكاما على السهل المرتفع الذي يحيط بالمدينة من داخل الجهة . وكانت هذه الاستحكامات مسقوفة ومغطاة على سماكة متر ونصف المتر من الاسمنت المسلح دون خنادق مجاورة ولكنها كانت نقاط استناد عديدة تتجاوب وتنطبق تماما على المناظر المقابلة . وما كان في مقدور اية قنبلة او قنبلة اختراقها وتدميرها . وكانت نقاط الاستناد المكشوفة المحيطة بهذه الدفاعات لا تشغل إلا أثناء القتال وما كان يظهر منها أي بروز او ارتفاع عن الارض

المحيطة . وهو ما حدث لموجات الغارات الألمانية أثناء انطلاقها اذ انها لم تستطع تبين هذه المواقع فأخذت من الخلف والحق بها جسيم الخسائر . وهذه الارض ذات طبيعة صخرية والودية المنحدرة فيها موزعة على غير انتظام تفرق بين المرتفعات التي اعتلتها الاستحكامات المذكورة الخفية المدفونة طي التراب والموزعة توزيعاً غير منتظم تحميها حقول الاغنام والخنادق والحفر المعدة ضد المدرعات والاسلاك الشائكة الكثيفة . وكان من المستحيل احتلالها سراعاً بواسطة مختلف القوات المحاربة ما عدا المشاة التي كان يوسعها التغلب عليها وقهرها بتدميرها اعشاش المقاومة الواحد تلو الاخر وفي حالة الوصول إلى المرفأ مركز القلعة المحصنة يصبح إطار الدفاع عديم الفائدة وهو يشبه تماماً خط ماجينو الذي انتهى أمره بعد اختراق نقطة سدان . وكما تبين أثناء هجوم عيد الفصح ، كان يتوجب تهيئة قوات هامة واجراء تحضيرات واسعة . فقد نجح ويفل في اختراقها ، وكانت قواته بالطبع مؤلفة من النيوزيلانديين والاورسترايين والانكليز وهي خير القوات المحاربة التي كان يملكها الانكليز في افريقيا وقد تلقى أمراً بالدفاع عن طبرق حتى النهاية وبأي ثمن ممكن . وكانت حاميتها المؤلفة من ثلاثين الف جندي تمون وتجهز باستمرار عن طريق البحر بالرغم من القصف الجوي المستمر ليلا نهاراً على الميناء والمدينة والاستحكامات . وقاد رومل المعركة استناداً إلى الاسس التي طالما استعملها أثناء الحرب العالمية الاولى أي ( حرب المواضع ) والتي تنص على القيام بالعمل رويدا رويدا وبدقة متناهية والتعرف على العدو وحالته ومواقعه تعرفاً كاملاً . ثم المباشرة بالاغارة مباغتة بسرعة الصاعقة . وكان عليه أن يستولي على القلعة شبراً شبراً ، وحالما تفتح ثغرة كافية في سياق منظمة الدفاع توسع هذه الفرجة ويهاجم منها العدو على الجوانب وهذا النوع من القتال يصور لنا وجه القائد الألماني الثاني . واذا كنا أعجبنا

حتى الآن بسرعة حركاته ومرونة مقرراته ومقدرته على استغلال أي ضعف يبدو من جانب العدو ، فقد أثبت في نظام مهاجمة المواقع الدفاعية والجبهات المتركة بأنه قائد يحسن الحساب الدقيق ويحدد الخطط الفائقة ، وإن لديه حساسية السيطرة في الحرب الدفاعية وحرب الموضع مما سنشرحه فيما يلي بصورة أوسع وأعم . لقد تبين لرومل منذ هذا الحين بأن المسألة الأساسية الرئيسية في هذه الساحة هي مسألة التموين بمدينة طرابلس الغرب تبعد ١٦٠٠ كيلو متر عن طبرق و ١٧٥٠ كيلو متر عن السلوم . وبالرغم من هذه الأبعاد فقد ظلت القاعدة الأساسية لعمليات تموين الفيالق الأفريقي لأن الإيطاليين كانوا يعتبرون أنفسهم غير قادرين على تأمين سلامة النقل البحري إلى مواني بنغازي ودرنه . فأخذت المصالح الخلفية بسبب ذلك أهمية واسعة لأن عليها كان يتوقف تأمين حاجات الجيوش الإيطالية - الألمانية على طول الطريق الساحلية ومن جراء ذلك نشأت ونتجت مصاعب خطيرة أن تتأخر نتائجها عن الظهور إلى حيز العيان .

وفي شهر مايس وفي أوقات عدة أخرى انقطع وارد الوقود تماماً وتوقفت كافة الحركات الحربية على الجبهة . وكانت المصروفات أثناء المعركة تقدر يومياً بـ ( ١٢٠٠ ) طن من مختلف التجهيزات ومواد التموين والتذخير وكان من الصعب استحضار هذه الكميات بواسطة الطرق البرية وحدها . وبعد جهود عديدة تقرر إرسال بعض البواخر التي تمكنت من دخول ميناء بنغازي . وجرى محاولة أخرى بشأن إجراء الشحن بواسطة القوارص ولكن روما رفضت هذا الاقتراح بداعي أن مياه البحر الأبيض المتوسط بركة صافية ، وإن اتباع هذه الطريقة من شأنها أن تشجع الانكليز لاستعمالها على مدى واسع .

بينما لم يتأخر ولم يتردد الانكليز مطلقاً عن تموين حامية طبرق بدون

انقطاع وكانت سفنهم وبواخرم تنساب عبر البحر في الليالي المظلمة الخالكة شاحنة الوقود والمؤون والمدروعات والذخائر . وكان سلاح الجو الالمانى Die Luftwaffe آنئذ ضعيفاً جداً تنقصه القاذفات التي باستطاعتها التصدي لمثل هذه الحركات البحرية بنجاح .

وفي ٣٠ نيسان بدأت العملية الحربية الاولى الكبرى . فقد وصلت المدفعية الثقيلة وكافة الفرقة المدرعة التي نقل معظمها عن طريق الجو . وقد طلب الى بعض الفرق تنفيذ العملية المذكورة في نفس المكان الذي فتحت فيه الثغرة السالفة الذكر أثناء الغارة الاولى والعمل على تشتيت فكر العدو عن غاية وقصد المعركة القادمة بالقيام بمظاهرات عسكرية في نقاط متعددة . بيد ان مركز ثقل العمليات الحربية كان يتوزع هذه المرة على جانبي رأس المدور الذي يؤلف المرتفعات ذات السفوح المتهاوية الى البحر والتي يستطيع العدو منها ملاحظة ومراقبة تحركات القوات على اخلاف الخطوط الالمانية وهذه المرتفعات كانت محاطة باطار كامل من الاسلاك الشائكة وحقول الانغام المضاعفة . فتشكلت لهذه الغاية جبهتان :

١ - الجبهة الاولى من الفرقة الخامسة الخفيفة تحت قيادة الجنرال

فون كيرشهايم C. Von Kirchheim .

٢ - الجبهة الثانية مع الفرقة المدرعة الخامسة عشر تحت امره

الجنرال ايزييك G. Von Eisebeck .

بدأت الغارة بمصفاة من نيران المدفعية الحامية التي كانت تنصب تباعاً على البطاريات الانكليزية بعيداً عن رأس المدور . وكانت المدرعات المحترقة تنير ظلمة الليل بوهج نارها وناثات اللهب تبث حممها ونيرانها على الارحاء والمدفعية تطلق نيران التحضير والارتاج الحامية التي بلغت اقصى حدتها وشدها ، عندئذ انطلقت وحدات المشاة تعرج الى أهدافها وانزعت نقاط الاستناد الامامية حوالي منتصف الليل .

وفي صباح أول مايس سقط قسم كبير من رأس المدور في أيدي  
الامان . والحقيقة ان القوات الالمانية لم تتمكن في نقطة ما ان تهبط  
السفوح الوصول الى حصن بلاسترينو و Blastrino .

وكان النيوزيلانديون والاورستراليون يقاتلون بهمة وشجاعة فائقتين ،  
وتوقفوا في منع اختراق أية نقطة من الاطوار المحكم . ومع ذلك فقد  
أنهى أهم قسم من العملية واستولت القوات الالمانية على استحكامات المدور  
وسقط عماد هام من قوائم زاوية نظام الدفاع . ورد الانكليز على استحكامات  
المدور بقصف مدفعي شديد دام زهاء ستة وثلاثين ساعة ثم انتقلوا الى  
المهجوم المماكس ولكنهم فشلوا في استرجاع أية نقطة استناد مفقودة .  
وكان الحر يضغط بعنف وحدة على الموضع ، والسراب والاشعاع يملآن  
الارضاء . وكانت ملايين الذباب تحول الحياة الى عذاب مرير . وصعدت  
درجة الحرارة فوق الخمسين درجة سانتغراد . وكان الغذاء شيئاً لا يقارب  
وخاصة اللحم والسمك المملب . وكانت قصوف المدفعية وهجمات قوات  
الصدام وحملات المدرعات ورشاشات الطائرات تتعاقب بدون توقف ولم  
تترك في هذه الاثناء أية لحظة للراحة . وكانت مقبرة الحد الكيلومتری  
رقم ٣١ تتوسع يوماً بعد يوم وقد بلغت خسائر الفيلق الافريقي في ٩  
مايس ١٩٦٧ قتيلاً و ٥٦٩ جريحاً و ٢١٣ مفقوداً .

كانت الوضعية العامة أمام طبرق في قبضة الجيوش الالمانية بيد ان  
جبهة بارديا — السلوم كانت ضعيفة الدفاع يشغلها خط دفاعي رقيق  
وكانت بانتظار هجوم كثير الاحتمال . وكان يتوجب قبل الابتداء بالمحاولة  
الجديدة ضد طبرق العمل على تدعيم وتقوية منظمة الدفاع عن الحدود .  
ولذا طلب رومل دعوة الفرق الإيطالية لاستبدال الفرق المدرعة الخامسة  
عشر وضمها الى تشكيلات الاحتياط المتحرك ، وقد وعد بتلقي فرقة بافيا  
ولكن في نهاية الصيف . وأخيراً تم استبدال الوحدات المنهكة واستعويض



عنها ببعض السرايا الألمانية الآلية التي كانت مخصصة لاشغال واحتي جنوب وسيوا . لم يظل الجنرال رومل طيلة هذه المدة بدون نشاط . فكان يجوب المواضع المحيطة بطبرق ليلاً نهاراً . وكان يظهر بغتة في خطوط الاستحكامات الامامية . وكان مشغولاً في نفس الوقت بالعناية بقواته وبالمحافظة على الارض المحتلة . وعمل على بناء دفاعات جديدة متحاشياً المواضع المتلاصقة وخنادق المواصلات . وقد أوجد ما يشابه استحكامات القلعة المحاصرة بإنشائه نقاط استناد مقابلة مستقلة الواحدة عن الاخرى ومرتبة ومتكاملة فيما بينها بصورة تثير الاعجاب من حيث نظام التوزيع الدفاعي .

أعطت هذه المراقبات والاستطلاعات نتائج طيبة . وبفضل الارتباطات والاتصالات الدائمة مع القوات المتقدمة استطاع رومل ان يتفهم ملياً وبصورة بيّنة واضحة امكانياتها الهجومية والدفاعية ومعنوياتها التي ساعدته على تحاشي كثيراً من المفاجآت غير المنتظرة . وكان دوماً على أهبة الاستعداد لاتخاذ القرار الفوري الاكثر ملائمة لآلية وضعه قائمة دون ان يضطر لارسالها وابلاغها عن طريق التسلسل البطيء . وما انفك يحقق هذا التفوق الذي جعل منه عنوان حماس وتهيب في معسكر العدو وقبله انظار ومحط آمال قواده وضباطه وجنوده ودعامة ثقة لا تنزعزع بمقدرة قائدهم الفذ . وأدرك رومل بثاقب بصره وفكره وتقواه تفكيره وحسن استدراكه ان الحرب فوق هذه الارض المجهولة لا يمكن ان تصل الى قرار الا بمعونة العمليات الهجومية . والعمليات التي جرت حتى الآن والعمليات التي هي قيد الاجراء أو التي ستجري فيما بعد كانت كلها جارية مفروضة بحكم الحال والوقع .

فالعمليات الجارية في الصحراء لا تشبه العمليات التي يشاهدها المحاربون في الميادين والساحات الاخرى . فمعركة الصحراء تشبه في

نظامها وشكلها وخاصتها المعركة البحرية . فالوحدات الكبرى والمتوسطة والخفيفة يجب ان تتحرك كلها طبق خطة موضوعة ولا يمكن تحقيق التفوق الا اذا ظلت هذه الوحدات مجتمعة تحت قيادة مباشرة آنية حرة . وعلى هذا الاساس يمكن ان تصعد الى ميدان المعركة لأن الصحراء كالبحر ليس لها حدود ولا تشمل على مقاطع ارضية ومجال الرؤية فيها فسيح يتسع للمراقبة القاصية . وحرب المواضع التي جرت أمام طبرق لم تغير شيئاً من هذه الحقيقة .

وفي منتصف شهر مايس حدث ما كان يخشى رومل ويتوقع حدوثه على الجبهة الشرقية . فقد هاجم الجنرال ويفل السلوم وحصن كابوزو مباغتة بمائة مدرعة كان اكثرها من الطراز الحديث الثقيل فطرد جمهرة هرف من مواضعها ، وأصبحت البارديا مهددة بصورة مباشرة . ومن الغريب ان شركة اخبار روتر كانت تعلن منذ ثلاثة أيام بأن الارض المصرية تحررت من كل عدو . فتنبه رومل لهذه الاخبار ولم تفتنه بادرة هذا الانذار المسبق بالخطر .

بدت الوضعية لأول وهلة عظيمة الخطورة . واضطر هرف الى التراجع بقوات لم تمس بعد على خط سيدي عزيز ، وعلى الطريق الواقعة جنوب البارديه وأسرت جمهرة ايطالية كانت تؤلف الخافر الامامية وحوصرت جمهرة أخرى على الحدود .

كان مصير طبرق مرتبطاً ارتباطاً كلياً بمصير الحدود الشرقية . فتفحص رومل الحالة الراهنة واستدرك وجوب التخلي مؤقتاً عن احتلال طبرق . وكان يعتزم القيام بتراجع عام ليشكل جبهة جديدة على طول مرتفعات عين الغزالة ولكن فقدان الوقود جعله يفكر فيما اذا كان في امكان قواته الانسحاب إلى الخط الجديد في الوقت المعين . ولكنه عدل عن هذا القرار لصعوبة تنفيذه وسحب بمضاً من وحداته من دائرة حصار طبرق

وساقها بطريق العظم، وكانت مؤلفة من كتيبة مدرعات من الفرقة الخامسة  
ع: المدرعة التي وصلت حديثاً تدعمها بطارية مدفعية من عيار ٨٨ مم



خُطوطُ دَفْعَاءِ طَبَرَق

وأمرت ان تنطلق حتى منطقة سيدي عزيز - كابوزو لتساند وتعاون  
جبهة هرف .

وفي هذه الاثناء تصدت القوات الالمانية لفوج مدرعات انكليزي  
وطردته خارج حصن كابوزو ولكن وبقل استعداد الحصن بقوات جديدة  
أُنزلت في مرسى مطروح مهمتها تدعيم موضع سيدي عزيز . وفي هذا  
الحين اقتنص رومل بركة انكليزية تفيد بأن هذه الحركة الناجحة لم  
تحقق إلا بثمن باهظ وخسائر جسيمة وان الجيوش الانكليزية تواجه  
مصاعب جديدة من أجل التموين .

توقفت الكتيبة المدرعة الثانية عن استرجاع سيدي عزيز وكابوزو  
دون ان تتمكن من تأمين الارتباط مع جبهة هرف . وتلقى قائد الفرقة  
الخامسة عشر المدرعة أمراً بتسيير جبهة أخرى من فرقته نحو الشرق  
واستلام القيادة ولكنه جرح أمام طبرق قبل ان ينفذ المهمة التي اسندت  
اليه . بيد ان هذه النجدة لم تعد ضرورية بعد ان وطد الزعيم هرف  
وضعيته واطلق هجوماً مأكساً عنيفاً مكنه من الاستيلاء على السلوم  
الاعلى ورد العدو على أعقابيه على طول الخط . عندها هدأت المعركة  
وفشلت المحاولة التي ترمي الى رفع الحصار عن طبرق .

وكانت الجبهتان الايطاليتان مونتيموروس « Moutimoros » وفرونجيا  
« Frongia » تنصرفان تصرفاً جريئاً ولحق بهما خسائر هامة . وقد منع  
فقدان الوقود ملاحقة العدو ولم تتمكن القوات الالمانية من احتلال عمر  
حلفايا الذي كان له أهمية فاصلة لسلامة الحركات الحربية في منطقة الحدود  
إلا بعد مضي عشرة أيام حيث شرع على الفور في إقامة التحصينات  
وانشاء نقاط الاستناد اللازمة للحؤول دون مباغثة جديدة غير مسرة .  
وكانت الهجمات والغارات أمام طبرق تتوالى يومياً من قبل المشاة . فمرة  
تخطمت بعض الهجمات الانكليزية أمام الفرقة الايطالية « ارتيا » ، ومرة

أخرى ردت فرقة ترانتو قوات الصدام الاسترالية المهاجمة كما أحرقت مدرعات انكليزية كانت وصلت الى مسافة ٥٠ متر ، ورُدت على أعقابها غارات القطعات الالمانية . ومرة ثالثة محت القوات الالمانية مجموعة من المغاور البريطانيين الذين حاولوا النزول الى اليابسة في الباردية وأبيدوا عن آخرهم وكانت مؤلفة من قوات فوج الصحراء ذي المدى البعيد Long Renge Desert وفي نهاية شهر مايس تراءى الخطر يهدد الشرق الاوسط وطبرق تهديداً مطلقاً بسبب سقوط جزيرة كريت في أيدي الالمان حيث تم الاستيلاء عليها بواسطة فرق المظالمين الالمان ، والتي أصبحت تبعد حوالي ٣٦٠ كيلو متراً عن طبرق ونعني كونها أقرب مسافة من بنغازي . وكان بإمكان هذه الحادثة الخطيرة ان تشكل نقطة حاسمة في سياق هذه العمليات بالنسبة الى الفيلق الافريقي حيث أصبح من المؤكد امكان تعديل خطط التموين الموضوعة ومسألة النقل على طريق طرابلس الغرب التي تبعد ( ١٧٥٠ ) كيلومتر عن الجبهة . ان سقوط جزيرة كريت في يد الالمان ليسمح للطيران الالمانى بمراقبة البحر المتوسط بمراقبة جديدة فعالة ويمنع اسطول العدو من محاولات تموين قواته في افريقيا الشمالية أو التجول بحرية تامة . ولكن هذا الاستيلاء لم يغير في أوضاع الحالة الراهنة شيئاً ولم يؤثر على مستقبل الحركات أو العمليات الحربية القادمة وكانت عملية الاستيلاء على جزيرة كريت في الواقع عملية غير مجدية كلفت كثيراً من الدماء والارواح ، ولم تحقق أي تطور في الوضعية القائمة سوى تأمين نصر عسكري بسيط بالنسبة الى مجمل الحركات قصد من ورائه تعزيز السمعة فقط .



# الفصل الثالث

## قتال المدرعات في موقعة السلوم

احتلال مضيق حلفايا

Die Panzerschlacht Bei Sallum

Hält der Halfayapass

كانت حصن كابوزو المنشأة المحصنة الإيطالية الأخيرة الواقعة على صعيد ليبيا وهو حصن صحراوي أقيم على أقصى نقطة من خط الحدود . وكان عبارة عن بناء ضخيم مربع الشكل يشتمل على مساكن للضباط والجنود ومخازن ومستودعات للذخائر والاعاشة ثم أصبح فيما بعد كالحرائب وقد تصدعت جدرانه وأطرافه وتحطمت نوافذه وأبوابه وتخرقت سقفه وسطوحه . وكان أقرب مبنى إليه السلوم الأعلى الواقع على الأرض المصرية الذي يشبه في منظره حصن كابوزو ، ما خلا قشلاقات معسكر الكتائب الانكليزية التي كانت أكثر اتساعاً وترتيباً والتي كانت مكلفة بحماية الحدود . وكانت الأرض المحاذية للحصن تنحدر تبعاً نحو البحر . والمناظر التي يشرف عليها المرتفع خلابة رائعة . وعلى سفح جبل السلوم الأدنى ترتفع بيوت العرب التي تبسط الخليج الواسع بمياهه الزقاء العميقة البراقة تحت أشعة الشمس اللامعة . ويمتد الساحل الرملي الأبيض الناصع بلون الثلج الى الأفق البعيد . وتخطط جوانب الجبل المرتفع منحدرات الاودية المنخفضة التي أحدثتها الطبيعة إبان المصور السحيقة . وتصل الطريق الجبلية

الواسعة المعبدة بمنعطفاتها الصاعدة التي تربط السلوم الأعلى بالسلوم الأدنى وتعود رأساً إلى الميناء ثم تتمدّد عن الساحل حيث تصعد السهل الداخلي المرتفع مارة بمضيق حلفايا . والسهل المذكور صحراوي بكليته . ومنذ الصباح الباكر ترتفع فيه درجة الحرارة إلى ٥٠ - ٦٠ سانتيفراد .

ارتسمت الحدود ومخططات في هذه النقطة وتحددت بشبكة من الأسلاك الشائكة التي ترمز إلى خط الحدود الذي بناه الجنرال غرازياني في مدة ستة أشهر ممتداً من البحر على خليج السلوم وآبار الرملة إلى مسافة ٢٧٠ كيلومتر نحو الجنوب حيث واحة جغبوب . وكان لبناء هذا الخط معنى خاصاً بالنسبة إلى غرازياني الذي قصد منه بناء جدار من أسلاك حديدية شائكة لايقاف السنوسيين اللاجئين إلى مصر عند هذا الحد المحتنع الذي ساعده على تهديته إقليم برقة الشائر . أما اليوم فلم يعد له أية فائدة أو معنى سوى الإشارة إلى قوات الانكليز والالمان المتحاربة وأن خط الأسلاك الشائكة هو خط الحدود الفاصل بين البلدين .

دُمر هذا الخط في بعض أقسامه وفتحت فيه فرجات متعددة ومفازات واسعة وتعلقت في أطرافه بقايا متنوعة حملتها الحرب إلى هذه الأرض الضائقة . وكانت تجتازه كل يوم أرتال مصفحات الاستطلاع التي كانت تتمركز على الأرض المصرية في مرتفع ٢٠٦ وفي سيدي عمر والتي كانت تشكل قوات التغطية المتقدمة أمام القوات الألمانية .

وفي تاريخ ١٤ - ١٥ حزيران أشار الاستطلاع الجوي والأرضي إلى وجود أرتال آلية كثيفة كانت تقترب على طول الساحل وتنساب في جوف الصحراء نحو الجنوب .

### وضع القوات الانكليزية قبل الموقعة :

حضر ويفل حركته في منتهى السرية . فجمع الفرقة السابعة المدرعة

التي كانت إحدى الوحدات الممتازة المدربة والمرنة وفرق مشاة آلية وأفواج مدفعية قوية وظهر انه كانت يعتمد على شروط ثلاثة لاحتراز الغلبة وهي :

اولا - مباغتة القوات الالمانية والايطالية واحداث ثغرة واسعة في القطاع الايطالي ثم الالتفاف على الفرقة الالمانية في قطاع السلوم والتي كانت بالفعل تروح تحت صعوبات ثقيلة بسبب التعمين . وكان من المتعذر عليها الحركة والانطلاق . وكان ويفل غافلاً عن وضعيتها وقد تربصت منذ الايام الاولى في هذه الخطوط وتقص عدادها نقصاً محسوساً .

ثانياً - استحواذه على عدد وافر من المدرعات الجديدة من طراز مارك ٢ ( Mark 2 ) ، وكان مصمماً على زجها في الموقعة في كتلة متراسة . وكانت حديثة الصنع بنيت في مصانع الميتربول ( في بريطانيا ) ومجهزة ومعدة لدحر أية قوة تتصدى لها حسب تخمين وتقدير الخبراء الفنيين الانكليز .

### خطة الحركات الانكليزية :

كانت الخطط الانكليزية تترتب على الوجه التالي :

أ - الجناح البريطاني الأيمن : سار على محاذاة الطريق الساحلية باتجاه مضيق حلفايا . وكان المفروض عليه الاستيلاء على المضيق المذكور لفتح الطريق تماماً وتسهيل وصول النجدة المتلاحقة والتعمين باضطراب .

ب - جبهة الصدام : تتألف أغلبها من وحدات مدرعة كلفت بإجراء التفاف حول موضع حلفايا لمهاجمة حصن كابوزو مباشرة والتوغل حتى السلوم لامكان تطويق المضيق من الخلف عند الضرورة .

ج - جبهة اليسار : وكانت مندفعه باستقامة داخل الصحراء ، مهمتها الاحاطة بالجبهة الالمانية بقوات مصفحة ، ثم قطع وتدمير القوات



الباقية في منطقة كابوزو وفي جنوب البارديه . وبسقوط هذه الامكنة تصبح الطريق حرة الى طبرق مما يساعد حاميتها على الاشتراك في الهجوم المنطلق على جوانب الفيلق الاقربقي التي تحدد مصيره ونهايته في نظر القادة الانكليز .

رتب ويفل خطته بعناية ودقة ولم يفته حتى تعيين نقاط اجتماع الاسرى والغنائم ومخافر المساعدة الطبية والصحية وغير ذلك .  
د - المطالعة :

١ - لم يحقق الشطر الاول من هذه الخطة ولم يباغت رومل . ومنذ ١١ حزيران كان الطيران الالماني يستطلع أوضاع القوات البريطانية وزحوفها السائرة كما تبين وصول نجدات العدو وتحركاتها وبمجملة كافة الحركات السائرة على الخطوط الخلفية . إذا فالجبهة الالمانية كانت منبهة مستعدة للطوارئ . وعلى أثر المعلومات الواصلة سُحِبَت الفرقة الخامسة الخفيفة بكاملها من جبهة طبرق كي تشارك في بناء الطريق الموصلة الى القلعة لأن صعوبات التموين أظهرت الحاجة الماسة إلى إنشاء مثل هذه الطريق . وأصبحت هذه الفرقة في وضع الاحتياط المشترك ومعدة للدخول فوراً في المعركة .

وفي تاريخ ١٥ حزيران وصلت أيضاً معلومات واضحة من الفرقة الخامسة عشر المدرعة عرف من مضمونها سعة ونظام حملة العدو وتجمعت الفرقة المذكورة جنوب غامبوت تحت قيادة الجنرال شترايخ وتلقت أمراً بالاستعداد للعمل وانذرت الفرقة المصفحة اربتي أيضاً ولكن تبين ان مجموعة سانتاماريا كانت بدون وقود وبدون تموين وكانت في حالة لا تمكنها من الحركة والانطلاق .

ه - التدبير الالماني : كان الأمر الذي أرسل إلى الفرقة الخامسة عشر المدرعة بسيطاً جداً ويتضمن :

« المحافظة على مضيق حلفايا وصد العدو حتى اشعاراً آخر » .  
ترتب على هذه الفرقة قيادة المعركة الدفاعية لوحدها . وظل احتمال اطلاق هجوم مواز لجهة طبرق . والمرة الاولى لوحظ اضطراب رومل للبقاء والمكوث في مقر قيادته في غرب المدينة المحاصرة . وفي الساعة العاشرة صباحاً فهم من المعلومات الواردة ان هدف ويفل الاساسي هو فك الحصار عن طبرق ، فدعمت الفرقة الخامسة بفوج مدفعية إضافي وأوعز اليها بانتظار الحوادث القادمة .

وفي هذه الاثناء بدأ القتال يدور حول كابوزو وتمكنت المصفحات البريطانية من احتلال نقطة الاستناد ( ٢٠٦ ) من جهة الغرب . وفي سيدي عمر كانت القوات الالمانية تدافع عن مواضعها بعناء وصعوبة ، ولكنها ردت كافة الهجمات المنطلقة على مضيق حلفايا بصورة دموية .

وفي هذا اليوم الاحد كان الهواء كتلة رمادية اللون يملأ العجاج رحابه . وكانت الصحراء تشبه صفحة براقعة تموج حول حصن كابوزو القائم كالجيل الرمادي ينقبض وينفجر وكأن الحياة لتدب في أعطافه من شدة الحر . وكان النظر لا يتعدى عدة مئات من الامتار . وكانت الارض في قطاعات الحدود تهتز تحت وابل القنابل المتفجرة وانفجارات الانغام المتوالية وطلقات مدفعية المدرعات تتابع بانتظام . وكانت سحب الغبار والرمال المتطايرة ترفق فوق الحصن وتلتصق بالاحجار وبشاهدات القبور القائمة على اجداث البريطانيين والالمان .

هاجمت مدرعات مارك ٢ مرتفع ٢٠٨ تصحبها قوات الهوسار ( قوات خيالة خفيفة ) والتي تعرفت عليها فرق الفياق الالمانى الافريقي في منطقة برقة بالتماس مع فوج الاستطلاع تحت امره فيكار . وجرت بينهما اكثر من مصادمة . فلم تعط هذه الحركات نتيجة ما بسبب نقص الاسلحة الثقيلة . وكانت قوات الانكليز والالمان تدور حول بعضها مثيرة عجاجاً

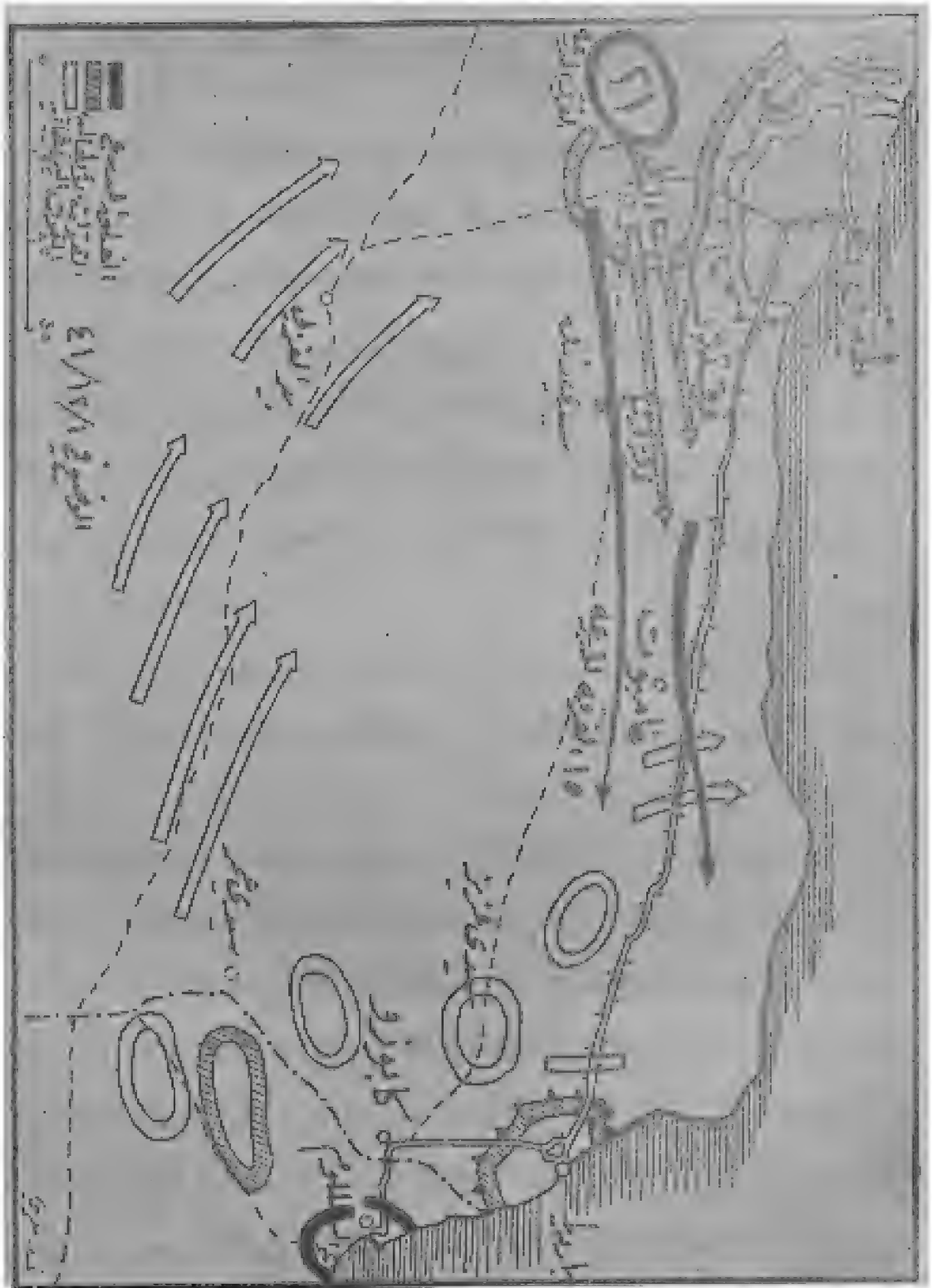
هائلاً من الغبار حتى وصول فوج مدرع من الفرقة الخامسة عشر المدرعة ودخوله المعركة مجبراً قوات الهوسار على التراجع .

تناوب حصن كابوزو الاحتلال والاسترداد أكثر من مرة . وعندما احتلت القوات الانكليزية الحصن للمرة الاخيرة تمكن أحد الضباط الالمان الشباب بشجاعة وجرأة لا نظير لها من احراق ثماني مدرعات انكليزية ( مارك ٢ ) بمدفعه المضاد للمدرعات على مسافة قريبة جداً . وكانت المعارك تجري على نسق المعارك الافريقية الخاصة فلا قوات ويفل ولا قوات رومل كانت تعرف بالتأكد أين هو الخصم ولا من أين يظهر ولا من هو العدو أو الصديق ؟ . وفي سعة المسافات حيث يسمى المتحاربون إلى تحقيق القرار كانوا كثيراً ما يضيعون الفرص المؤاتية لكسبه . فالقوات المحاربة كلها كانت تستعمل السيارات المتشابهة وأحياناً نفسها والجنود يلبسون القميص الخاكي والبنطال القصير ( الشورت ) والخوذ المسطحة ، وكانت خوذات جنود التومي Tommy الانكليزية تشبه كثيراً خوذ جنود المستعمرات الالمانية . وقد تناسى المتحاربون كافة الاأسس والقواعد التي تلقوها أثناء الدراسة والتدريب . وظهر في المعسكرين المتحاربين شعور جديد شعور الرفق فيما بينها والحس الودي الطبيعي . وكانت افريقيا هذه جرداء كأرضها لا بشر فيها حتى ولا أشباح ولا قرى ودساكر هائلة يجرفها هذا الصراع العاتي في طريقه . وقد سبق ان أخليت الاماكن المأهولة القائمة في هذه الربوع من سكانها العرب تماماً ودمرت قبل ان تصل القوات الالمانية إلى افريقيا . لم يبق في هذه الاصقاع سوى الجنود الذين تعرضوا جميعاً دون استثناء لشرائع وشروط الحياة القاسية في الصحراء . وكانوا يتعاركون لا لكسب قطعة من الارض واحتلال مدينة أو قرية إذ ليست كل هذه الأهداف بذات أهمية أو شأن بالنسبة إلى الحركات الدائرة أو بالنسبة إلى غاية المعسكرين المتحاربين لأن الهدف الاوحد هو

الحصول على القرار بواسطة السلاح وبفعل السلاح فقط في موقعة دائمة الحركة والتبدل . كما ان شعور العداء المشحون بالنقمة والانتقام الذي يتولد عادة بين قوات المشاة المتحاربة ، العداء الدموي العنيف الذي كان يبدو من الطرفين في بعض الاوقات لم يلاحظ البتة ولم ير له اثر ظاهر في معارك الصحراء . كانت هذه المعارك محكومة باعتبارات متبادلة ذاتياً وكانت تجري في جو شبه ودي تقريباً ووفقاً لقواعد معنوية خفية يتقبلها ويتبناها الطرفان عن غير قصد . فالشجاع لا يحتقر الشجاع الآخر لارتدائه كسوة أخرى بل يقدر بطولته ورجوانه بالرغم من العداء وكان رجال المسكرين يتفاخرون ويتبارون بهذه الروح الرياضية وهذه النزعة من الفروسية .

ولم تلاحظ عوامل القسوة والعنف الجائر في مدار معركة عصارى ١٥ حزيران . وكان العدوان يقتربان إلى مسافة ٥٠٠ متر . وظهر لأول مرة في هذه الموقعة ان مدفع عيار ٨٨ مم ضد الطائرات سلاح فتاك حاسم حيث استطاعت ثلاثة مدافع منها . كانت تتقدم الكتيبة المدرعة الثامنة من تدمير ثماني عشر مدرعة مارك ٢ أثناء هجوم معاكس شن على حصن كابوزو . وتحرر أثناء هذه المهاجمات المقدم فوم Fomm آمر فوج الفرقة الألمانية والمقدم كنبه Knabe آمر فوج الدراجات النارية اللذين اجتاز العدو مراكزها فاختبئا مع أركان حربهما في ملجأ على طريق فيا باليبا بينما كانت المشاة الانكليزية تحتل مركز قيادتهما الواقع على بعد عشرين متراً منها . ان المعلومات التي تلقاها الفيلق الافريقي أثناء المساء وابان الليل كانت متضاربة جداً . وكان من المستحيل معها إعطاء فكرة واضحة عن الوضعية من جراء بعد نقاط الاستناد وتوزع الوحدات الواسع . وعند المساء أشار الزعيم نويمان سيلكو Neumann-Silkow قائد الفرقة الخامسة عشر المدرعة بأنه استعاد حصن كابوزو وما زال يهاجم العدو بقوة على

## الهجوم والهجوم المكس في موقعه الرابع



جانبى الحصن . وبعد ساعتين أرسل تأكيداً بأن القوات الألمانية ماتزال  
مستولية على الحصن ولكنها أمست مطوقة ، كما ان الانكليز انفسهم لم  
يتبينوا لوحة واضحة تماماً عن ماهية الوضعية الجارية إذ علم ان القاصفات

الانكليزية حطمت بقنابلها في نفس الليلة ساحة الخرائب الذي كانت منذ وقت طويل في أيدي مدرعاتهم .

وفي هذه الاثناء كان العدو يتقدم نحو الشمال باتجاه البارديه ولكن لسبب مجهول لم يستمر في هجومه المباشر على المدينة . وكانت الخسائر الالمانية تبدو ثقيلة وقد فقد الالمان عدة بطاريات مدفعية يؤسف على خسارتها في وقت مماثل . ولم يعرف حتى الآن عدد المدرعات التي دمرت من الجانب الالمانى . وقد فهم بأن عدد المدرعات الانكليزية من طراز مارك ٢ التي دمرت بصورة نهائية تجاوزت الستين . وعندها تحقق ويفل بالأكيد انه لم يصل إلى هدفه الاول ولم يستطع حتى ذلك الحين اجتياز خط كابوزو ( ٢٠٦ ) .

وفي السادس عشر من شهر حزيران استأنفت مدرعات الفرقة الخامسة عشر المدرعة انطلاقها ضد حصن كابوزو ولكنها قوبلت بنار من الجحيم من مدافع مدرعات مارك ٢ والمدافع ضد المدرعات المتربصة في الخرائب حيث كانت تطلق حممها ونيرانها على الارض المكشوفة ولما بدأت مدرعات الفرقة الانكليزية السابعة المدرعة هجومها الماكس ، اضطرت المدرعات الالمانية للتراجع وقد أصيبت كافة الجرارات والمدافع من عيار ٨٨ اصابات مباشرة ولم يبق سوى ٣٥ مدرعة بإمكانها استمرار القتال .

أما في منطقة طبرق فالهدوء ما زال غليماً على خطوط حصار المدينة . وأخيراً أطلقت الفرقة الخامسة الخفيفة الالمانية هجوماً على العدو في شمال غربي سيدي عمر حيث تلقت كتلتها مهمة الوصول إلى مرتفع ٢٠٨ كي تهجم الانكايز على الجوانب . وكانت خطة رومل في منتهى البساطة ومآلها : « اذا حاول العدو القيام بحركة تطويق فمن المتوجب على القوات الالمانية ان تتقدم حتى تصل الى جوانب قوات ويفل للعمل على تفكيك عرى الفرق البريطانية وتشتيتها

والحق يقال بأن الامور الحاسمة كانت معلقة في خيط من الامل لان المجهول في هذه الموقعة كان وظل مضيق حلفايا ، وان الهجوم المعاكس لا يمكن ان يتحقق نجاحه إلا بعد احتلال المضيق المذكور ولو ان ويفل تمكن من الاستيلاء عليه لاثمنه سوق قوات جديدة على طريق البارديه والى طبرق وموقعة السلوم وصار في مقدوره فك الحصار عن طبرق .

بيد ان مضيق حلفايا صمد الى النهاية صموداً جباراً . وكان يدافع عنه الرئيس باخ « Bach » الرجل الفولاندي المربوع القامة ذو المظهر المتهيب الاشبّه بالقسيس منه بالحارب . وكان بذاته آمر القطاع . وكان أسر من قبل الانكليز أثناء الحرب العالمية الاولى وبعد انقضاء الأسر صار قسيساً لقرية من قرى بالاتينا Palatina وكان على رأس فوج مدعم ببعض البطاريات من عيار ٨٨ مم والبطارية الإيطالية باردي Pardi . وكان يقود هذا الفوج بشجاعة فذة نادرة الوجود ورباطة جأش وحذر . وكان الموضع يستند الى البحر تحت مضيق حلفايا ومقدمه منتهياً فوق السهل المرتفع . ولم يكن متواصلاً بل كان يشكل شبكة من النقاط المحصنة المهيئة للقتال ومشرفاً على الاتجاهات الاربع . وقد بنيت هذه النقاط منذ احتلال المضيق في شهر مايس وكانت تحصيناتها تزداد يوماً بعد يوم بأوامر رومل . وكان الجهد الطويل الذي صرف على تحصين وتحصين هذا الموضع ينتظر الأجر الاوفر وكان سبباً أساسياً في اندحار ويفل وانتصار الفيلق الألماني الافريقي .

تخطمت كافة الهجمات الانكليزية على هذا الموضع . ونسفت فوق جنباته أرتال المدرعات وسيارات الاستطلاع وسيارات النقل وتطايرت أجزاؤها بفعل الالغام العديدة التي كانت تنفجر تحت عجلاتها وجراراتها فتدفن في حناياها القتلى والجثث الكثيرة . وقد سقط في أطرافه صرعى كثيرون

لأن المشاة في الغارات الأولى كانت ترافق وتلاحق المدرعات على خط منظم مضاعف وكانها سائرة إلى نزهة عادية لا تحقيق بها الأخطار . وكلفت هذه المحاولة الأولى العدو ثماني عشرة مدرعة مارك ٢ . وعلى أثرها أطلق الرئيس باخ هجوماً معاكساً موقفاً واقتنص كثيراً من الأسرى واستحوذ على مستندات عديدة أطلعت على نوايا العدو وخططه الواضحة . وبعد أن تفهم باخ الوضعية الراهنة وما يحيط بها من أسرار وما تشتمل على تأكيدات واحتمالات مثبتة انقطعت عنه الاتصالات المباشرة مع الاخلاف . ولكنه لم ييأس واستمر يعمل مسبقاً على تدبير الأمور وادخار ما يلزم من الذخائر وتقنين المؤن وخاصة الماء جوهر الحياة الذي كان يعتبر من أهم المواد الضرورية للبقاء . وتلا الهجوم الأول هجوم آخر بعد الظهيرة سبقه تحضير قصف جوي كثيف . وقد وصلت قوات المشاة الهندية والانكليزية إلى مسافة ٤٠٠ متر من الموضع ولكنها أجبرت على التوقف ولم تستطع بعدها أن تتقدم شبراً واحداً . وكانت البرقيات تملأ الأجواء نداء إلى الرئيس باخ ما نصها « يجب المحافظة على مضيق حلفايا بقوة النجدة آتية » وكان المراقبون يشاهدون استعمار نار القتال في المسيّد وأخيراً في السجوم الأعلى . كان يدل على أن الانكليز ما زالوا بعيدين جداً إلى الوراء . لقد ردت كل الهجمات والغارات المتوالية كما فشلت محاولات مسح الموضع من عالم الوجود بفعل قصوف المدفعية والطيران التي ظلت دون جدوى ولا نتيجة . وكانت الافواج الانكليزية والهندية تطلق غاراتها الواحدة تلو الأخرى ولكنها فشلت جميعها فشلاً تاماً . واستمرت المدفعية الانكليزية في إطلاق نيرانها طيلة ساعات متوالية . وكانت القنابل المتفجرة في أعماق الوديان تملأ الفضاء بأصدائها المتعالية . ولكن فوج باخ ظل صامداً كالطود الأشم وظلت مقاوماته العنيفة على أشدها وانتهت الغارات الانكليزية بغارات معاكسة من قوات باخ تساندها



مدرعة انكليزية مارك ٢ كان اقتنصها من العدو سابقاً .  
لم تتأزم الوضعية الا في مساء اليوم التالي للقتال حيث أوشكت ذخيرة  
فوج ومدفعية باخ على النفاد .

وكانت بطاريات العدو من عيار ١٢٠ مم تدق الموضع طيلة ساعتين  
متواليين حيث تلا هذا القصف العنيف هجوم انكليزي جديد ولكنه  
تحطم ايضاً بفعل نيران الارتال . فلم يبق آتشد لدى المدفعية الالمانية سوى  
٦٠٠ طلقة . وكان التموين والماء يوشكان على الانتهاء فقرر المقدم باردي  
الانطلاق الى الاودية المجاورة التي قد تحتوي بعض الذخائر المتروكة منذ  
معركة الشتاء كما اقترح تهيئة سفينة قديمة الاقلاع بها الى البارذيه أثناء  
الليل لاستحضار الذخيرة والمؤونة اللازمة .

وفي هذه الاثناء سحب فوج المدرعات التابع للفرقة الخامسة عشر  
المدرعة من كابوزو بعد اجراء محاولة غير مجدية للاستيلاء عليه كي يهاجم  
في الغد بالارتباط مع الفرقة الخامسة الخفيفة جوانب وأخلاف العدو .  
وفي الجنوب عند الجانب الايمن للجبهة الالمانية وصلت الفرقة الخامسة  
المذكورة سيدي سليمان والتي أوعز اليها بمهاجمة سيدي عمر . بيد ان حوادث  
القتال لم تساعد الجنرال شترايخ على المسير الا في مساء اليوم السادس  
عشر ولم يصل الى المنطقة الواقعة شرق سيدي عمر سوى جزء من قواته .  
وكان يقاتل بعض عناصر من القوات المدرعة ووحدات قوية من المدفعية .  
وتوقف معظم فرقته وتثبت أمام الاسلاك الشائكة بفعل نيران العدو ولم  
تستطع هذه القوات عمل شيء يذكر لانها كانت تنتظر مناورة التطويق  
التي تقوم بها فرقة الجناح .

وفي منتصف الليل تلقت الفرقتان أوامر جديدة وهي :  
الانطلاق الى خلف مضيق حلقايا واطلاق الهجوم النهائي لأن رومل  
كان يود استعجال القرار . وقال : اذا استطاعت حلقايا ان تقاوم

حتى اليوم الثالث فمن المؤكد ان ويفل سيكون مهددا بفاجعة كاملة ،  
وانه لم يبق لديه سوى امكانية مفردة وهي ان يهاجم بقوات جديدة  
ليمنع عن وحداته الحصار في منطقة السلوم - كابوزو ، ولكنه لا يملك  
هذه القوات الآن . ان ويفل يهد للسيطرة على الطريق الساحلية ولكنه  
في تأخر عن اجراء أية محاولة جديدة ، والمحاولة هذه هي ان ينصرف  
عن المانع القائم ( أي مضيق حلفايا ) والالتفاف حوله عبر الصحراء .

اننا لا ندرى اذا كان رومل يعرف أو لا يعرف مبلغ التعاسة التي  
كان يتقلب فيها ويفل ، وأية موقفية رائمة كان يهيئها له الرئيس باخ .  
ولو كان لدى رومل قوات احتياطية جديدة معدة لدخول الموقعة لانتهى  
الأمر مع ويفل على الفور ولذا طلب أثناء المعركة الى القيادة الإيطالية  
في ليبيا ارسال فرقتين ، فرقة مواضع لمنطقة السلوم وفرقة أخرى لاشغال  
البرديه كما افكر في جاب فرقة ثالثة لمنطقة سيدي عزيز وذلك لسحب  
الفرق الألمانية حالاً ليؤلف منها احتياط سوقي وتسهيل عمليات التموين  
وانهاء الطريق الجديدة حول طبرق بأسرع ما يمكن والتي تحتاج الى ٨٠٠  
عامل . ان رومل يعرف تماماً بأن السلوم كانت تشكل الحاجز المعد لكل  
الحركات القادمة واضاعة السلوم معناه فقدان الحظ المؤاتي لعمليات المستقبل .

سيرت القيادة الإيطالية في ليبيا فرقة بافيا فور الطلب . وفهم بالتالي  
ان ويفل أحيط علماً بأن الفرقة المدرعة السابعة فقدت ما يزيد عن مائة  
مدرعة حتى اليوم الثالث من الموقعة وانها في عوز ماس خطير المذخيرة  
والوقود . اقتنصت البرقية هذه من قبل الفيلق الألماني الافريقي وفهم من  
ذلك ان ارتاج النار في مضيق حلفايا بدأت نتائجها الموقفة بالظهور والتأثير .  
وان خسارة القوات الانكليزية جسيمة جداً وخاصة في المدرعات التي  
تموزها الوقود والمذخيرة مما زاد في خطورة وضعيتها الراهنة . وعرف

## اشغال الموقع الغزاله وابتداء التراجع في نهايه كانون الاول



ايضاً بأن الجيوش البريطانية كادت تفقد العزم والنفس واقتضى العمل العاجل المباغت .

عندها تقدمت الفرقة الخامسة عشر المدرعة والفرقة الخامسة الخفيفة

اتواجه العدو بمزيمة جديدة وقد جرت معارك شديدة عبر الحدود . وكانت مدفعية الفيلق عيار ٨٨ مم التي تتقدم مدرعات الفرقة الخامسة عشر المدرعة تصلي العدو نارا حامية . ولم يطل الوقت حتى بدأ العدو بالتراجع وتحطمت اربعة عشر سيارة مصفحة من سياراته في الغارة الاولى فقط ، واستعادت مدرعات الفرقة الخفيفة سيدي سليمان . بيد ان المقاومة الانكليزية تنشطت من جديد وهو نشاط اليأس وأبدت عنادا وصلابة متناهية مما اضطر الفرقة الالمانية لاستدعاء مساندة السلاح الجوي . وأثناءها انسحب فوج الرشاش الذي هوجم من الجنوب الى سيدي عمر . وحوالي الساعة الحادية عشر وصلت معلومات جديدة بواسطة التنصت الآلي عرف منها ان المدرعات البريطانية لم يبق لديها ذخائر البتة ، وان حاميات المسمد والعلوم الاعلى تتراجع للانهحاق بحصن كابوزو وان الانكليز بدأوا باحراق الذخائر واتلاف المؤون كما نسفت كافة العجلات والسيارات الغير قادرة على الحركة .

وبعد الظهيرة أمنت الفرقتان الالانيتان المتقدمتان الارتباط مع بعضها وبعد قليل تقدم الكولونيل نويمان سيلكو على رأس مدرعاته باتجاه مضيق حلفايا ، وفي الصباح تلقت وحدات الرئيس بانخ ذخائر عن طريق الجو كما تمكن آمر فوج مدفعية باردي من العثور على ٦٠٠ طلقة في إحدى الاودية المجاورة استحضرها إلى الموضع وكانت آخر ذخيرة لديه . وحتى الآن فقد ردت كافة مهاجمات العدو على مضيق حلفايا بعد ان منيت بأفدح الخسائر . وأثناء انطلقت الكتائب الباسلة بغاراتها الاخيرة الجاحمة سائرة الى أهدافها بدون تردد . وكنت ترى رجال سدنة المدرعات التي احترقت تذبذبت تحت نيران المدافع تاركين عجلاتهم الملتهبة لخوض المعركة بالذات . وقد أبدى المسكران المتحاربان من ضروب الجسارة والاقدام والتضحية والبسالة ما يعجز عنه اللسان ويقصر عنه البيان .

وفي مساء السابع عشر واللمرة الاخيرة اطلق الرئيس بانخ الهجـوم المعاكس الاخير مع مدرعات الفرقة الخامسة عشر حيث نظفت كافة الاودية المحيطة بالمضيق . وأثناء ذلك ظهر رتل من السيارات حاملة المشاة وبعض عناصر الفرقة المدرعة السابعة الانكليزية المنحدرة تحاول شق طريق لها في منطقة الفرقة الخامسة الخفيفة ولكن عبساً فاضطرت الاستسلام . أما كتل الفرق المغلوبة على أمرها والفرق التي لم يبق لديها ذخيرة للقتال تغيبت في عرض الصحراء . وفي الغد تم تنظيف كافة قطاعات السلولم وحصن كابوزو وجوار سيدي عمر وسيدي سليمان والبرديه من كل جنود العدو الذين ظلوا في هذه الارحاء .

وهكذا تمكن رومل من إحراز نصر رائع بقوات محدودة بفضل كفاءته وجدارته العسكرية التي تستحق كل التقدير والاعتبار ، وبفضل بطولة أمر متواضع من امار الوحدات الصغرى وهو الرئيس بانخ الذي استطاع ان يستوقف العدو بكل قواته ليعط لقائده فرصة النصر والغلبة . ان هذه الموقعة التي دامت ثلاثة أيام بلياليها كانت اكبر موقعة مدرعات جرت منذ بداية الحرب وسجلت فيها القيادة والقوات الالمانية ظفراً مبيناً ولم يتمكن الانكليز من الوصول الى هدفهم الاساسي وهو فك الحصار عن طبرق وتدمير كافة القوات المعادية العاملة في شرق هذه القلعة .

أسرف ويفل في التضحيات والدماء وأضاع القسم الاكبر من قواته المدرعة . وكانت مئات الجثث ترقد صرعى أمام مضيق حلفايا وعلى السهل المرتفع رقدتها الاخيرة . وتركزت مئات المدرعات المخطمة او المهجورة فوق ساحة القتال . ولم يبق لدى الفرقة السابعة المدرعة البريطانية سوى اربعة وعشرين مدرعة صالحة للعمل . بينما كانت خسائر القوات الالمانية زهيدة جداً بالنسبة الى خسائر الانكليز الفادحة . وكانت هذه النتيجة موضع العجب والاعجاب في آن واحد . وبلغ عدد القتلى من الفرقة الخامسة عشر المدرعة

ثلاثمائة قتيل وأسير ومفقود . ولم تفقد سوى خمسة عشر مدرعة فقط . وكان عدد قتلى الفرقة الخامسة الخفيفة ثلاثين قتيلًا وخمسين جريحاً ومفقوداً ، ومن بينهم خمسة عشر قتيلًا لقوا حتفهم بفعل الغارات الجوية الألمانية ودمرت عشرة مدرعات وتعطلت أربعون أخرى أعيد إصلاحها سرعاً وأصبحت صالحة للعمل . وفي العشرين من حزيران وجد لدى الفيلق الألماني من جديد ١٣٦ مدرعة ألمانية و ١٢ مدرعة إنكليزية مارك (٢) . وكانت خسائر فوج باخ لا تكاد تذكر بالرغم من الغارات المتوالية والمهاجمات العديدة والقصف المستمرة فقد بلغت ثمانية قتلى وثلاثين جريحاً ولم تتجاوز خسائر فوج باردتي قتيلًا وجريحين . وقد برهنت الحوادث المذكورة بصورة مثبتة عن أهمية منظمة نقاط الاستناد المحصنة التي وفرت كثيراً من الدماء وكانت عظيمة الخطورة على العدو المهاجم .

أما مجموع خسائر الفيلق الألماني بما فيها خسائر جبهة طبرق لم تعد ٩٥ قتيلًا و ٣٥٥ جريحاً و ٢٣٥ مفقوداً . وسجلت خسائر القوات الإيطالية ٤٣ قتيلًا و ٧ جرحي و ٣٠٠ مفقوداً . ومنذ بدء الحملة الألمانية حتى الخامس من حزيران صعدت خسائر الفيلق المذكور الى ٥١٣ قتيلًا و ١٦٨٩ جريحاً و ١٠١٥ مفقوداً . وقد تحققت هذه الغلبة بالرغم من ضعف الوضع الألماني العام ، لانه عندما ارسل رومل الى افريقيا لم يتلق سوى مهمة محدودة . كان عليه ان يبعد التهديد القائم ووقوع الكارثة المنتظرة التي كانت تضغط على اعناق الإيطاليين بما يحتمل ان تجره من النتائج السياسية والعسكرية الاليمة . إذا فالمفروض على رومل حسب التوجيهات التي تلقاها ان يوطد جبهته على حدود برقة البيضاء وأن يترصد على الدفاع المطلق . وبدلاً من تنفيذ المقررات التي أعطيت له بالتزام الدفاع انتقل الى حالة الهجوم الذي ممكنه من رد العدو ثانية الى أرض مصر والصحراء كما قاده الى وضع الحصار حول طبرق . وتبين أيضاً بأن حرب افريقيا

( أي حرب الصحراء ) لها شرائعها المعينة . وهنا كما في أي مكان آخر ما كان لرومل ان يوفق في مهمته وان يصل بها الى الغاية المرغوبة لو تقبل البقاء على الوضع الدفاعي المقرر بصرف النظر عن عدم كفاية الوسائل التي وضعت تحت أمرته وتصرفه . وكان ضعيف الثقة الا بقواته الالمانية . فقد توجب على الفيلق الالمانى وحده حمل ثقل القتال المرهق بكامله . وكانت القوات الايطالية المسيرة لتدعيم الفيلق الالمانى الافريقي قلما تصل في حينها للاشتراك والعمل بصورة مجدية . كما اثبتت الوقائع ايضاً بان رومل بالاضافة الى اشغاله نقاط المقاومة اشغالا قوياً كاملاً لم يكن يستغنى مطلقاً عن تخصيص احتياط قوي متحرك يجمعه خالصاً من قوات ووحدات الفيلق الافريقي . ولذا اضطر لاستدعاء فرق ايطالية جديدة لاشغال المواضع الدفاعية الشرقية بينما كانت تدور المعركة ، وذلك لسحب القوات الالمانية الجديدة ليزيدها الى احتياطه . وقد اشرنا فيما سبق الى ذكر هذا التدبير التي اتخذها رومل بدعوته الفرق الايطالية الثلاثة لانشاء خطوط دفاعية جديدة في المستقبل واعتزام اقامة ثلاثة خطوط دفاعية تشتمل على مهمات معينة وهي :

١ - الخط الاول : يمتد من نقطة ٢٠٨ حتى مضيق حلفايا على

النقطة ٢٠٧ .

ب - الخط الثاني : معد لتغطية مناطق كابوزو والمسيّد والسلاموم .

ج - الخط الثالث : حماية قلعة البردية والمدافعة عنها .

وفرض ان تشغل هذه الخطوط الثلاث من قبل الفرق الايطالية تدعمها عناصر من القوات الالمانية . وكانت الغاية من توطيد هذا الدفاع الجديد تحرير الفرقتين الالمانيتين المدرعتين ايشكل منها قوة احتياطية متحركة مستعدة لمجابهة كل احتمال ومهيئة للعمل ضد أي هجوم جديد ينطلق من الارض المصرية ، وفي نفس الوقت تأمين الاشتراك والمساهمة في

الاغارة على طبرق . وحفظاً على ادامة الحصار على مدينة طبرق كان من المهم المحافظة على جبهة السلوم محافظة قطعية . ولأن يصبح في مقدور العدو مطلقاً رفع الحصار عن طبرق طالما لم يتمكن من خرق الجبهة الاخيرة . اذا كان من المتوجب تقوية دفاع الصحراء المصرية باعتبار أن المحاولة البريطانية التالية لا بد انها ستكون اقوى واعظم من سابقتها ، كما يحتمل أن تكون مهيئة قيد التنفيذ . لم يكن في وسع رومل اتخاذ أي اجراء آخر غير سحب قواته الالمانية من منطقة حصار طبرق . وبالرغم من كون هذا التصرف من دواعي اضعاف قوة المحاصرة طالما لم تصله بعد الفرق المطلوبة مع العلم بأن مثل هذا التدبير في ظروف مماثلة قد يؤدل إلى احداث ازمة خطيرة بالنسبة الى وضع الفيلق الافريقي الحربي . ان الاسلحة الايطالية السيئة وضعف قيمة هيئة الضباط والنقباء الايطاليين الحربية ومعنوية قواتهم المتأرجحة المتدنية ، كل هذه العوامل غير الثابتة لاتسمح بقبول الامتحان القاسي الذي يفرض على الايطاليين قتال خصم عنيد قوي المراس ومقاومة المهاجمات والغارات العنيفة . اذاً فالاحتياط الذي كان يعمل رومل على استدراكه دائماً للسلامة كان يتوجب الاحتفاظ به شاغراً لاستعماله في جبهة طبرق أو ضد أي احتمال آخر .

وبالاضافة الى ماتقدم لم يكن رومل ليطمئن الى مستقبل وضعيته الحالية باعتبار ان الفرقين الالمانيتين اللتين يعتمد عليهما بصورة خاصة هما غير كافيتين مطلقاً اذا صممت برلين وروما على الاحتفاظ بكامل المبادأة في العمليات ، وان وجوب تقوية الفيلق الالمانى الافريقى كان يتجاوب مع انتباهات القائد الاعلى للقوات الالمانية المسلحة الذي أعطى في منتصف حزيران أمراً بتحضير وارسال وحدات اكثر اهمية وقوة . وقدم بالفعل في شهر تموز اقتراحاً بوجوب احتلال طبرق نهائياً . ولكن مسألة التعمين كانت تبدو غير قابلة التمهيد والحل . وكان الاحتلال امراً لامندوحة عنه



بل ومسألة حياة أو موت لهذه الجهة . وكان كل شيء معلقاً على هذه المساندة يرتبط بها الجميع من أول قائد إلى آخر جندي من المشاة . ولا نغالي اذا قلنا ان ساحة الحركات هذه هي كباقي الساحات الالمانية الاخرى والتي كانت مشاريع القيادة الالمانية العليا فيها من الضخامة الهائلة مما لا تتناسب مع الوسائل المدة لتحقيقها وتنفيذها تماماً . وكان يكفي القليل من مزيد الوسائل الضرورية الوصول الى الغاية المنشودة . انه لمن الغرابة في هذا العصر ان نلاحظ بالنسبة لالمانيا العليمة البصيرة التي فرض فيها معرفة حساب الامور بالاستناد الى الوثائق والارقام البعيدة عن الخطأ نرى انصراف بعض قادتها ورجالها صوب الخيال والوهم والاعتقاد الخفي بأن المعنوية السكاملة في الجيش الالمانى تستطيع ان تموض الافلاس في الوقود والذخيرة والمدافع والآليات .

ان الجندي الالمانى لا يتراجع مطلقاً هكذا اعلن هتلر على الملأ . ان هذا القول لصحيح الى حد ما فيما يتعلق بقيمة الجيش الحربية النامية ولكنه في الواقع تجاهل اعمى للحقائق التاريخية الثابتة ، وان تصريحاً كهذا عن لسان ومتطوق رئيس دولة فيه منتهى صرف النظر والفكر عن قيمة واوزان مقاييس الحرب مسألة عظيمة الخطورة سيئة النهاية . وبالفعل ان هذه الطريقة في الاعتقاد والتفكير كانت تسوق الى العناء التام في مجال الحركات الحربية كما لاحظنا استجابة بعض الرجال لعبادة هذه المعنوية الجديدة واهمال الحقائق المفروضة لصيانتها والمحافظة عليها .

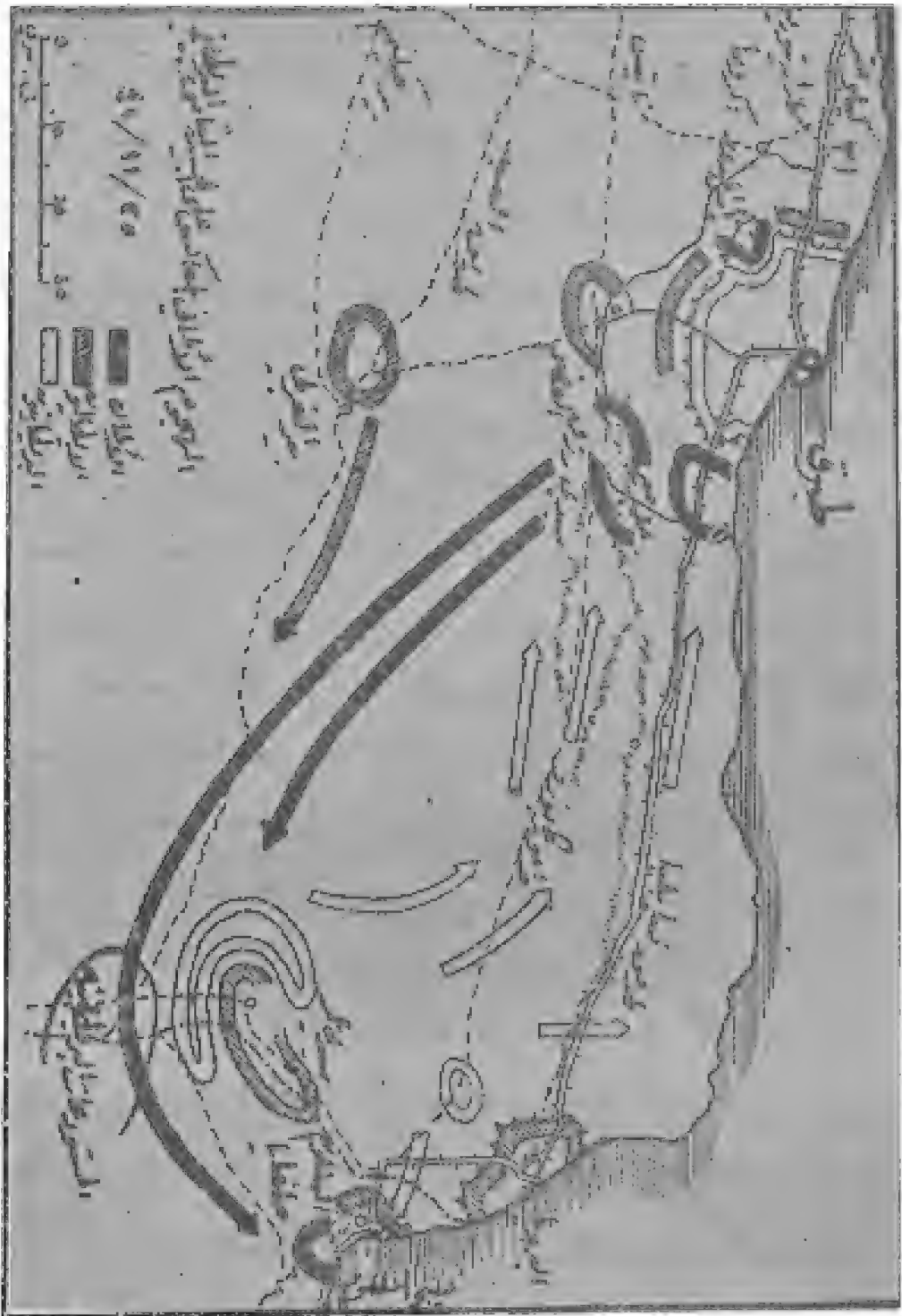
أجل ماذا تنفع البطولة وروح التضحية والفداء في الجندي الذي منعت عنه ابسط الوسائل التي يحتاج اليها في الحماية والدفاع عن النفس والبقاء والقتال .

في مبدأ الصيف ، وفي أوائل شهر مايس عرف الفيلق الافريقي حالة الائمة بسبب قحط الوقود الذي تسبب عنه ان هيئة الاركان العامة بالذات

صرفت النظر عن كثير من زياراتها واستطلاعاتها الضرورية للجبهة . وكان الفيلق في عوز كبير الى مواد التموين والاعاشة التي وصلت حديثاً وانزات في ميناء طرابلس وظلت عدة اسابيع وهي مكدسة تنتظر الجيش والجيش ينتظرها ولم تنقل الى اماكنها بسبب نقص السيارات وعدم وجود الوقود . حتى ان سرايا الواحات غير الالية لم تكن مجهزة بمطابخ ميدان كالفواج الموضع والتي كان يتوجب ارسالها اليها ولو بالطائرات . وكانت الفرق الايطالية لاتملك وسائل نقل كافية مما اوجب على مصالح النقل والتموين الالمانية تأمين حاجاتها أيضاً . وكانت المدفعية الثقيلة المعدة لحصار طبرق ما تزال تنتظر في نابولي قيد الشحن وقد قصفتها العدو وهي ما تزال في الميناء . وقد فكر البعض في برلين بشأن تشكيل وحدات نقالة قوامها الجبال دون ان يدركوا بأن بعض الرشاشات من طائرات هاريكان تستطيع ان تبعثر في الهواء وتعيد الى العدم كتيبة من هذه الكتائب الاسطورية . ولم يتحمل أحد من هؤلاء المبدعين عنا التفكير في ان التي جمل لاتستطيع أن تنقل الى الجبهة سوى ثلاثة أطنان يومياً ، بينما القوات المحاربة كانت تحتاج الى الف طن في اليوم الواحد وكانت هذه المشاريع الصبائية تدور في خلد وعقل رجال جديين يشغلون مناصب عاليا على جانب كبير من الخطورة .

وكانت البحرية الايطالية تمثل الورقة الاساسية الراجعة أو الخاسرة التي يرتبط بها عامل الحياة او الموت في هذا الجزء من البحر . وكان عليها ان تؤمن سلامة النقل البحري ولكن لم يصدر عنها سوى المضاعب المضافة الى المضاعب الاخرى العديدة . وعرض قائد الفيلق الالمانى شرطين هامين ولكن لم ينالا الاستحسان والقبول . فقد أشار الى ضرورة اتباع الطريق الاقرب للتموين وهي طريق اليونان وجزيرة كريت وحل مسألة النقل البحري عن طريق ميناء نابولي مع وجوب وضع البحرية الالمانية

## هجوم رومل المباغت في ٢٠ تشرين الثاني - ١٩٤١



نحت امرة القيادة الالمانية . وكانت البحرية الإيطالية تعتبر نفسها غير قادرة على استعمال مواني بنغازي ودرنه حتى والبردية بينما كان في امكانها اقتصاد آلاف الكيلو مترات على الطريق البرية . ونرى بالمعكس ان

الانكليز كانوا يعنونون طبرق مباشرة بدون توقف وبدون خشية الخسائر بينما كان الايطاليون يعتبرون أن الاخطار عظيمة والخسائر جسيمة والتزم رومل القيام بمخازرات ومحادثات عديدة طويلة أسابيع كي يستحصل على ترخيص باجراء بعض الشحنات بواسطة الغواصات . فوصلت الغواصة الاولى في منتصف شهر آب إلى ميناء البردية كما وصلت سفينة صغيرة أخرى فقط في شهر ايلول ولم تكن شحناتها سوى نقطة من بحر بالنسبة إلى الحاجات القائمة وهكذا ظلت طرابلس الغرب الواقعة على بعد ١٧٥ كيلو متر الى وراء المرفأ الاساسي للانزال والشحن بسبب تردد وخوف القوات البحرية الإيطالية من الاخطار المحتملة .

ومن المضحك أيضاً ان قائد الطيران الالماني في افريقيا كان يستحوذ لتموينه الخاص في وقت ما على وسائل نقل بلغت ثلاثة أضعاف الوسائل الموضوعية تحت تصرف الفيلق الالماني الافريقي بكامله . وان هذه الحالة لم تكن مقتصرة على هذه الجبهة بل تعدتها الى الساحات الحربية الأخرى . ولم تكن هذه الاضافات المعطاة للسلاح الجوي الالماني لتستعمل في العمليات الجوية فحسب بل لتصرف على اليابسة .

وأخيراً فالتعاون الودي الوثيق بين القيادة العليا الإيطالية وهيئة اركان الفيلق الالماني كان يتداخله اضطراب لائن كل مايلع عند الايطاليين ليس نضارا كما يقال . وكنت تشاهد في خطوط حصار طبرق كثيراً من الخفراء الايطاليين وقد استولى عليهم النوم . وكانت مخططات الاشغال الموضوعية قيد التنفيذ من قبل الايطاليين لا تنفذ كما يجب بل كثيراً ما كانوا يكتفون باجراء الاشغال التي تؤمن لهم اماكن الراحة فقط . ويهملون الاقسام الاساسية المتعلقة بالدفاعات الهامة . وكانت الرغبة تقتصر على الاكتفاء بانشاء مواقع عرضية فقط لاختلاصها عاجلاً والنجاة بانفسهم من خطر الهجمات الانكليزية ، كما كانت مسألة الغنائم الحربية تلعب دورها

في الاخذ والرد كان هذه الغنائم يستخدمها الالمان من أجل «صلحتهم فقط» .  
 وحدث أن وجدت القوات الالمانية في منطقة البردية عدة مئات من  
 المدافع الإيطالية التي تركت أثناء معركة الشتاء في أيدي الانكليز . وكان  
 اغلب البطاريات قائمة في مواضعها القديمة لم تصب بأي عطل وصالحة للاستعمال .  
 ولم يستلفت نظر القيادة الإيطالية هذه المعدات الهامة الا بعد ان سحبها  
 رومل وأرسلها الى الرحبات لاصلاحها واستعمالها وسوقها الى مراكز المقاومة  
 في السلوم . وفي منتصف ايلول طلبت القيادة الإيطالية العليا بصورة مفاجئة  
 عدم استعمال هذه المعدات والاسلحة بدون ترخيصها ، كما شهدت في منطقة  
 الخيلي — بنغازي حيث كان يربط الجيش الإيطالي معدات عديدة ظلت  
 متروكة حتى شهر كانون أول لم يهتم بشأنها احد منهم . وقد حلت المسألة  
 بالرضى العام . والحق ما كان لينتظر ان يعنى بها كثيراً لانها بالطبع كانت  
 وقفاً لقوات المحور لاستعمالها وفق الحاجة . وليس موضوع بحث ان يجهد  
 الجنرال الإيطالي غريبولدي « Garibaldi » دوماً لمساندته المقترحات الالمانية  
 على الجبهة بصورة جدية مخلصه . بيد انه واجه بالذات مقاومة شديدة مما  
 كان يضطر معها في غالب الاحيان للخضوع والاذعان والسكوت . وقد  
 عرض عليه الجنرال رومل الاحتياجات التي تتطلبها الاركان العامة الالمانية  
 لتنفيذ الهجوم على طبرق وكونها في حاجة ماسة الى عشرين بطارية مدفعية  
 ثقيلة وعدت بها ولكن لم يصل منها شيء حتى هذا الحين ، كما أبدى  
 غريبولدي جزعه وقلقه من تأخر وصول القوات والتموين الضروري في  
 الوقت الملائم حيث الهجوم كان مقرراً منذ منتصف شهر آب وقد قال :  
 « طالما تدخلت في الامر مع روما بالحاج متزايد كي يصار الى تأمين  
 النجدة والتموين بصورة عاجلة مرضية . فاذا لم تتحقق المساندة الضرورية  
 لاجراء التحضيرات في الوقت المناسب فإني سأتنازل عن القيادة بكل رغبة  
 لأي رجل آخر » .

وكان يذهب ابعـد من رومـل في تقدير الوسائل اللازمة ويظهر اكثر حرصاً من الجنرال الالماني الذي كان يعتبر بأن فرقة مدرعة المانية تمزجها ثمانية أفواج مشاة وفرقتان ايطاليتان كافية لتنفيذ الهجوم ، بينما كان الجنرال غاريبولدي يقدر وجوب الحصول على التفوق الكامل في المدفعية والسيطرة الجوية وخاصة في طائرات مساندة المشاة وطائرات القنـاص ( شتوكا ) واطـافـة فرقتين آليتين ، وطالب بتدخل الاسطول اليطالي للرد على الاسطول الانكليزي في حالة ظهوره في حلبة الميدان .

وزاد ارتياب الجنرال اليطالي في امكانية تنازل رومـل عن اطلاق هجومه المعتمد على الجهة الشرقية . ولم تكن تلك المقررات التي طـال بحثها سوى حلم جميل في ليلة من ليالي الصيف المقمرة على قول غاريبولدي الذي رُفِع من قيادته مباغتة وعين مكانه قائد جديد .

كان الجنرال الجديد الذي اختير لهذا المنصب باستيكو « Bastico » احد المقربين لموسوليني وأحد القادة الذين اشتركوا في حرب اسبانيا ومعارك جزيرة كريت . وكان يظهر عليها انه سيعطي القيادة الجديدة نشاطاً اوفى وهمة اوفر . فبدأ بتشكيل هيئة أركان حرب ايطالية لجهة طبرق . وتلى ذلك تأليف جمهرة مدرعة تتشكل من الفيلق الافريقي الالماني السابق المشتمل على الفرقة الخامسة عشر المدرعة والفرقة الخامسة الخفيفة وفرقة افريقية والتي ضمت كافة الافواج الخاصة بالماضع وحاميات الوحدات واطيف اليها ايضاً فيلق ايطالي تألف من فرقة سافونا « Savona » وفرقة مدرعة من جيش الاحتياط الذي لم يبدر عنه اية قيمة عملية مجدية في منطقة الخيلي ، وفرقة بولونيا « Pologna » التي أرسلت سابقاً الى منطقة الغزاة والمظم . وبناء على اقتراح القيادة العليا في ليبيا تأجل هجوم طبرق الى أجل غير مسمى .

وكان الجنرال باستيكو يفكر كما يظهر بفصل جبهة السلوم عن منطقة

طبرق بوضع الاخيرة تحت قيادة ايطالية مستقلة . ولكن هذه الفكرة ظلت في حيز الفكر والحدس فقط لعدم صحتها كإردھا موسوليني بالذات باعتبار ان المنطقتين لا يمكن فصلهما البتة بالنسبة لميدان العمليات الحربية ، وان طبرق لا يمكن مهاجمتها الا من قبل القوات الالمانية .

يبد أن المعارضة غير الملحوظة ظاهراً كانت تحمل في طياتها بذور الحوادث التعمسة القادمة . كان رومل يعرف ماذا يتوجب عليه عمله . وأدرك انه لا يمكن الاعتماد على الحذر الدائب والسلامة المطلقة التي تحتماظ لها القيادة في مثل هذا الوضع والتي كانت في حكم المستحيل تأمينها بصورة قطعية ، وإن ما يتوجب اجراؤه هو احتفاظ قوات المحور بالمبادأة الحربية دوماً ، وانه اذا ترك للعدو الحرية الكاملة والوقت الكافي لجلب قوات جديدة يعزبها وضعيته بصورة متينة لتعذر على جيوش المحور التصدي لها والمقاومة لغارات جديدة كثيرة الاحتمال .

ولم تكن القيادة الالمانية العليا في برلين وحدها تطلب اجراء عمل حاسم ضد طبرق بل روما ايضاً كانت تلح باستعجال الاجراء . وأخيراً فقد تقرر وضع خطة الهجوم على طبرق وأوعز باستيكو بأن الموقعة الحاسمة يجب أن تبدأ في شهر تشرين الثاني مع الاحتياط التام بحل مسألة التموين وتأمين عمليات الشحن بصورة نهائية . ظل رومل مع ذلك قوام تحضير القتال . وكان يذهب في كل يوم امام طبرق ويتصل بفيالق نافاريني « Navarini » ليتفحص الاشغال المقررة ويفتش التحصينات المطلوب انشاءها واحدة واحدة ليتحقق من مدى سيرها وامكان اضافتها لسلسلة التحصينات المقررة . وفي ١٤ ايلول نفذت حركة موضعية اعدت خصيصاً لتفهم مقصد ونيات العدو وقد تبين منها عدم استعداده للقيام بأية تحضيرات هجومية قادمة . ولوحظ ان رومل انصرف عن اعتماد فكرة الاختراق للوصول الى الميناء من جهة رأس المدور وحصن بلاسترينو ، واقترح اجراء الهجوم

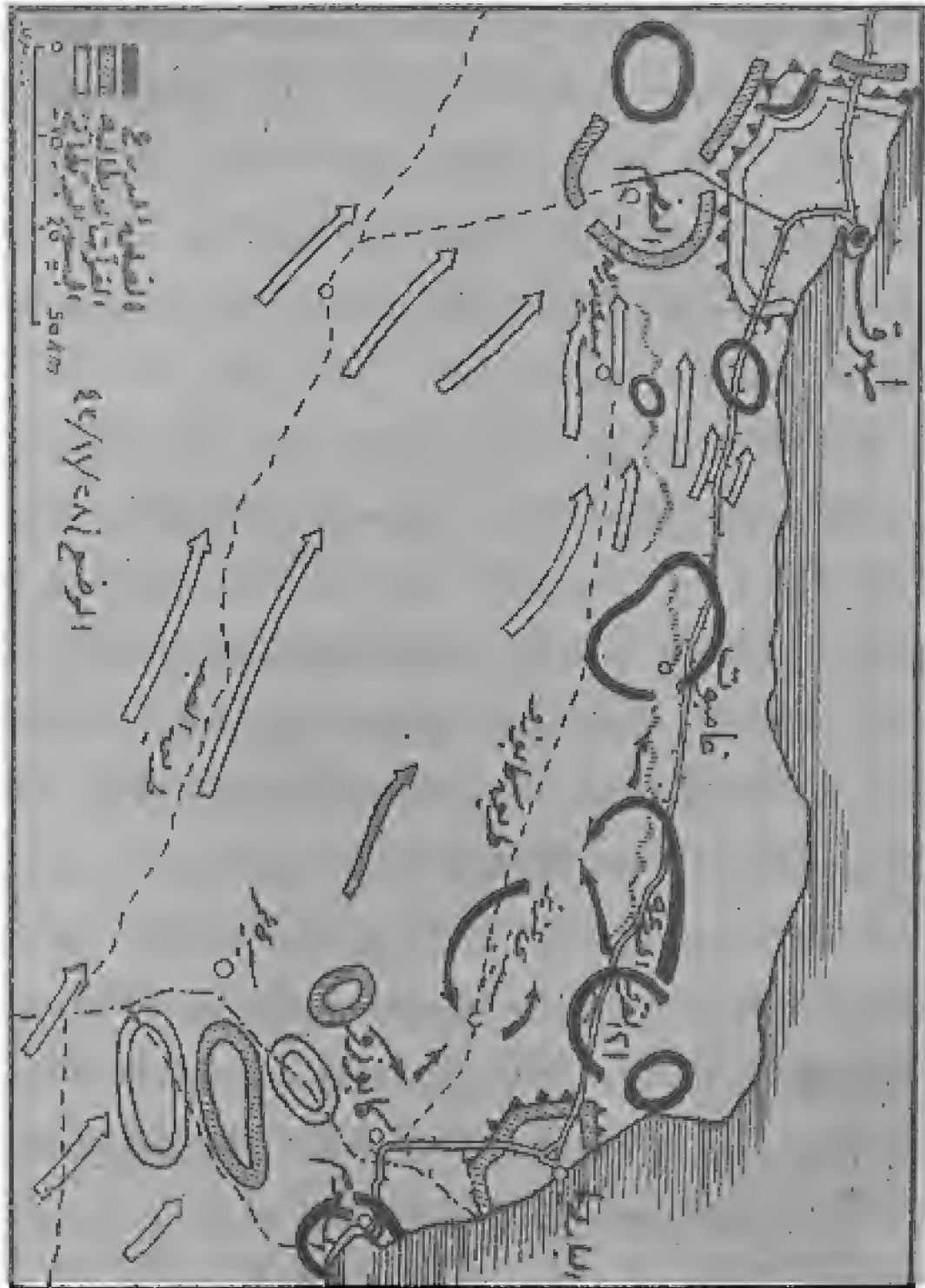
من الجهة الجنوبية في المنطقة التي ظلت حتى هذا الحين اكثر هدوءاً من الجهات الاخرى والاكتفاء باجراء التفاف فقط . وفي مطلع شهر تشرين الثاني كان يملك حوالي مئتي مدفع ثقيل . وكان ثقل المعركة يترتب على الفرقة الالمانية الخامسة عشر المدرعة وعلى الفرقة الالمانية تساندها فرقتان ايطاليتان .

وباحتلال الميناء في اليوم الاول يصبح الساحل كله عندئذ في قبضة الالمان . وبحكم انقطاع المواصلات والتموين عن الدفاعات الانكليزية تضعضع مقاومتها رويداً رويداً وتضطر الاستسلام . وان غارة بمائلة جديرة بالنجاح بالرغم من قوة التحصينات . ولم تكن الحامية من القوة للدرجة ان خطوط دفاعها في منجاة من نقاط ضعف قائمة في منظمة دفاعها العام . وكان يرمي رومل الى سوق الهجوم مباغتة في وحدة الحال والمحال . فقسم كبير من رأس المدور كان في أيدي الالمان . وما كان العدو ليظن بأثر الهجوم سينطلق هذه المرة من الجنوب الغربي . فالتحصينات فقدت كثيراً من قيمتها بسبب انكشافها في هذه الفترة من الزمن وتعيين اماكنها ونقاطها الهامة بفضل المراقبة والاستطلاع وتحقيق التجاوب لشروط وجودها وأهميتها . ومنذ طلوع النهار كانت الهواة يبدأ بالاشعاع مما يتعذر معه على المدفعية تمييز أهدافها بصورة واضحة ، كما ان المشاة ذاتها كان يصعب عليها اتخاذ الاتجاهات المقررة بين الدفاعات . وكان على الضباط استطلاع وتعيين اماكن القوات بدقة وعناية جلي كي تحتل القوات اماكن الانطلاق ليلاً وأن يكون بدء الهجوم عند الفجر دون تحضير مدفعي سابق . ولتسهيل تنفيذ الحركة اقتضى تقديم خط الجهة تبعاً الى الأمام الاقتراب من خطوط ومراكز العدو حسب توصيات واشارات الجنرال رومل .

ان استدراك طرق القتال الذي كانت تتبع في هذا المجال تبدت بوضوح ايضاً من قبل العدو الذي اعتمدها في قتاله . وفي أثناء الغارة على مرتفع



١٤٦ شوهد بعد احتلاله اربعة جنود اوستراليين بواسل فقط لم يتمكنوا في موضعهم من رد العدد الكبير من المهاجمين الذين استولوا عليه اخيرا الا بفضل حسن اختيار وتحصين الموقع المذكور . وعند استسلامهم لم يجدوا فيه سوى قتيابين وجريحين . بيد ان الساحة المقابلة لهذا الموضع



كان يتمدد فوقها تسمعون قتيلاً وجريحاً من قوات المحور . وقد أثرت هذه الظاهرة في نفس رومل تأثيراً عميقاً وملأت نفسه إعجاباً وإجلالاً بقوة هذا الدفاع المبين . واتخذته أساساً ثابتاً في انشاء وبناء المواضع الدفاعية مع الإشارة الى أن مرتفع ١٤٦ ليعتذر جداً سقوطه واحتلاله لو وجد على اطرافه واخلافه نقاط استناد ومقاومة متعددة وخاصة لو اشغل بقوة كافية وعزز بالأسلحة الآلية التي انفرجت امامها ساحات الرمي الواسعة ، لا كما شغله اربعة جنود فقط من الاوستراليين .

والحقيقة ان هذه الطريقة في القتال لا تلائم مزاج الايطاليين كثيراً . وهم يفضلون ذوماً الانطلاق والتقدم تكتلاً حيث لا يكتنفهم شعور مسؤولية الضابط العون الذي يعتبر اساس وقاعدة التدريب والتدريس في الجيش الألماني . وكان رومل يسوق حضائره المؤلفة من عشرة الى خمسة عشر جندي وملؤ جنائهم العزم والتصميم . وكانوا يعرفون كيف ينشؤون ويهيؤون في أقل من ساعة أو ساعتين نقاط استناد عديدة في باطن الارض ، يدعمونها بأكياس الرمل لحمايتها الخارجية ويحمونها بالأسلاك الشائكة ويقيمون أمامها حواجز من الاعشاب والقش للتمويه والاختفاء . وهكذا كان القائد الألماني يتصرف ليدفع خط جبهته الى الامام دون أن يشير انتباهات العدو وشكوكه . وهذه الطريقة في انشاء وبناء الدفاعات تيسر امكانية الاستغناء عن خنادق المواصلات مع الاستمانة فقط بملاجئ محفورة لتتمكن القوات من الاقامة فيها والاستراحة قريباً من مواضع الانطلاق . وانشاء حاجات المراقبة والامن حوالي ٦٠ برج مراقبة ارضية غير مشغولة وبالكاد ان لها الانكليز حتى صلتوا عليها نيراناً حامية مدة طويلة . هذا ما سمى اليه رومل من خدعة العدو كما انه ثبتت فيها بعض الاهداف الكاذبة الموهمة . ولم تكتشف البطاريات الانكليزية هذه الخديعة الا بعد وقت طويل كون هذه الاهداف غير حقيقية ، فكفت عن رميها ولكنها لم

تخل فيما بعد واستمرت تقوم بمهمة المراقبة بصورة ممتازة بالرغم من انها كلفت العدو خسائر جسيمة في الذخائر والمعدات واشغلتهم عن الاهتمام بأهداف أخرى أكثر أهمية .

بيد ان الصعوبات الاولى لم تتأخر عن اثبات عدم امكانية التغلب على طبرق ، واصبح من المؤكد عدم امكان احتلالها بدون سيطرة السلاح الجوي . ولكن القوة الجوية الحالية كانت تتناول أولا حماية قوافل التزويد البحرية للوصول الى الارض الافريقية سالمة ، وبالتالي حماية القوافل البرية السائرة على طريق طرابلس - السلوم وأخيراً المساهمة في القتال وقصف طبرق . فهذه السيطرة كانت موزعة القوى متعددة الاهداف لم تستطع تحقيق كامل الغاية .

وبناء على أوامر هتلر كلف الفيلق الجوي العاشر في شهر ايلول بحماية القوافل وقد فرض عليه أولا ايصال المدفعية الثقيلة والذخائر والوقود وخاصة الجيوش . وكان ينقص احدى فرق الفيلق الالمانى أربعة آلاف شخص وفيلق نفارينى الايطالى خمسة آلاف وثلاثمائة شخص لاتمام عدادهم . وقد ظهر ان الفيلق الجوي العاشر حسب تصريحات قائده الجنرال غايزلو Geisler ان الوسائل الموجودة لديه لاتكفي لحماية اكثر من نصف القوافل لانه ما كان يملك آنشد سوى ثلاثة أسراب كل سرب مؤلف من عشرة طائرات فقط . وكانت تموزه الطائرات المقاتلة . اذن فالمهمة الملقاة على عاتقه كانت عسيرة التنفيذ . وكان سربان فقط من أسرابه في افريقيا فاشتركت فوراً في العمل ولكن السرب الثالث كان في حالة استبدال ولن يكون شاغراً قبل شهرين . اذاً فهذه القوة كانت غير كافية لاسكات جزيرة مالطا وتحقيق السيطرة الجوية في آن واحد . وقد افاد مقر قيادة الفوهرر بقرب ارسال قنابل من وزن طنين ونصف الطن توضع تحت تصرف طائرات الهجوم لقصف طبرق . ان هذه الوعود

لم تنفذ ولا يمكن أن تنفذ لأن الفوج الجوي ما كان يملك طائرات باستطاعتها رمي هذه القنابر الضخمة .

وكان الإهمال المؤسف الذي تناول تشكيمات مقاتلات السلاح الجوي الألماني ظاهراً يبدو ويزداد يوماً بعد يوم . وكان من جراء هذه الإهمال وقوع القيادة في أخطاء لا ذاتية كما كانت يحول دون قيامها بواجباتها الضرورية لمصلحة القتال . وكان من العجز بل من المستحيل والحالة هذه تحقيق السيطرة الجوية . فكيف العمل لو توجب إجراء موقعة مزدوجة أي مهاجمة طبرق ورد هجوم العدو على جبهة الشرق في محاولة انقاذ طبرق ؟ إن وضع قوات المحور والوسائل الموضوعة تحت تصرفها لا تقرها أي إدارة عالية ولا تقبل بها قيادة عليا تعرف وتقدر الأمور وتحسب بالارغام . وقد حفرت حفرة هائلة غير قابلة الاجتياز بين القيادة والمنفذين . فمقرر مساعد الفياق الأفريقي ومساندته جواً بينما أمر الطيران الألماني في أفريقية الشمالية يعترف بأن كل الوسائل والقوات التي لديه تشغلها حماية القوافل فقط . وقد طغت كثرة المهات على هذا السلاح حتى أنه لم يتمكن من منع وصول سفن العدو إلى ميناء طبرق بصورة حاسمة مع العلم بأن الطائرات النفثة كانت جاهزة للصنع منذ عام ١٩٤١ ولكنها لم تبين بعدد كافية نهائياً إلا في عام ١٩٤٣ ولو أنها نزلت إلى الميدان في حينها لسكانت مباغنة هائلة لسلاح العدو الجوي . وبالفعل فقد كان الطيران الألماني يقذف كل يوم قنابره على القلعة المحصنة ولكنه لم يتمكن مطلقاً من منع وصول التموين والنجادات ، كما عمل العدو على تنظيم مسألة التجريم والشحن البحري تنظيمًا فائقاً . وكانت سفن التجريم الصغيرة تظهر ليلاً في الأوقات التي لا يمكن فيها للطائرات الألمانية اعتلاء الجو ، وقد نقصت طائرات نقل الجيوش إلى درجة مريعة امتنع معها أن كان نقل القوات الضرورية التي كان يطلبها قائد الفرقة المدرعة . وكانت القنصات

اللييلة مفقودة بالكلية وكافة المواد الضرورية غير موجودة .  
وتحت هذه الشروط غير المؤاتية كان يزداد اغراق السفن الناقلة  
بصورة مستمرة . ففي شهر تشرين أول تلقى الفيلق الافريقي عبر البحر  
١٥٨٨٤ طناً من التموين و ٥٥ مدفعاً و ٩٤٢ سيارة ولكن فقد منها  
٧٥٣٦ طناً و ١٨ مدفعاً و ٥٠٣ سيارات أرسلت إلى قاع البحر . وبالنسبة  
إلى مشحونات شهر ايلول ، قدرت الخسائر بـ ٥٠ ٪ في التموين ٥٠ ٪  
بالمدافع و ٧٥ ٪ في السيارات ولم يصل من العتاد سوى ٢٦٤٠ جندي  
بطريق الجو و ٥١٨٠ عن طريق البحر . اذا فلم يكن بالامكان تموين  
النقص في عداد الجنود واللقباء الذي بلغ في شهر آب ١٥٩٥٨ شخصا  
وكان ينقص المشاة ٧٦٧٠ جنديا وبطاريات المدفعية ٢٣٠٥ ، والوحدات  
المدرعة ٩١١ رجلا . وكانت الوضعية جد مرعبة وكان موعد مهاجمة  
طبرق قد حدد بصورة نهائية وكان بالفعل موضوع اتفاق تام بين هنري  
وموسوليني . فهل تنفذ شروط هذا الاتفاق بالضبط ياترى ؟

وقد تقرر انجاز هذا الوعد في النصف الثاني من شهر تشرين الثاني  
على آخر تقدير بعد أن تأجل أكثر من مرة . وقد أبدى الجنرال  
غامبارا Gambara الذي كان يقود الفيلق الاحتياطي المارابط في ميكاللي  
بعد الاعراضات الجديدة على اسان الجنرال بستيكو قائلاً : « ان موعد  
تنفيذ الهجوم يتوقف على امكانيات النقل : وهاته الامكانيات مع الاسف  
لا يمكن ان تتم حسب الرغبة والقرار . لقد غرق حديثاً كثيراً من السفن  
المشحونة واصبنا بخسائر فادحة واستطرد بضحكة هادئة قائلاً : لقد وعدنا  
الالمان بتأمين حماية القوافل بواسطة سلاحهم الجوي في سيسليا ولكنهم لم  
يوفقوا . ولذا فان فرقتي ترانتو Tarento وتريستا Trieste لم تستكمل  
عدادها حتى الآن . ونتج عن ذلك ان الفيلق الايطالي الآلي لن يكون  
مهيئاً في الوقت المحدد المضروب » .

— فأجاب رومل فوراً ان دافع البقاء يضرنا ويقتضى المهاجمة حتى بعدد منقوصة . وكما طال الوقت تأزمت الوضعية الراهنة بالنسبة اليها وتحسنت لصالح العدو . ان لدينا فرقتي المائيتين جاهزتين مع مدفعيتهما ، وقد آن الوقت لوضع حد لهذا التردد والتباطي . وأفاض قائلاً انه يتنازل عن المدفعية الإيطالية الثقيلة ويكفيه الاستمانة بفرقتي ترانتوا وتريستا في حالهما الحاضرة التي يعتبرهما كافيتين للمهمة المقررة .

— واذا كانت الخسائر جسيمة سأل غامبارا :

— ان هذا الاعتبار غير وارد مسبقاً . والمهم احتلال طبرق بغارة طارئة . فالعملية ان تتجاوز ثلاثة أيام على حد أقصى . فاذا تمكنا من الوصول الى الميناء في مساء اليوم الاول كما هو منتظر ان يبقى امامنا إلا عمليات التنظيف فقط وعندها يتقطع احتمال وقوع تفاعيل معادية على جبهة السلوم حسب المعلومات الواردة . ولو فرضنا جدلاً هذا الاحتمال فان الانكليز يحتاجون الى ثلاثة أو أربعة أيام على الأقل ليتمكنوا من تركيز قواتهم وسوقها للحركات القادمة . اذاً فان احتلال طبرق وانهاء تصفية حسابها ليتم عاجلاً في بون هذه الفترة .

بيد ان غنبارا اجاب كلا ! وليس في الامكان كما اعتبر اطلاق ترانتوا وتريستا بعدادهما الحالي للهجوم .

— ولكن موسوليني سبق ان أوعز بارسال خمسمائة جندي كل يوم عن طريق الجو فان النقص والحالة هذه سيؤمن في وقت قصير أجاب رومل . عندها هن الجنرال غامبارا كتفيه قائلاً :

— ان الامر لمسير ومستحيل التنفيذ . ولكن يجب مراعات الموعد المحدد اعاد رومل القول . والا فالعدو سيكون لديه الوقت الكافي لسوق عدد كبير من الفرق لا تقل هذه المرة عن خمسة عشر فرقة إلى مصر في هذا الشتاء . ولن يكون في استطاعتنا عندئذ ان نحافظ بمواضعنا .



الماربشال رومل مع ضباط أركانته يدرسون الوضعية الحربية على الخارطة

أما إذا تمكنا من احتلال طبرق بغارة فجائية عاجلة لن يبقى للعدو أي مبرر أو غاية للقيام بهجوم جديد لازالة جبهة السلوم . وكان من المستحيل تغيير رأي غانبارا وتحويله عن تصليه المطلق .

حقا اننا تلقينا أمراً بهاجمة طبرق اشار غانبارا ولكن هذا الامر لا يمكن ان ينفذ الا بعد وصول فرقة ليتوريا Littoria والعتاد اللازم لفرقتي ترانتو و تريستا .

ولاجابة طلب غانبارا هذا كان يقتضي الانتظار بعد ثلاثة اشهر . والانتظار طويلا معناه التنازل نهائياً عن المبادأة وافساح المجال للعدو للقيام بهجومه المنتظر بقوة لا تقل هذه المرة عن ١٥٠٠ مدرعة . وكان من المهم ازالة الحاجز القائم الذي يؤلف طبرق المحصنة . فيصبح عندئذ في مقدور الفيلق المدرع صد الهجوم الانكليزي . وكان رومل يعتقد ان في امكانه تحقيق هذه الغاية . واقترح كحل أخير أعطائه فرقة ترانتو وحدها واعدادها للعملية المهيئة ضد طبرق . وهنا رضي غانبارا وتنازل عن الفرقة المطلوبة مما ساعد رومل على رفع فرقة من فرقه واستبدالها بفيلق غانبارا المدرع وجعله احتياطاً استعداداً لهجوم تشرين الثاني . وكان يترتب على قوات غانبارا القيام بحركة التفاف فقط في منطقة السلوم ، مع وضع الاحتياط بكامله جنوب طبرق . انصاع غانبارا لهذه الترتيبات ووضع فرقة ترانتو تحت تصرف رومل ووعد بأن يسوق قواته الباقية من الخيلي الى منطقة بشر حكيم .

ومنذ الليلة القادمة اطلقت عملية « ميكاييل » Mikael مباغتة تحت حماية المدرعات . وفي حركة عاجلة امكن دفع خطوط الجبهة بكاملها باتجاه طبرق . ولم يبد العدو ازاء هذه المحاولة سوى مقاومة جزئية . وقد رد هجوم معاكس دون خسارة تذكر . واثناء الليل قامت القوات بتمويه واخفاء المواقع الجديدة بصورة متقنة وبشقي الوسائل . ولم يلاحظ العدو



ادنى تغيير في الخطوط الالمانية الجديدة وقد تم الوضع وتوطد بمبدأ عن الطريق وتحقق الشرط الاساسي الاول للهجوم على طبرق . احيط الجنرال كروفل Krowei قائد الفيلق الالمانى الافريقى والجنرال نافارينى Navarini آمر الفيلق الايطالى الحادى عشر علماً بالخطة الموضوعة لهاجمة طبرق .

وارسل كل ما امكن رفعه عن جهة الحصار الى الورا لتلقى التدريب الخاص بالغارة المقررة . . ووضعت النقاط على الحروف فيما يتعلق بالتعاون والتساند التارى بين المدفعية والمشاة المرافقة تحاشيا للاخطاء التى سبقت من نقصان المدفعية المذكورة ومساندتها مما سبب اخفاق هجوم هيد الفصح السابق بالرغم من النجاح البدائى الذى احرزته الغارات المشار اليها حيث كان يتوجب على هذه المدفعية ان تطلق نيرانها المباشرة على مدنى الرؤية . وقد أشار خانبارا الى امكانية انزال فوج فى اقضية الانكليز قريباً جداً من طبرق اثناء انطلاق الهجوم . وفى منتصف شهر تشرين الثانى بلغت عدد المدافع المركزة امام طبرق ٤٦١ مدفعاً منها ٤٨ مدفع خفيف و ٨٩ مدفع ثقيل للامان و ١٥٦ مدفع خفيف و ١٦٨ ثقيل للايطاليين .

وأعدت البطاريات الايطالية لاجراء القصف على الجانب الايمن ، والبطاريات الالمانية للعمل على الجانب الايسر . وبهذه القوة أصبح فى الامكان تحطيم الدفاعات القائمة عرض الطريق منذ الليلة الاولى ، وعلى هذا الوجه تعزل قوات نافارينى المنطقة اليمنى وتنطلق حتى الساحل بينما يشل كروفل Krowel الجناح الايسر . ثم يتلاقى الفيلقان على السهل الساحلى ويتقدما سوياً على طبرق . ولكن اليوم المظلمة فى هذه الايام من شهر تشرين الثانى كانت تغمر سماء الصحراء تسوقها الرياح الجائدية ، والامطار تهطل قراباً ، وزوابع الرمل تتحرك لتجيب السماء من أجل غاية خفية . ولم يكن فى الحسبان ان القتال من أجل افريقيا الشمالية سيصل قريباً الى زروته العليا فى اعنف مواقع غرقتها الحرب العالمية الثانية حيث فى اللحظة

التي يقرر فيها رومل الموعد المضروب للهجوم على طبرق ، كان العدو يطلق هجوماً واسماً على طول الجبهة المصرية . وقد وقع ما تنبأ به الجنرال الألماني واستدركه وكان يظن انه يسبق العدو في تدبيره وانتهاء احتلال طبرق قبل أن يتهيأ لهجوم جديد ولكنه سبق رومل بالمبادئة بقوات هائلة عديدة .

ان غاية الهجوم ( اعلان تشرشل في مجلس العموم هو تدمير قوات العدو المسلحة وبصورة خاصة قواته المدرعة ) وقد أصدر الجنرال اوكنليك Aukerlick القائد العام الجديد للشرق الاوسط أمراً يومياً الى قواته أمسية المعركة بتاريخ ١٧ تشرين الثاني هذا نصه :

« اذنت الساعة المضرب ضربتنا الجبارة من أجل الوطن والحرية ومن أجل الحصول على النصر النهائي . ان جيش الصحراء ليستطيع أن يسجل في كتاب التاريخ صفحة مظفرة لن يستبدلها بانتصارات بلنهام Blenheim ووترلو Waterloo » .

وكان أن لاحظ رومل في هذه الفترات ازدياد واشتداد القصف الجوي الانكليزي على قواعد تموين قوات المحور . احس باحتمال اقتراب هجوم العدو وقد بوغت في الثامن عشر من شهر تشرين الثاني عندما أخبر بارتفاع المعجاج وسحب الغبار الهائلة الفائرة السائرة القادمة من الشرق والمنذرة باقتراب جيش عظيم عبر الصحراء الشرقية .

# الفصل الرابع

## ازفت الساعة

Die Stunde Hat Geschlagen

استفاد رومل من الفترة التي اعقبت موقعة المدرعات في السلوم ليضع بعناية خطة الهجوم على طبرق بالرغم من كل الموانع التي صادفها ولكن العدو مع ذلك لم يظل بدون نشاط . وترك الجنرال ويفل الذي خانه الحظ في الظفر القيادة الى الجنرال اوكنليك . وتألف الجيش الثامن من جديد بقيادة الجنرال آلان كونيغهام « Allan Cuninghame » تحت امرته . وأخذت امكاترة ترسل الباخرة تلو الباخرة عن طريق الكاب ورأس الرجاء الصالح « Cape Bonne Espérance » حاملة الى ارض النيل الجيوش والمدرعات والمدافع والوقود وتجهيزات الشتاء وقطع الغيار والتبديل وكانت الفرق والاسلحة والمعدات الجديدة تفرغ كالفيض المستمر وتساق الى الصحراء الغربية . وكان النشاط يغمر المقر العام في القاهرة . واستعادت النفوس الثقة المفقودة كما أشارت الصحافة البريطانية بصورة ظاهرة . وليس لنا ان نعجب اذ تنبه رومل الى ان العدو كان يتحضر بشكل منقطع النظير في المعسكر المقابل ويجمع القوات الهائلة ليضرب بها رومل الضربة الاخيرة . واعد الانكليز عمارة جبارة قوامها ما يزيد على الف مدرعة تنتظر اليوم الميعن وتتقدم سيارات القتال بصريها وجريها المفزع .

وحشدوا ما يزيد على ألف طائرة أيضاً تنطلق في أجواء برقه لتفرق عبر  
الاجواء والالهوية القبيضة المتواضعة من الطيارين الالمان .

تحقق رومل عندها بأنه لم يعد لديه ساعة واحدة للاضاعة . واستوجب  
عليه أن ينهي حصار طبرق قبل أن تتحرك قوات اوكلنديك ، بيد ان  
حشد كامل القوات التي لديه على الجهة الشرقية بعث في نفسه شيئاً من  
الامل في النجاح بمواجهة الجيش الثامن . وكان رومل ينتظر بفارغ الصبر  
اسبوعاً بعد آخر تنفيذ وعود برلين وروما . وكان عليه ان يجاهد بقوة  
من أجل كل طن من التموين القادم . لقد دحر للمرة الاولى لا في  
ساحات الموقعة او أمام فرق كونيغهام ولكنه قهر تباعاً وهو يناضل ضد  
الوقت والوعود . أجل انه دحر بفعل السيادة العسكرية العليا الالمانية  
في برلين وقوى المقاومة المتينة السرية ولادة الكسل والمعجز عن التحرر  
من نظام الروتين في الدوائر العليا وعدم الكفاءة الممنية لسد الهوة الفاصلة  
بين الامر وبين التنفيذ . وكانت المؤن والذخائر تصل الى الجهة من شربان  
ضئيف وليس كالوج الذاهر والفيض الهاطل كما تقتضيه الحالة والموز .  
وازداد قلق الابطالين وطنى وتوسعت احتياطاتهم المتولدة عن الجزع والخوف  
من حركة واسعة قد تروا اهم لا يستطيعون مجابهتها .

وكانت الدوائر الالمانية والابطالية لا تعرف الشيء الكثير عن الجنرال  
كونيغهام ، ولا عن القائد الجديد للشرق الاوسط .

لقد كانا جنديان محترقان . وكان من الخطأ اساءة تقدير قدرتهما  
الحربية . وكانت التجارب المتعاقبة افهمت الفياق الاقربى بأن الاعداء  
قدوا من نسيج خشن وان جيوش الامبراطورية البريطانية تتميز في جموعها  
بقوة المقاومة والمصانة ولادة الخلق الانكليزي المتيد المشهور بالصناد الموروث .  
وكانت القوات الانكليزية المحاصرة في طبرق تحت قيادة الجنرال مورهيدي  
G. Morheid ، تقدم في كل يوم البرهان الثابت على هذه الصفات

وقد اثبتت موقعة السلوم بأن هؤلاء الجنود لا يرهبون الموت ولا يخشون الشيطان . وكان الشيء الوحيد الاكيد في هذه الحرب التي لم تهدف الى قتل الرجال ، الغاية التي لم يألفها الصديق ولا العدو ولا يقيمون لها وزناً . وكان الأسرى والجرحى يعاملون في كل من المعسكرين نفس المعاملة الشريفة التي يعاملها الجندي للجندي الآخر . والغاية المرجوة في هذا النضال هو تدمير المعدات الحربية الآلية والفنية فقط . فالجندي الذي لم يبق لديه غذاء ولا ماء ولا وسائل نقل ولا وسائل حماية ولا مدرعات ولا وقود ليس بعدو . فهو رجل أعزل سلمه القدر الى هذه الصحراء القريبة واصبح في حاجة الى مساعدة الرجال الآخرين .

وكان المفروض ان تساق الجيوش بمقتضى أفضل وضعية تعبوية والاقتصاد منها أمكن بالمعدات والوسائل الفنية . وكانت القيادة تقوم بدورها بصورة متقنة حاسمة اكثر منها في اي ساحة من ساحات القتال الاخرى . كان عليها أن تدرك على أي نقطة يجب مركزة الجهد او سوق المناورة السريعة الخاطفة او اعتماد التصميم الجريء الذي من شأنه ان يكسب قرار الموقعة البحرية للصحراء التي تتوقف على عوامل كثيرة . وفي هذا المدار نصب الجنرال رومل نفسه سيداً عظيم التدبير والترتيب .

ولسنا ننكر بأن ويفل الذكي الاكيد الكفو بدأ يقتبس ويستنير من الدروس التي تلقاها المرة بعد المرة . فهل في وسع كوينينغهام ان يستخلص لنفسه شيئاً من خبرة سلفه ؟ والواقع الذي لا ينكر ان الانكليز اعوزتهم المرونة التعبوية . كانوا لا يحورون بمحض اختيارهم خططهم عندما تدور الحوادث على عكس الاستدراكات التي اتخذوها سابقاً . وكانوا لا يعرفون فن قيادة الوحدات الكبرى المدرعة . وكانت طرقهم في القتال غير مضبوطة ولا ماهرة . ولذا كانت الهجمات الألمانية الماكسة تنجح في غالب الاحيان . والحقيقة ان طريقة قيادة رومل الفذة وأسلوبه التعبوية الصحيحة لم

لم تنجح من النقد . والمعروف بأن مكان القائد في القتال ليس في نقطة من نقاط الجيش الموزعة ، وليس له أن يفسق السياق الفارس الجامح . ان مكانه في الحل الذي يعقد فيه خيط الفاجعة وحيث يتمكن من الاستطلاع



### الوجه الثاني لموقعة الغزاة

التمام ، واعني في مقر قيادته حيث تقوم هيئة اركان حربه ، ولكن ماذا يعرف هؤلاء العلماء العسكريون عن الحرب الافريقية بالرغم من دراساتهم العسكرية الواسعة التي تلقوها وتلقونها في معاهد الحرب الاوروبية ؟

أين تعقد هذه الخيوط ؟ وأين توطد الارتباطات وأجهزة الاستعلامات العاملة بدون توقف ؟ فالأعصاب الحيوية تسمح بقيادة الأمور من الأعلى. فأمر البحر ( الأميرال ) الذي يستطيع ان يوجه الموقعة البحرية من المرفأ لم يلد بعد ، أو انه ما زال قيد الایجاد . وقد تبين بالبرهان الذي تحقق يوماً بعد يوم ، ان الالمان لم يكتسبوا تفوقهم إلا بطريقتهم الخاصة في القيادة ، لان هذا التفوق لا يتمركز في كثرة العدد وفي غزارة المعدات .

لم يكن رومل طيلة هذه الحرب يستحوذ على اكثر من أربع فرق المانية يقودها غالباً بذاته . وكان اوكنيليك يتخذ مقرراته وهو في القاهرة وكونينغهام يعطي أوامره من مقر القيادة ، بينما كانت رومل يعمل في الجبهة مباشرة ويتخذ قراراته وينفذها عاجلاً قبل ان يأخذ الانكليزية فكرة واضحة عن الوضعية القائمة .

دفع كونينغهام فيالقه في منطقة جغبوب وسيوا ، ووزع في الصحراء قواته البالغة ٧٥٠.٠٠٠ جندياً مع المصالح الخلفية الملحقة بها والتي تعيبت في عرض الصحراء الواسعة دون ان تخفى عن انظار قوات المحور . وكان عدد الخطوط الامامية حوالي ١٠٠.٠٠٠ الف جندي بما فيها عداد قوات سلاح الطيران والبحرية . وفيما يلي تشكيلات الجيش الانكليزي :

الفيلق الثالث عشر : تحت قيادة الجنرال غودوين اوستن  
« G. Godwin Austin » ويشتمل على :

— الفرقة النيوزيلاندية

— الفرقة الهندية

— اللواء المدرع .

الفيلق الثلاثون : تحت امره الجنرال نورية « G. Norrie » ويضم :

— الفرقة المدرعة السابعة

- اللواء الرابع المدرع
- اللواء الثاني والعشرين الآلي للحرس
- الفرقة الاولى لجنوب افريقيا
- الفرقة الثانية الاحتياطية لجنوب افريقيا
- يضاف الى هذه القوات فوج صحراوي لمهاجمة اتجاه جبالو .

وحاميه طبرق المشتملة على :

- الفرقة السبعون
  - اللواء المدرع الثاني والثلاثين
  - لواء المشاة البولوني .
- وضع كوينينغهام في الخط الاول ٤٥٥ مدرعة مجهزة بمدافع من قياس ٢٥ مم والتي كانت أقصر مرمى من مدافع مدرعات الفيلق الالماني . وظن رومل انه سيواجه في هذه المرة ما لا يقل عن خمسة عشر فرقة ولكن هذا الظن تعدل في الواقع الى درجة ما . بيد ان قوات الجيش الثامن كانت تفوق قواته تفوقاً هائلاً في العدد والمدة .

وكان الفيلق الافريقي لا يملك سوى ٢٤٩ مدرعة ويشتمل على :

- الفرقة المدرعة الخامسة عشر
- الفرقة المدرعة الاحدى والعشرين وهي الفرقة الخامسة الخفيفة التي تحولت اخيراً الى فرقة مدرعة .
- الفرقة التسعون الخفيفة وهي الفرقة الافريقية السابقة .

بيد أن حالة هذه الفرق تحسنت نوعاً ما بعد فترة راحة قصيرة بالرغم من انها كانت باستمرار في حالة تماس مع العدو منذ شهر آذار أي منذ نزولها الى افريقيا . وقد ذاقت أنواع المذاب والامتحانات القاسية من جراء سيف قاتل ، إذ كانت تمش على الملبسات والحفوظات وتعمل على إصلاح وترميم عجلاتها بمختلف الوسائل والقطع البسيطة ، وعانت الجوع



والعطش ، ونجمت مختلف الامراض الطارئة . وكانت نعمة منهوكة ولكنها كانت تشبه خيول فرسان الجيش التي تهتاج وتتراقص حال سماعها ايقاع أنغام أبواق الجند تدعوها للانطلاق الى الموقعة .

ولم تكن هذه الفرقة آلية إلا جزئياً . واذا كان بعض هذه الفرق آلياً فان نصف السيارات تكون على الأقل غير شاغرة او معطلة والنصف الآخر لا يسير الا بمونة القادر .

واذا اخذنا بعين الاعتبار الفرق الإيطالية ، فالبلق المدرع بما فيه احتياط الجيش الموضوع تحت امره ظاهراً كان يعادل في عداة قوات كوينينغهام القائمة في الخط الاول . فقيادة العدو تعرف جيداً كالقيادة الألمانية بأن القوى لا تقاس ولا توزن بعداد الجنود فقط ، بل ترتبط بموامل شتى اخرى تدخل قائمة الحساب والقيود . فالوحدات الإيطالية تؤلف عنصراً غامضاً ولا يمكن استعمالها والاعتماد عليها كلياً في مجال الحركات والعمليات الحربية المتينة .

وكان الجندي الألماني يعرف ذلك جيداً ولكن لم يكن محققاً دوماً في حكمه القاسي على حليف يلقى عليه دوماً أثقل الاعمال بدون حياء أو خجل وهو يتمتع بكل الصفات ما عدا صفات جندي من جنود رماة بوميرانيا « Boméranien » ( مقاطعة ألمانية في شمال شرقي ألمانيا ) او نقيب من نقيب مقاطعة شوابين « Schwaben » ( منطقة ألمانية واقعة في جنوب غربي بافاريا ) . وقد لاحظ الانكليز من مشاهدة الدفاعات الإيطالية انها كانت اقرب الى مواقع اصطياف منها الى مواضع معدة لهجبة القتال والقنابل الانكليزية . وكانوا يشاهدون عربات نقل إيطالية تقل صناديقاً او عية الفخار ( بروسلين ) ومفروشات لطاعم الضباط والنقيب بدلاً من الماء وللذخائر والمعدات اللازمة لهذه الدفاعات والحصون . وصادفوا كثيراً من الخنادق والاستحكامات على السفوح المقابلة لساعات الرمي من أسفل

ما عرف نظام انشاء الاستحكامات . وكانت تشاهدها قوات احتياط العدو المرابط في الخطوط التالية للخط الاول دون ملاحقته لاسرايا والتي غالباً ما كانت تقاتل وحدها بدون ضباط . وكانت بطاريات الدفاع الجوي الإيطالية



كثيراً ما تبدأ اطلاق نيرانها بعدما تلقى آخر قنبلة طائرة على الخطوط الدفاعية الإيطالية . وكان الإيطالي يمز رأسه عندما كان جنود الانكليز

يحدثونه بصورة ودية حبية عن عدد الوجبات الثلاثة التي يتلقونها يومياً في جيشهم بينما افراد الجيش الالماني لا يصيبهم سوى وقعة واحدة طيلة اليوم . والحقيقة فالجندي الايطالي لم يكن بالجيد ولا بالسيء . فهو ينتسب الى شعب مسالم هادىء لم تبق له اية صلة بروحية ونفسية جوقات الرومان القديمة . ولم يعرف الراحة مطلقاً منذ قيام الحرب الايطالية التركية ، وها هو يجد نفسه من جديد ازاء صراع عنيف لا أهلية له لمواجهته ومواجهته .

وكان يعوزه كل شيء كي يتجاوب مع هذه الاحوال القاسية . وانبدأ بالسلاح الى أن تنتهي باللاوازم المستوجبة . كان ينقصه التدريب والتعمرين . واذا كانت هيئة الضباط لا تنقصها الارادة الطيبة فانه ينقصها كلياً القدرة على اتخاذ القرارات الذاتية ، وهي نفسها مشلولة بسبب نقص الثقة بالنفس والاعتماد على الكفاءة الشخصية . وبينما يستطيع الفرد أن يتصرف والرئيس المون ان يتدبر استناداً الى الاسس التي هي قيد الاعتبار ، نرى ان الايطالي لا يستطيع العمل الا مع الكتل متتبعا الفطرة العمياء . وان يحمل هذه هذه الاخطاء كلها لا تقع على الجندي وحده ولكن على نظام يعتبر نوعاً ما مسؤول لاعتبار قواته اكثر مما هي عليه في الواقع والتي هي اكثر أهلية لمناوشات المستعمرات والقوات الوطنية منها لمجاهة عمليات الحرب الحديثة الضارية .

وكم من الأمثلة الرائعة الحربية والاعمال الفائقة العيانية التي تعاقبت في هذا الميدان امام بصر الايطاليين ومعهم تطلتها عوامل الشجاعة والاقدام والبطولة من جانب المعسكرين المتحاربين فيها استخفاف بالخطر واحتقار الموت والتي من شأنها ان تجعل من أفراد ووحدات الفرق الايطالية مثيلات الفرق الالمانية . وفي الواقع الثابت كان الفياق الالماني الافريقي وحده الذي يشكل فقط سلاحاً فعالاً حاسماً في أيدي القيادة العمامة .

وكانت القوات الإيطالية في واقعها وحالتها عبئاً ثقيلاً على الفيلق الألماني الأفريقي وعدداً منقوصاً لا يمكن أخذه بعين الاعتبار التام . وكم مرة كانت هذه الفرق سبباً في تأزم خطورة الأوضاع الجارية . وليس من الممكن ادراك هذه الأمور إذا لم تعرف تماماً عوامل النقص العديدة السائدة في القوات الإيطالية .

استدرك الجنرال أوكنايك مباشرة هجومة بضربة جريئة على جانب كبير من المفاجأة فعين جمهرة من قوات الصحراء Long Range Desert Group - مهمتها اقتناص رومل من مقره العام . نفذت هذه المحاولة الفاشلة في ليل ١٧ و ١٨ تشرين ثاني ، وبدلاً من مهاجمة قيادة رومل هاجمت خيمة مقر قيادة القائد العام في بيضا ليتوريا « Beda Littoria » وقتلت ضابطين وجنديين المانيين .

افتتح الطيران البريطاني الموقعة في صبيحة اليوم الثامن عشر . وكانت الأسراب تهدر فوق خطوط السلوم دون انقطاع ، بينما كانت الأسراب الأخرى تفرق الباريديا وغامبوت ومنطقة المعظم بأمولج الرمال والأحجار والفولاذ الذائب المتلاطمة . واستحوذت على السيطرة الجوية الكاملة . وكانت تحت قيادة الجنرال كوينينغهام والثالث منهم هو قائد الأسطول البريطاني . وكان يملك من الطائرات المقاتلة ضعفين ومن القاصفات وطائرات الاستطلاع والاستكشاف ضعف ونصف الطائرات الألمانية .

اجتازت طلائع الفرق المدرعة الانكليزية أسلاك الحدود الشائكة في جنوب سيدي عمر . ولدى وصولها القطار الليبي رسمت دائرة واسمعة للاتجاه صوب طبرق وقطع قوات المحور المراقبة في القسم الشرقي من ساحة القتال . وكانت الفرق الآلية تتبع الفرق المدرعة وهي مؤلفة من الانكليز وجنود جنوب افريقيا والنيوزيلانديين والهنود والاورستاليين وكانت مهمتهم خرق جبهة سيدي عمر وفتح مضيق خلفايا والطريق الساحلية الهامة

وتنظيف الارض المتوسطة والوصول الى الطريق الساحلية شرق طبرق .  
وهذه العمليات في مجملها منبثقة عن خطة ويفل أو بالاحرى إعادة خطة  
ويفل ذاتها والتي عزم على تنفيذها في ١٥ حزيران الماضي ولكن هذه  
المرّة بعداد ومعدات أقوى وأعظم .

استطاع كوينغهام الاستفادة بمهارة من سعة المجال ورحابة الارضاء لاجراء  
انشار قواته العديدة . وجرى حشد الجيش بموجب تغطية بارعة وتمويه  
منظم محكم ، كما احرست تماماً كافة المواصلات اللاسلكية في الايام الاخيرة .  
وكانت القوات موزعة على الوجه التالي :

الجناح الأيمن : ويشتمل على الفيلق الثلاثين وكان يضم :

— الفرقة السابعة المدرعة

— الألوية التالية : اللواء الرابع والسابع والثاني والعشرين المدرع

— جمهرة استطلاع جنوب افريقيا

— لواء الهوسار الحادي عشر وخيالة الحرس الآلية

— فرقة جنوب افريقيا

— لواء حرس الهوسار الثاني والعشرين .

الجناح الأيسر : ويتألف من : الفيلق الثالث عشر ويشتمل على :

— الفرقة النيوزيلاندية

— الفرقة الرابعة الهندية

— اللواء الاول المدرع .

وكانت تنقدم من جغبوب في الجنوب جمهرة صحراوية في عرض الصحراء  
باتجاه الغرب وتشتمل على مجموعتين للاستطلاع وكتيبة مدفعية وسرية مدافع  
ضد المدرعات .

لم تتمكن القيادة الالمانية من معرفة نظام الانتشار ، وكانت عمليات  
جمهرات الصدام الاولى تجري طبقاً للنهج المقرر . وفي المساء وصلت المدرعات

الى الخط الواصل بين سيدي عمر وبيير الغوبي بموازاة الساحل . وكانت هذه الاسماء في الصحراء اكبر من مدلولها ومفهومها ولم تكن سوي رمز باهت كثيراً ما يدل على مرتفع او بئر او صهريج ماء مجموع أو كومة من الاحجار او كلمة سيدي الدالة على وجود قبر ما كان معروفاً في السابق . وكانت الآبار والصهاريج مفقودة واذا وجدت عرضاً فهي لا تحوي ماء مطلقاً مما يفقدها كل قيمة عملية . وفي التاسع عشر من شهر تشرين الثاني التقت فرقة اريتيا الايطالية المدرعة التي كانت مؤلفة من مدرعات قديمة ليس لها قدرة على القتال الفعال مع القوات الانكليزية التي وصلت الى سيدي رزق القريبة من البحر في جنوب طبرق . ولم يحدث القتال إلا في اليوم الثالث حيث أعلنت رويتر بأن المدرعات الالمانية فصلت الى شطرين وان الشطر الهام منها يتربص في قطاعات كابوزو وغامبوت والشرط الآخر في جنوب طبرق . وعلقت الصحف الانكليزية قائلة بأن ٤٠٠٠٠ جندي حوصروا نهائياً . وتعددت التصريحات والاعلانات والبيانات الرسمية وغير الرسمية الكاذبة الواهية عن وضعية قوات الدفاع الالمانية الحقيقية . وكانت الدعاية المروجة ترمي الى إضعاف معنويات قوات المحور في الخارج والداخل مشيرة الى حدوث انتصار انكليزي عظيم الالهمية واعتبرت الاوساط العالمية السياسية والعسكرية بأن قوات رومل دحرت ودمرت نهائياً ، بينما الواقع كان بعيداً عن هذه الحقيقة كل البعد . وقدر العدو خسائر المدرعات الالمانية بعدد لم يسبق ان استحوذت عليها مطلقاً . وكانت الوضعية بدون جدال حرجية وصعبة ولكن لم تكن جدية الى هذا الحد . ولم ينظر رومل اليها نظرة اليأس القانط . وكانت بعيدة عن هذا الواقع الموهوم . وكان ابعد من أن يفكر بالخضوع والاستسلام حسبما كان يتصور العدو ويتوقع . وكانت الوضعية في ساحات القتال تظهر بوجه آخر وبصورة متفاوتة جداً . وقد فصل كوينفهام قواته المدرعة الى ثلاث مجموعات منفردة . وكان

هذا التصرف تصرفاً خطراً له محظوراته السيئة وغير القابلة للتلافي . وكان عليه ان ينبش الصحراء وأن يبحث عن قوات المحور لتدميرها بهذه القوات الكاسحة المتكئة . وقد وصل الجنرال كامبيل الى سيدي رزق ولكنه توقف عن السير بسبب نفاذ الوقود كما وقعت جمهرة الجنرال كـيـتـهـوس « G. Gatehous » المؤلفة من مدرعات جديدة مصنوعة حديثاً في المصانع الأميركية طراز هنيتمك « Honeytanks » واصطدمت بمقدمة مدرعات الفياق الافريقي التي دحرتها على الفور بسبب ضعف مرمى مدافعها التي قصرت عن مدى اهدافها ، واحترق كثيراً منها بفعل المدافع الالمانية من عيار ٨٨ مم . وبالرغم من مهارة مدتها لم تتمكن دروعها من مقاومة القذائف الالمانية . وكانت قذائف مدافعها من عيار ٣٧ مم لا تصل الى الاهداف المقابلة . وكان الالماني يرفقون قواتهم المدرعة بمحطائر رحبات سيارة لاجراء التصليلات العاجلة آنياً . وقد تبين بأن هذه التشكيلات كانت ذات أهمية عظيمة لادامة وصيانة واستمرار عمل القوات المدرعة ، بينما الانكليز كانوا يهجرون مدرعاتهم وسياراتهم المعطبة ولو جزئياً لعدم امكانهم اصلاحها في الحال . وكانت التشكيلات المذكورة لا تقتصر على تصليح المدرعات والسيارات الالمانية المعطلة فحسب بل حتى على اصلاح واستعمال وتجديد قسم كبير من آليات العدو الخربة .

وفي الواحد والعشرين من تشرين الثاني ساد الهدوء منطقة السلوم والبرديه ، وكانت الموقعة تبدو أكثر احتداماً وتمركزاً في المربع الواقع بين حصن كابوزو وسيدي عمرو وبئر الغوبي وسيدي رزق . وكان رومل يستعجل ايضاً خصمه . وقاد بنفسه أكثر من مرة هجوماً معاكساً مع جمهرة الاستطلاع التابعة للفرقة الحادية والعشرين المدرعة . وكان يعمل مسبقاً للحصول على فكرة واضحة عن جمل الوضعية الجارية لأن أغلب وسائل المواصلات والمخابرات اصبحت وتدمرت اثناء القتال .

وفي الثاني والعشرين من تشرين الثاني هاجمت الفرقة المدرعة الاحدى والعشرين حصن كابوزو مباغتة والحقت خسائر جسيمة بالعدو الذي ما تزال مجموعة كتلته تعمل على أطراف سيدي رزق . فقرر رومل مهاجمتها . وكان قصده الظاهر عدم التربص على الدفاع بل العمل على انهاك العدو ومعاجلته بضربات متوالية مرهقة .

هاجمت الفرقة الخامسة عشر والفرقة الحادية والعشرين المدرعان الوحدات الانكليزية في سيدي رزق بعد ظهيرة اليوم الثالث والعشرين ودمرت فرقة كامبل المدرعة التي كانت تدافع دفاعاً مستميتاً جباراً . وهذه المعركة التي تقابل فيها خصمان مضمهان عنيدان كانت نهايتها حاسمة مطلقة . وعقب الأزمة الشديدة التي عانتها قوات المحور تحوت هذه الى الجانب الانكليزي المهاجم . وعلى اثر ذلك استبدل الجنرال كامبيل الذي عمل كل جهده ووسعه في القتال بالجنرال ريتشي « G. Richtie » الذي لم يتمكن بدوره من تعديل وتبديل الحالة الراهنة واصبح الانكشاف والتراجع أمراً لا مفر منه وتوجب على ريتشي ان يتخذ نفس القرارات التي أراد اتخاذها كويندنغهام والتي بسببها رفع من قيادته .

بيد أن هجوم جمهرة المدرعات الالمانية المعاكس توالى تباعاً واستمر احتدام القتال في كابوزو ثم تجدد في سيدي عمر وبيير الغوبي والعظم . وتوفقت جمهرة المانية خفيفة سريعة من اجتياز الحدود المصرية والتوغل وراء قطاعات الخطوط البريطانية وراحت تزرع الرعب والهلوع في هذه الخطوط .

في هذا اليوم السعيد بدأ مصير الجيش البريطاني وكأنه معلق في خيط واه يكاد ينقطع . وكان يكفي ان تطلق الفرقة الاحدى والعشرين المدرعة هجومها الاخير لانها انخامة الاخيرة الفاجعة على الجيش البريطاني . وفي هذه اللحظة جرت حادثة مفاجئة غير منتظرة ولا مستدركة كالحوادث



العديدة المشابهة التي تحدث أحياناً في مجال القتال وسيره فتغير مجرى الحوادث فبدأت حادثة جديدة في غاية التطور . وبدأت هذه الحادثة المفجائية لما قامت الفرقة الحادية والعشرين بهجومها على سيدي رزق في الثالث والعشرين والرابع والعشرين من شهر تشرين الثاني إذ سمعت الوحدات الانكليزية في ابانها حركة دائرية واسعة ، وتظاهرت امام سيدي عمر وحسن كابوزو وفي جنوب سيدي عمر المعقل الصحراوي المتقدم بعيداً في الصحراء . لمحت مجموعة الجنرال فون رفنشتين « G. Von Ravenstein » على جانبها بعض المدرعات المعادية ولم يكن لديها آنئذ أي وقت للانشغال بها كما لم تعط مهمة الاهتمام بمثل هذه القوة المؤلفة من عناصر ضعيفة قليلة كهذه ، وليس لديها لحظة واحدة تضعها معها بالنسبة الى مهمتها الاساسية المقررة فتركها وشأنها واستمرت في اتجاهاها .

وهنا في هذه الساحة التي لا تتعدى عشرة كيلومترات فقط ، كانت يتمركز مستودعان كبيران لتكوين الجيش البريطاني الثامن . وكانا يحتويان على كميات هائلة من الوقود والذخيرة والماء والمؤن . وكانا خاليين من الحماية ومعرضان للهجمات الالمانية وموزعان ومموهان بصورة متقنة . أجل انها كانا بدون حماية وان المدرعات التي شوهدت لم تكن سوى أشباح تمويه واخفاء . وكانت المستودعات غير محروسة بتاتا . ومرت الفرقة الحادية والعشرين من امامها بدون مبالاة ، إذ لو انها فطنت اليها في ذلك الحين واستولت عليها لشارت حركة الجيش البريطاني الثامن في أقل من ساعة من الزمن . وكان في احتلال او تدمير هذه المستودعات تدمير الفرق البريطانية تديماً محققاً ، كما لم تفطن القيادة البريطانية في بادئ الامر الى هذا الخطر الهائل ، ولم ترتب مطلقاً في الامر لانه لم يكن لديها اية نظرة عامة عن سير فصول الموقعة ووجوها الخلفه . وامتلات القلوب الانكليزية جزءاً وربعاً عندما عرفت بالامر وعظمة خطورته ،



على الطريق الساحلية مما كان يسهل بذلك عمل المجموعات الألمانية المحاربة ويزيد في مصاعب العدو الذي اضطر ان يسوق كل تموينه عبر الصحراء. وفي أواخر تشرين ثاني تمكن الانكليز من الاتصال بنقطة من حصار طبرق . ولكن الفرجة اغلقت فوراً وامتنع الاتصال بفعل هجوم معاكس من قبل الالمان واعيدت دائرة الحصار على المدينة بصورة محكمة . ولم يعتر الوضعية في البرديه أي تعديل يذكر . ولم تتأرجح الموقعة إلا في جنوب غرب طبرق . وكان رومل يرى دوما في مدرعته يحول ويتنقل في الميدان وكثيراً ما أحاطت به بعض مدرعات العدو ولكنه لم يفقد مرة واحدة هدفه المعلن وكان ينسحب بقواته في اية لحظة وحسب مقتضيات الظروف بالرغم من الموفقيات المديدة التي حققها أثناء هذه الموقعة . كان يرى بصورة واقعية واضحة الوضعية العامة بكاملها . وما كان ليحزم بربحه الموقعة مطلقاً لعلمه أن قواته كانت اضعف بكثير من قوات العدو الذي كان يبعث إلى الساحات بقوات جديدة في كل آونة ،

وفي الرابع من شهر كانون الاول صدرت الاوامر الاولى لتثبيت مهمة جبهة طبرق . وبعد يومين قررت القيادة اجراء انسحاب معين تقرر منذ عدة أشهر الى موضع عين الغزالة . ففكت وحمت المدفعية الآلية فوراً كما تلقت حاميات البرديه ومضيق حلفايا أمراً بالثأرة على الدفاع والمقاومة حتى إشعار آخر .

ضعفت قوات الجنرال ريتشي ولكنها لم تفقد بعد عنادها ولا تنهك تماماً . وقد جرت معارك عديدة خاصة في هذه الاثناء . وكانت المدرعات الألمانية تهاجم العدو ثم تنسحب وتختفي بسرعة . واصبحت الوضعية غامضة الى درجة انه اختلط على المحاربين التمييز بين العدو والصديق . وكنت ترى بعض المدرعات تواكب سدنة المانية ، وسيارات ايطالية تحمل جنوداً هندية وسيارات انكليزية ترافق رتل المانيا وتنضم الى آلياته وتجتاز

معها المواضع الألمانية . وشوهدت سدة مدرعات ريتشي تحمي في طريقها المشاة الألمانية دون أن تفتن بأنها قوات معادية رهل بوسع هذه القوات سوق الاسرى وهي عطشى ايس لديها الماء للشرب ولا السيارات للنقل . وكانت مخافر العون الصحية تستبدل على التوالي الآمرة والراية . وكان الاطباء الالمان والانكليز يعملون جنباً إلى جنب دون أن يدركون اهمهم الاسير . وكانت الغيوم السوداء القائمة تسوقها الرياح الباردة والامطار المتدفقة اشد وبلا من حماة الصيف المحرقة ، وقد بدأ البرد أكثر تأثيراً مما سبق .

وفي السابع كانون الاول ظهر أن الجيش الثامن كان يستعد لاطلاق غارة جديدة بكامل قواته المجتمعة . فقرر رومل انتظار الصدام ثم استئناف الهجوم من جديد لطرد العدو بعيداً عن بير الغوبي . فاذا بدا له ان العدو ما يزال على قوته وبأسه فان المدرعات الألمانية تترد منسحبة تحت ستار الليل .

حاولت المدرعات الانكليزية في البداية نفس الارتباط القائم بين الفرقة الخامسة عشر والفرقة الاحدى والعشرين المدرعة ولكن هذه المحاولة لم تبد نفعاً وظلت بدون جدوى .

ولم تصل الفرقة المدرعة الايطالية التي تلقت أمراً بالهجوم الماكس في الوقت المعين وفي صبيحة اليوم أعطي الأمر للفرقة المدرعة بالانسحاب الى خط عين الغزالة وكان مقرها عندئذ غرب بير الغوبي .

ولكن العدو لم يلاحق طويلاً الفرقة التي تراجعت مع باقي الفرق الايطالية بانتظام تام . وبلغ عدد الاسرى الانكليزي ٩٠٠٠ أسيراً سيقوا الى الورا . وظهر بعد هذه النتيجة أن الشق الاول من الموقعه ظل غير معين بل مازال في جانب الجنرال رومل لان اوكنيلك لم يتمكن من تطويقه وتدمير قواته كما كان مؤملاً وحسبما اعلنت في تصريحاته

واوامره العديدة ولكنه لم يفقد الامل ولم يتخل عن قراره المصمم بمد . وكما أعلن تشرشل في مجلس العموم بتاريخ ١١ كانون اول بصراحته المعتادة « بأن اوكنليك سار في الثامن عشر من شهر تشرين الثاني مستهدفاً تدمير مجموعة القوات الالمانية - الايطالية في برقة البيضاء » ولكن الحادث لم يأخذ المجري الذي توقعه هو وغيره من المراقبين . وكان يبدو له مع ذلك كبير احتمال للوصول الى الهدف المنتظر وللغاية المؤلة . وكان الرؤساء العسكريون الانكليز يظنون كما أشاروا الى أن المدرعات الالمانية المحصورة تحاول إيقاف الهجوم البريطاني ولكن الظفر حال دون تحقق رغبة وامنية العدو .

إذاً كان المعتقد في لندن والمؤمل في القاهرة هو الوصول إلى الهدف وما سبق ان ظهر مرة لا بد انه سيعود الى العيان مرة أخرى . وافاض رومل حول هذا الموضوع قائلاً « ليس الامر مسألة احتلال برقة البيضاء او برقة الشرقية او هذه المنطقة او تلك في الصحراء . فالقتال لا يقرر الا بتدمير احد الخصمين وليس باكتساب او خسارة قطعة من الارض . فإغتنام الارض ليس معناه الغلبة ويحتمل أن ينتج عن هذا الكسب مساوئ غير مرغوبة . ولن يطل الوقت على اوكنليك حتى يلمس هذه البادرة وخاصة منذ ان ابتعد الجيش الثامن عن قواعد وخطوط تموينه ومواصلاته التي استطالت ، وبقاء الطريق الساحلية مغلقة عليه بسبب مقاومة مضيق حلفايا والبردية . فالمسائل التي كانت مستوجبة الحل عليه . فيما سبق بدأت تقع على اوكنليك وريتشي ، والرغبات القاعة استبدلت معسكروا بمعسكرو .

واجه رومل ضرورة التربص على خط الغزاة عند جبل الاخضر . كانت فكرة رومل الاولى عندما اوعز بالانكشاف تناول امكانية القاء قوات هامة في منطقة اجدايبه ومراده كما فكر ايضاً بالاحتفاظ بنواحة

جالو لانه كان من المعقول عندها المحافظة على برقة الغربية . وكان يحتمل ان يقطع الفيلق الافريقي ويعزله كما جرى له سابقاً أثناء تقدمه وما اكثر هذا الاحتمال ليس فقط من جبهة الخبلى واجدادية وحتى من جنوب واحتي مراده وجالو . بيد انه استوجب الا تخلى برقة الغربية الا بقتال الانكفاف . وكان ذلك الانسحاب يعني الحاق خسائر كبيرة وعظيمة قدر الامكان بالعدو .

إذا فالشق الثاني من الموقعة كان يبدأ الآن وما هو إلا ملحق لمعارك خاصة ومعارك متفرقة . وظن ريتشى ان العدو المنسحب أمامه غلب على أمره وانه سائر في طريق الاندحار وهكذا حادت الابواق تنفخ من جديد معلنة : بدأت بقايا الفيلق الافريقي والفرق الايطالية تهرب على طول طريق سرته باتجاه طرابلس ، وتم الوصول إلى الهدف وذلك بتدمير قوات العدو في الصحراء الغربية . وقد دحرت تقريباً كافة القوات المدرعة الالمانية . ولم يبق منها إلا قبضة من المدرعات تنجو بنفسها في اتجاه طرابلس الغرب ( اخبار روتر بتاريخ ٢٦ كانون أول ) .

فهذه البقايا من الفرق المدرعة الالمانية التي نوهت عنها اخبار الصحف كانت تقودها ارادة جبارة فولاذية وإسیرها عقل مجدد مبدع وفق خطة موضوعة مركزة وفكرة حربية واضحة . والحق فان مسؤولية عظيمة كانت تثقل الجنرال رومل . لقد ترك لوحده ولنفسه وكان يشحن حواسه وتفكيره لابداع ووضع قرار حاسم موفق يستطيع معه ان يبدل الوضعية الحربية الراهنة والسياسية معاً والتي لاتقل اهميتها عن الاولى من حيث استعادة الثقة المعنوية الوطنية والعالمية السكامة .

لم يكن بجانب رومل من يعتمد عليه في المشورة والتوجيه . وكانت برلين بعيدة جداً وأبعد منها ايضاً روما وحتى طرابلس الغرب ومن فيها من القادة الذين لا يعرفون شيئاً عن الحالة القائمة حتى ولا الامكانيات او

عدم الامكانيات التي تهيئها حركات الصحراء .

ولم يدرك رومل الا بعد وصوله الى عين الغزالة الرعب والهلع اللذين اطلقهما قراره المتخذ . فوطد مقره في واد صغير جنوب قرية الغزالة . وقد وصل الجنرال باستيكو في اثنا عشر من كانون الثاني بصورة مباغتة وظهر عليه القلق والاضطراب من سير المعارك ، وانشغل بالتدابير الواجب اتخاذها للحفاظ على اجديا خوفاً من محاولة العدو تطويق منطقة برقة الغربية . وطلب على الفور فرقة ايطالية سحبت رأساً من جبهة الغزالة لارسالها الى اجديا .

واعاد رومل ذكر المحادثات التي جرت بينه وبين باستيكو وظامبارا والتي ابدي اثناؤها لهذين القائدين ضرورة استعمال احتلال طبرق . ومحاولته الملحة معهم للحصول على موافقتها لاجراء هذا الهجوم بأسرع ما يمكن . وقد أجاب الجنرال باستيكو بكل حدة بأنه لم يكن قائداً عاماً إلا شكلاً وفي الوقت ذاته لم يشترك مطلقاً بصفته المذكورة في المعارك الاخيرة . وابدى رومل رفضاً مطلقاً لاي بادرة من هذا النوع يقوم بها الجنرال المذكور وافهمه بصريح العبارة انه في حالة أي تصرف مماثل يصدر عنه وفي شروط كهذه فانه يضطر لسحب قواته الالمانية من ميدان برقة البيضاء ويدع الفرق الايطالية تدبر شأنها بنفسها تاركا اياها للقياده الايطالية تتصرف بها كما تشاء واضاف قائلاً :

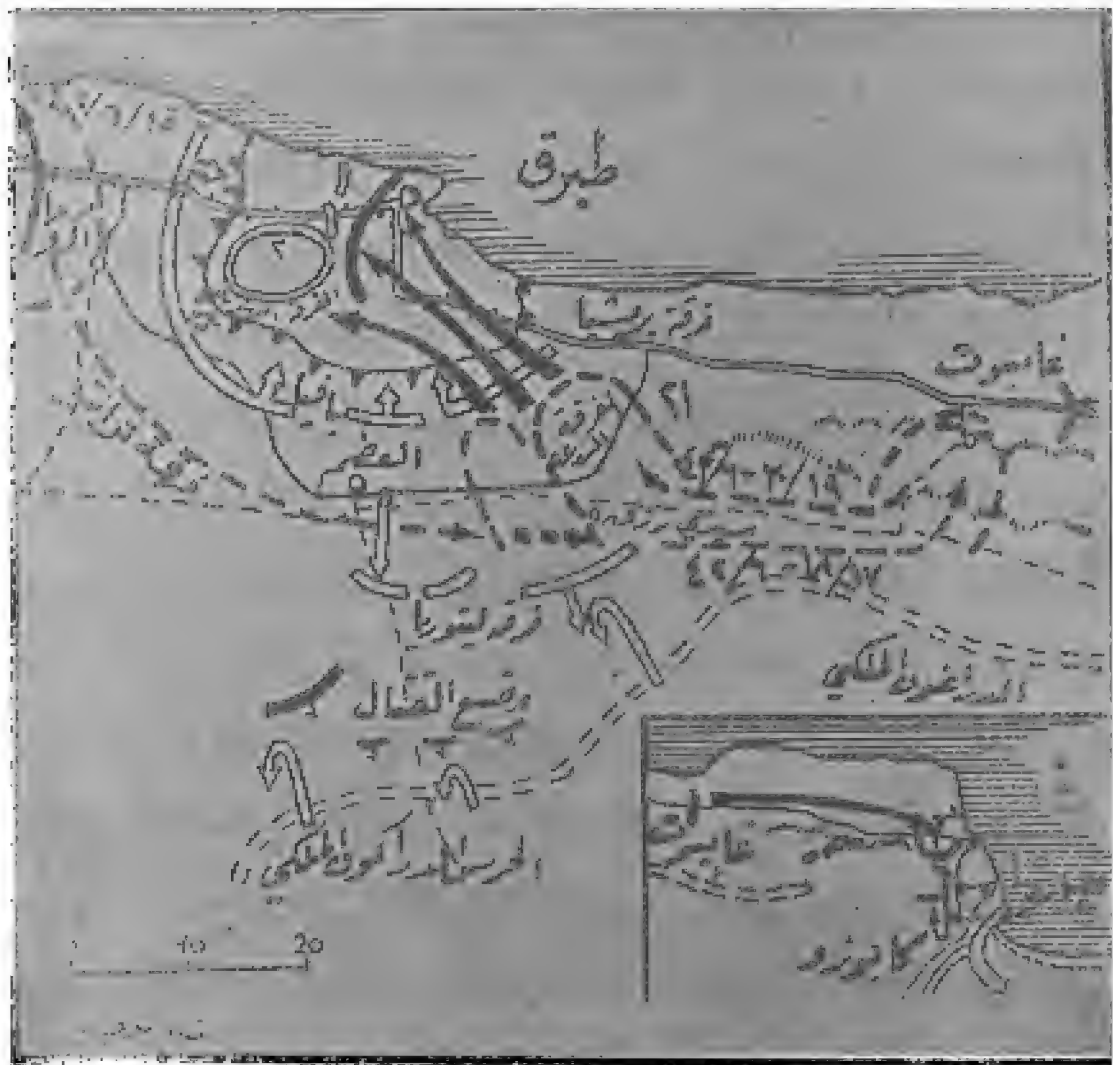
( اني واثق تمام الثقة بأننا سنوفق نحن بالمرور كما اني اثق جيداً بان الوحدات الايطالية عاجزة تماماً عن أن تنجو من هذا المأزق وان تمر بسلامة دون مساعدتنا ، كما اني ان اسمح مطلقاً برفع أي جندي ايطالي من هذا الوضع ) . خضع باستيكو فوراً ازاء هذا التهديد الشديد وسحب رومل فرقته واحدة بعد واحدة . ولم يترك في حالة التماس مع العدو سوى جبهات اعاقه تقاتل العدو وترتمي على اطرافه ووحداته بين الحين والآخر

سعيًا لتثبيت نظامه السائر الى أمد طويل . وفي السادس عشر كانون الثاني وصل ريتشي الى خليج عين الغزالة بقوات هامة جداً حيث تمكن من محاصرة القوات الألمانية . ولم يبق بعد سوى طريق واحد الانسحاب باتجاه تيممي . وبسبب المقاومة العنيدة التي كان الفيلق الافريقي يقوم بها اوشكت ان تقوده الى الضياع . وكان يتوجب عليه العمل دون ابطاء والا فالنهاية السيئة كانت قاب قوسين أو أدنى . اضطربت روما الاخبار المقلقة الاليمة الواردة فارسلت القيادة الإيطالية العليا فوراً الجنرال الكونت كافاليرو G. Conte Cavallero للاستعلام عن الوضعية الحربية العامة في ليبيا ووافق على قرار الانسحاب على الخبلي ودرنه . وقبل منتصف الليل بقليل وصل الجنرال باستيكو برفقة المارشال الألماني كيسرلنغ Kesserling والجنرال كافاليرو والجنرال غامبارا الى مقر الجنرال رومل وبكلمات متدفقة يؤيدها غامبارا طلب الغاء الانسحاب الصادر عن رومل وازاد بان ضياع برقة البيضاء الفرعية ليحدث نتائج سياسية غير متوقعة لموسوليني . اذا فالمرغوب الحؤول دون سقوطها في أيدي العدو مهما كلف الامر . وكان المارشال كيسرلنغ يؤيد هذه الفكرة وابدى ملاحظته على عدم اخلاء مطار درنة اخلاءً منظماً .

رفض رومل كل هذه المقترحات واجاب قائلاً : لقد صدرت الاوامر وبلغت في حينها ونفذت على الفور : فان رغبتكم ألا تتعرض القوات المدرعة للهلاك والتدمير الحتم الكامل فما عليها الا قطع التماس مع العدو والانسحاب اثناء الليل ذاته . ان الامر المهم عندي يتعلق بمعرفة ما اذا كنتم تريدون تضحية هذه الجبهة المدرعة وبرقة معاً وبالتالي اضاءة طرابلس برمتها أو ان تحافظوا عليها جميعاً والانسحاب الى منطقة اجدابيه وتقبل هذا الانسحاب والانكفاف . هذا هو الحل الوحيد والاخير الذي أستطيع اعتماده فاخترتوا ماتحبون وترغبون .



أدرك المارشال كيسرلنغ والجنرال كافاليرو في الحال صحة نظر رومل وتحقق لهما ان لامناس من قبول قراره ، والا فالنتيجة المعلنه ستكون الواقع المحزن المنتظر . بيد أن الجنرالين باستيكو وغامبارا ظلوا بعيدين عن فهم نوايا ومقاصد رومل الحربية الدقيقة . وقد فقدوا السيطرة على اعصابهما . وكانا يفرضان بصوت عال وجوب استعادة القرار الصادر وابطاله . فنظر رومل وتأمل في وجهي الجنرالين وظل صامتاً برهة ينتظر باستغراب وتعجب موقف ووضعية هذين الرجلين الضعيفين وسأل الجنرال باستيكو بصفته القائد العام للجبهة الليبية قائلاً :



احتلال طبرق في ٢٠ حزيران ١٩٤٢

كيف يقرر بعرفه ومعرفته الطريقة المتوجبة لتعديل وتقويم الوضعية .  
وقد لوحظ عجز الجنرال المذكور عن الاجابة واعطاء أية فكرة ايجابية  
على السؤال المعروض .

إذا بصفتك قائداً عاماً لهذا الجيش أجاب رومل قائلاً ما نصه :  
انك لست هنا لعرض مقاصدك ولست تحت عامل الضرورة لاجراء  
ذلك . ان عليك ان تؤكد قراراً فقط بضرورة ايقاف انسحاب الجيوش  
ابتسم رومل ولكن لم تكن البسمة الطيبة التي غمرت فاهه . عرف  
وتأكد انه وحده ، ووحده الذي يجب عليه ان يتحمل المسؤولية الكبرى .  
وفي اليومين التاليين ، استؤنفت محادثات جديدة حول هذا الموضوع  
الخطير بحضور القادة الايطاليين والمارشال كيسرلنغ في غيوفاني سانتيرتا  
Giovani st. Berta وهي القرى اليانعة من المستعمرات الايطالية ثم في  
بنغازي مرة أخرى وبعد أخذ ورد وتفهم وقناعة رضح الجميع لقرارات  
رومل ولم يبد أحد منهم أى اعتراض هذه المرة .

وما كانت عمليات الانسحاب المقرر لتتطلب أقل مهارة وجراً وتديراً  
من قبل القيادة الالمانية بالنسبة إلى العمليات الحربية السابقة الدفاعية  
والهجومية التي جرت في مناطق وقطاعات السلوم وكابوزو وطبرق . ان  
هذا التراجع لم يكن حركة فرار ونجاة بل عملية انكفاء قوامها مجموعة  
من الممارك الانكفائية . كان على الوحدات المتراجعة مهاجمة العدو وايقافه  
طويلاً ثم الانسحاب بانتظام . سقطت عاصمة برقة الغربية سرائيك يوم  
عيد الميلاد ووصل فيلق نافاريني والفيلق الافريقي الى خطوط اجدايه  
حسب الخطة المقررة دون حادث يذكر . وفي ليل ٢١ / ٢٢ كانون  
أول شنت احدى وحدات المغاوير ( الكومندوس ) غارة جريئة للغاية  
حيث هاجمت مطاراً ايطالياً في هذا المكان واحرقت اربعة عشر طائرة  
في المطار ولكن اعيد الامن فوراً إثر تلك العملية المفاجئة .

وفي الأيام التالية توغل ريتشي متقدماً إلى الامام ولكنه أصيب بردة خائبة دامية . وقبل اول العام أضاع وفقد ما يقرب من مائة مدرعة . وقد أحبطت القيادة البريطانية علماً بهذه المفاجئة غير المنتظرة . وشعر الانكليز بالخطأ الناجم عن سوء تقدير قوات العدو المقابلة التي كانت تفوق وتعدى استنتاجاتهم وظنونهم ومعلوماتهم عنها مما يستدل على انهم لم يتعلموا من الدروس السالفة ما يجب الاحتياط له في الحاضر .

وفي مجرى الاسبوع الاول من شهر كانون الثاني ١٩٤٢ توطد خط القتال الاساسي على المواضع المهيئة في مراده وماتن جفر ومرسى البريغا واجريت عمليات التنظيم والتوطيد ووضع الجيوش في اماكنها المعينة بكل هدوء ونظام . وبما ان خطوط المواصلات والنقل قصرت كثيراً عن السابق فقد تحسنت أعمال التموين وانتظمت يوماً بعد يوم ، وانتهت المناورة على اكل طرز ونسق . ولو حاول الآن ريتشي القيام بهجومه المنتظر بقوات ساحقة فلن يشكل بعد اليوم خطراً يخشى أمره .



# الفصل الخامس

## الظفر

روميل يتزرع بالصمت والعمل

Der Triumph . Rommel schweigt und handelt

فشل غرازياني في الهجوم الذي أتينا على ذكره في الفصول السابقة وعزى هذا الاخفاق غير المنتظر الى عوامل عديدة نخص بالذكر منها ما كان يتعلق بحالة الجيوش المعنوية والمادية وعدم كفاءة القيادات الملاحقة ، ولكن الحقيقة والواقع معاً يبرزان عاملاً اضافياً آخر ، واذا شئت قل سبباً هاماً كان أبعد مدى وأعمق تأثيراً على ذلك الهجوم الفاشل والذي تمكن اسراره في طبيعة الصحراء بالذات . ومن البديهي القول بأنه لم يكن في وسع المارشال غرازياني قط اخضاع وتسخير مساحات الصحراء الواسعة الامتناهية ذات الخطورة الراهنة . ونلاحظ دلياً بأن الجنرال ويفل الذي يعتبر أحد القادة البريطانيين القلائل ممن اشتهروا بكثرة الحذر وشدة الحيلة عانى هو ايضاً تجارب الصحراء التي عجم عودها طويلاً ثم جاء دور رومل . وانتقل الآن دور التجربة الى الجنرال اوكنليك . وكان كل غاية هذا الاخير وقصده الاوحد احتلال طرابلس الغرب ووضع حد نهائي للنزاع العنيف القائم في شمال افريقيا ولكنه توقف امام موضع مرسى البريقا وقوات روميل الدفاعية التي تحوات مع الزمن الى جيش مدرع بكامله . ولم يستطع اجتياز منطقة اجدابيا وقد التقى كل من الخصمين

وهما في أقصى حدود الطاقة . فقررنا مجبرين على التوقف نهائياً عند هذا الحد .  
وبالفعل كان الجيش الثامن البريطاني تعباً منهوكاً . وبالرغم من احرازه  
نجاحين متواليين ، احدهما دشن مطلع العام ولكنها لم ينجحاً في تغيير  
الامور تغييراً مذكوراً . سقطت البردية بعد دفاع عنيف ومقاومة مجيدة .  
ومضى مضيق حلفايا في المقاومة الجبارة وظلت الحامية الصغيرة المدافعة  
تقف سداً حائلاً منيعاً يضطر العدو الى سوق تمويهه عبر الصحراء سالكا  
دروباً طويلة متعرجة تضيق الوقت وتتلغف المعدات والآليات . وبحكم  
هذه المقاومة المستعصية على العدو استطاع الرئيس باخ ان يقدم الى الفيلق  
الافريقي وقوات المحور مساعدة لا تقدر . فوقعة الاعحاء التي كانت  
الجنرال روميل يقودها في سيدي رزق وهجمات العديدة التي قام بها في مجال المربع  
المعروف ، وأخيراً عملية الانكفاء التي سيرها في منطقة اجدابيا تكللت  
كلها بالتوفيق التام ونجحت بفضل التغطية والحماية التي اجرتها حامية مضيق  
حلفايا الالمانية ، هذه القوة التي انعزات تماماً عن كل اتصال وارتباط  
وتأمين مباشر طيلة اسابيع وقد اعوزتها الذخيرة والتموين والماء  
والغذاء ووصلت الى أقصى حدود المقاومة الطبيعية في منتصف كانون الثاني  
حيث وجدت نفسها مرغمة مضطرة الى القاء السلاح والاستسلام بعد نفاذ  
الذخيرة الكامل . وكانت تبدو على الوجوه الباسلة المستسلمة الى القضاء  
ملاح وتقاطيع الارهاق والتعب والاجهاد . وقد انتزع الرئيس باخ وكما  
كان يسمونه جنوده « الاب باخ » اعجاب العدو وأصبح هذا الاسم معروفاً  
جيداً لا في معسكر المحور فحسب بل في معسكر العدو ايضاً . ولم يكن  
هذا الاسم المأهول عنوان شهرة دائمة في صفوف القوات المدرعة الالمانية  
فحسب ، بل كان اكثر شهرة ومعرفة في المعسكر الآخر . وللمرة  
الثانية في حياته العسكرية سار هذا البطل على طريق الاسر ولكن للمرة  
الاخيرة حيث لن يشاهد بلاده ووطنه بعد اليوم .

قضى القسيس المحارب نحيبه الاخير بعيداً عن الوطن الذي أحبه وجاهد في سبيله حتى الموت بعد ان سجل في صفحات تاريخه العسكري اروع البطولات إثر نزلة صدرية حادة وهو في طريقه الى معسكر الاعتقال .

فاذا كانت هاتان الموقعتان من الاسباب التي حسنت الوضعية البريطانية بيداهما كانتا غير كافيتين لوضع حد نهائي لمشاغل الجنرال او كنيلىك وحل مسألة التموين المعطلة . وكان الاسرى الانكليز يشتكون كثيراً من الاطعام الذي كان أوفر بكثير من الطعام المخصص للجيش المدرع الالماني الذي كان اهم مواده مازال مكسباً في المخازن والمستودعات الخلفية بانتظار النقل او سقط معظمه في ايدي العدو . وبالإضافة الى هذا النقص نرى ان الفرق الانكليزية عانت في منطقة السرت نقصاً مريعاً في الوقود كما كانت تقاسي اعراض الشتاء الشديدة وعواصف الامطار التي كانت تجول اراضي الصحراء الى مستنقعات تغمرها الوحول التي كانت تسد السبل والمنافذ على وسائل النقل وتعطل الحركة تعطيلاً شاملاً .

وكان شعور الجيش الثامن بعيداً عن فكرة الاقتناع بأنه كسب المعركة الدائرة وبالعكس كان يظهر على وجوه افراده وجنوده اثر انهيار العزيمة ، والا فليس ما يبرر توقف وتأخر سير الحوادث عن الاستمرار . كان روميل على علم تام بمعنوية العدو المتفجرة ومعنوية جيشه وقواته التي لم يخالجها أي شعور بالاندحار التام ولا أي اعتقاد بأن الموقعة انتهت امرها وتقررت نهايتها . وكان ينتظر اول فرصة مؤاتية للانتقال الى الهجوم والانقضاض على العدو . وكان يقضي الاسبوع الاول من شهر كانون الثاني في تحضير خطته بكل سكينة وهدوء . وفي اليوم الثالث عشر من الشهر الجاري عين لاحدى وحداته الالمانية موضعاً بدائياً للقيام بالهجوم واعتمد اطلاقه بين الساحل وقرية السويرة دون ان يهتم باحتمال انطلاق غارة انكليزية من هذه الناحية . وكان عليه ان يتصرف ويعمل .

وكان يدرك جازماً بان كل دفاع ثابت نهايته الاندحار مهما طال امده . اذاً فالدفاع يجب ان يسير بطريقة هجومية وان يعين له هدفاً ثابتاً غايته اضعاف وانهاك قوات العدو المهاجمه بانتظار التحول الى الهجوم المقرر .

تحسنت اعمال التموين نوعاً ما ولكن ليست بالنسبة المطلوبة . ولم يكن هناك اي احتمال باستكمال عداد الفرق الالمانية المنقوصة . ولم يصل من القوات المنتظرة غير سرايا معدودة من فوج المظليين . وقد انبأت المعلومات الواردة عن العدو بأن عداده كانت منقوصة ايضاً وأدنى من عداد القوات الالمانية في كثير من النقاط الاساسية في الجبهة . اذا فقد كان في حيز الامكان اطلاق هجوم عنيف على العدو وتدمير كتلة قوات ريتشي المتقدمة .

اصدر روميل امر الهجوم المقرر في ١٨ كانون ثاني . وفي الفد تقدم الفيلق الالمانى حتى شرق العقيلة في عاصفة رملية هائلة . وفي الواحد والعشرين صباحاً انطلق الجنرال الالمانى على رأس جمهرة الزعيم Mark ليقودها عبر حقول الالغام المزروعة في شرق مرسى البريغا ، بينما سلك الفيلق الافريقى طريق فيا باليا والى الجنوب من اجدايا توفق في احتلال قرية انتيلات .

لم يكن العدو ينتظر مثل هذه المفاجئة ولم يستدرك مثل هذه العملية المحتملة بالرغم من الغارات الاستطلاعية التي قام بها في منتصف كانون الثاني للاستعلام عن قوات المحور . ومنذ اللحظة التي ظهرت فيها المدرعات الالمانية في ساحات القتال انهارت الجبهة البريطانية على الفور . وفي أقل من ثلاثة ايام تحول التقدم البريطاني الى انسحاب ثم الى اندحار تطور فيما بعد الى هزيمة مطلقة بسبب نقص الوقود وفقدان عمل القيادة التام وسيطرتها على الوضع مما يدل على انها كانت فاقدة التوجيه والاتجاه .

لم يباغت الجنرال ريتشي وحده بل شملت المباغتة كلا من معسكر

العدو والممسكر الايطالي ومقر القيادة الالمانية العليا والعالم ايضا . لقد ظل رومل صامتا وترك الجميع في غيبوبة عميقة وجهل تام عن مقاصده ونواياه . ومما قاله في عرض الحوادث أخيراً مانعه :

« لقد أثبتت التجارب بأن الايطاليين لا يحفظون سراً . وكل ما أبقى الى روما كان يصل الى علم العدو بسهولة وسرعة . وقد اهتممت بإبلاغ القيادة العامة امر الهجوم الصادر في ٢١ كانون الثاني واحيط الجنرال باستيكو وهو في الخمس عاماً بالهجوم ولكن متأخراً . ولم يهتاج الأمر لعدم وصوله في حينه ولم يتمكن من اعلام روما الا بعد ان سالت الامور المطلوبة مجرأها المقرر ، ولم يستغرب قدوم الجنرال كافاليرو بعد عدة ايام من الهجوم ليتصل بي شخصياً في مرسى البريغا » .

وجلب كافاليرو معه توجيهات من الدوتشي يوصى بها بوجوب استئناف القتال وملاحقة العدو بواسطة القوات الآلية وحدها ولزوم بقاء قوات المشاة في اماكنها . ولاحظ رومل بأن هجومه لم يكن موضع موافقة روما مطلقاً وانه ينتظر بين اللحظة والاخرى تلقي الاسر بايقافه بالسرعة الممكنة ، حتى أن الجنرال كافاليرو صرح بالذات قائلاً : « ان العملية في نظري لا تتمدي خروج هجومي من الخطوط للعودة اليها حالاً » ولكن رومل لم يصرح بكامل فكرته واجاب بأنه سيلاحق الجيش البريطاني الثامن ليصفي معه حساباته تصفية عادلة عاجلة بقدر ما تساعد قواته وتسمح به وسائل تموينه . استمر الجيش المدرع في انطلاقه من جديد . وكانت الضربات الاولى التي انزلها بالعدو مؤثرة ساحقة . وكانت رومل يعلم ما يدور في خلد روما من الافكار التي لا تؤمن بأي تطور ممكن الاحتمال من شأنه أن يبدل الوضعية القائمة ولا ان تقتنع بما كان يؤمله رومل من الموفقيات المنتظرة . ولكن الواقع الذي كان يستهدفه رومل بحكم معرفته للحقائق الواضحة عن العدو الذي سيطر على قواته شعور



اليأس ووهن العزيمة واحتمال الخضوع والاستسلام ، كل هذه العوامل التي تحققها كشفت له عن النتيجة المتوقعة وهي ان العدو قهر حتماً وغلب على أمره . واندحر نهائياً .

وعند رومل بأنه على استعداد للعودة الى خطوط البريغا الدفاعية اذا لزم الامر . ولكنه في الواقع كان يهدف الى غاية كبرى بعيدة المدى . وأقسم عليه الجنرال الايطالي بأن يتنازل عن مشاريعه ومقاصده الخطيرة واكتفى رومل بالاجابة على هذا الالحاح بأن هتلر وحده يستطيع تعديل نواياه . و اضاف مؤكداً بأن القوات الالمانية وحدها هي التي ستقود المعارك الجارية واكتفى كافاليرو أخيراً بالانسحاب متمتماً بعدم قناعاته بأقوال رومل ولم يتأخر عن الانتقام من محدثه بأن أوعز الى الفيلق الايطالي بالبقاء والتربص في موضع البريغا ومنطقة اجدابيا وتم له انتزاعه واخراجه من قيادة الجيش المدرع الالمانى . وبالرغم من هذا التصرف الشائن الذي تدبره القائد الايطالي لم تعجز القوات الالمانية وحدها عن استعادة برقة واحتلالها مرة ثانية . وفي الثالث والعشرين من شهر تشرين الثاني عند الظهر تقدمت الوحدات الالمانية بعيداً نحو الشرق مما ساعد الاسراب الجوية الالمانية على الهبوط في مطار اجدابيه بعد ان نظف من الالغام التي وضعت من قبل القوات الانكليزية قبل انسحابها . وكانت هذه الاسراب مؤلفة من طائرات شتوكا Stukas ومن المقاتلات الحديثة المعدة لمساندة القوات الالمانية الزاحفة .

وفي الرابع والعشرين من شهر كانون الثاني بدأ رومل انطلاقه الجديد ورتب قوات الفيلق الالمانى على النسق التالي :

الجناح الايمن - الفرقة المدرعة الالمانية الخامسة عشر .

الجناح الايسر - الفرقة المدرعة الحادية والعشرين ، والتي عرجت

على انتيلات نحو الجنوب وتوجهت على جبهة واسعة باتجاه مآتن جفر .



المدرعات الألمانية تصطف امام سراي اجدايا في مقاطعة برقة

الجمهرات المساعدة }  
 جمهرة مارك ومهمتها الانطلاق نحو الشرق لا كمال  
 حركة التطويق المطلوبة .  
 جمهرة ايطالية آلية دجت مع الجناح الايمن .

واثناء هذه الحركة توفقت بعض اقوات الانكليزية من الافلات والنجاة  
 فارةً باتجاه مزوس . ولم يتأمن الارتباط بين الفرقة المدرعة الحادية  
 والعشرين وجمهرة مارك سراعاً ولكن كتلة القوات الانكليزية حوصرت  
 كلها ودمرت تدميراً كاملاً . واستتوات القوات الالمانية في جنوب ساتو  
 على ١١٧ مدرعة انكليزية و ٣٣ مدفعاً وسيارات عديدة وما يزيد على  
 الف اسير . وفي ٢٤ الجاري عند الظهيرة خلت كافة المنطقة الجنوبية  
 الشرقية لاجدايه من العدو الذي فر في اتجاه الشمال . عادت الوحدات  
 الالمانية فوراً الى اجدايه وانطلقت في السعد للهجوم على مزوس التي  
 سقطت دون مقاومة كما وقع في قبضتها ورشة تصليح آلية ومعهما ٥٠  
 مدرعة متروكة كانت تؤلف غنيمة عظيمة القيمة والاهمية . كانت مزوس  
 أهم مركز تموين لقوات ريتشي المتقدمة وبالرغم من الوقود التي أحرقت  
 والمؤن التي أتلقت قبل الانسحاب فقد وقع في يد رومل كميات هائلة  
 منها كانت بمثابة عون كبير للقوات الالمانية في مثل هذه الظروف . وفي  
 هذه الايام القليلة اقتنصت القوات الالمانية ما يزيد على ٦٠٠ سيارة و ١٢٧  
 مدفعاً و ٢٨٠ مدرعة . وكانت هذه الموقعة رائعة جداً والغنائم القيمة  
 تبهر الانظار في حين ان الموقعة ما تزال في البداية .

عزم رومل على تشكيل اربعة جمهرات تعبوية . فالثلاثة الاولى طردت  
 العدو في كل مكان تلاقت معه ودمرت وحداته التي كانت تقا تل بدون  
 ارتباط او تطلب النجاة بالفرار . وكان يسير مع قواته باتجاه الخيلي العام  
 لا لقصد تجديد المناورة التي قام بها في السنة الماضية بل محاولة خدعة  
 العدو فقط . وسقطت بنغازي إثر غارة مفاجئة ثم تبعها احتلال المناطق

الآخري من ارجاء برقة الغربية والمناطق القائمة عبر الصحراء . وعلى طول المنطقة الساحلية وبعد استراحة الفيلق الافريقي يوم ٢٥ كانون الثاني في منطقة مزوس - انقيلات استمرت جمهرات الاستطلاع في تأمين التماس مع العدو الهارب . وبدأت ضرورة الاعتماد على السرعة والمرونة اللتين بوسعهما فقط تحقيق النجاح والظفر . وكان هذا الاستطلاع المساح الجساري تقوم به كتيبة الرماة المدرعة ( ١٠٤ ) Panzergrenadiere باستثناء الفوج الاول تحت أمرة المقدم باخ الذي استسلم أخيراً في مضيق حلفايا مع كتيبة الرماة المدرعة ( ١١٥ ) بأمره الجنرال غايزلر وفصائل استطلاع أخرى .

استلم رومل بالذات قيادة جمهرة الزعيم مارك مع جمهرة القتال الخاصة . وبعد سير ليبي مرهق في ليلة ظلماء ممطرة وصل في الساعات الاولى من فجر يوم ٢٧ كانون الثاني الى جنوب الرجيماء . وفي الساعة السادسة عشر الى بنينا أي انه وصل فوق ارض مطار بنغازي حيث احتلت الطلائع الامامية حدود المدينة الشرقية . ولكن المشاة استمرت في سبيلها على طريق فياباييا ومهبتها التربع في كوييفا لقطع طريق درنه على العدو الذي ما يزال في بنغازي . وفي المساء تصاعدت النيران من ارجاء المدينة التي جددت للمرة الرابعة فاثمين بفاثمين بعد ان قصفت ليلاً نهاراً . وكان مشهد يثير الوحشة امام انظار الجيوش الزاحفة التي لم تألف طيلة هذه الحملة رؤية المدن والقرى وهي تزخم بالحرائق . وكانت اصوات النساء المهلعة ومنظر الاطفال الهاربة وشقاء شعب مدني لم تسمح ضرورات القتال بتوفيره ورؤية رجال عزل بدون حماية او دفاع وقد امتلأت عيونهم بالخوف والرعب ، كل هذه المناظر لم تشاهد في الصحراء حتى الآن ولكنها صارت اليوم حقيقة ماثلة للعيان .

وانتهى احتلال بنغازي وسقوطها باستسلام لواء هندي حوصر بين

المدينة وقرية الكوفيا . وبالرغم من التدمير والاتلاف الذين كانت تقوم بها القوات المنسحبة فقد وجد الجيش الألماني غنائم لا تحصى ولا تعد من الوقود والأسلحة والمعدات المتنوعة والمؤن والاعذية والسيارات والشاحنات والجرارات وسفن الترحيم البحرية القادمة من الاسكندرية والتي لم تكف لحظة واحدة عن انزال النجدة والاحتياطات حتى يوم الهجوم . وبلغت عدد سيارات الشحن ( الكيوانات ) التي وقعت في يد الالمان ١٣٠٠ سيارة كلها في حالة جيدة الاستعمال والسير والتي ساعدت على حل أزمة النقل الألماني دفعة واحدة .

وفي الثامن عشر من شهر كانون الثاني تنبأ تشرشل معلناً في مجلس العموم تدمير قوات رومل في الصحراء نهائياً . وأخذ يتكلم آنئذ قائلاً : انها موقعة الصحراء الغربية المبهمة التي لم يطلق فيها اكثر من ٤٥٠٠٠ جندي . وبالفعل فالاخبار البريطانية لم تتوقف لحظة عن اعلان النتائج المفاجئة في كل لحظة وهنا نقرأ ما كتبه توم ورثينغوم Tom Wirtinghom في صحيفة البريد المصور Picture-Post من العناوين البارزة التي نشرت ايضاً في الدايلي اكسبريس والسانداي اكسبريس مع التواريخ التالية :

- ٢٢ تشرين الثاني محاصرة رومل .
- ٢٣ دمر ثلث القوات المدرعة التي يملكها المحور في ليبيا .
- ٢٤ مزقت قوات رومل عن آخرها .
- ٢٦ ربحنا انكلترا موقعة الدبابات الليلية .
- ٢٨ ربح اخو كوينينغهام الشق الاول من الموقعة .
- ٢٩ انسحب رومل الى الغرب تحت قصف الطائرات البريطانية .

— ١ كانون الثاني رومل يلقى في الموقعة آخر مدرعاته .

٢ كانون الثاني أطلق رومل في الميدان آخر قواته الاحتياطية .  
 — ٣ — طرد الالمان بالحرب من صحراء سيدي رزق .  
 وفي الثاني عشر من تشرين الثاني اعلنت التاييس ما نصه : « قهرت  
 قوات رومل وغلبت نهائياً بصورة حاسمة . وتحاول بقايا الجيش الالماني  
 الابطالي النجاة من التدمير الكامل . وقد انتهى رومل البارحة بصورة  
 مباغتة . وفي الغد اذاعت محطة الراديو معلنة بأن الهدف الهجومي القاضي  
 بتدمير مجموعة قوات المحرر يمكن اعتباره منذ اليوم أمراً محققاً . لقد  
 تابع الفيالق الافريقي دفاعاً مجيداً وان رومل يستحق من جميع وجهات  
 النظر ان يوسد جثمانه الحدث الذي هيأه لرفاته الجيش البريطاني » .  
 وكتب ليدل هارت Liddel Hort في صحيفة الدايلى ميل قائلاً : « كم مرة  
 قالوا لنا بأن وحدات رومل المدرعة وصلت الى اقصى حدود المقاومة  
 ولكن يظهر انها لم تهن هذه القوة ولما تضعضت بعهد وما اشبهها بحجرة  
 زيت الارملة المذكورة في التوراة . وذكر المذيع الاميركي في ٢٨ كانون  
 الثاني بأن كافة الاخبار الجديدة الواردة تؤلف برهاناً اخيراً على ان  
 الجنرال ايروين رومل الطفل المقاتل المزعج بين القادة الاحداث بدأ يخرج  
 من جمعبته دوراً جديداً لقصة جديدة . ونعود الى المستر تشرشل الذي  
 طالما تذبأ بنهاية رومل المفجعة يقول امام مجلس الشيوخ في واشنطن  
 في الخامس والعشرين من كانون الثاني وعلى وجهه علائم التعجب وامائر  
 الخيبة والذهول من ملاحظة الدور الجاري طي الحوادث المتعاقبة المتلاطمة  
 في كل مكان كالامواج الصاخبة و اضاف قائلاً في مجلس العموم بتاريخ  
 ٢١ كانون الثاني على طريقته المعهودة الجريئة قائلاً « انه اعير علي ان  
 ابسط حالياً بوضوح الوضعية الراهنة في منطقة برقة . اننا نجابه عدواً  
 جريئاً للغاية ماهراً في منتهى المهارة ولا آتدد في القول بأننا أمام  
 قائد كبير .

ونرى هنا كيف ظلت ليبيا اثناء الحرب الكونية الثانية وحدها ساحة العمليات الحربية الوحيدة التي احترمت فيها الشرائع المعنوية السكامنة في الجندي ، والتي حافظت على قيمها محاذة فاضلة . فالاعتبار المشترك الذي كان يقيمه كل محارب في هذه الجبهة من أدنى جندي الى أرفع قائد كان موضع المحافظة والتقدير الكلي . وكان هذا الاعتبار احدى الحقائق الثابتة في الجبهة . ولم يخف رومل مطلقاً استئناسه واعجابه اللذين كان يشعر بهما تجاه خصومه البريطانيين . وفي يوم من أيام الصيف بينما كان يشاهد عرض الاسرى الانكليز في اكروما التفت بفتنة وأخذ يضحك قائلاً : « يجب ان اراهم ومن يدري لربما يصبحوا حلفاؤنا في الغد » .

وبحكم المصادفة التي لا تخلو من مؤثرات جارحة تلقى رومل في يوم احتلال بنغازي بالذات تعليمات موسوليني القائلة : ( في حالة انسحاب العدو وعزمه على الانكفاء يقتضي احتلال المدينة بقوات الاستطلاع دون الالتجاء الى دعوة فرق المشاة المتربصة في خطوط البريقا حيث يجب ان تظل مرابطة فيها مهما كان الامر .

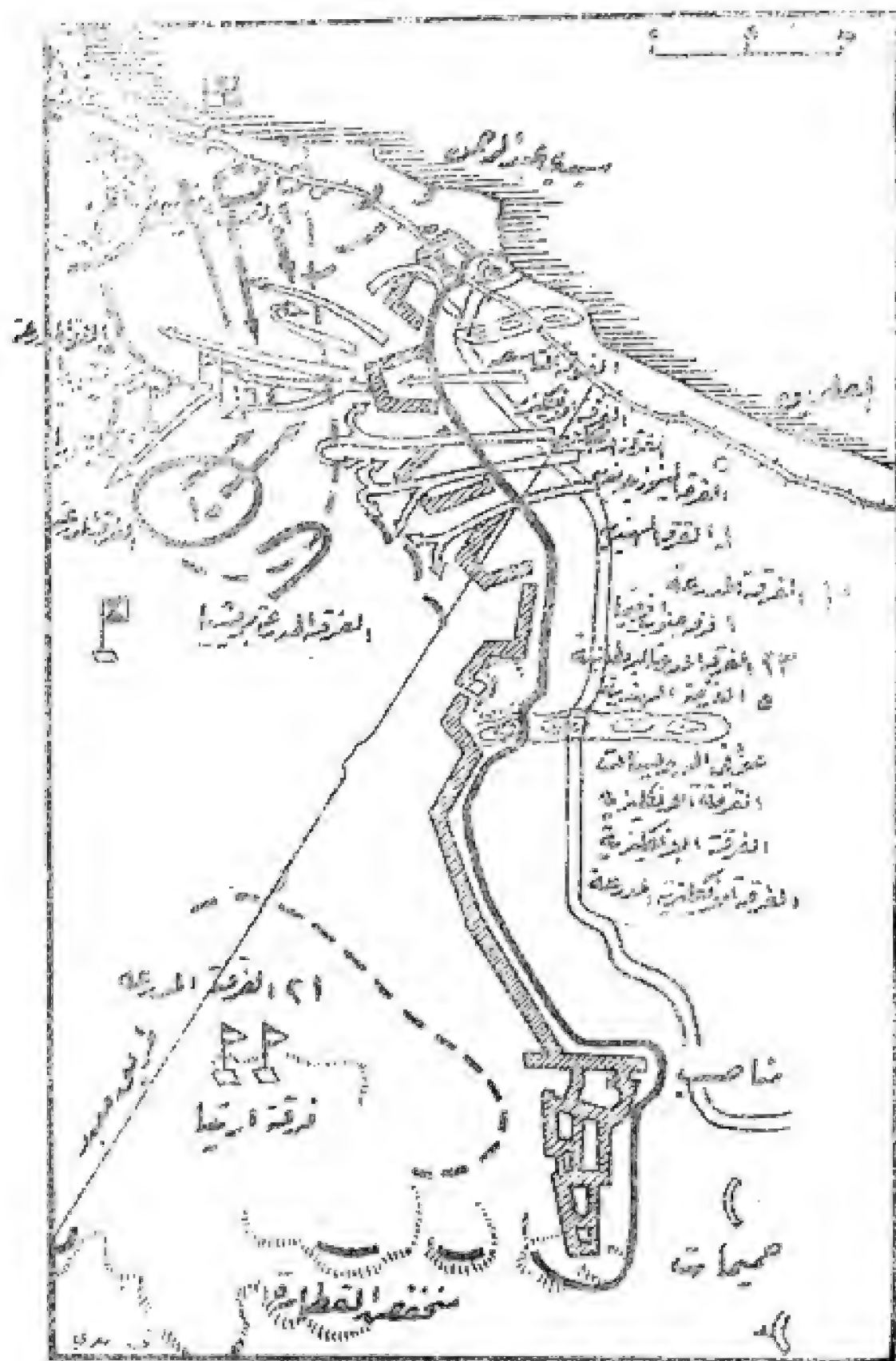
ولكن رومل كان يهتم بأشياء اخرى اهم من مطالبات موسوليني . فبينما كانت فرقة اريتيا المدرعة تعمل على تأمين الأمن في شرق بنغازي وفرقة ترانتو المدرعة تقوم بنفس المهمة في منطقة جمينه وكانت القنصاة المدرعة وأفواج الاستطلاع تلاحق تقدمها عبر برقه البيضاء سقطت توكررا وهوجت مراده من الخلف وتم احتلالها بعد معارك عنيفة ثم استمر التقدم على سيرين .

وصلت القوات الالمانية في الثاني من شهر شباط الى مرطوبه حيث دحر اللواء الهندي . وانطلق رومل بالذات في سيارة استطلاع قاصداً درنه فوجدها خالية من العدو فأوعز على الفور بالسير نحو تميمي كما ارسل الفوج المحافظ على الخيلي للوصول الى الساحل . وكانت الغاية ترمي الى

خط الغزاة بقوات الاستطلاع بينما تبقى كتلة الفيالق الافريقي في بنغازي كما كلف الفيالق الواحد والعشرين بالمحافظة على سلامة منطقة بنغازي واتخذت التدابير اللازمة لبث الانغام أمام خطوط الغزاة والاحتدة في الصحراء على عرض مائتي كيلو متر . وفي التاسع من شهر شباط اشغل الطيران الالماني مطارات قرطبة ودرنه وتميمي . واضطر موسـوايني اخيراً لتحرير فرق المشاة الإيطالية لارسالها للعمل على حدود برقة الشرقية وظل الفيالق العاشر بقيادة الجنرال غامبارا في حالة احتياط الجيش في منطقة اجدايا . واحتل فوج من المظليين الالمان واحة جبالو مباعدة كما أرسل على الفور فوج ايطالي يؤلف حامية الواحة في الصحراء . وهكذا فقد تغطي الجانب الايمن للقوات المتقدمة وزرعت الانغام على الدروب الخلفية ودعمت مواقعها بمدافع ضد الدبابات . اتخذت كل هذه التدابير لحماية برقة الغربية التي بحكم وضعها الجغرافي تستدرج بصورة خطيرة مناورات الإحاطة والتطويق . وكانت اللنشات البحرية ذات المحركات التي اقتنصت من العدو تعمل على تأمين التموين حتى خليج بامبا .

تحسنت الوضعية بصورة شاملة كما تحسن الوضع القائم واصبح من العسير على الجيش الثامن استئناف الهجوم من جديد لأمد طويل . وأفاض رومل في معرض حديث له قائلاً : أزف الوقت بل حانت الساعة التي تتطلب استئناف العمليات القادمة وعدم اضاءة الفرصة المؤاتية بالانتظار ، ووجب تحضير الهجوم على القاهرة واطلاقه في الوقت المرغوب » بيد ان ان القوات جميعها كانت بحاجة الى الراحة لانها منذ تشرين الثاني لم تنقطع عن القتال . اوعز رومل بتدبير كافة الأمور والشؤون والاستفادة من الأسابيع القادمة لتنظيم الوحدات واعادة النظر في التدريب العام والتموين طيلة هذه المدة بصورة متقنة تامة ثم سافر توما الى برلين عن طريق روما جواً لتقديم تقريره الى مقر الفوهرر العام .





حركة الاختراق الانكليزية في ٢ تشرين الثاني

والحقيقة فان موقعة الشتاء كلفت كل من الجانبين خسائر جسيمة ودماء غزيرة . وبلغت الخسائر البريطانية ١٢٠٠٠٠ أسير ، و ١٠٠٠٠٠ قتيل وجريح وكانت الخسائر المادية ثقيلة جداً : منها ١٦٢٣ دبابة وسيارة مصفحة دمرت أو عطلت و ٢٥٠٠ سيارة اقتنصت ، واسقطت ٣٢٩ طائرة . وفي عام ١٩٤١ كله بلغت خسائر الغياق الالمانى الافريقى ١٦٣٤ قتيلاً ، و ٥٩٥٢ جريحاً و ٥٠٥٤ مفقوداً و ٥٧٢٦٧ مريضاً اخلو جميعهم . ومنذ بدأ الهجوم البريطانى بلغت خسائر الجيش المدرع العدد التالى :

الضباط	الالمان	النسبة المئوية	الايطاليون	النسبة المئوية
القتلى	١٠٤ =	٧ %	٨٥ =	٣ %
الجرحي	١٤٤ =	٨,٥ %	١٥٥ =	٤ %
المفقودون	٢٠١ =	١٠,٥ %	١١٧٢ =	٣٤ %
المجموع	٤٤٩		١٣١٢	

الافراد	الالمان	النسبة المئوية	الايطاليون	النسبة المئوية
القتلى	١٠٣٢ =	٢ %	٩٥١ =	١,٥ %
الجرحي	٣٣٣٩ =	٧ %	١,٩٦٧ =	٣ %
المفقودون	٩,٩٤٠ =	٢٠ %	١٢,٣٨٢ =	٣٠ %

منهم ٤٥٠٠٠ شخصاً في ممر حلفايا

والخلاصة خسرت الوحدات الالمانية ٣٣ % أي ما يعادل ١٤,٧٦٠ شخصاً

وخسرت الوحدات الايطالية ٤٠ % أي ما يعادل ٢١,٧١٢ شخصاً ،

أما الخسائر المادية فكانت ثقيلة باهظة صعدت الى العدد التالى :

الالمان	النسبة المئوية	الايطاليون	النسبة المئوية
الدبابات والمدرعات	٢٢٠ =	٥٠ %	١٢٠ =
المدافع	٤٢ =	٤٠ %	١٨١ =
الطائرات	١٧٠ =	١٦٠ %	١٠٥ =

## - ببر الحكيم -

تحققت سلامة دفاع برقه البيضاء ولكن الجيش الثامن لم يدمر تدميراً كاملاً . وكان الكل يوصي بوجوب اكمال عداد الوحدات الالمانية قبل نهاية شهر أيار استعداداً لتحقيق نجاح الهجوم القادم ، وخاصة لأن قائد السلاح الجوي الالماني لم يعد في مقدوره تأمين التعاون في هذا الوقت . قرر رومل بداية العمل في نهاية شهر نيسان . وكانت طبرق داخلة في نطاق هذا العمل المقرر واصبح من الضروري احتلالها نهائياً . وصرفت في هذه المرة عناية زائدة لاجراء الاحتلال بصورة عاجلة اذ كان يتوجب القيام باجراءات ونحضيرات هامة واسعة المدى .

وكان ينقص الفيلق الالماني الافريقي ١٢٠٠٠٠ رجلاً . وكان العداد الحالي لا يتجاوز ٣٦٠٠٠٠ تقريباً بما فيهم عداد المصالح الخلفية . وكانت القوات الايطالية في انتظار النجذات والمعدات . أما حالة الدبابات والمصفحات فقد كانت حسنة نوعاً ما ولكنها لم تكن كافية تماماً للقيام بحركة واسعة المدى . وكان لدى الفيلق الالماني في أواخر شباط ١٣٩ دبابة والفيلق الايطالي ٦٣ مدرعة . وفي ٢٠ آذار ازداد هذا العدد فبلغ ١٦١ و ٨٥ ثم صعد الى ٢٧٠ و ١١٧ في شهر نيسان . وكانت كميات هائلة من المعدات والنجذات ما تزال تنتظر في ايطاليا بعد لأن مسألة النقل لم تجد حلاً نهائياً حتى هذا الحين . وكانت كميات الوقود المقرر ارسالها في شهر آذار الى رومل تقدر بـ ٦٠٠٠٠٠ طن لم يصل منها سوى ١٣٥٠٠ طناً . وفي الثامن والعشرين من شهر نيسان وصل الى ليبيا المارشال كيسرانغ القائد العام لساحة العمليات الحربية الجنوبية الاتصال برومل وكان يحمل معه من مقر الفوهرر العام خبراً هاماً جداً حيث تقرر مصير مالطا بصورة نهائية وذلك بقصفها جواً طيلة عدة أسابيع ثم احتلالها حوالى

حوالي شهر ايار القادم . وتقرر ايضاً اشتراك الاسطول الجوي في العمليات مع فوجين من المظليين . وبعد انتهاء احتلال الجزيرة يستأنف الهجوم على الجيش الثامن البريطاني فوراً . وكان السلاح الجوي الالماني المعتمد لمساندة العمليات الحربية في افريقيا مؤلفاً من جناح يشتمل على اربعة اسراب من طائرات شتوكا وجناح طائرات مقاتلة مؤلفاً من اربعة اسراب ايضاً وجناح قاصفات وجناح التدريب التابع للفيلق الجوي العاشر .

ثم تأجلت العمليات المقررة في السادس من ايار ضد مالطا الى أجل غير مسمى يبدأ بعد الانتهاء من الهجوم على برقة الشرقية .

وعند الماريشال كيسرلنغ بتأمين معاونة سلاح الجو الالماني في عمليات احتلال طبرق بعد عشرة ايام . وكان المشروع الخاص المتعلق باحتلال مالطة لا يزال في الافق البعيد ولن يتأخر عن الاختفاء بصورة نهائية وان هذا ما كان يقع في غالب الاحيان . فروما لم تكن تقدر ولا تريد أن تعمل شيئاً وتتمنى كل شيء . لقد ارسلت على سبيل الاستبدال في نهاية حزيران ثلاثة افواج وصلت الى بنغازي في ٢٣ ايار ولكنها كانت على غير استعداد لاستعمالها في العمليات الحربية القادمة لعدم استكمالها معداتها . وكان ينقصها التدريب والاسلحة الهامة والاسلحة المضادة للدبابات كما وصل ستة آلاف جندي الماني بالطائرات اثناء هذه المدة .

وفي الخامس والعشرين من شهر ايار كانت الوحدات تملك ثمانية عشر وحدة من الوقود خمسة منها تحت تصرف القوات وخمسة منها في اقليم الجبهة وثمانية اخرى في منطقة طرابلس الغرب . وكانت الجيوش تملك وحدة نارية واحدة قيد التصرف المباشر وثلاثة على مقربة من الجبهة واثنين في طرابلس وفي اقليم الجبهة ، وكانت كميات المؤن تكفي لمدة شهر واحد فقط .

وكان الفيلق الالماني الافريقي يملك ٣٣٣ دبابة والفيلق الايطالي ٢٢٨

دبابة من الطراز القديم يضاف اليها ٤٢ دبابة مقتنصة من العدو الذي مازال يملك مالا يقل عن ٦٥٠ دبابة ومدركة .

ومنذ شهر نيسان استطاعت الجبهة قليلا الى الجنوب لاشغال المواضع الملائمة للانطلاق القادم دون استدراج نظر العدو الى هذه الحركة وقد ترتب نظام الموقعة على الشكل التالي :

— الفيلق الواحد والعشرين بقيادة الجنرال نافاريني الذي نقل الى جانب فيلق الجنرال جيودا ( Gioda )

— فيلق الجنرال جيودا G . Gioda

— الفيلق الآلي بقيادة الجنرال بالداساري G . Baldasare

— الفيلق الألماني الافريقي ( إشكلان قوة الصدام .  
— الفيلق العشرون المؤلف من :

فرقتي اريتميا وتريستا وتحصينات ميدان عديدة قوية و اقيمت شبكة واسعة من نقاط الاستناد المحصنة . ولتأمين مجال السلامة وطدت شبكات متعددة لخافز الاستسماع الصوتي على طول الجبهة بالارتباط مع مخافر المراقبة التابعة اسلح المدفعية التي كان عليها انذار المقاتلات الألمانية الموضوعه خاصة قيد الطواري لمقاولة دورية طيران العدو .

وضعت خطة الهجوم وهيئت تفاصيلها بعناية كافية . وكانت الفيالق المدرعة مكلفة باطلاق الموقعة الحاسمة في الجنوب ثم مهاجمة العدو على الجوانب والاختلاف بينما الارتال السريعة تندفع ابان الاربعة والعشرين ساعة القادمة الى المنطقة الواقعة شرق طبرق .

كانت قوات الجانبين المتحاربين المتقابلة متساوية تقريبا من حيث العدد . اما من حيث الآليات فقوات المحور لم تكن على سعة كافية بالنسبة الى قوات الجيش الثامن البريطاني . وكانت قوات المحور ترتكز على طريق مواصلات وتموين أطول ، وبالرغم من أهمية ليبيا لم تكن

القيادة الالمانية العليا لتعتبرها سوى ساحات عمليات ثانوية . ومن جراء هذا الاعتبار ما كان لينلق هذا الميدان الكفاية مما تحتاج اليه آلياته من اللوازم وقطع التبديل الضرورية . وكانت الجيوش المحاربة في الجهة الروسية تبتلع وتهضم كل شيء ، ولذا لم تجدد القيادة الالمانية سبيل التأمين للحاجيات ذات الضرورة القصوى المعدة لافريقيا الشمالية . ومن حسن الحظ وبفضل تعاون اخصائي البحرية الالمانية . أمكن الاستفادة من مرفأ بنغازي استفادة كلية لتموين منطقة درنه بواسطة سفن التجريم التي اقتنصت من العدو والتي كانت تجوز بشحناتها المتوالية المراكز الساحلية . وبالإضافة الى ما تقدم فقد اصلى الخط الحديدي الواصل بين درنه وبرجه وصار ممكنا الاستخدام . بيد ان الجيش ظل في حالة عوز شديد للوقود والذخائر .

وعلى الجهة المقابلة امام الفيلق الالمانى والفيالق الايطالي العشرين كان يتربص فيلقان انكليزيان وهما :

١ - الفيلق الثالث عشر بقيادة الجنرال غوت ( Gott ) وهو قائد قديم متمرن على حروب الصحراء والمؤلف من :

- الفرقة الخمس

- الفرقة الاولى لقوات جنوب افريقيا

- الفرقة الثانية لقوات جنوب افريقيا

- اللواء المدرع الاول

- لواء المشاة الهندي

٢ - الفيلق الثلاثون بقيادة الجنرال نوريه G . Norrie المؤلف من :

- لواء الحرس | الي ٢٠١

- اللواء السابع | الي

- اللواء الثالث الهندي

- الزمرة الآلية الهندية
  - اللواء الافرنسي الحر
  - الفرقة الاولى المدرعة الهندية
  - الفرقة السابعة المدرعة الهندية
  - اللواء المدرع الثاني
  - اللواء المدرع الرابع
  - اللواء المدرع الثاني والعشرين
  - الفرقة الخامسة الهندية (
  - الفرقة العاشرة الهندية (
- اللتان تشكلان احتياط الفيلق
- وفيما يلي نظام توزيع القوات الانكليزية على الجبهة حسب الترتيب التالي :
- فرقنا قوات جنوب افريقيا وفرقة انكليزية متربصة في الاستحكامات المنشئة حول عين الغزالة .
  - الحرس وكان يشغل نقطة استناد نايتس بريدج Knightsbridge
  - الجناح الايسر الذي تألف من القوات الفرنسية الحرة تحت امره العقيد كونيغ koenig المرابطة في بير الحكيم .
  - الفرقة الهندية المتربصة وراء خطوط موضع بير الحكيم على موازاة خط المعظم تقريباً .
  - ثلاث فرق مدرعة بقيادة الجنرال ميسرفي Messervy الذي استبدل الجنرال كامبيل القتل في المبارك السابقة وكانت تشكل الاحتياط المتحرك .
  - وكانت الامداد كاملة تقريباً مع الاضافة اليها المدافع الجديدة المحدودة المدمجة عيار ٧٥ سم والتي جلبت حديثاً الى هذه الجبهة . والمدرعات الاميركية طراز غرانت Grant وهي تفوق المدرعات طراز هينتنك السابقة بمراحل والتي كانت تتطير كالاشرار بفعل القذائف الالمانية .
  - بدأ انتشار القوات في ليل ٢٥/٢٦ ايار . وفي الشمال في قطاعات

الفيلق الواحد والعشرين نفذت حركته التفاف قوامها الدبابات المقتنصة من العدو وسيارات شحن مهمتها احداث ضجيج كبير فقط واجراء مظاهره حربية يقصد منها اثاره ظنون العدو عن احتمال اقتراب هجوم مدرع الماني واسع المدى . ونصبت وربت مختلف انواع التمويهات والخدعات على الجبهة ترتيباً منظماً منها دبابات كاذبة وآلات نافثات الدخان واللمب ، وآلات مثيرات الغبار والمعاج وسيارات خاصة بمراوح كبرى هيئت لهذا الغرض اعتقاداً مستنداً الى تجارب العمليات الصحراوية النائلة بأن سحب المعاج والغبار تخفي الحركات والعمليات السائرة وتوفر على القوات مصروف الذخائر .

لم تباغت هذه التدابير التمويهية وحدها فقط قوات العدو بل أن الهجوم كان أشد مباغتة على ريتشي بالرغم من كون الجبهتين المعاديتين كانتا منتهيتين منذ أسابيع للطوارئ والاحتمالات المرتقبة . وكانت كل منهما ترقب في حالة تشبه الحمى انطلاق الحوادث القادمة . وبعد يوم طغي جوه طغياناً هائلاً وتحلته عواصف رملية حارقة تقدم الفيلق الألماني الافريقي على يمين الفيالق الايطالي العشرين ليلاً باتجاه الجنوب الشرقي للاطباق على جانب العدو . وتقرر الوصول الى المنطقة الواقعة جنوب بير الحكيم .

كانت ليلة مقمرة رائعة من ايلي الصحراء الافريقية التي تمنحها الصحراء وحدها دون غيرها عند ما يطيب لها العطاء . ليلة تنسي المرء المتاعب والالام ووطأة الحر القاتلة وعواصف الرمال الجافة المحرقة وعادية الذباب المنهكة والحرمات من الظل الوارف . وفي الافق كانت الاضواء تبدو منعشة تشير أعرق الاحاسيس والشعور ، أضواء تبعث في النفس اليقظة الروحية الكامنة . وكان يسمع من آن لآن في أجواء الفضاء الصافي البراق هدير القاصفات البعيدة ثم يتلو الهدوء الصامت ، وكانت السماء تنشر على الارض السلامة والغبطة وتحت القبة السماوية المرصعة بملايين



النجوم وكانت الحياة تبدو كأنها عديمة الاهمية .  
 وكانت آلاف القوات سائرة في سبلها وآلاف اخرى في خنادقها  
 وملاجئها واستحكاماتها تنتظر على الصيحة العارخة (قف - من أنت ؟)  
 وكنت ترى وحدات المشاة والهندسة وسدات الدبابات والمدركات ينتظرون  
 جميعهم الامر . وفوق هذه الساحة المربعة من الارض الصحراوية المنفردة  
 المميته كان يقف الجيشان على أهبة الانتظار للتلاقي والتماس والقتال تعززم  
 جميعاً فكرة واحدة وهي تدمير الآخر . وعند اشراق الفجر اجتازت  
 الوحدات السائرة لتضاعف خط دفاعات بير الحكيم - النزلة . وكان  
 يتوجب عليها الوقوف والتريث مدة ساعتين من الزمن لرفع الالغام المزروعة  
 ثم استمر السير بهمة اقوى . وفي الساعة العاشرة وصلت الفرقة الخفيفة  
 التسعون الى المعظم وكانت بقايا الطائرات الساقطة تضجع على الارض تشير  
 الى آثار الهجوم السابق . وقد وقعت معركة الدبابات الاولى الضارية في  
 جنوب شرقي بير الحرمات . وكانت المدرعات الالمانية غير مرفوقة بمدفعتها  
 المساندة وخاصة مدافع الفيلق من عيار ٨٨ مم التي كانت تصحبها عادة  
 فهوجت وأصبحت بخسائر باهظة بفعل مدافع الدبابات الانكليزية الجديدة  
 التي كانت ترمي قذائفها بعيداً ولكنهما مع ذلك استطاعت ان ترغم العدو  
 على الانسحاب .

وأثناء ذلك كان رومل مع اركان حربه يسير في طريقه للاتصال  
 بالفيلق الالمانى الافريقى فالتقى ببطارية انكليزية معرجة نحو طبرق ،  
 فهوجت وأسرت على الفور .

وانطلقت موقعة الدبابات وتأججت ناراها بعد الظهيرة وهاجمت وحدات  
 من العدو في الشمال الشرقي حيث ألحقت خسائر في القوات المدرعة  
 الالمانية وارتال الفيلق . وما اسدل الليل استاره حتى رُد الفيلق المذكور  
 صوب الجنوب وجنوب غربي اكروما وسجلت قوات الجنرال غوت موفقية

ملحوظة واستطاعت قطع ارتال التموين والتذخير والوقود وقسماً من المشاة والاقسام المنعزلة من الفرقة المدرعة الالمانية فأحدثت بذلك وضعية شديدة الخطورة على القوات الالمانية . ومن جراء ذلك توقفت أعمال التموين قرب بير الخرمات . ولكن الفرقة الخفيفة التسمين استطاعت في هذا اليوم تسجيل اعمال مظفرة رائعة في جوار العضم . ووصل الفيلق العشرون الى هدفه دون ان يلقي أية مقاومة . وكانت كتلته متجمعة جنوب بير الخرمات .

وفي صبيحة اليوم التالي توفق الفيلق الالمانى في تشكيل جبهة دفاعية لحماية ارتاله المبعثرة كثيراً بين بير حكيم وبير الخرمات . واستدعت الفرقة الخفيفة التسمين والفيلق العشرين الذي تمكن من احتلال سلسلة المرتفعات الواقعة شمال بير الخرمات . واستأنف الفيلق الالمانى سيره نحو الشمال يصد ويرد العدو المهاجم في الشرق والغرب .

ووصل قسم من وحداته الى طبرق على طريق فيا بالابيا التي سيطرت بنيرانها على طريق طبرق - الغزالة . وفي المساء هاجم العدو الفيلق العشرين بمدفعاته ودفع اركان حرب الجيش المدرع مدمراً عدداً من المدرعات كما احدث اضراراً جديدة في ارتال الفيلق الالمانى . ولم يكن في المستطاع اعادة النظام الا اثناء الليل بصورة اضطر معها رومل ان يتسلم بذاته في ٢٩ أيار قيادة وتوجيه الفيلق الذي أجبر من جديد على خوض معارك دفاعية حامية شديدة اضطر الى اجرائها بفعل قحط الوقود والتذخيرة . وظل هذا النقص بارزاً مستحكماً بشدة بالرغم من وصول مواد التموين ورأى نفسه مجبراً على التنازل عن مقاصده القاضية بالانطلاق نحو الشمال لاحتلال مرتفعات اكروما وتربص على الدفاع مستنداً الى حقول الغمام العدو في بير الخرمات . وأسقطت طيارة الجنرال كرومل قائد الفيلق الاقربقي وهبط منها أسيراً في ايدي العدو كما جرح قائد الفرقة المدرعة

جرحاً خطيراً أثناء العمليات الدائرة .

انطلق الجنرال ريتشي محاولاً مهاجمة الجبهة الجديدة في الشمال والجنوب كي يدفع بالعدو عبر حقول الالفام . ولكن رومل كان مستعداً لمواجهته أي احتمال يبدو من جانب العدو . وكان الشرط الاساسي الوحيد يقضي بتوطيد خط تموين جديد بالسرعة الممكنة لأن طريق بير حكيم قطعت أثناء القتال .

وبعد توطيد الارتباط مع فيلق الجنرال جيودا في الثلاثين من شهر أيار نظمت فوراً طريق تموين جديدة تتجه نحو الغرب وردت كافة هجمات العدو المنطلقة من الشرق والشمال الشرقي كما طوقت جمهرة معادية تقدمت على اخلاف الفيلق الالمانى حيث هوجمت في اليوم التالي من قبل فصائل الفيلق المذكور والفرقة التسعين وفرقة تريستا دون ان يتمكن العدو من مساعدتها فاستسلمت في ١ حزيران عند الظهر بعد مقاومة عنيفة وبلغت خسارتها ٣,٠٠٠ أسير و ١٠٠ سيارة مدرعة و ١٢٤ مدفعا . وهيئت هذه العملية الناجحة احتلال نقطة استناد الجنرال غوت . والشروط اللازمة لاستئناف وملاحقة القتال .

لاحظ ريتشي تأخر مشاريع رومل فظن بأن قواته كسبت نصراً محققاً . والحقيقة فإن خطته فشلت لأنها كانت تعتبر بأن مجموعة قوات العدو ستدمر حتماً في الايام الاولى من العملية وسارت عملية ( الالف ) التي تتبعها عملية ( الالبا ) أى عملية احتلال طبرق على عكس ما هو مقرر لها كما ان مشروعات رومل لم تفشل الى حد كبير . فكل العسكريين يدركون بأن أية موقعة لا بد ان ترتبط وتعلق بعدد من الاحداث والاعراض . فالخسائر التي اصابته الفيلق الافريقي لم تكن من الخطورة الى حد ان تشل قدرته الهجومية نهائياً . وان انسحاب الفريق الالمانية وانتقالها الى حالة الدفاع واخفاق كافة الهجمات الانكليزية المنطلقة كانت

تبرهن على ان التوقف مؤقتاً أصبح في حكم الضرورة قبل استئناف الهجوم من جديد . وكان يتوجب في مثل هذه الحالة اعادة النظام الى ارتال التموين التي عيئت بها مدرعات الجنرال غوت وان الموقعة يمكن استئنافها فيما بعد . وكان السلاح الجوي الالماني آتئذ على أتم استعداد للتدخل من جديد بمداد وقوات هامة . وكان ينتظر الاشارة فقط لاستئناف الاعمال التالية المقررة .

وفي ١ و ٢ حزيران بدأت فرقة تريستا والفرقة الخفيفة التسمون تقدمها نحو بير الحكيم الذي يؤلف العماد الجنوبي للجبهة الانكليزية . واثناء هذه الحركة وبينما كان القتال يسير بقسوة وضراوة ضد خصم شجاع جرت سلسلة من الهجمات المستقلة . ومنذ الصباح شرع الفيلق الالماني بحركة التفاف نحو الشرق مشتملاً عدداً من ارتال العدو الزاحفة كما دمر بطارية دبابات . وكان ريتشي يتسائل في غمرة من سحب العجاج المتصاعد السائر والضجيج المتعالي الهائل الصاخب بدون جدوى ، أين هي قوات رومل بالضبط ؟

وكان بير الحكيم نقطة ما في عرض الصحراء اطلق عليها هذا الاسم بحكم وجود بئر عربية من عهد تاريخي بعيد وكانت نقطة عسيرة الاحتلال والاستيلاء . وكان يتوجب فتح ثغرات وممرات عبر حقول الاغنام العديدة التي بثها العدو في هذه المنطقة . وكان العدو غير منظور يتربص في استحكاماته الدائرية المشرفة على ميادين رمي واسعة مختارة . وكانت طائرات شتوكا تهدر ليلاً نهاراً فوق القلعة الصحراوية فتحوّلها الى بركان يتصاعد من ارجائه اللهب وينطأير من جنباته الحديد الذائب والمجـاج الخائق والمدافع تصب نيرانها وحممها دون انقطاع على هذا الموضع المنيع . واننا لتسائل بحق لماذا احتفظت القيادة الانكليزية بمعظم جيوشها وقواتها على جبهة الفزالة اثناء هذه المارك ؟ ولماذا اقتصررت على اجراء

بعض المحاولات بقوات خفيفة سريعة لمساعدة ومساندة هذه النقطة المحددة ؟  
 فهل كانت في جهل عما يدور في بحران هذه المنطقة وما كان يتبعها من  
 الاعمال الحربية ؟ وعلى كل فقد تمكنت القوات الالمانية تباعاً من احماء  
 شرازم ووحدات مدرعات ريتشي التي كانت تهاجم افرادياً ، وتطويق جمهرة  
 منها استسلمت مع ٤٠٠٠ أسير وعدد كبير من المدرعات الخالية من  
 الوقود . وكانت غنيمة باردة قوبلت بالترحاب والابتهاج واستطاع الفيلق  
 الالماني ان يزيد عداد دباباته الى ١١٨ دبابة .

وفي ٧ حزيران تمكن الالمان من احداث ثغرة أولى في حقول الغام  
 بير حكيم ولكن مقاتلات وقاصفات العدو بدأت منذ هذا الحين بمساندة  
 قوات العدو المراقبة في هذا القطاع التي استطاعت الاستمرار في القتال  
 بجهد وعناد . وكانت اعشاش الرشاشات تدافع عن مواضعها حتى نفذت  
 آخر طلقة وضعت تحت تصرفها . ولم تتمكن القوات الالمانية من احتلال  
 القلعة الارضية المحصنة الا في الحادي عشر من شهر حزيران حيث تمكن  
 قائدها الشجاع الجريء العقيد كونيغ Cl. Koenig من الخروج من  
 الحصار المضروب في الليلة الفاتنة والاتحاق بالخطوط الانكليزية . انطلقت  
 الفرق الثلاثة : الفرقة المدرعة الخامسة عشر ، والفرقة الخفيفة التسعون  
 وفرقة تريستا باتجاه الشمال الغربي نحو خط العضم — اكروما . وكان  
 المفروض العمل بالسرعة المتناهية بعد سقرط العماد الجنوبي للدفاع الانكليزي .  
 أعطى ريتشي أمراً مستعجلاً بوجوب الانسحاب وكان متأخراً جداً  
 عن امكان اجراء هجوم متلاقي جديد بينما ظلت فرقه المدرعة المراقبة  
 على الساحل سالمة بعيدة عن سياق القتال القاسم والتي عانت فيما سبق  
 مصاعب القتال المر في معارك عديدة خاصة . ويظهر ان الجيش الثامن  
 كان يجهل سياق الوضعيه العامة وما كان لديه آئذ أية نظرة عامة عن  
 الوضع وكانت مصالح مواصلاته واستعلاماته مشلولة ومخرجة تماماً .

اصطدمت فرق الفيلق الالماني المتقدمة بالعدو المتراجع ووجدت الفرقة الخفيفة التسعون في موضع المضم عدواً يطلق نيرانه من كل جانب وفي كل الاتجاهات . وأغارت جبهة الاستطلاع الثالثة والثلاثون على الفرقة المدرعة الثانية والعشرين الانكليزية في وسط عاصفة رملية هوجاء . واثناء الليل تمكن الفيلق الالماني من مباغتة كتلة المدرعات الانكليزية اثناء تراجعها في نايتسبريدج ودمرها تدميراً شاملاً .

حدثت الموقعة الحاسمة في مجرى القتال القائم بعد سقوط قطاع بير حكيم الذي ساعد على تحقيق الاختراق والاحاطة اللذين تعسر اجرائهما اثناء الفصل الاول من الموقعة التي انتهت بأزمة حادة اصابت الفيلق الالماني واصبح الهدف المقرر آنئذ خط اكروما الدفاعي وذلك بغية قطع قوات العدو التي ما تزال تشغل مواضع الغزاة .

وبينما كانت حامية هذا الموضع تعمل على نسف مستودعات الذخيرة والمؤون التي جمعت بعناء طويل شوهدت بعض وحدات الفرقة الانكليزية الخمسين تخترق قطاع الفيلق الايطالي العاشر وتنطلق على طريق دفياباليا ، في حالة مضطربة جداً محاولة الوصول الى طبرق . وتم احتلال موضع المضم بغارة مفاجئة كما انتقل الفيلق الواحد والعشرون ايضاً الى الهجوم على القوات الالمانية المدرعة وتقدم من اكروما حتى الطريق الساحلية على البحر ، وقامت جبهات صغيرة من قوات جنوب افريقيا ونجحت في شق طريق لها ولكن الباقي أسر على الفرار . واصبحت آنئذ كافة الاراضي الممتدة حتى البحر في قبضة الالمان . ووجد الفيلق الالماني نفسه من جديد امام الحد الكيلومتری ٣١ المشثوم امام طبرق .

لم تمنع رومل النصف مليون لغم التي بثت بانتظام حول موضع الغزاة لتحميها على الجوانب والاخلاف من تنفيذ هجومه وقد أُنذر مسبقاً هجوم الانكليز ، وقيّد بسرعة مضطربة لم تسمح لهم بالتوطد والتربص . وقد



ضحت القيادة البريطانية بآخر وحداتها المدرعة كي تتمكن من تأمين  
 نجاة قسم كبير من وحدات الفرقة الانكليزية الخمسين . أما ألوية الدبابات  
 فقد كانت متعبة منهكة لدرجة انها اضطرت للتراجع حتى الحدود المصرية .  
 وكانت الفرق المدرعة الابطالية تتربص على الطريق التي بنيت حول  
 طبرق والمسماة طريق المحور . وتقدم الفيالق العاشر نحو الشرق على طول  
 درب كابوزو واحتل قرية الضودا الواقعة جنوب طبرق بينما كان الفيالق  
 المدرع الواحد والعشرون يخوض معارك عنيفة مع الحرس الانكليزي حول  
 سيدي رزق . وكانت الطائرات المحلقة على ارتفاعات قليلة تلحق به خسائر  
 جسيمة ولم يتغلب على قوات الحرس التي كانت تقاتل بضراوة شديدة  
 تأثير الاعجاب العميق .

ماذا كان يعمل الجنرال ريتشي في هذه الاثناء ؟ وفي ليل ١٣/١٤  
 حزيران عندما برزت المدرعات الالمانية في الميدان كان مقره العام يتمركز  
 في غمبوت . وتوجب عليه أن ينسحب عاجلاً جداً وظلت فرقه بدون  
 قيادة كما ان جيش رومل اضاع ايضاً في كثير من الاحيان النظرة العامة  
 للموقعة ذات الثقلات الآنية المتبادلة وكانت الصحراء تملج باللائتال السائرة  
 وليس في مقدور أحد ان يعرف مسبقاً انتسابها وتابعيتها بالضبط . وأثناءها  
 ظل رومل كما كان دوماً في الطبيعة يدفع بقوة الفرقة الاحدى والعشرين  
 المدرعة ، وفرقة اريتيا التي ارفقت بها . وكان هدفه منطقة غمبوت الواقعة  
 على مقربة من طريق فيساباليا في منتصف طريق طبرق - الباردية .  
 وسبب احتياظه هذا هو اكتفائه بتعيين جمهرة استطلاع واحدة لاغلاق  
 اهم طرق رجعة القوات الانكليزية . فوصل في منتصف صبيحة اليوم  
 السادس عشر من حزيران ليضرب الحصار من جديد على طبرق . وكانت  
 الاراضي مشغولة الى مسافة ٦٠ كيلومتر الى الشرق والجنوب الشرقي .  
 وتم احتلال الطرق والخط الحديدي الذي بناه البريطانيون في الفرجة



القائمة لامكان ربط ميناء مرسى مطروح . وفي غمبوت اقتنص الالمان أربع طائرات من طرز كورتيس « Curtis » ، كانت على أهبة الاقلاع . وعلى بعد عشرة كيلو مترات تقريباً عثر على مستودع وقود هائل . وللمرة الاولى في هذا اليوم اختفت الطائرات البريطانية من الجو وسيطرت المقاتلات والقاصفات الالمانية على الجو سيطرة سائدة .

أزفت ساعة النصر واقتربت عقاربها تبشر رومل وصحبه شبوخ الصحراء الافريقية باقتراب احتلال طبرق . كانت القيادة البريطانية تتساءل ترى ماذا يعمل الجنرال رومل ؟ يتابع طريقه نحو الشرق أو انه يقتحم طبرق ؟ ولشد ما كانت الوضعية غامضة عقب الحوادث الاخيرة الجارية حتى انها لم تكن عارفة البتة الى اية نقاط وصات فرق الغزاة ، وهل نجحت في الالتحاق بملاجىء القلعة أم لا ، ولا في اية حالة اصبحت قواتها ؟ . امر واحد فقط كان غير مجهول لديها ، وهو ان بقايا الجيش الثامن شرعت تترد الى مصر وقد فقدت قدرتها ومعنوياتها المحاربة . ولطالما تردد ريتشي في العمل على ايقاف الهجوم وحده وكان من جراء تطويق وسقوط بير حكيم الذي كان من نتائجه المحقة انهيار كامل منطقة الدفاع البريطانية المحصنة . وكان رومل يرقب هذا التردد بسرور وأمل ويحلم بالنهاية المنتظرة . فطبرق حوصرت من جديد وانها ان تظل هذه المرة حاجزا منيعاً قائماً على طريق قوات المحور . وبينما كانت ريتشي يواجه الالتزامات الثقيلة لاقامة جبهة جديدة في مصر واعادة تشكيل وتنظيم جيشه من جديد تمكن الجيش المدرع الالمانى من حل مسألة التموين ولو لمدة قصيرة بفضل الغنائم المكسدة السائلة التي كسبها كما وجد الفيلق الافريقي كامل المنظمة التي سبق ان بناها ما تزال قائمة بعد ، معدة لاجراء الهجوم على طبرق . لم يفكر رومل في التقدم وملاحقة العدو نحو الشرق طالما لم تنتزع قلعة طبرق من قبضته . فتحرك بسرعة الصاعقة وباغت العدو

مباغتة كاملة كما يظهر فيما بعد . وفي الخامس عشر من حزيران تقدم الفيلق الألماني وفرقة اريتيا وأعطى المجال اللازم لاطلاق الهجوم . وتم تطهير المنطقة الواقعة بين طبرق وغامبوت في اليوم الثامن عشر . وكان العدو أثناءها يعيش على التوقع والانتظار . ولم يحدث اي مانع على الاطلاق فيما يتعلق بتوطيد الفرقة الألمانية في أمكنتها استعداداً للهجوم على طبرق .

ومن الغريب ايضاً ان تعلن القاهرة في ٢ حزيران ما هو نصه : « لم نعهد البتة هجوماً اختنق قبل ان يولد مثل هجوم رومل على طبرق ولما يبدأ بعد » . وفي الثامن عشر من حزيران أعلنت لندون ايضاً بأن الجيش الثامن يشكل حاجزاً قائماً لا يتصدع ولا يخترق أمام القلعة المحصنة . وفي اليوم التالي علقت وكالة رويتر على الوضع ذاته قائلة : « ان مسألة طبرق غير قابلة للحل على رومل » . وفي ٢٢ حزيران اذاع راديو نيويورك زاعماً ان رومل سيضطر الى الوقوف مع بقايا جيشه في بعض النقاط المجاورة لطبرق وأضافت قائلة : ( إنه من المضحك بحجة امكانية اكتساح هذه القلعة المتيدة الجبارة ) .

وقد سبق لبعض عناصر الفيلق الألماني التي كانت في طريقها نحو الباردة ان توفقت في الوصول الى مقربة من أسلاك غرازياني الشائكة على الحدود وكانت كافة الامارات الظاهرة تدل على قرب حدوث الصدام المتوقع على جبهة مصر . بيد ان الوحدات الآلية الألمانية ارتدت الى الغرب بنقطة من نفسها قبل الوصول الى غامبوت دون ان تكمل طريقها نحو الشرق . وأجرى فيلق نافاريني الواحد والعشرين الذي اجتاز طريق المحور على جبهة واسمة امام طبرق مظاهرات جريئة للوصول الى الخطوط المتقدمة من قلعة طبرق . وفي العشرين صباحاً فتحت كافة مدفعية الفيلق الألماني نيرانها على مواضع دفاعات طبرق وعلى القلعة منذرة ببدء الهجوم .

ظهرت أسراب القاصفات الاولى للسلاح الجوي الالماني في الساعة الخامسة والدقيقة العشرين، وكان يختلط هدير طائرات شتوكا بدوي انفجارات القنابل والقنابل التي كانت تغذفها المدافع الالمانية المرافقة والمدفعية الثقيلة . وخاضت كافة الاسراب الالمانية العاملة في افريقيا الشمالية هذه الموقعة وشرعت تهاجم القطاع الجنوبي الشرقي حيث كان يتوجب احداث فرجة الاختراق ودمرت المواضع الحصينة العتيقة وخاصة شبكات الاسلاك الشائكة وأحدثت تأثيراً هائلاً على معنوية ومقاومة اللواء الهندي الحادي عشر الذي كان يدافع عن هذا القطاع دفاعاً مستميتاً .

ووراء هذه التغطية التي اقامتها القصف العنيفة شقت القوات الالمانية ممرات نفوذ وتسلل في حقول الانعام الواسعة ودخلت الفرقة المدرعة الخامسة عشر الاولى متوغلة من المنطقة المحصنة . واستعمل في هذا الهجوم الجسور المنصوبة النقالة التي جلبت خصيصاً لهذا الغرض حيث القيت على الخنادق ضد المدرعات لتسهيل الاجتياز . وسارعت فرق الهندسة لتدعيم فرق المشاة التي أخذت تتسرب من نقاط الاختراق ثم انتشرت على الجانب الآخر من حقول الانعام . ولم تلبث المواضع طويلاً حتى اخلت وسقطت في حوزة الفيلق الالماني الافريقي . وفي الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والاربعين كان رأس الجسر يمتد على عمق كيلومترين تقريباً .

وكان ميدان الموقعة مغطى بالسيارات المخربة والمعلقة والمدرعات المحترقة والمدافع المدمرة او المهجورة . كانت ساعة انتصار جنوبي اشيوخ افريقيا المحاربين ، هؤلاء الذين استوقفوا عدة شهور أمام هذه القلعة المحصنة لا يستطيعون النفوذ اليها واكتساحها ، وقد دفعوا من أجلها ضريبة باهظة من الدماء الغالية الى خصم عنيد ابدي مقاومة عنيفة يائسة نادرة المثال . ولم ينج موضع قدم في هذه الارض لم يحمل في طياته شظايا الحديد والفولاذ القاتلة . وتحت لفحات رياح السموم هوجمت هذه المواضع من جهة رأس

المدور المشؤوم حيث كانوا يتقدمون فيها شبراً شبراً وينتزعونها قطعة قطعة من جنود الجنرال مورهيدي . لقد غلبوا وغلبوا في آن واحد . وكم مرة في الليالي الصافية التي ترصعت سماءها بالنجوم العديدة ردوا خروج المحاصرين وهجائهم العديدة . وكانت مئات الدوريات تستكشف وتستطلع الاثراضي المعزولة المقابلة . ولما أوشكت هذه الجهود الجبارة ان تشر وتنال اجرها ، وحان تحقيق الامل الساطع بإزالة هذه العقبة المنكودة موطن الذئاب العتيدة ضاع كل شيء أمام هجوم العدو الجديد المنطلق على الجهة الشرقية فاضطروا الى الانكفاء واخلاء هذه المواضع التي احتسلوها بالجهد والدم ونظموها بالعناء والعرق المسكوب . وسقطت مقبرة الحد الكيلومتری ٣١ في ايدي الانكليز وذهبت كل الجهود المبذولة ادراج الرياح .

ولما وصلوا الى ينابيع مياه اجدايه الحلوة كانت تتطالع اليهم طبرق من بعيد كالسراب الخادع . وكانت الاشهر العديدة التي قضوها في الحفر والخنادق لم تعد في نظرم سوى ذكريات ذابلة تبعث في نفوسهم الخوف والوجل . ولكنهم احتفظوا في قرارة نفوسهم بسر غير مباح تركز في اعماق افئدتهم يحركهم ويشير اشجانهم ولم يعد لهم بسببه راحة ولا هناء ، دافعهم الوحيد تصفية هذا الحساب القديم مرة واحدة وهو أملهم المحبب الذي كان يدغدغ احلامهم منذ عهد طويل . كانوا بالفعل امام طبرق وفي وسط دفاعات العدو ومواقعه واطالما اجتاز رومل بذاته خنادق المدرعات مع الطلائع الاولى وهو في عجبانه المدرعة . وكان كمثل جنوده تحدوه وتسوقه فكرة واحدة . التقدم . . . التقدم . . . الانطلاق . . . الانطلاق . . . كان يتوجب عليه ان يكتسح الميناء والمدينة بوثة واحدة ثم ينسف أركان هذه القلعة المشؤومة دفعة واحدة . وحوالي الظهر تمكن رومل من تدمير خمسين مدرعة ، ووصل الى المفرق الذي يبعد اربعة كيلومترات عن طبرق . وكان حطام المدرعات الالمانية التي دمرت اثناء هجوم عيد الفصح

عام ١٩٤١ ما يزال قائماً شاهداً فوق ميدان الموقعة . وكان الفيلق الافريقي ينصب كالشلال الجارف على المعرات التي احدثت عبر حقول الالغام . وقد تسمر الفيلق الآلي العشرون بعد ان اجتازت مدرعات فرقة أريتيا وتريستا الخنادق الاولى وقد توقفت في وثيقها وشملت حركتها . فأعيدت على الفور بعض وحدات هذا الفيلق الى الخلف وعبئت وراء الفرقة المدرعة الخامسة عشر حيث أطلقت في اتجاه الغرب على طريق العظم .

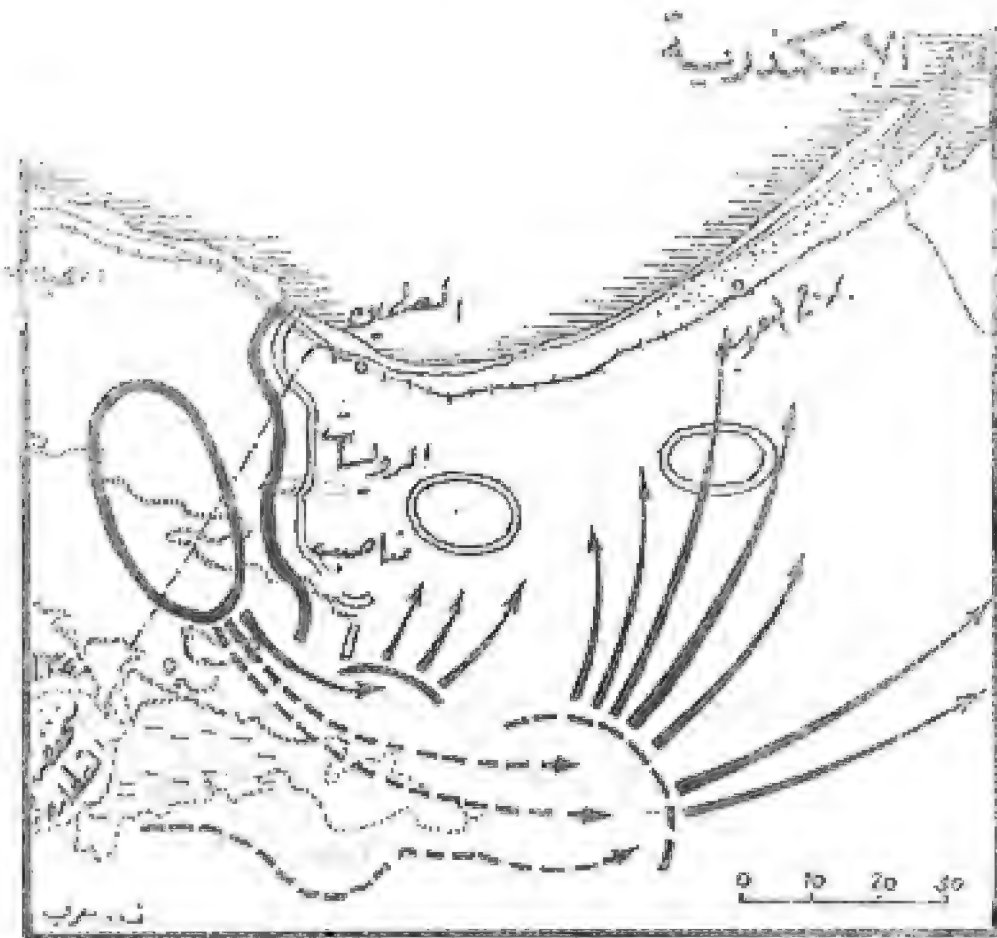
ولم تستأنف الفرقتان المذكورتان هجومهما الا بعد الظهيرة حيث لم تتوفق في الوصول الى اهدافها في هذا اليوم . وعند الظهر فتحت المدفعية عيار ٨٨ مم التي كانت ترافق الوحدات المدرعة نيرانها على الميناء . ووصل رومل الى السفوح المشرفة الموصلة الى المدينة وتابع بذاته تطوّر وضعية القتال . وكان في الميناء قبضة من السفن التي كانت تنهياً وتتحرك للاقلاع والحرب . وللمرة الاولى استطاع ان يشاهد عياناً المدينة التي ايقظت في نفسه اصداء الدعاية الرنانة ورنين أباطيلها التي كانت تدور انحاء العالم الخارجي قاطبة . لم يبق منها سوى اكوام الاحجار وآثار الخرائب والجدران المحطمة والمنازل المتهمة . وكانت القنابل الألمانية تتساقط وتتفجر في ارجائها بدون انقطاع . وكانت مرأى ومشاهد التدمير تغمر المدينة وتبسط عليها استارها الكثيفة ، وتتصاعد سحب النيران من أطرافها ومن المستودعات والمخازن الملتهبة . وكان المرء يشاهد في كل ناحية هياكل دبابات وسيارات تلهب وتحترق وقد احترت جوانبها من شدة اللهب .

وعندما اعتمد رومل التقدم الى الامام تصدت له نار حامية تنطلق من احدى أعشاش المقاومة ، فأندّر الموضع بوجوب الاستسلام ولكن حامية ردت على الانذار بنار أشد وأقوى وعلى الاثر اندفع العريف هوبرت Hubert التابع لمقر القائد الاعلى للجيش متقدماً مع ثمانية جنود من بطاريات الدفاع الجوي واغار على العش المقاوم فأخرس المقاومة ودمر

الموضع بفعل القنابل اليدوية . وبعد قليل اعلمت قيادة الفيلق الالماني بأن حصن بلاسترينو المقر العام لحامية الدفاع استسلم بدون قيد او شرط وتبعه سقوط حصن سالارو على الفور . وفي الساعة ٢١ والدقيقة ٥٥ تم الاستيلاء على الميناء والمدينة معاً وكانت الفرقة المدرعة الواحدة والعشرين اي الفرقة الخامسة الخفيفة سابقاً هي اولى الفرق التي وصلت الى المدينة وشرعت أثناء الليل في تطهير ميدان الموقعة . وفي الغد استأنفت هجومها نحو الغرب وسقط ثلثي القلعة في حوزة القوات الالمانية وتم احتلال طبرق في يوم واحد وفي أقل من اربع وعشرين ساعة .

ويعزى هذا الظفر الرائع الى فكرة رومل الهجومية المطلقة وروح الهجوم المتمكنة في قواته ووحداته ومهارة قيادته الحربية التي لا تجارى . بدأت الموقعة الكبرى في ٢٦ ايار بقوة المانية مؤلفة من ٣٢٣ دبابة و ٩ دبابات قيادة و ٥٢ سيارة استطلاع تابعة للفيلق الالماني و ٢٠٣ مدرعات و ٧٦ سيارة تابعة للفيلق الآلي الايطالي . وكانت الخسائر في الايام الاولى ثقيلة جداً . وبالرغم من تعمير الدبابات والمدرعات التي اصبحت اثناء قتال الميدان يضاف اليها مدرعات ودبابات العدو المقتنصة التي دجت واستعملت من قبل الوحدات المدرعة فقد اصبحت هذه الوحدات بأضرار وخسائر محسوسة . ولما انطلقت من مواضع الدفاع تنفيذاً للهجوم التالي بعد ان تجمعت بطاريات الفيلق من عيار ٨٨ م لمساندة المدرعات الالمانية اظهرت قوات ريتشي عدم استعدادها للتلاقي معها في حلبة الميدان ، ولم تستطع الفرقة المدرعة مجابهة هذه المدافع والتصدي لها . وكانت اغلب مدافع دبابات غرانت ذات المرمى البعيد معطلة مخربة بفعل نيران هذه المدافع كما كانت دبابات هينتنك الباقية طريدة سهلة ولقمة سائفة للمدافع ضد الطائرات . وبالفعل فقد ظل العدو حتى آخر لحظة في جهل عام عن مقاصد ونوايا رومل .

ولم يتوفق الجيش الثامن في تفادي التدمير الكامل والوقوع في الاسر  
الذين تعرضت لها وحداته الا لكونها نجت بنفسها طليقة من كل ثقالتها  
ومن تجهيزات ومعدات ومواد مختلفة . اما في طبرق فلم ينسج أحد منهم  
ووقع في قبضة الاسر ٢٨٠٠٠ مقاتل و ٥٠٠٠ رجل من مرتبات  
المصالح الخلفية . فالبحر البريطاني الذي كان يعتبر أفضل القوات الانكليزية



ور خطة اختراق رومل في الهجوم على الاسكندرية

اضاع تقريباً كامل مدفيته في نايتسبريدج ومزقت قوات جنوب افريقيا  
في الغزالة وقوات الهند في المعظم تمزيقا كاملا . وغنمت القوات المدرعة  
الالمانية غنائم عظيمة وكانت على جانب من الاهمية بالنسبة لقوات المحور  
بالرغم من أن المدو كان يسمى لاتلاف كافة المستودعات والمخازن التي  
كان يضطر الى تركها . وقد حدث نفس الامر في المعسكر الالماني اثناء

الشتاء الماضي . ومما ذكر في هذا القبيل ان احد المدراء الالمان لم يرض ان يسلم للقوات المتراجمة مواد تموين بداعي انه سيجل ضابطاً ناتلاف واحراق المواد الموجودة . ولكن الانكليز أضاعوا الفرصة الملائمة واهملوا فوق ذلك ضبوط الاتلاف . وكان كل ماخزنته الامبراطورية وجمعه في طبرق اثناء الشهور الطويلة وقع بكامله سالماً في ايدي القوات الالمانية ومنها السيارات والوقود والمدافع والدبابات وأخيراً الاغذية التي حصل عليها الجيش المدرع والتي ساعدته كثيراً على التقدم نحو الحدود المصرية دون انتظار او توقف . واكتفى رومل عن طلب الامون بتقديم المواد الكثيرة الموقوفة قيد الشحن عن طريق نابولي والطريق البرية لا يصلها الى القوات الالمانية المحاربة . وقد حلت مسألة التعوين التي طالما لم تجد حلاً الى الآن في برلين وروما بفضل الغنائم الانكليزية الوفيرة . واقتصر اليوم التالي على أعمال التطهير في المنطقة المحصنة . وفي نهاية صبيحة اليوم كان طريق فيابالبا مفتوحاً لعمليات النقل . وكانت مئات الاسرى تنصب على المدينة في كل لحظة واستسلم الجنرال كلوبر G. Clopper قائد فرقة القوات الافريقية الثانية وحاكم القلعة في الساعات الاولى من النهار حيث واجهه روميل على طريق فيابالبا . فأوعز القائد الالمني بوجود جمع الوحدات واعادة النظام والتهبؤ للانطلاق من جديد بعد تأمين الذخيرة والوقود والاعاشة اللازمة للجيش . ثم عاد الى الميناء مع الجنرال كلوبر الذي كلف بتهيئة وتنظيم توزيع الماء والاعاشة للاسرى الانكليز . واثناء معركة الغزالة بلغ عدد اسرى البريطانيين ٥٠٠٠ رجل بينهم خمسة جنرالات واربعة مايقارب من الف دبابة وسيارة مصفحة ودمر او اقتنص ماينف على ٤٠٠ مدفع وكسب الالمان في موقعة طبرق مايقارب من ٣٠ دبابة انكليزية كانت كلها سالحة الاستعمال . وكانت هذه الغنيمة في نظرهم ذات قيمة كبيرة . ولم يحدث مايلق عليه من الحوادث سوى حادثة غير منتظرة



حدثت عند رأس المدور حيث حاولت في الصباح الباكر مائنان سيارة شحن تقل قوات افريقية الجنوبية اجراء اختراق الخطوط الالمانية للفرار ولكن قسم من هذه السيارات نسفت بفعل الالغام الانكليزية المبثوثة في هذا القطاع والقسم الآخر وقع في قبضة فرقة ترانتو وقسم صغير استطاع الافلات والهرب باتجاه العدو .

انتهت موقعة مارماريكا وكان المفروض الا تترك اية فرصة للعدو تساعد على اقامة جبهة جديدة . فأصدر رومل امراً يومياً أعلن فيه على جنوده قائلاً : « يتوجب علينا اليوم تدمير قوات العدو تدميراً نهائياً كاملاً واتي لمطالبكم بمجهود كثيرة في الايام المقبلة للوصول الى الهدف المقصود » .

وفي الثاني والعشرين حزيران صباحاً كان رومل في البارديه حيث أصدر اوامره الجديدة استعداداً للهجوم . وفي الافق الشرقي كانت سحب الدخان المتعالية من حرائق المستودعات الانكليزية تتصاعد في الجو . وقد ظهر استناداً الى المعلومات المكتشفة من الوثائق التي وجدت مع الضباط الاسرى وهي تؤكّد بأنه لم يبق في جبهة السلموم سوى الطلائع الخلفية لقوات الجنرال ريتشي . فاجتاز الفيلق الافريقي والفيلق الآلي الحدود وهما على اهبة الاستعداد لاستئناف العمليات الجديدة .

وصلت القوات الزاحفة الى السلموم الاعلى والسلموم الادنى ومضيق حلفايا وسيدي عمر . واشغلت كافة المقاطع المتقدمة التي كان يحتلها فوج المقدم باخ حتى منتصف كانون الثاني . وكانت سيدي براني التي دمرت بكاملها تشتمل على مستودعات المحروقات الانكليزية التي ظلت سالمة في حوزة القوات الالمانية ثم تابع الفيلق الالمانى تقدمه بسرعة الى الامام وظل الفيلق الآلي مع الالصف متأخراً الى الوراء . وكان لهذا التأخير طابعاً طبيعياً ولكنه ذو معنى عميق جداً حيث طلب احد الضباط الايطاليين بصورة سرية من رومل الذي رفع مارشالا مؤخراً يرجوه التدخل مع

القيادة الإيطالية العامة لتزويده بالنجادات الضرورية التي يحتاج اليها فيلقه وقد رفض الطلب . ولما سأل رومل هذا الضابط اذا كانت وحدته مستعدة أم لا للقيام بالهجمات الهجومية المقررة مع الفيلق ، فاكتفى بالإجابة مشيراً الى وضعية قواته وبأن فرقة اريتيا بكاملها تملك ١٠ مدرعات و ١٥٠ مدفعاً ٦٠٠ جوال فقط . وان فرقة تريستا لا تملك سوى ٤ مدرعات و ٢٤ مدفعاً و ١٥٠٠ بندقية يضاف الى ذلك النقص الهائل كون وجود الفيلق في صعوبة كلية بسبب نقص التموين والوقود واكتفى رومل بالاعتناع التام بأن الوحدات الألمانية ستحمل في هذه المرة ايضاً كما في السابق ثقل القتال برمته . فالنسق الذي على اساسه كانت تعيش هذه الجيوش يشكل موضوعاً على جانب كبير من الغرابة . فمنذ شهر ونييف لم تعرف هذه القوات راحة ولا سكونا . ومنذ بدء النسق الثاني المعوقة كانت على تماس دائم مع العدو لئلا ينهاراً متقدمة مقاتلة عاملة مستنفرة معدة للحماية او منطلقة تارة نحو الشرق وطوراً نحو الغرب أو تائهة في عرض الصحراء . وكانت اكثر المعارك يتأجج أوارها في بحر ان العواصف الرملية . وعندما تذر الشمس قرنمها كانت تغمر الارض وتسحقها بأشعتها المحرقة الالهبة . وكان الجنود يعيشون ضمن سحب من العجاج الدقيق الفتاك الذي يعمي الابصار والبصائر . وكانت عينات الماء تكاد تنضب وفي بعض الاحيان تنقص وتشح وتكاد تفقد تماماً في الحالات التي يتعذر فيها التحاق ارتال التموين بالوحدات المحاربة او في حالة بعثتها من قبل وحدات طيران العدو . وكان التقدم نحو مصر بمثابة مأساة طيبة ونزهة مفرحة . وكنت ترى القوات البريطانية المشتتة المبعثرة كثيراً ما تندفع نحو مدرعاتها الانكليزية بالامس والتي أصبحت المانية اليوم لتحتمي بها . انها لم تعد مدرعات بريطانية لانها استبدلت سديتها بسدنة المانية من قوات الفيلق الألماني الافريقي . بيد ان الطيران الانكليزي بدأ يتدخل بقوة متزايدة في قطاعات سيدي

براني . وقد عادت طائراته الى مطاراتها ومهابطها المنظمة القريبة من الجبهة . وكانت المقاتلات والقاصفات الانكليزية تستطيع في بون ثوان معدودات من الوصول فوق الجيوش الالمانية المتقدمة . وبدأ الطيران الالمانى يظهر ضعيفاً من جراء القتال الاخير لانه اصبح بعيداً على الاخلاف وكان عليه ان ينقل الى الامام معداته وأوائله الفنية التي يتطلب نقلها وقتاً ليس بالقصير . وصل الجيش الالمانى الى الكيلومتر ٥٥ الواقع غربي مرسى مطروح على الطريق الساحلي واثناها تلقت رئاسة الاركان برقية متأخرة من "موسوليني تشير الى ضرورة الوصول الى خط السلوم - حلفايا . وبعد ثلاثة ايام ولكن هذه المرة أرسل الدوتشي مسبقاً التوجيهات الجديدة التالية :

- ١ - الهدف قتال السويس وثم بور سعيد واحتلالهما بأسرع ما يمكن .
- ٢ - احتلال القاهرة بقوة .
- ٣ - الاحتياط والاحتفاظ ضد أي تهديد مفاجي\* يصدر عن الاسكندرية والعمل على تأمين التغطية في هذه الجبهة .
- ٤ - حماية الاخلاف ضد اية محاولة انزال بحري والتحفظ لها بتشكيل كتلة مناورة متحركة .
- ٥ - وجوب تمثيل القوات الالمانية والابطالية لدى وصولها الى قتال السويس .

لم تصل قوات المحور بعد الى الاهداف المطلوبة ولم يحن الوقت الذي يحدد فيه موسوليني تفاصيل هذه الترتيبات المسبقة والترتيبات الاضافية التي أعدت لدخول القاهرة حيث كان يريد ان يظهر على رأس جيوشه منطياً صهوة حصانه الابلق و متمنطقاً بـ « سيف الاسلام » .

وصلت القوات الالمانية في السابع والعشرين من حزيران نقطة مرسى مطروح وعرجت الفرقة التسعون الخفيفة نحو الساحل لقطع الطريق

الساحلية . واستدعت الفرقة المدرعة الانكليزية السابعة لنجدة الحامية البريطانية فيها وظهرت أرتالها عند سفح الجبل . وعند المساء دمرت ١٨ مدرعه انكليزية واجبرت الفرقة المذكورة على التراجع . وكانت القوات النيوزيلاندية ترابط في مرسي مطروح والمؤلفة من المحاربين القدماء الذين شهدوا وفائع طبرق وكانت قوات مختارة قوية التصميم . وقد حاولت اجراء اختراق في الليل احدث اخلاطاً واضطراباً فادحاً وكانت القوات الالمانية تتراعى وتطلق نيرانها فيما بينها . وكانت الطائرات الانكليزية تقصف بدون تمييز وحداتها بالذات . لم يعد احد يعرف ماذا يجري في هذا القطاع . وعند الفجر تصاعدت النيران من مرسي مطروح وتحقق ان مصيرها اقترب أو كاد . وكان عدد الاسرى يتزايد بدون انقطاع . وتمكنت سيارات عديدة من النفوذ بين القوات الالمانية المتقدمة والقوات الابطالية المتأخرة حتى وصول جبهة الاستطلاع الالمانية التي اوصدت طريق المرور . وفي ٢٩ حزيران اجتازت قوات المحور الخنادق ضد الدبابات وخطوط الدفاعات الانكليزية واحتلت المدينة في الساعة العاشرة تماماً . فوجدت طائرات سالمة ومستودعات وخزانات وقود عديدة وحظيرة ورشات هندسية هامة ومعدات وفيرة وخاصة الماء . واسر ما يزيد عن الفى نيوزيلاندي وهندي . وأمسى مرسي مطروح مجموعة من حطام تنبعث منها الحرائق وتنفجر فيها الذخائر المدسوفة . استؤنف التقدم من جديد في الساعة الحادية عشر وكان رومل يحاول الوصول الى العلميين قبل الانكليز او على الأقل ألا يدع للجنرال ريتشي اى وقت يمكنه من التجمع والانتظام فاجتاز منطقة الضبعة أثناء الليل . وكانت الانفجارات تتصاعد من هذه الحلة فتسمع أصداؤها الى مسافات بعيدة . وكانت فرقة ليتوريا تتبع الفرقة التسمين وقد أعلن عنها بغتة في اليوم الثاني بأنها تفرقت وتبعثرت من قبل العدو . وانه لم يبق لديها ولا دبابة واحدة لانها نسفتها جميعها . وكانت الفرقة المدرعة

الخامسة عشر تقاتل وتكسب أراض ومغانم جديدة من مدافع وسيارات وخلافها . وقد تميز هذا اليوم بهجومين جويين متعاقبين شنتها القاصفات الألمانية . وامتلاء الجو بعد الظهيرة بالطائرات الألمانية القاصفة والمقاتلة معاً وتوقف معه بالكلية نشاط العدو واسراب طائراته الجوية وسدت رياح السموم منافذ الرؤية وأظلمت الآفاق .

وفي اليوم الاول من تموز تهيأت وتحضرت الجيوش لمهاجمة العلمين وقد اجتازت منذ احتلال طبرق في الواحد والعشرين حزيران الى اليوم مسافة ٦٠٠ كيلو متر . لقد كانت حركة فريدة من نوعها بل اسطورية تقريباً وان ما حدث وجري في بون هذه الأسابيع وحق في هذه الاشهر منذ ابتداء الحملة الاخيرة كان يتعاكس ويتضارب تماماً مع كافة التقاليد والادراكات التي تتميز بها اسس الحرب . وكان اسم المارشال رومل يدور على جميع الالسنه ويجول في جميع الازهان ويملاء الصدور والافئدة في معسكر الاصدقاء والاعداء على السواء . لقد رفعه التقدير والاعتبار الى مصاف القادة العظام في هذه الحرب الكونية الثانية واصبح رمزاً لا يفترق عن مجال حرب الصحراء . وعندما كان يذكر اسمه كان الفكر يكتنف تواء الفيلق الألماني الافريقي . وعندما يتردد اسمه كان الناس يتذكرون على الفور ليبيا ومعاركها ومواقعها التاريخية . وأصبح هذا الذكر مأهولاً لا في ألمانيا وإيطاليا فحسب بل في بلاد العالم قاطبة . لقد ربح رومل في معسكر الجيش الثامن شهرة واسعة تتصل بخرافات الوثنية (الميتولوجيا) . وكتب في هذا الصدد احد المقررين الاميركيين ما نصه : « ابدعت حرب افريقيا جنوداً لا مثيل لهم في التاريخ وقادة من ذوي القيمة الحربية السامية . واذا عرفت هذه الفاجعة الكبرى بهطلاً عبقرياً فذاً فهو في نظري رومل وحده بلا ريب . لقد وضعه الجيش الثامن في مصاف الآلهة . وكان معجباً به عندما يغلب على أمره وكان يعجب وينزهل عندما يقهر

مثل هذا القائد الماهر . وطالما حاوت الدعاية البريطانية في كثير من الاحيات ان تنتقص من قيمة رومل . ولكن الجيش الثامن لم يخضع لهذه الدعاية ولم يؤخذ بها . لم يكن احد مستعداً ليحمل في نفسه كرهاً أو ليضمر حقداً لهذا القائد لان حرب الصحراء كانت حرباً نظيفة طاهرة شريفة مخلصه لا تكتنفها سياسة ولا غشواً .

وبالعكس فان هذه الشعبية التي كان يشعر بها العدو ازاء المارشال رومل لم تلاق الاستحسان الكامل وخاصة في الادساظ والدوائر الرسمية العليا البرلينية وفي كثير من المناسبات والافاق اعز بمنع ابداء التأييد والتظاهر القائم حول شخص رومل . وبالفعل فالانتصارات التي كانت يحققها رومل لم تكن من سياق الخوارق او المعجزات وبعيدة عن أن تكون من هذا الطراز . بدأ رومل حملته في افريقيا قبل عام من هذا التاريخ ولم يكن لديه سوى فرقتين ولم تتمتع قواته الا ربع فرق . وكان العمود الفقري للقوات الالمانية الايطالية . وكان بمثابة الرأس وأهم ايضاً . وكانت حميته الزاخمة تؤثر في نفوس جنوده الشباب تأثيراً عميقاً وتنفذ عوامل همته العليا الى كافة أفئدة الفيلق الالمانى . وكانت قدرته المبدعة وإرادته المتيدة وتأملاته الصحيحة الواسعة تعطي لرجاله طاقة قوية يخلق بها فوق الغايات والارغائب . والعجيب في الرجل انه كان غريباً عن هذه الديار والربوع جاهلاً بمناحي ونواحي هذه الاراضي لا يملك أية خبرة تجريبية عنها ولا أية فكرة مسبقة معروفة عن طبيعة الصحراء وطرز العمليات الحربية الواجب اتباعها فيها . ولكنه لم يلبث طويلاً حتى تفهم الاحوال والاضاع والاسس الواجب اتباعها وتطبيقها في هذا المجال . فوفق فيها بتجاوب عام وصار بين يوم وآخر استاذاً معلماً وكياً مسيداً في العمليات الحربية في هذا الصقع المعزول .

قاد رومل قوات مدرعة اثناء الحملة الاخيرة على فرنسا حيث تعالى



القوات اللائحة أمام سراي بنغازي

اسمه الى الذروة وتألق كالنجم اللامع والكوكب البارق مستلغماً مستدرجاً نحوه كافة الانظار الرقيبة . وكانت سرعته في القتال ومرونته في الحركة وجرأته في الاختراق وضرباته المحيكة تهيباً لقواته ووحداته شهرة زائلة . وكان شجاعاً مقداماً الى حد التطرف وبعبارة اخرى كان رجل حرب الصاعقة الاوحد ورفيق الحظ المواتي ونديم الآلهة المقرب ، آلهة الحرب والمواقع والمعارك والآلهة السمراء الخاطئة التي لم تر فيه سوى آلة صماء لا يعمل إلا بهديها وتوجيهها والتي قادت الأمة الالمانية الى ابشع الهزائم وأشنع الجرائم سخرية وهزواً . ولم تقصر آلهة الصحراء ايضاً عن منحه التفاتتها وعنايتها . ان السرعة والجرأة وحدها لا تكفيان في حرب الصحراء . فرومل لم يكن يعمل لوحده في أرجائها . فالمدو ايضاً كان لديه قادة خبيرين ماهرين في امور وشؤون الحرب وتصريفها يقودون جنوداً شجعان بوسائل مجهزين بأفضل التجهيزات والمعدات والوسائل الوفيرة . وكانوا يعرفون الصحراء وأجوائها ومسالكها وجوانبها وكل قواعدها معرفة اكيدة . وكانوا يستطيعون عدّها بسهولة على الاصابع . وكانت مقدرة رومل وجظته بتوقفان ايضاً على القدرة التي كان يتحتم بها في حسن التصرف والتدبير في كل لحظة والتوقع والتنبيه الحسي بمقلية ساحطة نوايا العدو وتصرفاته . وكان جريئاً ولكن في حدود سير عملياته القائمة على اساس استحالة القيام بهجمات مقتصر على العمليات الدفاعية . وما كان ليغيب نظره مطلقاً عن الحقائق . وكان يتحاشى كل ما هو غير مدروس أو مستوعب الادراك او جامع الى المفـامرة . لم يكن مطلقاً لعوبا ولا ساعي الصدف بل كان حساباً دقيقاً يحمل رأساً ثقيلاً متزنأ عاقلاً حكيماً متيناً قوياً . وكان كما اساغنا سابقاً مديراً للكلية العسكرية . وتخرن على الحرب وهو ضابط صغير اثناء الحرب العالمية الاولى وقد استفاد منها وتفتحت آفاقه كثيراً . وكان يستنتج دروسه من الاخطاء الواقعة في



معسكره . وفي معسكر العدو في كل موقعة او معركة يخوض غمارها .  
لم ينس مطلقاً تلك الدروس العملية القيمة وقد تعمق في دراستها والتعليق  
عليها . واستنتج منها الأسس الواجب اتباعها واعتمادها ولم ينقطع البتة عن  
تمحيصها وإكمالها . ومن الخطأ ان ينظر الى روميل كقائد في العمليات  
الهجومية والحرب السائرة فحسب بل لقد برهن بصورة قاطعة عن تفوقه  
ايضاً في قيادة حروب المواضع التي قام بهامرة بعدمرة اثناء حصار طبرق واحتلالها .  
لم يكن قائد مدرعات ولا عاثر ولا معطب ولا مشعوز بل كان  
ضابط مشاة ذو روح واقعية مثبتة تمرنت في مدرسة الخبرة والحرب  
حيث قاد فيها سريره بحنكة ومرونة . وكان اثناءها يزور المواضع ويمتحنها  
بدقة وامعان . وكان عنصر يقوم بواجب مهنته ومتطلباتها بثقة واخلاص  
خير قيام . كان يريد ان يعرف ماذا يجري امامه ويرى ويستطلع ويرقب  
ويدرس كل شبر من الارض ويتعمق في معرفة تفاصيل المراتى المقابلة ويتعرف  
على كافة الامكانيات القائمة وكان يقول : « ان المواضع الجيدة توفر  
الدماء وتقدم للمحارب والجندي شعور الامن والسلامة ، وهي صعبة  
الاحتلال بل مستحيلة السقوط اذا احسن تحكيمها واستخدامها . ويتوجب  
لاحتلال المواضع الدفاعية الجيدة التحكيم والموزعة همماً على الجبهة  
اجراء تحضيرات مدفعية هائلة » . هذا ما كتبه رومل في عام ١٩١٧ .  
وقد وجد نفسه امام حصار طبرق واستحكمااتها ازاء طبيعة جديدة بكليتها  
والتي لم تكن لتتجاوب تماماً مع ادراكاته السابقة المتعلقة بدفاعات الاعماق  
ولم يتأخر عندئذ عن تبني نظام جديد للدفاع والمدافعة . وابدع منظمة  
جديدة للدفاع ونظماً مستحدثاً للهجوم على الدفاعات المعادية . واستبدل  
استدراكاته القديمة بتعاليم جديدة اعتمدها وقررها وفق طريقته الخاصة ،  
وكانت هذه الطريقة تتلخص باقامة شبكة من نقاط الاستناد المنفردة  
تتجاوب وتتجاوب فيما بينها بالرؤية والنار وتشغلها عداد محدودة العدد

وقوية التسليح وواجب ان تكون نقاط الاستناد هذه محصنة قوية موزعة على الارض بدون انتظام ولكن طبق خطة مدروسة تماماً ، وكان رومل يسهر بنفسه على اختيارها وشكل تحصينها ودعمها بالاسلحة الثقيلة ويعتني بتعيين توطيد مرا كزها بنفسه ويشرف على اختيار ساحات مراميها بدقة وتحاشى الاما كن التي من طبيعتها استدراج نظر واحتمالات تصويب وتوجيه نيران العدو المستمرة عليها . كان يعمل على انشاء نقاط استناد ومواضع دفاعية كاذبة لخدعة العدو وابهامه . وفي الاما كن التي كان يشك بها المحاربون من عدم امكانية رفع رؤوسهم اثناء القتال يوصيهم باقامة اشباح تمويهية متقنة ليسوق نظر العدو اليها وتشويشه . وقد نجحت هذه الطريقة نجاحاً باهراً وطالما ابدع في الجهة كثيراً من هذه التمويهات بصورة فائقة بهرت انظار العدو وحملته خسائر جسيمة في اسراف الذخائر . وأوعز ايضاً باجراء تنقلات مستمرة المدرعات والسيارات الثقيلة على الاخلاف ومسيرات الوحدات والقوات لاثارة سحب الغبار والمعجاج في الارحاء وكان يوعز باجرائها لتضليل العدو وخاصة عندما تكون الرياح متحركة باتجاه جبهة العدو دون ان تكون هذه التدابير سبباً لانهاك قواته بدون جدوى . وكان يرمى من وراء هذه المحاولات كلها وضع العدو في حالة يقظة دائمة لاثارة وإنهك أعصاب قواته شأن الحرب الباردة .

وهكذا كان رومل سيداً في هذه الامور يملك موارد لا ينضب معينها هي نتائج الخبرة الواسعة التي اكتسبها اثناء احترافه العسكري الطويل . وكان واسع التأملات غزير الابتكارات مستعداً دوماً الى اللجوء الى الحيل الحربية البارة والخدعة . وهو الذي فكر في انشاء طريق المحور التي تبلغ طولها ٨٥ كيلومتر حول طبرق . وكان يتقن دوماً الالهجة المنوجبة لتوجيه الملامة او الثناء والنقد او التشجيع بحق . وما كانت طبيعته جاذبة

مقبولة مؤنسة كالتى يشصف بها بعض القادة المشهورين . كانت جوابه مقتصرًا مختصرًا جافًا ، مشفوعًا بالصراحة والبساطة شأن أغلب سكان مقاطعة فورتنبوغ ، وكان حديثه مع رؤسائه ومرؤسيه معًا مشبعًا بالعزم والقوة وروح الحزم . وكان من أهم صفاته البارزة الظاهرة حسه السريع في التوجيه والتسيير . وكانت له حاسة طبيعية لاتضعف مطلقًا في معرفة الاشياء واستدراكها وتبينها قبل وقوعها والاحتياط لها وتحاشيها كما يرى وكما تفرض الظروف القائمة . وكثيرًا ما كان يذهب مع رجاله في الليالي الحالمكة يتنقل بين مخافر القتال . وكان يعرف مواقعها ومراكزها بالضبط وباطمئنان عجيب . وكان يجد هدفه بدون خطأ في اصقاع وارض ليس فيها أي نقطة او اشارة بارزة للاستدلال بينما كانت رفاقه يتقدمون بتردد مفكرين في تحاشي حقول الالغام والاسلاك الشائكة والمواضع المتقاطعة بينما كان رومل يتقدم في ارجائها دوماً بجراءة وثقة في ظلمات الليالي الدامسة كما في ايام هبوب رياح السحوم . وكم مرة وفي احوال مظلمة حيث كان يصعب على أخبث ثعالب الصحراء البشرية العثور على أهدافها وحجورها مرئابة تمثل الطرق والسبل وتوصي بوجود ارسال طلائع استطاع تحاشيا للاخطار . وكان رومل معتدًا بنفسه فتراه تارة يوعز بالسير مستقيماً ، وطوراً متمرجاً الى ان يظهر أمام عجلاته الجندي الدليل المكلف بالاشارة الى الطريق بين حقول الالغام او جندي ارتباط آمر القطاع او الرقيب المعين لمصلحة استعلامات الفوج .

وطالما تميز رومل بفريزة فطرية خفية أو قل بالاحرى حاسة سادسة ذات بصيرة حادة الذكاء غريبة الحال تستدرك وتلمح الاخطار والمفاجآت قبل حدوثها وتستكشفها قبل وقوعها فيحناط لها مسبقاً . هذه الحاسة السحرية التي كانت تجعل من رومل الرجل الخفي الساحر في نظر العدو وما كان قط رجلاً خفياً ولا ساحراً . وكثيراً ما لوحظ من رومل مثل

هذه الظواهر الغريبة التي تثير العجب والاستغراب . وحدث ذلك مرة  
اثر عملية الاختراق التي قام بها في فرنسا وكان على رأس فرقته المدرعة  
حيث كان يعرج في سيره بدون انقطاع مع قواته وكان على موعد لبلي  
مقرر في نقطة ما من جهة يتوجب عليه أن يكون فيها في الوقت  
المضروب وبغية اوعز بالوقوف فوراً واستدعى فصائل الهندسة لاستطلاع  
واستكشاف الطريق . وعلى بعد مئتي متر من النقطة التي وصلت اليها  
الطلائع الامامية عثر على حقول الغام مبعثرة على الطريق والجوانب فرفعت  
الانغام في الحال ونظفت من الطريق ثم استأنفت الفرقة سيرها في اتجاهها  
المطلوب .

فهذه المعرفة والاستدلال المعجبيين تكررنا غير مرة في ميادين القتال  
الافريقية . وحدث ان كان رومل يوما متنقلا في سيارة شحن مكشوفة  
معدة لنقل الذائبة ودون أي سابق انذار اوعز الى السائق بالوقوف على  
الفور . ورفع رأسه كأنه يستمع ويتنصت وفي هذه اللحظة ذاتها بدأت  
القنابل الانكليزية تتساقط على مقربة من مقدم السيارة . وفي وسط هذا  
القصف صرخ رومل في وجه السائق ( تقدم الى الامام بسرعة ) وما  
كادت السيارة تتقدم قليلا حتى انقطعت النيران ونجحت السيارة وأفرادها  
من الهلاك . وطالما هوجمت سيارة رومل المدرعة ماموث Mamuth التي  
اقتنصت فيما سبق من العدو في الخيلي والتي كان يفضلها على غيرها من  
السيارات وخاصة في السير واقتال اثناء المعارك ولم يصب مطلقا بالرغم  
من انه كان يخرج رأسه من السيارة دوما للاستطلاع والمراقبة . وطالما  
كان يمر بها أمام انظار العدو وانوفهم أو يشق طريقه عبر تشكيباته  
وكثيراً ما كانت يتركها في مكانها عند الضرورة ليستقل سيارة  
المانية سرية أخرى كانت ترافقه في غالب الاحيان . وكان الهدوء لا  
يفارقه مطلقاً . وكان الناظر اليه في مختلف الحالات الخطيرة ليظن ان

الرجل تعاهد وتعاقد مع الموت الا يحسه بأذى وألا يقترب منه . ومن خاصته الغريبة انه كان يعرف ماتحت اوراق اللعب بصورة لا يمكن تصورها وشرحها . ولا ريب فانه كان دوماً بمثابة عامل آمن واطمئنان لمن يعيش معه وحوله أو يعمل معه قريباً أو بعيداً . وكان أركانه وضباطه جميعاً يشعرون بالطمأنينة التامة والسلامة الكافلة التي تحيطهم تحت قيادته واشرافه وكان البعض يظن بأن رومل لا يؤثر فيه الرصاص والقذائف . الى هذه الدرجة ذهب بهم الاعتقاد والايمن بهذا القائد . وأي جيش يشعر بمثل هذا الشعور العميق بقائه الفذ ولا يعتمد السير معه الى الظفر والانتصار .

وقد جرح رومل فيما بعد في ١٧ تموز ١٩٤٤ في النورماندي حيث هوجمت سيارته من قبل بعض الطائرات فجرح السائق جرحاً مميتاً . وفقدت السيارة توازنها وكان المارشال يحاول القاء نفسه منها بعد ان استوثق من خروج مأمون ولكنه قذف منها بشدة وانفدع شديدين معا سبب له الجروح الخطيرة . هذه هي الحادثة المفردة التي اصاب بها اثناء الحرب العالمية الثانية .

كان رومل يطلب اقصى ما في استطاعة ضباطه وجنوده . وكان بالفعل من هذه الناحية غير مشكور ولكنه كان دوماً مستعداً لاعطاء المثل بنفسه عن احتمال هذه الطاقة القصوى التي يطلبها اليهم . وفي الاسابيع الاخيرة من القتال ، تعرض الى متاعب ومشاق ليس في امكان أي جندي من جنوده احتمالها والمثابرة عليها . فرومل شخصياً لم تكن له متطلبات ولا حاجات البتة . وكان زهده واكتفائه وتقديره على نفسه كثيراً ما يزعج رفاقه واركانه . وكان لا يدخن ولا يتعاطى الخمر . ولم يفكر يوماً في تحسين معيشة بالرغم من الاعاشة المتنوعة الغزيرة التي كان يقتنصها من العدو في بعض الاحيان .

وكان له هواية كبيرة في الصيد والقنص ويعد في طبيعة الصيادين  
البارعين بلا منازع . وكان ولوعاً بصيد الغزلان . ومصوراً ماهراً . وكان  
لا يفتأ من أخذ صور شمسية عن العدو أثناء اشد المعارك احتداماً ونصراً .  
وكان يحسب الوقت اللازم لخراج هذه الصور التي كان يُسربها كثيراً .  
وكان فيما سبق يحب البستنة والعمل فيها . فيحرق ويزرع ويعشب  
كالفلاحين المتعربين على الزراعة . وكثيراً ما كان يحفر بنفسه ايواري  
ويدفن عميقاً خيمته في الرمال ويشغل نفسه بأجراء حفريات في الخرابات  
الرومانية القديمة الواقعة في الاماكن التي ينجم فيها ليكتشف بعض  
الآثار وكان لديه الكثير منها . وقد وقف قسماً من حياته اليومية على  
تماطي الرياضة المتنوعة . فكان يعني جداً برياضته البدنية الخاصة العنيفة  
بترويض جسمه وتعويده على كافة الاحتمالات والامتحانات القاسية . ويبدو  
شديد القساوة على نفسه . وكانت الحرب في نظره فاجعة وبلاء وايست  
حرفة أو صناعة ، ولكنها فن وعلم يتوجب معرفتها معرفة موثوقة .  
وكانت ساعاته الطويلة الصامتة الهادئة تبعث في نفوس رفاقه وجنوده  
شقى الشكوك والتأويلات في كنهه وذاتيته . وكانت يحب الجبال حيث  
يسرح في ارجائها تأملاته العميقة الواسعة . وكان موضع تعجب جنوده  
اذ يشاهدونه مباغتة في الساعات الممكنة وغير الممكنة في النهار كما في  
الليل وفي ساعات الهجير كما في ساعات الغسق .

وفي أيام حزيران الاخيرة ، كانت رومل دوما على رأس قواته  
ووحداته وبين ضباطه وجنوده دوما الى الامام بدون توقف ولا تأخر .  
وكانت قواته منهوكة القوى متعبة الاجسام ولكنها كانت كالخيل العربية  
المسومة ما يكاد يركلها فارسها بمهارة حتى تنطلق كالسهام الطائرة .  
فلا المعارك المستمرة ولا الحرس الخفيف ولا السير الماروق الذي لا  
ينتهي ، كل هذه العوامل المبيده القاتلة لم تستوقف رومل لحظة على

النظير والناظر إلى الظفر المؤمل الذي كان يدعو مشيراً إلى أن هذا  
مقر القرار وهذا مجال الغلبة والظفر هنا مبدان العلمين .



المارشال رومل مع أحد ضباط أركانها يطالعون الوثيقة على الخارطة

# الفصل السادس

## العلمين

الظفر والذئب — امائر الفاعل

EL ALAMEIN

Sieg und Niederlage Vorboten der Katastrophe

ان الطريق الوحيدة التي تقود الى قلب وضع العدو ونعني الى دلتا النيل وقنال السويس عن طريق الاسكندرية نحاذي ساحل البحر المتوسط وسهل ليبيا الصحراوي المرتفع تخطيطه الاودية العديدة التي تنخفض عميقاً في الترسبات الحجرية وفي رمال الصحراء ؛ وتتواصل الانقطاعات الجبلية الغربية وتتداخل فيما بينها ثم تضيق وتنكمش في السهل لتشكل شبه قمع على طول الساحل . وتركز محلة العلمين في أضيق نقطة من هذه الاماكن . ومن الجبهة الجنوبية على محاذة الساحل يمتد منخفض القطارة على مسافة ١٠٠ كيلومتر تقريباً مشكلاً حائزاً امام مملكة اليأس والخوف . وهي منطقة واسعة ذات مناظر غريبة الشكل تملأها الرمال المتحركة وتقع في مستوى تحت البحر . خشيا الناس منذ القدم وحفرتهم — العوارض الطبيعية عبر المصور وحواتها الى محيط من الرمال المائتة التي لاتحدها الحدود . ويمكن للمسافر على الطريق المزدقة اجتياز المسافة بين العلمين والاسكندرية في بون ساعتين بسير حثيث . وعلى اليسار شمالاً يمتد البحر الى الافق الذي يستحيل تمييزه وتدقيقه بسبب الاشعاعات المتراقصة فوق صفحة



الماء . ويحيط بالساحل خليجان صغيرة تعلوها تلال بيضاء وتحيط به بحيرات مالحة ومستنقعات موهومة يشكها السراب .

وعلى الجانب الايمن نحو الجنوب تمتد الصحراء بوديانها ومقاطعها وتصل سفوح الجبال وسهولها المرتفعة التي يتر حوافها لمان الاجواء وتصطبغ باللون الاحمر البرتقالي الزاهي . وهذا الممر الضيق في الصحراء الشرقية هو المضيق الوحيد الذي يظهر انه تمرد على الطبيعة وخرج على نظام المجال مشكلاً عاجزاً طبيعياً . وكان محصناً تحصيناً قوياً منذ عهد بعيد وانا لانتحطي اذا قلنا بأن عاجز الاسلاك الشائكة الذي أقامه الجنرال غرازياني على حدود ليبيا ليوقف السنوسيين عنده كما تمنع هجمات الوحوش البرية من اختراق سياج زرائب قطان الغنم . وانه ليبدو حقيراً بدائياً بجانب هذا السياج الحديدي الشائك كأن الذي بناه فيما مضى استدرك الحاجة الماسة الى مثل هذا الحصن المنيع . وفي هذا الربع الواسع كانت تمتد الحفريات والمنشآت المسلحة بالاسمنت تتخللها الملاحي المنيع ضد القنابل والقنابر وأعشاش الرشاشات المعوذة الخفية ومواقع المدفعية المختارة المركزة بعناية فائقة ونقاط الاستناد التي تميز بالعين المجردة . وهذه القلعة المحصنة التي تشكل من مرتفعات العامين كانت محاطة بآطار من الاسلاك الشائكة الكثيفة المتداخلة تحيطها حقول الالغام الواسعة الامتداد .

ان الموقعة الكبرى التي عاناها الجنرال ريتشي انتزعت منه كل امكانيات التدبير المسبق واقتصر على قبول الوضعية الراهنة القائمة كيفما تهيئت وتقدمت حق ولو انها غير مرغوبة ومفجعة . وما كان ليفكر في أي تدبير آخر سوى المحافظة على سلامة ما تبقى من الجيش الثامن . وفشلت المحاولة الاخيرة التي قام بها لايقاف خصمه عند مرسى مطروح . وبالفعل لم يبق لديه من دفاع يعتمد عليه سوى خط المقاومة الاخير في العامين حيث تربعت في هذا الموضع القوات الاوسترالية المحررة التي سبق

أن دافعت عن طبرق دفاعاً مجيداً . وكانت مرتاحة ومستكملة العمداد  
جيدة التجهيز والتسلح ممرنة على الدفاع الثابت وقد دعمت بقوات هندية  
سحبت من العراق حديثاً لتعزز القوات المارابطة . وفي هذه الحالة كان  
يمكن اعتبار الوضعية غير ميؤسة وأن من حق الجنرال الانكليزي أن  
يأمل بإمكانية احتواء وإيقاف رومل وقتاً طويلاً عند هذا الخط كي يتمكن  
من تنظيم وحداته المفككة وإعادتها الى الحالة الطبيعية . واعتماداً على  
ذلك فقد عمد على إرسال كافة القوات المنسحبة من الغرب الى الخطوط  
الخلفية القائمة وراء القلعة المحصنة . وكان الاوستراليون في الشمال يتربصون  
على طول الساحل . ووطد في الوسط بقايا وحدات جنوب افريقيا التي  
ضاعفت وحدات الهنود وأخيراً النيوزيلانديين . ولا كمال الشواغر ودرء  
الوضعيات الخطرة فقد احتاط الجنرال ريتشي بجمعه احياء الفرقة المدرعة  
التي كانت مدرعاتها تصل مباشرة من المصانع الانكليزية مع سدتها الجديدة .  
بيد أن المستقبل كان يواجهه بثقة واعتماد تامين . ولم يبق في الجيش  
الثامن المنهوك المحطم المغلوب على أمره إلا صرخته الخيالية . فالآلام  
والمصاعب والتضحيات التي ظلت بدون نتيجة كانت كلها عوامل تفقد  
الهمة وتبيد العزيمة . وانه لم يتمكن من استعادة قدرته ومعنويته السابقة  
بعد ان غلب وقهر في رمشة عين عقب الانتصارات العديدة التي قاتل  
من أجلها قتالاً عنيفاً جباراً في حين أنه كان يتمتع بتفوق عددي ساحق .  
وفي اللحظة التي كان يظن فيها عشية القتال الأخير اقطف ثمرات جهاده  
والحصول على المكافأة المنتظرة جزاء إقدامه وبسانته وشجاعته التي ظهر  
بها في سياق هذه الموقعة الكسبرى ، وجد نفسه وقد أضاع الرجال  
والمعدات والوسائل التي كان يعتمد عليها . ورأى هذه المجموعة الجبارة  
من القوى العتيدة المصممة تنهار بكاملها وتقف أمام النكازة الفاجعة وجهاً  
لوجه في حسرة مؤلمة . فهل بقي لديه بعد ذلك أية ثقة بالنفس

واعتماد على مستقبل أفضل .

وقد اقتنص أثناء الهجوم أمراً يومياً أصدره الجنرال اوكنليك وهو يعطي فكرة واضحة عما نحن في صده . وكان هذا الأمر يشكل وثيقة هامة احتوت صراحة مشرفة لا نخال ان كاتبها قصد اهانة أو تعريضاً بمعنوية الرجال الأشداء المحاربين ولكنه أراد فيها تصوير وجه الحقيقة الناصع وقد أصاب واقع الأمر أكثر من غيره وعبر عنه بكثير من الصدق الذي غاب عن الانظار وما هو نص الأمر المذكور :

« ان كل ما نخشاه ان يعتبر جنودنا بأن صديقنا رومل هو رجل ساحر ، رجل خفي لانهم يتكلمون ويتحدثون عن شخصه كثيراً . انه ليس رجلاً فوق البشر مطلقاً بالرغم مما يتمتع به من همة كبرى وقدرة بالغة . انه لمن المؤسف حقاً ان يرى فيه رجالنا قوة خارقة فوق الطبيعة . انني اطلب اليكم جميعاً ان تعتمدوا كافة الوسائل الممكنة لازالة هذا التأثير . ان رومل ليس شيئاً آخر غير كونه قائداً المانياً عادياً . ويتوجب قبل كل شيء منع ذكر اسم رومل دوماً عندما يراد التحدث عن العدو في ليبيا إذ يجب ان يقال الالمات او قوات المحور او باختصار العدو فقط دون ان يذكر اسمه في مقدمة القول . والتفضل مع الرجاء بتنفيذ هذا الأمر بصورة قطعية واعلام كافة قادة الوحدات ان الأمر هو في منتهى الاهمية والخطورة من الناحية النفسية . الامضاء ش . ج اوكنليك القائد العام لقوات الشرق الاوسط .

واضاف الى هذا الأمر الملاحظة التالية : ( انني لست غيوراً من رومل ) .

ولكن مزايا الجيش الثامن ظهرت ايضا في أدق الساعات الحرجة . فقد استعاد معنويته السابقة واسترد قيمته السالفة وظل بعيداً عن التزعزع . والحق يقال انه استحال وجهاً جديداً قوياً ظهرت فيما بعد قوته وقدرته بمظهر عظيم الشأن

أما سلاح الطيران البريطاني فقد ظل سالماً وازدادت قوته بفعل حوزته على مراكز تموين وتجهيز عديدة لا ينضب معينها تتركز في المرافئ المصرية بينما ظلت قواعد السلاح الجوي الألماني بعيدة جداً . وكان يقتضيها أسابيع عديدة للاقترب من ساحات القتال . وكانت الطائرات تشكل في هذا الوقت سلاح الدفاع الحاسم ، وإن ما يبدو هنا على قياس متواضع سيظهر فيما بعد في ساحات نورماندي فرنسا على سياق أوسع وأعم . وكانت القاصفات والمقاتلات البريطانية تزج أيلانها راقعات المحور التي أصبحت أمامها بدون أي دفاع مؤثر .

ومن ناحية نسبة القوى البرية فالقوات الحاربة المقاتلة كانت في الأول من شهر تموز متعادلة تقريباً . ويجب ألا نخفي الحقيقة الثابتة بأن الجيش المدرع الألماني كان أيضاً في حدود الامكانيات . وبالطبع فإنه لم يدحر بالرغم من المتاعب الثقيلة التي احتملها وعانها . وكان تعباً من كثرة وشدة العمليات أكثر من التصور ولكنه كان مصمماً على استغلال النصر الذي يتوجه باحتلال مدينة الاسكندرية . ولكن صفوفه أصبحت فضفاضة وعجلاته متضععة ومدرعاته شبه محطمة تمثل عمارة كانت عنوان فخر وصورة مجد سابقين . أما التجهيزات التي تألفت من الدبابات المقتنصة لم تبدل شيئاً من هذه الوضعية . وفي ١ تموز ١٩٤٢ لم يبق من المدرعات الألمانية سوى اثني عشرة مدرعة معدة للقتال . وعانى الجنود الألمان الجوع والعطش والحرمان على اختلافه كما عاناه أيضاً جنود التومي الإنكليزية . لقد أكدت القيادة العامة أن الجنود تمرنوا على الحر واثتلفوه وتعودوا احتمال عواصف الرمال التي تبيد الأعصاب ، وحماة الصيف التي لا توفر العدو ولا الصديق ولا تميز معسكراً عن آخر ولا المدرعات الألمانية عن عدوانها الإنكليزية . وكانوا يشحنون الجيوش الأوروبية وبلقونها في أرجاء افريقيا في أقسى أيام الصيف والحر . يضاف الى هذه الأحوال

القاسية المعارك الشديدة والأمراض التي كانت تكتسح الصفوف والأفلاس  
اللاحق في التموين والوقود .

وكان على الجيش الثامن أن يجلب معداته على طرق بعيدة طويلة  
تمتد آلاف الأميال وهي أطول وأخطر بكثير من طرق الجيش المدرع  
الآلماني . وكانت حاجات الجيش البريطاني تؤمن ليس بصورة أسرع فحسب  
بل بصورة أكمل وأوسع . وليس الأمر أن رومل يمد عن قواعده  
البحرية والبرية وأن عمليات النقل في الصحراء كانت تستوجب حل مسألة  
بل مسائل غير قابلة للحل فحسب ، بل لأن التموين الوارد من القارة  
ظل غير كاف على الإطلاق ، ولأن مسألة الشحن لم تحل بنفس المقدار  
الذي لم تحل على أساسه مسألة المرافقة والحماية . لقد ظل كل شيء كما  
كان في السابق . وكان لكل من الخصمين مشاغله ولو اختلفت طبيعتها  
ومشاكلها ، والمستقبل القريب وحده سيبرهن أي منهما كان يحمل  
العبء الأثقل .

وفي أول تموز بينما كانت أشعة الشمس الأولى تعلن ابتداء النهار ناشراً  
حره الخافق ، وبينما كانت أسراب القاصفات الانكليزية تملأ الأجواء بهديرها  
المزعج تقدم الفيلق الآلماني والفرقة التسعون الخفيفة لإطلاق هجومها على  
مواقع العلمين ، وبدأ يتقدمان بصورة مرضية وفق الخطط الموضوعة  
فاكتسحا الفيلق الواحد والعشرين المدرع نقطة استناد بير الشاين الكبرى  
في الساعة السابعة عشر مساءً ، وأسرا عدداً كبيراً من جنود الهنود  
القادمين حديثاً من العراق والتابعين للجيش الثامن . وكان مركز ثقل  
القتال ينحاز شيئاً فشيئاً صوب الجناح الأيمن حيث انطلقت الفرقة التسعون  
الخفيفة واصطدمت بمقاومة وحشية . وما آن وقت الظهر حتى دُمرت  
كافة مدفعيتها بفعل قنابر الطائرات . قاستعدت على الفور مدفعية الفيلق  
للاستناد ، وتقدمت إلى الامام ولكنها وقعت هي أيضاً تحت نار حامية تلقاها

من مختلف الجهات . وكانت المدفعية الثقيلة تطلق نيرانها من الجنوب والجنوب الشرقي والشرق والشمال . وامتلأ الجو بالضجيج الصاخب المتوالي والمجاج الخناق . واستهدفت هذه المدفعية ايضا من قبل اجنحة قاصفات العدو ولكن لحسن الحظ ردت من قبل المقاتلات الالمانية التي هرعت الى نجبتها وحمايتها وصدت كافة المحاولات الالمانية الرامية الى خرق جبهة العدو الجديدة بفعل نيران المدفعية المتواصلة .

استؤنف الهجوم مجدداً اثناء الليل المقرر وكان العدو يدافع بشدة وضراوة . وظل يعطر الفرق الالمانية وخاصة الفرق الايطالية المراقبة بين الخلابان الساحلية بقنابله الثقيلة المستمرة وتوات الغارات من جديد لأن أمر الطيران الالمني في افريقيا نقل في الاول من شهر تموز استعلامات هامة تشير الى ان الاسطول البريطاني اقلع من مياه الاسكندرية واصبحت الميناء والارصفة خالية من القوات . وكان مدلول هذا التصرف يعني أن العدو لم يكن يؤمن بمقدرته على الدفاع الموفق وانه يجابه احتمال الاندحار المحقق . لقد اعرض عن المقاومة اذ أن اوكنليك وريتشي وصلا الى آخر رمق من المقاومة . وبالفعل كان النصر قاب قوسين أو ادنى ، نصر كامل يحمل في ثناياه كثيرا من الخير لان ضياع مصر يجبر كافة الموضع البريطانية في البحر المتوسط على الاستسلام ، وتضمر من جرائه مسكينة ماطة السوقية وتضعف الى درجة تصبح معها عديمة الاهمية ، وتسمى صخرة جبل طارق الصخرة الكبيرة المنعزلة في حكم الجمود والضياع . واطالما اكدت القيادة الالمانية العليا عن خطئ بأن الجيش المدرع يقاتل في ميدان عمليات ثانوية . وهذه كانت حجتها الواهية دوما وخاصة عندما يراد تقليل أهمية الانكسارات والاندحارات ، او عندما ترفض تقديم الوسائل المطلوبة لانهاء الحملة الافريقية في مصلحة المحور . بيد ان الحوادث القادمة ستبرهن عن حقيقة لا مرأ فيها وهي ان مصير افريقيا هو مصير



الماريشتال كينسرفنغ و الماريشتال رومل و الماريشتال الايطالي باستيكر بيناهلون الاناء و الماريشتات

الحرب كلها وان إفلاتها من يد المحور معناه اندحاره العاجل أو الآجل وانتهاء الحرب بصورة حاسمة لصالح الحلفاء .

استؤنفت الموقعة في الثالث من تموز وبالرغم من صعوبة الرؤية استمرت القاصفات البريطانية في غاراتها وهجمات كما ردت الغارة الانكليزية المنطلقة على بير الشاين على أعقابها ودمرت اثناؤها ثلاثين مدرعة . وفي المساء وصلت الفرقة التسعون الخفيفة الباسلة الى ضواحي منطقة الاستحكامات المحصنة ولكنها لم تستطيع ان تتقدم بعيداً لأنها كانت في أقصى حدود المقاومة والقوة ولم يبق لديها سوى ٥٨ ضابطاً و ٢٤٧ فقيهاً و ١٠٢٣ جندياً . وفي هذه الاثناء وعلى يمين الطريق رد الفيلق الالماني هجوم جبهة صدام مؤلفة من مائة دبابة . وانطلقت الغارة الالمانية القوية التي حملت بصورة خاصة على قمة الرويسات حيث يتحركز ايضاً دفاع العدو وما لبث ان توقف على الاثر هجوم المميين . وبالرغم من هذه الموقفة الدفاعية الانكليزية لم تكن الموقعة مرضية النتائج بسبب حدوث أزمة غير منتظرة أثناء الليل فبدات الموقف . انصب على جبهة الفيلق العشرين النيوزيلانديون انصباب الزوبعة على الفرقة الايطالية واقتنصوا ٢٨ مدفعاً من أصل ٣٠ مدفع . ومئات من الاسرى ومئة سيارة شحن والقي ما تبقى من الايطاليين سلاحهم ونجوا بأنفسهم ناكبي الرؤوس فارين في اتجاه الغرب . وقد ظهر لأول وهلة ان العملية كانت ترمي الى اجراء مناورة تطويق لضرب الفيلق الافريقي في جنباته . فانطلقت المدرعات الالمانية على الفور في إثرهم تتبعهم تباعاً وقد أسرت القسم الاكبر منهم . وفي هذه الاثناء أشير الى أن جبهة هامة من المدرعات الانكليزية مؤلفة من دبابات جديدة وصلت حديثا من انكلترا كانت تتقدم لمساندة النيوزيلانديين في هجومهم لتوسيع واستغلال الاختراق الحادث في إحدى الاودية وهي ترتبص مستعدة للخروج والانطلاق لتعمل على أخلاف الخطوط الالمانية .



فارتدت المدرعات الالمانية على الفور . وفي لحظات معدودة دمرت كافة المدرعات ومزقت شملها تمزيقاً بفعل نيران مدافع عيار ٨٨ مم ومدافع الدبابات التي كانت تمطرها بقذائف كالأبرد المتساقط على اعلى المنحدر المحاذي للوادي . وقبل أن يتحقق العدو من ماهية الحادث بلغ عدد المدرعات المدمرة مائة ونيف .

أبعد كل خطر حاسم في الحال بيد انه وجب إيقاف الهجوم الذي استمر نجاحه على قمة الرويات كما استوجب رفع بعض القوات المهاجمة لارسالها الى الشمال لتتوب عن فرقة اريتا واتغطية جانب هذه الجهة . فالاعداد كانت غير كافية لاستمرار الغارة القائمة . وكانت الجيوش في حاجة للانتظام ، والذخيرة لم تكن ترد الى الجهة منذ عدة ايام الا بكميات غير كافية . وكانت وحدات مدفعية من الجيش افرغت كامل ذخيرتها المباشرة . وظن الانكليز بأن هذه الحركة عبارة عن انسحاب مطلق فاطلقوا مايقرب من ١٠ دبابة ثقيلة على الفرقة المدرعة الواحدة والعشرين عندما شرعت بالارتداد . وكانت مدافع هذه الفرقة من عيار ٨٨ مم مفرغة من الذخيرة ومدافع عيار ٨٨ مم المرافقة صرفت ايضاً ذخيرتها ماعدا فوج مدفعية من الجيش ما يزال يملك قليلا منها فاستدعى للعمل على الفور . كما وقعت كتيبة من المشاة الالمانية تحت طاية نيران العدو . واخذت الوضعية عندئذ دورا خطيرا . ولكن الانكليز لم يستدركو واقع الحال بصورة واضحة فلم يعملوا على استغلال هذه النتيجة الموفقة وقد صدت دبابات العدو وردت على اعقابها بعد أن دمر قسم منها . وتبين بعد انتهاء الغارة ان الخسارة التي لحقت بعدد الكتيبة الالمانية بلغت ٥٠ . ولكن آلهة الصحراء منحت عونها الغير مؤمل لثناء الليلة القادمة . فقد اكتشف في جوار بير الشاين ١٥٠٠ طلقة بمدافع عيار ٨٧ الانكليزية و٥٠٠ طلقة من عيار مدافع ١٥ الطويلة . وكانت ذخيرة المدافع تلحح

في كل مكان على طول الطريق الساحلية وبعد منتصف الليل وصلت ارتال  
طبرق الى الميدان وقد تم كل شيء طبق الرغبة ولكن لا يعلم أحد الى  
متى سيظل التوفيق مستمرا على هذا النسق .

او عز باجراء الاختراق وكان يتوجب استعجال التنفيذ لتأمين نجاح  
الاختراق . بيد ان رومل لم يداخله الشك لحظة واحدة بان اختراق  
موضع العدو لاينهى المسألة القائمة . فنجاح الحملة أصبح مسألة تموين فقط .  
وقد اثبتت حوادث ٣ / ٤ تموز بصورة واضحة هذا الواقع . اليس من  
عوامل الخطر تحقيق النجاح فقط بمجرد فكرة الوصول الى الاسكندرية  
واحتلالها بآخر سيارة وآخر دبابة ومدركة من قوات المحور ؟ وفي حالة  
عدم التمكن من التقدم بفعل ارتباك عمليات التموين فهل الانتظار الطويل  
أمام العدو وفي الخنادق والحفر الصحراوية يمكن في القوات المحاربة غير  
شعور الكسل والقعود وانحطاط القوى البدنية وضعف الارادة الناتج  
عن الجمود والتربص الطويل الذي تحدث عنه وأشار اليه كلاوزوتيز  
Glausewitz . ان تفوق جيش المدرعات الالماني الذي أوصله الى ضفاف  
النيل لم يكن بالنأ كيد تفوقاً مادياً مطلقاً . وهذا الهجوم الالماني العتيد  
الساحق الذي تولد من مهمة دفاعية بحمة ما كان ليكتب له النجاح والفوز  
لو ظل على طبيعته المقررة سافراً دون اللجوء الى العمليات الهجومية التي  
من شأنها التفوق وحسن التدبير وامكان نجاح المناورات المنطلقة والتوجيه  
المقصود المصمم . والمعروف انه لايمكن اقامة خط دفاعي نسقي في الصحراء  
ومخاضة لمدة طويلة . فالتوازن في القوى المقابلة لايمكن تثبيته بالنسبة الى  
العدو الا بتوجيه وتسديد الضربات الهجومية البارعة المحككة كما حدث  
في الحركات السابقة . واستناداً الى هذه الفكرة اطلق رومل هجامة  
المعاكسة العجيبة التي سمحت له باسترجاع برقة البيضاء للمرة الثانية .  
وكان يتوجب عليه أن يستأنف عملياته التالية قبل أن يتمكن

الجيش الثامن من اعادة تنظيم قواته . وكان رومل ينتظر بقلق واضطراب متطلعا إلى جهة البحر حيث ينتظر وصول قوات ونجندات ومؤون هامة جديدة كي يستطيع بواسطتها تنويع الانتصارات التي حققها حتى اليوم بنصر نهائي حاسم في هذه الموقعة الكبرى للبحر السائرة في الصحراء . ولكن مع الاسف لم يصل شيء مما هو قيد الانتظار . ولنعد الآن الى الماضي وانتسأل لماذا احتل الالمان جزيرة كريت والجزر المدينة الاخرى التي كلفت غالبا جدا في التضحيات والدماء ؟ ان فرقة مظليين واحدة من التي استعملت في احتلال كريت ومناطق روسيا تنصب على الاسكندرية والسبل الموصلة الى الجبهة وعلى خطوط دفاع العدو الخلفية كانت كفيلة باحداث الذعر والاضراب وبث الفوضى والارتباك لا في الجبهة فحسب بل في كافة القطر المصري ، ولأدت الى انهيار دفاع العلمين واجبرته على فتح الابواب على مصاريحها قسرا . والآن انتسأل اهل احتلت جزيرة كريت والجزر الاخرى من أجل هذه الغاية فقط أم لتوطيد القوات فيها فقط الراحة والاستجمام والترفيه مع مهمة ارسال صفائح زيت الزيتون والعنب المجفف ( الزبيب ) الى عائلاتهم القاطنة في المانيا ؟ ولماذا عانت ملطة ليلا نهارا الهجمات الجوية المتواصلة ولم تكن حاميتها لتزيد حينئذ عن قبضة من افواج المشاة البريطانية ؟ ولماذا احتجمت اسراب واجنحة الطيران الالماني عن التدخل في معركة مصر لاكمال النصر ؟ ولماذا كانت تستمر المحاضرات والمحادثات حتي في ميدان المعركة في العلمين مع المرشال كيسرلنغ القائد العام لساحة العمليات الجنوبية والجنرال كافالير وغيرهم من الضباط الامراء الالمان والايطاليين حول هذه المواضيع الخطيرة ؟ اجل ! وكانوا يسدون النصائح ويقطعون الوعود ويرجون أطيب التمنيات الحارة والمساعدات العاجلة لرومل وللجيش المدرع ويجزمون بفوزه وانتصاره في الموقعة المنتظرة . وطالما كان يعلمن الماريشال



الاربعاء كبريتانج والاربعاء باستيدكو يتحدان عن الرضع الحربي في جهة مهر

كيسرلنغ قائلا : ان المسألة الوحيدة القائمة هي مسألة التمويل فقط .  
وقد وضع شروطها بصورة واضحة والتي على أساسها كان يجب أن تستأنف  
العمليات القادمة . وقد كرر القول مراراً مؤكداً اجراء كل ما هو  
مممكن ، فهل أجري هذا الممكن ياترى ؟ كلا لان الامور والاشياء ظلت  
كما هي وحيث هي من قبل ومن بعد .

اجل لقد ارسلت بعض القوات وسدت بعض الفرج ولكن ما كان  
في المستطاع تعويض الخسائر بكليتها ولم تستكمل العداد في هذا الوقت .  
ولا ريب أن برلين كانت تفكر في بادئ الامر بإمكانية الحصول على  
الكثير ببذل القليل . والحقيقة فان هذه الحرب ككل الحروب السابقة  
واللاحقة وخاصة منها الحروب الطويلة الامد تفرض التوفير كما تفرض  
عدم التقدير أيضاً ( اساس ) . وبدلاً من حشد وسوق كافة القوات  
الممكنة للحصول على تصفية عاجلة لكافة الحسابات ظنت برلين ان في  
امكانها اجراء ذلك دفعة بعد دفعة وطالما كانت هذه الطريقة تلائم وضع  
العدو الراهن كثيراً والذي بدأ يتفهم الوضعية القائمة فهماً كاملاً ويدرك  
أسبابها على الوجه الاكمل . وان هذا الوضع من شأنه أن يساعد او كئليك  
بدون ريب . اجل لقد وقعت اخطاء عديدة من قبل العدو كما اخطأ  
ايضا في اساءة تقدير قوة ومقدرة رومل الحربية ولكنه تفهم مع الزمن  
ووعى الدروس والاختبارات السالفة . وفي هذه الساعات الخطيرة من  
من شهر حزيران وتموز عام ١٩٤٣ تدخلت القيادة البريطانية العليا بقوة  
وقرار ثابت دون ان تستوقفها الحواجز والعوامل الادارية . قافريقيا  
يجب ان تنال كل ماتحتاج اليه وتتطلبه وهكذا تقرر وتم الامر .

أما من ناحية رومل فلم يكن الوضع مشابهاً على الاطلاق . لقد ارسلوا  
اليه ما يحتاجه ليقصوا عنه القناء والموت فقط ولكن ايس بالكفاية التي  
تسمح له بالحياة . لم يفكر أحد ما في مقر قيادة الفوهرر العامة في سوى

ميدان روسيا الفسيح الذي كانت كعامل التجاذب المغناطيسي يستدرج القوات الألمانية تباعاً . وكأن هذا الميدان كان عبارة عن هــوة متسعة الحدود مترامية الاطراف أعدت لابتلاع الرجال والمعدات دون حساب . وقد توفقت الحملة الألمانية على روسيا بالرغم من تفوق الجيش الاحمر العددي والمادي . وظن الالمان ان في امكانهم العمل في افريقيا على هذه النسبة وعلى نفس الشروط .

وفي هذه الوضعية الصعبة وجد رومل حاجزاً جديداً على طريقه المليئة بالاشواك . وبصفته قائداً ألمانيا كان عليه ان يتلقى أوامر وتوجيهات وتوصيات هتلر رأساً . والحقيقة انه كان موزعاً بين الالمان والايطاليين او بالاصح بين هتلر وموسوليني . وكان يتلقى في نفس الوقت أوامر من الجانبين بصفته قائداً عاماً للقوات الألمانية - الإيطالية . وطالما كانت هذه الاوامر والتوجيهات تتعارض في انقباهاتها وميولها . وكان المارشال رومل يسمى جهده ليوفق بين الطرفين بكياسة ولباقة في علاقاته مع الاركان والقوات الإيطالية . وطالما شكل هؤلاء جميعاً ازمته ككتلة موحدة بيد انه ما كان يستطيع الاستغناء عنهم والتحرر منهم بفعل الواقع الراهن .

وعند تأزم الاحوال وتصعد الجبهات وتبعثر القوات وطبعاً ودوماً في قطاعات الايطاليين كان على الوحدات الألمانية وحدها ان توطد الوضعية وترأب الصدع وتعيد النظام . وكان يتوجب على الالمان دوماً الاحتياط لمثل هذه المفاجأة اذ كانت الفرق الألمانية الاربعة تظل ساهرة يقظة على مجرى الامور والاحوال .

فاذا كانت القوات الإيطالية في الصحراء غير قادرة على احتمال القتال وخاصة بعد عرور عام ونصف العام على حرب متوالية لم يكن ذلك منأى عن ارادة سيئة ، ولم يكونوا جنباء الى هذا الحد كما لم يكونوا شجعاناً الى الحد المطلوب لانهم كانوا محطمين المعنوية مثبطي العزائم عزلاً من

قوة العناد والتصميم . وكانوا عندما يحاطون من قبل القوات الالمانية يتصرفون بعزم وقوة وشرف ويقاثلون ببطولة ملحوظة . وعندما كانوا يتركون لانفسهم كانوا ينهارون كما انهاروا في السابق . وكانوا ضعاف الثقة بأنفسهم وضباطهم وسلاحهم ، ويتلقون ثلاثة وقعات في النهار بينما الجيش المدرع من ارفع جنرال الى آخر جندي كانوا يتقاسمون فيما بينهم بالتساوي معملبات السمك ( الساردين ) بالزيت واللاحم المقدد والمعلب الذي كان يحمل شارة د آم AM ، والذي كان الجنود يطلقون عليه اسم التمران Alterman أي الرجل المعجوز . ففي حرب ضروس كهذه وازاء عدو عنيد مصمم على الغلبة وتحت شروط الحياة القاسية في الصحراء لم يكن من الذوق والواجب العسكري اقامة فروق بين المراتب ما خلا فارق الآمرة والواجب . وكان من المستهجن الممقوت تخصيص الضباط بمعناية تميزهم عن غيرهم من المحاربين . ولا غرو فان سر عظمة القوة الالمانية يضاف اليها التدريب التام والتمرين الفائق تنقص في هذا الاتحاد الوثيق بين الضباط والافراد ، وما كانوا كلهم في الجبهة بل على الجبهة . وما من قائد ولا ضابط سار في الصحراء واجتازها الا على راس طلائعه وقواته . وان اساس وحب المسؤولية الشخصية كان عامل التدليل والعناية من قبل الجميع . وكان حتى الافراد من رتبة عريف وكل المرؤوسين معاً يتمتعون بالتصرف الحر حيثما يتطلب الاجراء الذاتي . والفضيلة الاولى النامية في النفوس كانت المثالية . وكان رومل الرجل الاول الذي يعتمد عليها ولم يكن الانصياع على الاطلاق طاعة عمياء كما يظن الآخرون بل نزعة روحية خالصة وكان الانكليز يسمون الالمان ( النازيين ) ولكن النازية مع كل منازعها لم يكن لها أي اثر في الصحراء ، وما كان لها اية مصلحة عاملة في هذه الارحاء . فهؤلاء الجنود كانوا يؤمنون برومل وهتلر ايمان العقيدة الثابتة معتقدين ايضاً بأن قضيتهم قضية عادلة وان قتالهم يجب ان

يكون صريحاً ومخلصاً . ولم يكتسب الجيش المدرع الألماني قيمته الحربية لكونه مؤلفاً من نازيين بل لانه مكوناً من ضباط وجنود يشكلون جميعهم كتلة متراصة واحدة . لم يعرف الجيش الإيطالي هذه الوحدة قط . وكانت الحالة الاجتماعية والتفاوت في الوضعيات تبدوان كأنها طبيعية بالنسبة اليهم ومقبولة في عرفهم ومعضومة على اذواقهم . وكان الجندي الإيطالي ينهار حيث ينهار آمره وقائده . وكان يتبعه ويقفو أثره بصورة شاملة . وما كانت تشتمل هذه الصورة البشعة على عامل مشجع . لم يقل له احد قولاً مقنعاً مؤثراً لماذا يحارب ويناضل في هذه الصحراء الخيفة ؟ ولماذا يخوض غمار حرب لم يرغبها ولم يسع اليها ؟ فالخطب الرنانة والكلمات النارية التي كان يلقيها موسوليني معبراً بها عن عظمة الامبراطورية الإيطالية والتي كانت حماسية مثيرة الى اقصى حد تبعث في الروح الفخر والكبرياء . وتزرع في النفوس الخالصة القوة والجبروت . كل هذه الكلمات والاقوال المشجعة لم تكن لتتعدى حدود البلاد الإيطالية وكانت تفقد كل معانيها ومفاهيمها السحرية سالكة طريقاً غير طريق ساحات المواقع والمعارك . فالفيالق الإيطالية التي كانت مجبرة على متابعة الموقعة الهجومية على جبهة الغزاة لم تشترك وتحتمل كل شدة ومراس الحرب ماعدا الفرق الآلية وحدها التي تحملت كثيراً من الخسائر الثقيلة بفعل القصف الجوي في حوادث اليوم الاول من تموز . ولم يبق لدى فرقتي ارتيا وليتوريا سوى خمس دبابات لكل منهما ، ومدفعين للاولى ومدفع للثانية فقط . وكانت الدبابات الألمانية وحدها تشكل الجيش المدرع السليم الذي لم يكن مسلحاً بالمعنى التام امام جبهة العلمين . وكانت الهجمات الجوية المستمرة ونيران المدفعية البريطانية الثقيلة المدمرة توالي قذائفها المتواترة . وبلغ عدد القنابل التي اطلقت في ٦ تموز على قطاع احدى الكتائب المدرعة ما يزيد عن ٣٦٠٠ قذيفة وطبعا لم يكن اثرها عديم التأثير . وبالإضافة فان عداد الوحدات تدنى الى حد



كبير وتناقص عداد سرايا كتيبة الرماة الـ ١١٥ الى حد انه لم يتجاوز سريتين فقط .

وفي ٨ تموز لم يكن لدى الفرقتين المدرعتين الخامسة عشر والفرقة الحادية والعشرين سوى خمسين دبابة لكل منها وكتيبة رماة يبلغ عددها ثلاثمائة شخصا وعشرة مدافع ضد الدبابات . وكتيبة مدفعية تشتمل على ٢٨ مدفعا . ولم يبق لدى الفرقة التسمين المؤلفة من أربع كتائب سوى ١٥٠٠ جندي و ٣٠ مدفع ضد الدبابات وبطاريتين تشتمل كل منها على اربعة مدافع . وكان فوجا الاستطلاع يمدان معا ١٥ سيارة استطلاع مدرعة و ٢٠ سيارة مدرعة لنقل المدفعية وكانت مدفعية الجيش تملك آنذاك بطاريات خفيفة و ١١ بطارية ثقيلة . وفرقة المدفعية ضد الطائرات تتألف من ٢٦ مدفع من عيار ٨٨ ملم و ٦٥ مدفع من عيار ٢٠ ملم . وكان الفيلق العشرون الآلي مؤلفا من فرقتين مدرعتين وفرقة آلية تعد ٥٤ دبابة و ٨ افواج تضم ١٦٠٠ رجلا و ٤٠ مدفعا ضد الدبابات وبطاريات مدفعية خفيفة . وكان الفيلق المباشر والفيلق الواحد والعشرون يشملان على ١١ فوج حيث القسم الاكبر منها آلي وكل منها عبارة عن ٢٠٠٠ رجل يضاف اليها ٣٠ بطارية مدفعية و ٥ بطاريات ثقيلة . وكانت مدفعية الجيش الايطالي تملك ماعدا ذلك اربع بطاريات ثقيلة .

وبالرغم من هذا النقص الهائل في العداد والمعدات لم تكن معنوية الجيش الالماني متداعية . وصدد الجيش مناورة عظيمة قامت بها الفرقة الخامسة الهندية مع جبهات أخرى بمساعدة السلاح الجوي البريطاني القوي واسكنها دحرت وردت على اعقابها بنحسائر دامية . وفي هذه الايام القليلة الماضية وبالرغم من هجمات الطيران البريطاني والقصف الجوي المستمر والغارات المعقدة التي حارلت اجراء بعض الاختراقات في الجبهة فقد تم في ٩ تموز تجميع قوات الجيش المدرع الالماني استعدادا للهجوم الجديد .



مدرسة مضاف للدراسات عمار ٨٨ م في وضع الاطلاق

أخذت الأرض تهتز في الافق وتحولت الى دائرة من الفولاذ وكان هدير الطائرات يختلط بانفجار القنابل الانكليزية وعواء طائرات شتوكا الالمانية . ومنذ الفجر تصاعدت سحب العجاس بفعل تقدم المدرعات الالمانية ( البترز ) من الموضع الانكليزية التي ظلت تتوجها نيران المدفعية . وتوجهت الغارة الالمانية صوب القسم الجنوبي من جبهة العلمين واحتلت الموضع المقابل المستحكمة والمحصنة جيداً تحميها حقول الالغام المبتوثة . وتقدمت القوات مندفعة الى الامام فوجدت موضع قبر العبد خالياً من القوات الانكليزية مما دل على أن العدو انسحب قاراً بصورة مفاجئة ، وكان هذا الانسحاب غريباً من نوعه لا يفهم ولا يدرك لأن الموضع المذكورة كانت حصينة وفي وضع ملائم جداً تشتمل على ملاجئ قوية من الاسمنت المسلح وخنادق ممتازة للرمي . ولم يجد الجنود الالمان فيها سوى معدات متروكة وكميات كبيرة من الذخائر وجموع الذباب المؤلفة ؟

وفي الغد تبدت مقاومة ريتشي وهاجم المفتاح الشالي الواقع بين البحر والطريق الساحلية . وعلى أثر هذا الهجوم تبعثرت فرقة ثابراتا « Sabreta » الايطالية واستسلم قسم كبير منها دون مقاومة . ونتج عن هذا الهجوم المعادي وضعية جديدة على جانب من الخطورة بسبب انفتاح فرجة مفاجئة في هذا المكان وكان في وسع العدو أن يتوغل منها بسهولة لتفكيك ارتباطات تموين الجيش لو انه ابدى مرونة حقا في حركاته التعبوية . ولكن رومل هرع على الفور وساق جمهرة من الفرقة الخامسة عشر المدرعة مع رتلها الخاص لتلافي الوضعية الخطيرة . ولاحظ آتشد بأن جمهرة الزعيم مارك الالمانية سبق ان تصدت للهجوم وسدت الفرجة وأغلقت المنافذ بواسطة عدد من الدبابات التي وصلت حديثاً من ورشات التصليح وسلمت الى جبهته .

وفي الحادي عشر من تموز ترددت نفس الحادثة وفقد من جرائها

فوجان ايطاليان . وفي هذه المرة تدخلت المدافع ضد الطائرات من عيار ٨٨ مم لسد الفرجة الحادثة . وعلى اثرها اطلق رومل هجوماً معاكساً على الجبهة الانكليزية رد به هجوم العدو ، والقى بقوات الفرقة الاوسترالية بعيداً ، وانتزع منه الموضع التي احتلها أخيراً . وفي الجنوب احتل موضع الرويسات وتقدمت الجبهة عشر كيلومترات الى الامام . وكان القتال على أشده لامتلاك الموضع المتقدم . وأضاعت الفرقة المدرعة الواحدة والعشرين فرصة مؤاتية في هذه الآونة وكانت تقدمت بهجوم تحت عاصفة رملية هوجاء أظهرت فيها الرؤية والمرأى تساندها طائرات شتوكا . وكانت وحداتها تتقدم على جبهة واسعة ولكنها لم تستطع التوجه تماماً واضطرت ان تتراجع الى مواضع الانطلاق البدائية .

وكانت الطريقة القديمة في نسق الهجمات والهجمات المعاكسة بين الخصمين تتناوب دون أن يتوفق احدهما في تحقيق عمل حاسم . وفي ١٥ تموز انطلقت عاصفة جامحة من القوات الانكليزية وانصببت على فرقة بريشيا التي تبعثرت قواتها تماماً . وبعد يومين عاودت الكرة من جديد على فرقي ترانتو وتريسنا وهوجمنا رغبة في اختراق الجبهة وقصد احاطة كافة الخط الدفاعي الالماني الابطالي على الاختلاف .

وقد تشتت الفيلق العاشر ودمر تدميراً ماحقاً . ولو أن العدو تمكن من احتلال بير الشاين لقطعت الجبهة الى نصفين . ولكن المهاجمات الالمانية المعاكسة أعادت الوضعية السابقة الى ما كانت عليه وردت العدو على أعقابها خاسراً . وكانت القيادة البريطانية تعيد نفس الخطأ المرة بعد المرة . فبدلاً من استغلال عملية الاختراق على الفور كانت قوات الصدام تنتظر الموجة التالية أو انها تقف مكتفية بالعملية الموضعية باعتبار انها وصلت الى هدفها المعين . وهذا هو سبب التوفيق الذي كانت تحرز به الهجمات الالمانية المعاكسة على الدوام . وقد توجب تخصيص كل القوات

الشاغرة لتثبيت الغارات الانكليزية . وقد دمر اثناء هذه العمليات عدد وفير من المدرعات الانكليزية واسر ما يقارب من ١٢٠٠ أسير ولكن العمليات الآتية الذكر لم توفر على الفياق الالماني الافريقي الحسائر . وكانت كثافة صفوفه تخف يوماً عن يوم . وفي غمرة من هذه الاحداث المتشابهة وصل الماريشال كيسرلنغ وبرفته الجنرال كافاليرو للتحدث مع الماريشال رومل عن هذه المواضع . وفي هذه المرة ايضاً راحا يرسلان الاقوال الرقيقة ويقدمان التمنيات الطيبة والوعود المنتظرة . وأبديا تقديرات وآمال واسعة ، ولكن الحقيقة لا كيسرلنغ ولا الجنرال الايطالي حققا شيئاً عملياً مثبتاً . وطلب رومل قراراً قطعياً في موضوع التمويل ولكنهم لم يقدرُوا على تأمين طلبه . فالتمويل كان يرتبط بعديد من المشاكل والموانع . وكان كيسرلنغ يعرف كما يعرف كافاليرو تماماً المسافة الكائنه بين اعطاء الاوامر في برلين او روما وبين التنفيذ . وكان رومل كثير التفكير والانشغال بأمر تناقص عداد الفيلق الالماني الافريقي وضعف متانة الفياق الايطالية . ولهذا الاسباب اعطى أوامره بالتوقف عن متابعة المهاجمات والتربص على الدفاع . وفي الايام التالية كان يرى متنقلاً دوماً من موضع إلى آخر ومن مرتفع الى مرتفع ليتحقق شخصياً من تفاصيل التدابير والترتيبات المتخذة . وكانت هذه المهمة متعبة وشاقة وزادها صعوبة الحر الصيفي الهائل الذي كان يحدث تأثيره الشديد منذ ساعات الفجر الاولى تحت سماء صافية عارية من الغيوم بصورة دائمة . وانشاء ذلك ردت قوات المحور هجوميين واسمين عنيفين بخسارة لا تكاد تذكر . وفي الثالث والعشرين من تموز دمر الدفاع الالماني وانفجار الانغام ١٤٦ مدرعة انكليزية وأسر حوالي ١٤٠٠ أسيراً . وتأكد الجنرال ريتشي بأن القوات المدرعة لم تضعف ولم تقهر بعد . وكانت تقاوم بضراوة شديدة حتى ان الفرق الايطالية في هذه الايام الاخيرة ابدت دفاعاً مجيداً .

وتم احتلال موضع ابوسفافيس الدفاعي من قبل قوات المظليين الايطاليين وكانت قوات متمسكة للغاية . وقد ردت كافة الغارات التي اطلقت على المواضع . وأوشك رومل مرة ان يذهب ضحية القنابل المتساقطة كالبرد على منخفض القطارة اثناء عملية التفنيس الذي كان يقوم بها في هذا القطاع .

واذا كانت الموفقيات الدفاعية التي حدثت في تاريخ ٢٢ / ٢٧ أثارت حماس الجيش المدرع بيد أن قاداته يدركون ملياً بأن القتال الدفاعي ليس له نتيجة مظفرة الا اذا تحقق مكان جلب نجيدات وقوات ومعدات جديدة بصورة أسرع من اوكنليك . وكان المهم في الامر منذ الآن ليست شجاعة الجنود ولا مهارة القادة بل الحصول على القوات الجديدة العديدة واعادة النظر في اكمال وتنظيم العداد وبصورة خاصة تأمين الوقود والذخائر . وفي أول آب تمعدت لائحة القوات بصورة محسوسة بالنسبة الى أول تموز ولكنهما كانت بعيدة عن الحد المطلوب . وبلغت قوات الفرقة المدرعة الخامسة ٢٢٥ ضابطا و ٦١٨٢ رجلا و ٤٧ مدفعا ضد المدرعات و ٣٦ مدفعا عاديا و ٦٥ دبابة و ١٦ سيارة استطلاع و ١٨ ٥ سيارة نقل ( شحن ) .

وبلغت قوات الفرقة المدرعة الاحدى والعشرين ٢٩ ضابطا ، و ٨٧٠٦ جنديا و ٥٣ مدفعا ضد المدرعات و ٤٧ مدفعا عاديا و ٦١ دبابة و ١٦ سيارة استطلاع و ١٦٠٤ سيارة نقل ( شحن ) . وكانت الفرقة التسمون الخفيفة تملك ١٣٣ ضابطا و ٤٦٨٩ جنديا و ١٨ مدفعا ضد المدرعات و ١٩ مدفعا عاديا و ٥ سيارات استطلاع و ١٤٤١ سيارة نقل كبيرة . وكانت الفرقة ١٦٤ الخفيفة الافريقية العسكرية في جزيرة كريت والتي وصل جزء من قواتها تشتمل على ١٩٥ ضابطا و ٦٧٠٨ جنديا و ٤٥ مدفعا ضد المدرعات و ١٠ مدافع عادية ، ولم يكن لديها حق الوقت

الحاضر سيارات نقل على الاطلاق .

وكانت عناصر الجيش تشتمل على ٢٣٦ ضابطا و ٦٩١٢ جنديا و ٨٥ مدفعا ضد الطائرات و ٢٩ مدفعا ثقيلًا و ٥١ مدفعا عاديا و ١١٠٨ سيارة نقل . وكان ٨٥ في المائة من السيارات يكاد يكون مشغولا . فثلث السيارات كانت بصورة دائمة قيد التعمير والتصليح . وكان مجموع ضباط الفرقة الالمانية يبلغ ١٠٧٩ ضابطا و ٣٣٢٩١ فردا تكملها الوحدات الايطالية التالية :

— الفيلق العاشر مؤلفاً من :

— تسعة أفواج مشاة

— خمسة أفواج مدفعية

— وفوج مشاة بدران سلاح .

— الفيلق العشرون :

— تسعة أفواج مشاة

— فوج ضد المدرعات

— تسعة أفواج مدفعية .

وكان ينقص الفيلق نصف السيارات المعينه له ، وكان من جملة الافواج أربعة فقط آلية .

— الفيلق الواحد والعشرين :

— ثمانية أفواج مشاة

— اثنا عشر فوج مدفعية .

يضاف الى هذه القوات فرقة المظاہين التي وصلت حديثا والمؤلفة من فوجين رماة قناصة وفوجين ضد المدرعات . وكان عدد الفوج يبلغ ألف رجل تقريبا .

وبلغت الخسائر منذ موقعة الغزلة - حتى نهاية شهر أيار العدد التالي :

مفقودون	قتلى	جرحى	
٣,٩٨٥/٧٥	٢,٢٣٦/٢٧٢	٨,٥٠٥/٥٢١	( )
٥,٥٣٣/٥٤	١,٣٢٣/١١٥	١٠,٧٣٣/٧٢٤	( )

والامات ( ) ضباط وأفراد  
الابطاليون ( )

وكان ينقص الفرقة الالمانية لاستكمال عدادها حوالي ٤٨٤ ضابطاً و ٢,٥٠٠ تقيماً و ٩,٠٠٠ جندياً. وجرت محاضرات جديدة وصدرت أوامر جديدة واعطيت وعود جديدة انتهت كلها باخفاق جديد . وصرح رومل بمرارة لأول مرة ، رومل الماريشال الجديد المنتصر جواباً على الوضعية الراهنة تصريحاً لا بد أنه كان صدى ما يشور في نفسه من عميق الالم منذ زمن طويل قائلاً :

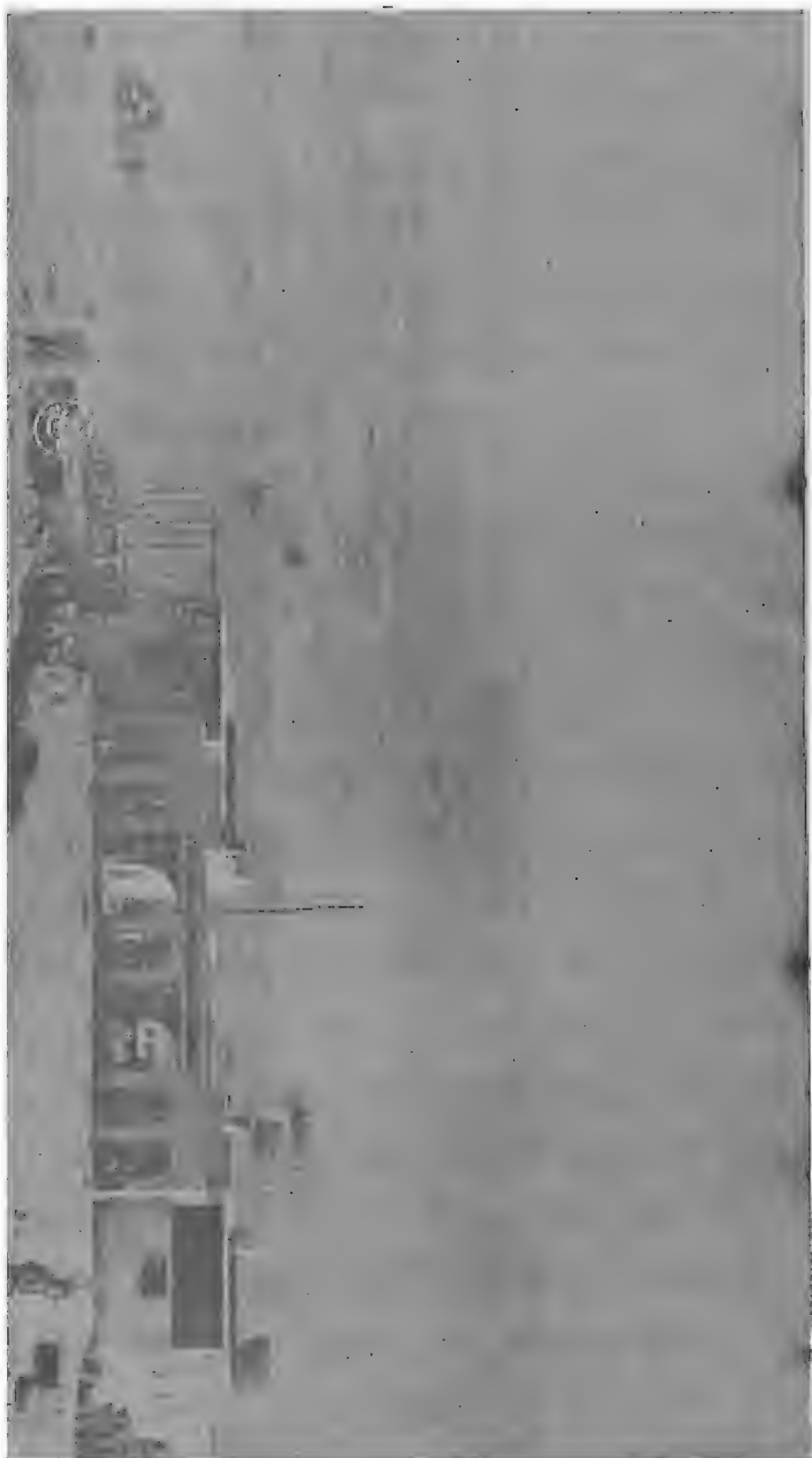
« لست ادري بعد هذا المكوث الطويل امام مواضع العلمين اذا كانت خسارة الحرب في افريقيا اصبحت مؤكدة » .

وكان يعرف جيداً بفعل خبرة الماضي ومعرفته للعدو انه اذا لم يتمكن من تحقيق نواياه عاجلاً وسريعاً فان شرائع الصحراء ستقلب ضده حتماً . وان كافة المواقع السائرة الكبرى التي جرت حتى الآن في ليبيا اخفقت بدون ريب ؛ وان لم تنجح كلها دوماً بصورة حاسمة قاطعة فلائها لم تصل الى غايتها وهدفها ولم تتوفق في تدمير العدو واخراجه من دائرة القتال . وكانت نهاية كل موقعة تقف عند آخر حد من حدود الغلبة دون أن تصعد الى ذروة الانتصار النهائي . وكانت الاسباب معروفة في كل مرة اما أن تكون اسباب المهاجم ضعفت لدرجة لا يمكن معها الوصول الى هذه الذروة او أن المندحر بدأ يدنو من قواعد معسكره فتتحسن وضعيته وتزداد قوته أو لسبب تردد القيادة التي لا تعتمد تعبئة مرنة لاستغلال نجاحها أو العمل في كل ثقة واطمئنان دون التورط والمخاطرة . وهذا الخطأ طالما وقع فيه غرازياني وبالتالي ويقل كما لم ينجح



فيه ريثشي بالذات حيث وقف في اجديا لآن قراره كان متأثراً بعوامل التشكيلات الانكليزية المتسلسلة التي كانت تشرف على كافة الشؤون والمقررات التي من شأنها ان تحدد حرية التصرف لدى القيادة الملاحقة ، هذا التأثير الذي كان من الثقل بحيث يحدد من حرية العمل ايضاً . وكان رومل يعلم علم اليقين بأنه اذا أراد عدم الاخفاق في مساعيه وغاياته فانه يتوجب عليه العمل دونما أي تأخير . وقد سبق أن أضاع الوقت المطلوب . وفي اثناء الاشهر الاخيرة كان يقاتل على جبهتين : الجبهة الاولى جبهة القتال والثانية جبهة التموين التي كانت اكثر تعقدا وصعوبة واشد خطورة من الاولى . وبالرغم من التجارب والمحن العديدة التي عاناها فقد ظل متفائلاً بسبب اعتماده على نفسه . فلو ان العدو باشر العمل مسبقاً كما تصرف الجيش المدرع سابقاً اثناء الخريف ومطلع الشتاء لما امكن اجراء انكفاء طويل المدى بقوات تعبئة منهوكة يعوزها الوقود .

ولذا كان من الواجب المطلق اجراء محاولة جديدة . فالمقررات المتخذة من قبل وزارة الحرب الانكليزية البعيدة اخذت تظهر ملياً في المعسكرات الانكليزية . وكانت أساطيل النجديات والمعدات تتوارد على الجيش الثامن تبعاً كما مُرر في اجراء تبديلات هامة في نظام القيادة واستبدل الجنرال اوكنليك بالجنرال الكسندر كقائد عام للشرق الأوسط وعين الجنرال مونتغمري مكان الجنرال ريثشي وكانت تحضيرات الهجوم تجري بدقة تامة في الايام الاولى من شهر آب . وتلقى رومل تأكيدات ثابتة مطمئنة من أجل مسألة الوقود والذخائر بشكل انه أصبح في امكان برلين وروما تحديد التاريخ المطلوب لاطلاق الهجوم المقرر . وفي الثامن عشر من شهر آب وعد الماريشال كافاليرو اثناء محادثة جرت مع الماريشال كيسرلنغ ورومل انه سيشحن ٦٠٠٠ طن من الوقود قبل بدء الهجوم . وأشار رومل بأن التاريخ المقرر سيكون بعد يومين أو ثلاثة لضرورة اطلاق العمليات



مدرسة الملك فيصل في أمم بحارة طبرق

الحربية في الليالي المقمرة . واذا تقرر المئاربة على التربص شهراً واحداً فانه من الواضح ان يتقوى مونتغمري وتتعزز امكانياته بصورة راهنة ويجبر عندئذ الجيش المدرع للبقاء على الدفاع الحالي . هكذا بدت الامكانيات الاخيرة وتهدئت للقيام بالعمل دون توان ولا تأخير . فنسبة القوى المتقابلة كانت تعتبر متعادلة على وجه التقريب وملائمة لامكان اختراق مواضع العدو آنئذ ولا ينتظر للقيام بالعمليات المقررة سوى وصول التموين اللازم فقط . وما كان يفيد الانتظار الطويل على الاطلاق وكان من المتوجب مباشرة الهجوم بالقوات الشاغرة الموجودة حالياً تحت تصرف قيادة الجيش المدرع . فاذا وصل التموين والوقود الموجودة من قبل القيادة العليا الايطالية في حينها فان الموقعة يمكنها ان تسير الى النصر النهائي المحتم .

وفي السابع والعشرين من شهر آب جرت محادثة جديدة مع القائد العام لميدان العمليات الجنوبية وقائد سلاح الطيران الالماني في افريقيا حيث اشار رومل الى ان نجاح العمليات القادمة يتوقف على عمليات التموين وانه على استعداد تام لبدء الهجوم حال وصول السفن الشاحنة ٦٠٠٠ طن من الوقود . وكان كيسرلنغ دوماً مستعداً للمساعدة ولكن لم يكن في استطاعته القيام باجراء اوسع وأوفى بسبب ضعف الطيران الالماني وقد سلم الف طن فقط اضافة على موجود المستودعات . وفي الغد نسفت السفينة جستريا التي كانت تقل الوقود والمعدات أمام طبرق . وكان كيسرلنغ حاضراً في مقر قيادة رومل آنئذ وقد وعده بنقل الذخيرة بواسطة الطيران ولكن رومل تضخم فؤاده من الصبر والانتظار واضطر ان يعدل هدف العمليات الحربية المقررة واقتصر عن الهجوم على الاسكندرية مكتفياً بدحر قوات العدو الحاربة فقط .

وفي الثلاثين من شهر آب وصلت السفينة غوالدي ميناء طبرق شاحنة

٨٠٠ طن من الوقود وكان كيسرلنغ يقيم دائماً قريباً من رومل وأكد له من جديد بأنه سينقل اليه ١٥٠٠ طن بواسطة الطائرات . وكانت الوحدات تملك آنشد ثلاثة وحدات وقود واربعة وحدات أخرى كانت موجودة على الاراضي الافريقية . وفي الساعة الثانية والعشرين ، تحركت فرق الجيش المدرع الالماني التي توطدت في مواضع الخروج في الليلة الفائتة للمبادأة بالهجوم . ووضعت خطة العمليات الحربية التي فرضتها طبيعة الارض ونسبه القوات المقابلة . وكان الاختراق مقرر الاجراء من الجهة الجنوبية عبر حقول الالغام والمواضع الدفاعية . ولدى انتهاء هذا الفصل من الموقعة تخطط القوات الآلية والدبابات حركتها نحو الشمال مساعدة الى الساحل لمهاجمة الجيش الثامن الانكليزي . وقررت تنظيف حقول الالغام اثناء الليلة الاولى . ووجدت الطلائع الامامية حقول الغام جديدة زرعت حديثاً وكانت مجهولة من قبل . وقد صرف وقت طويل لتنظيفها وازالتها ولم تصل القوات الالمانية الى الطرف الشرقي لاطار الدفاع الا في فجر اليوم الثاني حيث طردت الفرقة المدرعة السابعة ، واصبحت على مسافة ٢٨ كيلو متر من جنوب العلمين . ووقف الفيلق العشرون الايطالي وحده بعد اجتياز حقول الالغام واصبح الجيش الثامن في وضع شديد الخطورة ومعرضاً لخطر التطويق وحشد كافة قواته الشاغرة محاولاً إيقاف تقدم الفيلق الالماني الافريقي . وتضاعفت هجمات الطيران الانكليزي بصورة عنيفة وقتل الجنرال فون بسمارك Von Bismark قائد الفرقة المدرعة الواحد والعشرين بفعل قنابر الطائرات المتساقطة وجرح الجنرال نهرنغ Nehring القائد الاعلى للفيلق الالماني الافريقي وتقدم آنشد الجنرال فون فايرست G.von vaerst والزعيم لونغرهاوزن Oberst. Longer housen والجنرال فون راندو G. Von Randoux الذين تسلموا تباطاً في وسط الموقعة قيادة الوحدات المشار اليها : الفيلق الالماني والفرقة المدرعة الواحدة والعشرين والفرقة

المدرعة الخامسة عشر . وبالرغم من الخسائر التي لحقت وحداتهم ظلت الفرقة تتقدم بهدوء واستمرار . واثناء الليل التالي وعلى ضوء القمر عرجت القوات الالمانية نحو الشمال على مسافة خمسة كيلو مترات من نقطة الانطلاق أي أكثر من المسافة المقررة لحركة التطويق . وكانت اسباب عديدة تفرض وجوب تقصير محور الهجوم منها اضاءة بعض الوقت من اجل اجتياز حقول الانعام وبالتالي استمرار القصف الجوية البريطانية التي أصبحت على جانب من الخطورة . ولكن مونتميري لم يساغت كما كان منتظراً . وصرح بعض الاسرى الانكليز بأن خطة القتال الالمانية كانت معروفة لدى الانكليز وقد افشى سرها احد الضباط الإيطاليين . وفي اليوم التالي عند الظهر ملاء الفيلق الالمانى خزائنه بالوقود وانفذ الى الامام تتبعه الفرقة المدرعة ليتوريا بينما ظلت فرقة تريستا واريستا الى الی الوراء . ولم يعرج الفيلق العشرون الايطالي نحو الشمال الا في الساعة الخامسة عشر لتأمين التماس مع العدو . واثناء ذلك ووفقا لتعليمات قائدها المعطاة تربصت الفرقة الخفيفة انتسعون على الدفاع في المنطقة التي احتلتها وتوفق الطيران الالمانى في تفريق جبهة مدرعات انكليزية قوامها ١٥٠ مدرعة كانت تجتمع لمهاجمة جانب الفرقة الخامسة عشر المدرعة الالمانية . وكانت الارض التي اجتازها الفيلق الالمانى مغطاة برمال ثقيلة كثيفة سببت اسرافا في الوقود . وفي المساء اخبرت بعض وحداته بأنه لم يبق لديها سوى مؤونة وذخيرة يوم واحد فقط كما اعلمت الفرقة المدرعة الخامسة عشر عدم امكانها استئناف هجومها بسبب نقص التموين . وكان الطيران البريطاني يبذل نشاطا مستمرا ، وطالما تمكنت طائرات القتال الالمانية من تشريد حماية القاصفات البريطانية كما كان يتمتع عليها ايضا امكانية الحؤول دون قيامها بمهمتها . وعلم أخيراً بأن السفن التابعة للقيادة الايطالية العليا الموعود وصولها في ٣١ آب لم تصل الى مرفأ أفريقيا وانها اغرقت بالفعل واصبح متعذراً منذ الآن وصول النجديات والتموين بصورة كافية . كما ان الطيران

الاماني ابدى عجزه عن امكان نقل الوقود المطلوبة الى مكان ابعد من المسافة التي تفصل بين مرسى مطروح - طبرق .

وسجل الجيش في هذا الوقت وجود ثلاث وحدات وقود على الارض الافريقية والحق المارشال كيسرلنغ الذي وصل الى الجهة آنثذ مشيراً الى ضرورة مداومة الهجوم ، لان الفيالق الالمانى اصبح قريباً جداً من اهدافه المينة ولكن ماذا تنفع الارادة الطيبة والاوامر والخطط ؟ وماذا تفيد هذه العوامل القوية بدون وقود كافية ؟ وما فائدة الجيوش التي اصبحت على مقربة من اهدافها بينما لم يبق لديها وقود تستطيع معها الوصول الى هذه الاهداف ؟ وطال انتظار وصول مواد التموين على الاخلاف ليصار الى شحنها ونقلها الى الخطوط المتقدمة . ولم يكن بداً من ايقاف الهجوم والتربص على الدفاع وتنظيم الارض المحتلة .

واثناء الليل ومنذ الساعة الثالثة والعشرين بدأت القصف الجوية المعادية تتوالى باستمرار طيلة الليل والنهار تنصب على الفيالق الالمانى انصباب القطر . واضطر المارشال رومل اكثر من مرة للانسحاب الى الحجور الارضية للاحتجاب عن القنابر التي كانت تمطرها القوات الجوية البريطانية ولم يبدُ أي تحسن في الوضعية في ليل الواحد والثاني من ايلول وبما ان الجيش المدرع كان اعزلاً من المقاتلات الليلية وجد نفسه بدون حماية ولا دفاع ازاء القصف المتراكمة .

وفي الثاني من شهر ايلول، علم ان السفينة ناقلة الزيت ( ابروزي ) أغرقت في المنطقة الواقعة بين بنغازي ودرنة . وتأزمت وضعية التموين الى درجة قصوى وازدادت القصف الجوية ولم يعد في امكان الفرق احتمال هذا الطغيان الجوي الهائل . وكانت اعداد المقاتلات الالمانية المحدودة ضعيفة لاتستطيع مقاومة موجات الطيارات المعادية . عندئذ اوعز رومل بدون تردد ايقاف الموقعة والانسحاب الى مواضع الخروج الاولى

والاستفادة من حقول الالغام الانكليزية الخلفية كي يعمل على توطيد وتنظيم رأس جسر قوي محكم تحميه حقول الالغام .

كان مونتغمري متردداً جداً في الملاحقة . وردت الهجمات التي قامت بها قواته على الفيلق العاشر الايطالي وصدت حركات التطويق والاحاطة التي جرت في شتى قطاعات الجبهة . وفي مساء اليوم الثاني من ايلول ظلت وضعية الوقود حرجة للغاية وكانت القوات لا تملك سوى واحدة وقود واحدة فقط واستمرت حتى اليوم الخامس من ايلول بدون تبدل . وفي الايام الاخيرة وصلت اربع وحدات وقود تبلغ ٢٦١٠ طن يضاف اليها ٤٤٣ طن من الذخائر . ومن مجموعـة ٦٠٠٠ طن من الوقود التي وعدت بها القيادة الايطالية العليا فقد منها ٢٦٠٠ طن في غرض البحر ووصل ١٠٠٠ طن فقط الى افريقيا و ١٥٠٠ طن مازال قيد الشحن في ايطاليا ، والباقي على ظهر السفن قيد الانتظار . وبينما كان الطيران البريطاني يوالي هجماته العنيفة تمكنت الطائرات الالمانية من تفريق الفرقة الهندية العاشرة أمام مواضع الفيلق الايطالي العاشر والفرقة الخفيفة التسعين . وهاجمت الفرقة اليوزيلاندية في دورها تساندها المدرعات والمشاة ولكنها ردت على اعقابها خاسرة وأسر آمر اللواء السادس النوزيلاندي . وفي الرابع ايلول اعيدت الوحدات الآلية الى مراكزها وفق الخطة المقررة . وبالفعل فقد اعطي الهجوم نتائج مثبة وحقق كسباً محسوساً في الاراضي التي من شأنها ان تهيء قاعدة انطلاق ممتازة في مستقبل العمليات التالية وعامل تهديد يتناول الجناح الجنوبي الانكليزي . واثناء المعارك التي جرت خسر الجيش الثامن البريطاني حوالي ١٧٠ دبابة وسيارة استطلاع وكانت خسائر الجيش المدرع الالمانى ضعيفة جداً الى درجة تثير الاستغراب تماماً اذ اخذنا بعين الاعتبار الاسراف الهائل في القنابل والقنابر والذخائر الحربية التي صرفها العدو اثناء هذه الغارات . وقدر مصروف الذخائر

اللائحة المذكور بـ ١٥٦٠٠ طن منها ٩٣٠ طن وزن القنابر التي القتها الطائرات على الخطوط والمواقع الألمانية أثناء خروج جوي تناول مساحة من الارض لاتتعدى ١٢ | ١٥ كيلو متر عرضاً و ١٨ / ١٠ كيلو متر عمقاً . واثناء الليالي الخمسة المنصرمة من تاريخ الثلاثين آب الى الرابع ايلول عانى الفيلق الألماني الافريقي اربعة وعشرين ساعة قصفاً جويًا متوالياً وتمكن من صد احدى وخمسين هجوماً نهاريًا وبلغت نسبة القنابل التي القيت عليه ٣٦٠٠ قنبلة نهاراً و ٥٦٠٠ ليلاً وبلغت خسائر الفيلق الألماني الافريقي عشرة ضباط ومائة جندي قتيل و ٥ ضباط و ٣٠٠ جندي جريح ودمرت ١٧٠ سيارة ودبابة واحدة تدميرًا نهائيًا و ٢٧٠ سيارة ودبابتان تدميرًا جزئيًا واصبحت غير صالحة للاستعمال مؤقتاً . وكان تأثير القصف الجوي في هذه المرة معنوياً اكثر منه مادياً . والحقيقة فالوسائل الكثيرة التي استعملت دون كبير جدوى اضاعت الفرصة الوحيدة المواتية للوصول الى الغاية . فالجزء الصعب من المهمة تحقق بالفعل وهو احداث الاختراق المطلوب في جهة العدو ووصل الفيلق الألماني الافريقي على اخلاف الجيش الثامن مستعداً لتمزيقه وتدميره . واصبحت الاسكندرية تحت رحمة استمرار الانطلاق السريع وقيد السقوط الفوري مكافأة للجهود الحربية الرائعة . وكان القتال على وشك الانتهاء لتحقيق احتلال سواحل البحر الابيض المتوسط الجنوبية في بون ايام بل وساعات فقط .

ولكن لم تحقق هذه الغاية الكبرى وظلت الجهود الجبارة دون ثمرة واصبح من الواضح ان كل هجوم جديد يتوقف بصورة قطعية على تحسين وضعية التموين والا فمن المستحيل تعديل الوضع تعديلاً ايجابياً . ولكن هل يتعدى ؟ كلا ! وقد يتبدل لمصلحة اخرى أي لمصلحة العدو فقط . واعجب ما في الامر بما لا يقره العقل والمنطق ولا يقبله الفكر والتصور القمود السلي والجور الشائن الذين اعتمدوا الجور ازاء هذه الوضعية





موضع دفاع انكليزي استولى عليه الالمان

الراهنه ١ وكيف يمكن الاحجام والتردد عن بذل أقصى ما تسمح به الطاقة والقدرة العسكرية في ساعات حاسمة أوشكت ان تدق فيها أبواب النصر والغلبة لقواتها الزاحفة ولا تخوض الموقعة الكبرى آخر سفينة حربية وتجارية وآخر طائرة قتال وقصف وآخر قوة محاربة شاغرة حيثما كانت للحصول على قرار الموقعة النهائي الذي يقبض عليه الماريشال رومل بيد من حديد . وانتهى العمل بالاقرار ان الامر يستوجب عدة اسابيع بل عدة شهور لاعطاء الجيش المدرع الامكانيات المتطلبة لاستئناف القتال من جديد . ونتج عن هذا التصرف ان اصبح في وسع الجنرال مونتغمري التمتع بالوقت الكافي لتعزيز قواته وتدعيمها الى درجة تتفوق بها على قوات المحور او بالأحرى الانتقال الى الامكانيات التي تساعد على الاستحواز على المبادرة في العمليات القادمة . وان العوز الحاصل لكمية ٣٠٠٠/٢٠٠٠ ليتره وقود كانت وحدها كافية لوقف الموقعة تماماً ولو أنها سلمت في حينها لتغير الامر والشأن وتبين ان سبب نسف حاملات الزيت الايطالية الثلاثة التي تمكنت اماكنها بدقة وبسهولة من قبل العدو هو عدم المحافظة على سرية الخبرات الاسلكية . وقد اشيع فيما بعد ولكن دونما دليل أو برهان على صحة هذه الاشاعة بأن تدمير السفن المذكورة كان بفعل الخيانة . ومما يكن فائزته الساذجة التي كانت تصدر عن مستخدمي اللاسلكي الايطاليين كانت ولا ريب عامل في فضح الأسرار الحربية الخطيرة ومن الأسباب الجوهرية ايضا عدم قدرة الطيران الالماني على حماية القوافل البحرية ومراقبتها وابعاد الخطر عنها وعامل اساسي آخر هام يمكن اعتباره في الدرجة الاولى وهو نقص التموين .

ومن جملة الوسائل الهامة التي كان في الامكان الاعتماد عليها بصورة قطعية فعالة هي القوارب الصغيرة التي أوجدها وبنائها بعض المهندسين الاختصاصيين في صناعة السفن السريعة التي تم تصميمها لاستعمالها في الحملة

المقررة على الجزر البريطانية والتي اطلق عليها اسم زيلولوفه « Seelowe » أي ذئب البحر . وكانت عبارة عن قوارب ذات جسور مغلقة ومصيحات جانبية . وعمل على تحسين صناعتها تحسیناً كبيراً حتى أصبح في وسعها القيام بأصعب المهام المتعلقة بالنقل والهجوم والدفاع معاً . وكانت تُسيّر بواسطة محركات قوية جداً اعطتها سرعة كبيرة . وكانت قليلة الخطورة لقلة ارتفاعها عن سطح الماء وعمقها من قبل غواصات العدو والوحدات البحرية والهجمات الجوية . وكانت مسلحة بأسلحة قوية تساعد على أن تكون بذاتها شديدة الخطورة على قوات العدو الجوية والبحرية . وقد جربت هذه القوارب مرات عديدة في مختلف الاقاليم البحرية فأعطت نتائج طيبة جداً وقد سميت بصورة عامة قوارب زيبل « Seebell » على اسم مخترعها . واعتماداً على النتائج الممتازة التي أعطاها هذه القوارب اوعزت القيادة الالمانية العليا بأمر الفوهرر الى المصانع الالمانية بوجود بنائها على أعداد وفيرة وخصصت لها المواد الصناعية اللازمة . ولكن تنافر رجال المصالح والاعمال الذين يتمتعون بسلطات مطلقة في مجال الانتاج عملوا على إهمال هذه الاوامر ولم تنفذ بالضبط ولم تنشأ هذه الزوارق كما كان مقرراً انشائها واستعمالها على قياس اوسع .

وكان من جراء هذا الإهمال ان جهة افريقيا لم تستفد من هذه الوسائل المجدية مطلقاً . ولو انها جهزت بها كما يتوجب لما عانت القوات الافريقية المصاعب والمشاق الهائلة بسبب عمليات التموين ولوفرت هذه القوات كثيراً من الوسائل الاخرى واعفتها من الواجبات العديدة التي كان في استطاعتها الاستغناء عنها للقيام بواجبات اخرى في الميادين الحربية والتي هي أهم بكثير من الواجبات التي كلفت بها في عمليات التموين والحماية . ولا نقالي اذا قلنا بأن هذه الوسائل الفعالة التي صرف النظر عنها والتي لا تعد من الاهمية بالنسبة الى الوسائل الاخرى ، لو انها استعملت

كما يتوجب لغيرت اوضاع العمليات ونهايتها بصورة حاسمة سريعة .  
ولم ينفك رومل بالرغم من اعتباره بأن الوضعية كانت مستعصية على  
اعتماد وضعية دفاعية خاصة موقته . ولم يعط الجبهة الدفاعية المناعة والقوة  
اللازمة لانه كان يفكر دوماً بالانتقال الى الحالة الهجومية في الساعة التي  
تهبى له الظروف هذه الامكانية . واقتصر في تنظيم دفاعه على زرع حقول  
الغام عميقة مرتبطة بعضها ببعض ومعدة لحماية جبهة القوات فقط . واعتمد  
فكرة تحديد حاميات الخطوط الاولى الى ادنى حد ممكن كي يبعد عنها  
عادية الغارات الفجائية والهجمات المباغتة وليحتفظ تحت تصرفه باحتياط  
قوي يستطيع بواسطته اجراء الردود اللازمة عند الحاجة . وكانت القوات  
الايطالية والالمانية مختلطة فيما بينها وذلك لاحاطة القوات الايطالية احاطة  
فعلية قوية . ولوحظ اثناء المعارك الاخيرة ان القوات الصاعدة الى  
الجبهة لاستبدال القوات النازلة التي وصلت حديثا الى الجبهة الافريقية  
يعوزها التدريب والتعريف وان كثيراً من افرادها لم يتعرفوا حتى على  
اطلاق النار الا متأخرا قبل ان يصار الى سوقهم الى ميادين القتال .  
وكان من بين الضباط وامار الافواج من لم يرتد اللباس العسكري منذ  
عام ١٩١٨ . وكان ينقص هذه الوحدات الاسلحة القادرة على خرق  
المدرعات والدبابات . وكانت بعض المدافع التي لديها يعود تاريخها الى ما  
قبل الحرب العالمية الاولى ، وغير آليّة وقدرتها على الرمي لا تتجاوز  
٦ كيلومترات على الاغلب .

ونبه رومل القيادات العليا الى احتمال وقوع هجوم اكيد من قبل  
مونتغمري يلتظر ان يبدأ حوالي شهر تشرين اول على أبعد حد وتقدير .  
وكان عداد الجيش الثامن البريطاني يتألف آنئذ من خمس فرق مشاة  
وفرقة مدرعة مرابطة على الجبهة مباشرة وفرقتين مشاة وفرقة مدرعة  
تمسك في ربوع دلتا النيل في حالة احتياط خلف الجبهة وعلى استعداد

للاشتراك في القتال عند الحاجة . يضاف الى هذا العدد فرقتان دبابات وفرقتان آليتان . اذاً فـقوات مونتغمري كانت تفوق قوات رومل عدداً . وقد سبق ان طلب رومل من القيادة العامة إرسال فرقة جديدة كي يتمكن من سحب وحداته السريعة عن الجبهة لتشكيل احتياط سيار بيد أن هذا الطلب الملح لم ينل الاستجابة المطلوبة . ثم ثبتت الجبهة بعدها رويداً رويداً ، واقتصرت القتال فيما بعد على قصوف المدفعية والطيران ما خلا هجوم عنيف واحد اطلق على قوات المظليين الالمان والايطاليين وفرقة بريشيا الايطالية . وقد صد هذا الهجوم ورد على أعقابهِ بخسائر دموية فادحة ووقع في الأسر اثنا عشر جنرال نيوزيلاندي . كما قبض على كثير من الاسرى الهنود الفارين الى الخطوط الالمانية عدواً وهم يصيحون فاندې فاندې !! وفهم منهم بأن الفرقة الخامسة والفرقة العاشرة الهندية على وشك الانحلال مما يدل على أن الجيش الثامن أيضاً كان منهوكة تبعاً من جراء المعارك العنيفة الاخيرة . وشعر رومل الذي لم يترك الصعيد الافريقي منذ قدومه للمرة الاولى الى هذه الارض لضرورة الاتصال بمقر الفوهرر العام عليه يتمكن من حل مسألة التموين المعقدة وليرتاح قليلاً لأن صحته ساءت جداً وذلك نزولاً على اشارة الاطباء وتوصياتهم . وأرسلت القيادة العامة الالمانية ( O. K. H ) الجنرال شتومه « G. Stume » نيابة عن المارشال رومل أثناء غيابه . وكان القائد الجديد قصير القامة مليئاً بالهمة والنشاط وقائداً حتى الآن لاحدى الفياق الالمانية على الجبهة الروسية ؛ ولكنه رفع من قيادته الاخيرة لان أحد رتباء أركانه المكلف بنقل مستندات سرية هامة سقط في ايدي القوات السوفيتية أسيراً مع مستنداته القيمة . وكان الجنرال شتومه يتمتع بقوة شخصية وارادة منيعة ومعرفة عسكرية فائقة ولكنه كان يجهل الشرائع والشرع الخاصة بمبادئ العمليات الحربية الافريقية . وكان اختياره لهذه القيادة الخطيرة خطأ كبيراً .

ولم يكن في وسع الجيش المدرع اجراء أي تأثير على النقلات البحرية

إلا في حدود الأفضلية والاسبقية المعينة المحدودة في اللوائح المقررة . وكان يتوجب في كل مرة تقرير الأمر العاجل للمواد المطلوبة الضرورية . ولكنه في نفس الوقت لما كان يستطيع البتة التأثير مباشرة على إجراء تبديل أو تغيير في نظام النقل . فالحولة الشاغرة كانت توزع على أساس المناصفة بين الألمان والإيطاليين . ولطالما كانت النسبة تتعدل ولكن ليس في مصلحة الفيلق الألماني . فالفرقة الإيطالية يستويا مثلاً اقلت الى إفريقيا مع ٣٠٠ سيارة في مطلع شهر آب بينما عين تاريخ نقلها في النصف الثاني من الشهر المذكور . وفي نفس الوقت كانت الفرقة الألمانية ١٤٦ تخوض القتال وما تزال تنتظر شحن سياراتها الموقوفة في إيطاليا . وكان الفيلق الألماني ينتظر أيضاً ألف سيارة لاستبدال سياراته ، ولكن لم يشحن منها ولا سيارة واحدة حتى ذلك الحين .

وكان التوزيع المتناصف في حد ذاته موضع نقاش كبير لو أخذت بعين الاعتبار نسبة الوحدات الحاربة كقاعدة أساسية للتوزيع ، وكانت النسبة المقررة للوحدات الألمانية تتراوح بين ٣/٤ . وكان من بين الـ ١٢٢٠٠٠ جندي إيطالي الموجودين على الأرض الإفريقية في نهاية هذا الصيف لعام ١٩٤٢ لم يلتحق منهم سوى ٥٤٠٠٠ جندي بالجيش المدرع بينما الـ ٧٧٠٠٠ جندي الباقين كانوا يرتبطون مباشرة بالقيادة العامة الإيطالية في ليبيا تحت إمرة المارشال باستيكو والمكلفين بمهام حماية برقه البيضاء وطرابلس الغرب وغيرها . وبالتأكيـد كان نصف الـ ١٥٠٠٠ رجل من سلاح الطيران والبحرية يعمل في منطقة الجيش المدرع . وفي هذه المنطقة بلغ تعداد القوات الألمانية ٩٠٠٠٠ رجل من مختلف الأسلحة مع ١٢٠٠٠ سيارة . وكانت أعداد القوات الإيطالية ٦٢٠٠٠ رجل و ٣٠٥٠٠ سيارة . وفي الجهة وعلى منطقة الاخلاف بلغ عدد الجيش ٤٨٠٠٠ رجل في شهر تموز و ٥٤٠٠٠ رجل في ايلول مع العلم بأن

القوات المحاربة على الجبهة تحتاج الى مواد تموين اكثر بكثير من القوات المسلحة في المناطق الهادئة من ليبيا ولكن الايطاليين لم يعطوا أي اعتبار لهذه الحسابات المفروضة . وفي شهر آب تبدت وضعية التموين على الشكل التالي :

من تاريخ ١ - ٢٠ آب تلقى الايطاليون أكثر من ١٥٠.٠٠٠ طن ، وتلقى الطيران الالماني ٣٠٢١٦ طن ووحدات الجيش المدرع ٥٠٢٧١ طن والتي منها ٢٠٨٥٤ طن وقود و ٨٤٢ طن ذخائر . وهذه النسبة تعادل ٥/٣ و ليس ١/١ كما هو مقرر . وكانت مصروفات الفيلق الالماني تقدر يومياً بـ ٤٩٠ طن أي انه كان بحاجة الى ٩٨٠٠ طن في هذه المدة لتأمين مصالح الوحدات الالمانية الضرورية .

والحالة هذه لم يكن في الامكان تشكيل احتياط البتة . بل بالعكس كانت المستودعات تتناقص يوماً بعد يوم ، وقد تدنت الى ٤٦٠٠ طن . وجرى ذلك في وقت كان يحتمل فيه أن يقوم العدو باطلاق هجوم في أية لحظة يراها مناسبة . وإجمالاً فقد تلقت القوات الالمانية ٨,٤٧٠ طن في آب وتلقى الايطاليون ٢٥٠٦٧٢ طن مع ما في هذا التصرف من اساءة في التوزيع الجارح المجهف .

وفي مدة الشهور السبع الاولى لعام ١٩٤٢ تلقى الجيش ١٠٧٠٠٠ طن باعتبار متوسط شهري قدره ١٥٠.٠٠٠ طن أي نصف الاستحقاق المقرر . اذاً فالأزمة كانت متوقعة بصورة واضحة وامتد اثرها الى الاطاشة معاً . ونقص تعيين الحيز مما زاد في عداد المرضى بفعل نقص المواد الغذائية . وقد بلغ عدد المرضى من الكتيبة التابعة للفرقة ١٦٤ لوحدها ألف مريض .

وطلب الجيش من ١ ١٠ لشهر ايلول المقادير التالية :

— ٣٠٠٠ طن ذخائر

— ٣٠٠٠ طن وقود

— ٢٠٠٠ طن اعاشة .

وطلب ايضا من ١٠ - ٢٠ اشهر ايلول المقادير التالية :

— ٤٠٠٠ طن ذخائر

— ٥٠٠٠ طن وقود

— ٢٠٠٠ طن اعاشة .

ومن ٢٠ - ٣٠ ايلول المقادير التالية :

— ٣٠٠٠ طن وقود

— ٤٠٠٠ طن ذخائر

— ٢٠٠٠ طن اعاشة .

وفي مطلع الشهر لم يكن لدى الجيش المدرع سوى أربع وحدات وقود للصرف واعني ٢٠٤٠٠ طن . وفي ٢٨ آب غرقت ثلاث بواخر ولم يصل من كمية ٢٠٤٠٠ طن سوى ١٠٠٠ طن فقط .

وفي الثاني من شهر ايلول توفى المحور أخيراً في إزال ٢٠٦١٠ طنات من الوقود و ٤٤٣ طن من الذخائر وهذه الكمية تستطيع تأمين الحاجة حتى الخامس الجاري فقط . وغرق من المواد المشحونة ٣٣٥٢ طن في الرابع من ايلول . وأثناء طيسلة الشهر ارسل الى قاع البحر ٢٢ سفينة مع حمولتها البالغة ٢٢٠٠٠ طن من مواد التموين والتذخير .

وفي شهر تشرين الاول لم يبق لدى المحور سوى أربع سفن كبيرة سريعة وثمانى سفن بطيئة . وكانت السفن الكبيرة لا تستطيع عبور البحر إلا مزة في الشهر بينما كان على السفن الاخرى انتظار الحماية التي اقلتها كانت سببا في تأخر النقل اسبوعاً عن الموعد المقرر . وخصص شهر كانون اول نقل ٨٤٣٥ طن وقود و ٣١٨٥ طن ذخائر و ٦٧٠٠ طن اعاشة .





واعلمت القيادة الإيطالية بأنها تواجه ارسال ٢٣ سفينة تقل ٩٣٠٠ طن اضافي من الوقود الى الجبهة . ولكن شعبة النقل البحري الالماني في روما اشارت الى عدم امكان انجاز المنهاج المقرر لعدم معرفة وضعية السفن وفي نفس الوقت قرر المارشال كافاليرو ارسال ٧٥٠٠ طن وقود بواسطة عمارة سفن ( خزانات صهاريج ) الى افريقيا ومائتين سيارة من اصل الخمسة المعدة للجيش الالماني وفي هذا الزمن شلت اعمال النقل الساحلي حتى مرسى مطروح لانه لم يبق لدى الايطاليين سوى نسافة مرافقة واحدة للحماية .

وفي ٢٣ تشرين اول ، واثاء توقع هجوم مونتغمري اجاب الطيران الالماني على طلب قدم اليه عشية الليلة الفائتة بأنه نقل ١٠٠ طن وقود فورا الى طبرق . وانه يعتمد متابعة الوقود باستمرار طيلة الايام القادمة وطلب الجيش المدرع ١٠٠٠ طن وقود وهي ٣٠٪ من المطلوب الضروري . وقد تأثر الجنرال شتومه G. Stnme من هذه الوضعية التي لا يمكن ان تختم الا بفاجعة اليمة و اشار في عشية الليلة التي سبقت الهجوم الانكليزي قائلاً بأن الجيش يعيش على يومه و اضاف اننا نحفر حفرة لنسد اخرى وليس في وسعنا ان نشكل التموين الاحتياطي الضروري الذي يساعدنا على التغلب على الازمة القائمة ، وبالتالي تحقيق حرية العمل وان هذا الاحتياط بالنسبة الى الجيش مسألة بقاء او فناء . وفي الحادي عشر من ايلول حاول ايضا رومل الحصول ٣٥٠٠٠ طن من التموين المقرر لشهر تشرين اول تضاف الى مخصصات ايلول البالغة ٣٠٠٠ طن التي كانت تنتظر عبساً والتي من شأنها ان تهني امكانية تشكيل احتياط تموين كاف وتذخير ثماني وحدات نارية وثلاثين وحدة وقود . وطلب ايضا ارسال ٢٥٠ رجلا والتي سيارة كانت قيد الشحن في ايطاليا و ٦٠٠ جندي للاستبدال و ١٢٠٠ سيارة اخرى لم تترك بعد مرافقها في المانيا حتى

هذا الحين . وفي هذه الاثناء أعطت قيادة القوي البرية الالمانية العليا بصورة مفاجئة أمراً يقضي باستبدال كافة الجنود الذين سبق لهم اقامة مدة عام كامل في افريقيا الامر الذي يثبت جهل القيادة الفاضح بالوضعية الراهنة والذي من الصعب تفسيره وشرحه واعطاء فكرة ثابتة عن الاسباب التي حدثت الى اصدار مثل هذا القرار في ادق الساعات وخطرها واستوجب رفع ١٧٠٠٠ جندي من عداد الجيش المدرع بالاضافة الى العداد الضروري المنقوص لاملأ الشواغر الحادثة .

وبالعكس نقلت افواج المظليين التابعة للواء رامكه Ramke الى افريقيا بدون تردد . وكانت هذه القوات قوات اخصائية تلقت تدريباً طويلاً واستعملت كقوات مشاة دون الاهتمام بقيمتها الاختصاصية . وكانت افواج التدريب تشتمل على مظليين من الدرجة الممتازة . وجنود الافواج الاخرى سبق ان اكملت تدريبها وتمرت على الهبوط اكثر من عشرين مرة تحت اعنف الشروط والاحوال دون ان تحضر وتروض على اقليم الصحراء واحتمال الحر الشديد ونقلوا جوا الى فوكا في شهر آب الالهاب اي في الوقت الذي يشتد فيه الهجير الخانق الذي لا يلائم الاجساد التي لم تتدرج على التعود على الحر واثلاف سميره . ولم يكن لديهم مطابخ ميدان . وكانوا يقنعون بالوقعات الباردة والاغذية المعلبة لمدة طويلة . وقد اثبتت التجارب بأن الجنود الفتيان كانوا اكثر تأثراً وتعرضاً للأمراض من الجنود القدماء الذين بلوا اقاليم الصحراء وآلفوا مناخ افريقيا الحارة ، كما وان الاجسام الشقراء كانت أكثر تأثراً من الاجسام السمراء والسوداء وكانت اعمار جنود المظليين تتراوح بين السابعة عشر والعشرين عاماً . ومنذ شهر ايلول بلغ عدد المرضى في وحداتهم ١٠٤١ مريضاً دخل منهم ٨٣٤ المششفيات . ولذا فقد لوحظ دوماً ان ٢ / ١ من العمداد كان شاغراً بصورة دائمة . ولكن النسبة في هذه الوحدات كانت اعلى بكثير من

غيرها لان هؤلاء الشبان كانوا يمتنعون عن اعلان انفسهم مرضى خشية اطادتهم الى اوربا . وما كانوا يكشفون عن مرضهم الا بعد وصولهم الى اقصى حدود الاحتمال والصبر . وفي التاسع تشرين الاول بلغ عدد قتلى اللواء ٩٧ قتيلا و ٢١٤ جريحاً و ١٤ مفقوداً يضاف الى هذا العدد ٢٢٥ جندي قيد المعالجة في المستشفيات الخلفية . أما الفرقة الخفيفة ١٦٤ التي وصلت حديثاً من جزيرة كريت والتي كانت غير مهيئة لاحتمال الحر الشديد الطاغى في شهر آب اكتسحتها الامراض اكتساحاً وتم اخلاء اكثر قادة الكتائب وضباطها بفعل الامراض والذين ظلوا مدة طويلة قيد المعالجة وكان يرى كثير من السرايا يقودها نقباء فقط .

وازاء هذه الوضعية لم يكن الجيش المدرع ليتنبأ تماماً بما سينتظر حدوثه . ولاعطاء الطلبات الملحة اهميتها وبيان الطرق الصالحة التي توسعها تأمين نتائج هامة اقترح رومل تعزيز وسائل النقل وتقوية الحراسة والمراقبة التي كان في حيز الامكان اجراؤها بواسطة تدخل واشترك الاسطول الايطالي الحربي . وطلب ايضاً زيادة نظام الحجاز البحري واستغلال كافة الوسائل الشاغرة كالغواصات والمدمرات والنسافات البحرية واقامة قواعد تموين مساعدة في جزيرة كريت وفي جنوب اليونان . وفي هذه الحالة ووفقاً لهذه الشروط المعروضة تستطيع القوات الالمانية عندئذ الدفاع عن هذه الساحة الحربية ضد اقوى قوات الامبراطورية البريطانية . ولكن انذاره لم يحفل به ولم يدو في الاذان الطرشاء بصورة دائمة ولم يؤخذ به كما كان يتوجب العمل وظل بدون صدى . ولطالما وعدوه بتأمين مطالبه ولكن لم تتحقق من هذه الوعود حتى ولا النذر اليسير . اقبل شهر تشرين الاول وحان الموعد وازفت الساعة وفات الوقت لتلافي الفاجعة . لقد توجب العودة الى الحقيقة المؤلمة المؤسفة وهو ان كبار الرجال في المانيا يحتفظون بفكرة كلها خاطئة عن الشروط القائمة التي يجري

القتال بموجبها وعلى أساسها في افريقيا . والحقيقة | فالقيادة العامة الألمانية  
 او بروكومنندو در فرماخت (O.K.W) Ober Kommando der Wermacht  
 الموضوعه تحت قيادة وإشراف الفوهرر وأركان حرب القوى الثلاثة كانوا  
 يعرفون تماما أهمية مسألة التموين المتعلقة بالجيش الألماني المدرع لانهم ما  
 فتثوا يرددون تباعا هذه الاهمية في كل مناسبة ، ونزولا على الاساس القائل  
 ( بأن كل واحد منا يجب أن يذهب بدوره الى افريقيا ) ، فالقيادة العليا  
 الألمانية وقيادة الجيوش الألمانية ( O.K.W ) وقيادة الجيوش العليا ( الاوبر  
 كوماندو دس هيرس ) Ober Kommando des Herres لم تنقطع من ارسال  
 ممثلين عنها لدرس الحالة عن كسب في الميادين ذاتها . ولكن جو التفاؤل  
 الموصي به كان يرفض سماع أصوات الممثلين الشيوخ ( كاساندر ) الذين  
 كانوا يصرخون من أطراف مصر البعيدة . وبالتأكيد كانوا يعملون كل  
 ما لا يدركه الوعي ، وبشكل آخر كانت الامور تسوى وتنتهي أخيراً . وكانت  
 الصرخات المجنونة المتصاعدة في ارجاء الاجواء القائلة : ( اننا سنغلب لأننا  
 نريد الغلبة ) ترسلها حناجر بعض المحافظين الالمان السفاسطة العارين من  
 التعقل والحكمة والذين يمثلون العقلية السخيفة التي تعتقد ان كل التحذار  
 وانكسار الماني ضرب من ضروب المستحيل . والحق ما كان هؤلاء الرجال  
 سوى عرامل هدامة مدمرة . وكان بعض قادة الوحدات الكبرى الذين  
 تحرروا مجدداً من قتال الجبهة الشرقية ومعاركها ومواقمها العنيفة ما لبثوا  
 ان اقتنموا عاجلا وفرحوا وسروا بفكرة الحصول على قيادة هامة في ساحة  
 عمليات حربية اخرى جديدة أي في ميادين افريقيا . وفي أغلب الوضعات  
 الدقيقة التي شوهدت في ميادين روسيا حيث كان من الممكن فيها تحقيق  
 نظام التعاون المشترك ، وفي سعة المسافات التي كانت تفصل الجيوش الألمانية  
 المحاربة في أصقاع روسيا التي كانت تجعل وسائل التموين كثيرة المصاعب  
 كانت الجيوش تشعر بأنها محاطة ومجاورة بجيوش أخرى ، وانها ليست مهمة .

منفردة معزولة . وكانت النجيدات المرسلة الى الجبهة تصل بالرغم من كل الموانع والمصاعب . ولم تكن هذه الجبهة مفصولة عن الوطن الام . وما كان هناك طيران معادي يسيطر على الاجواء ليدمر القوافل البرية السائرة على الدروب او العابرة البحر والمضايق . وكانت الجيوش تستطيع مع ذلك ان تعيش على البلاد المحتلة بكل سهولة .

كل شيء يختلف تمام الاختلاف عنه في أفريقيا ولا يمكن اقامة أي شبه بين جبهة روسيا الشرقية وهذه الجبهة الافريقية . وبالرغم من التباين والاختلاف البارزين لم يكن المشرفون على سير الحرب ايدركوا أو يقنعوا بهذه الحقائق .

لقد عين كلازويتز دفعة واحدة الاسس والقواعد القيمة لكل الوضعيات المحتملة ولكن هنار جمل عاليها سافلها وضرب بكل الاسس والقواعد المعتمدة والانظمة المعتبرة عرض الحائط واعتنق افكاراً جديدة وقرارات عجبية غريبة ذات تبدل دائم . وجرب ان يضع حرباً جديدة على اسس جديدة . وما كانت هذه المحاولات الا نوع من الضعف يراد بها إخفاء عدم الكفاءة التي كانت تزداد بروزاً يوماً بعد يوم . وفي هذه المرة ايضا وضع مقر قيادة الفوهرر مخططات لخطة جديدة وكال وعوداً جديدة لا تقوم على اساس من الواقع والحقيقة . وحتى الآن ما كان يقدر هؤلاء الرجال او يريدون أن يتحققوا بأن الفياق الالماني الافريقي الذي استطاع حتى الآن ان يعوض النقص الواقع في العمدات والمعدات بفعل مهارة القيادة التعبوية وبطولة الجيش المدرع . وقد تطورت الوضعية من اساسها في هذه الاثناء . ولم يعد الجيش المدرع والحالة هذه يقاتل في رحاب الصحراء بل وجد نفسه محصوراً بين منخفض القطارة والبحر وفي وضعية غير ملائمة على الاطلاق . وفي مثل هذه الحالة وهذا الوضع وازاء المعارك التي كان عليه ان يخوض غمارها كان عامل التفوق في المعدات وحده الذي يستطيع

تقرير النصر . وكان الالمان يعوزهم التموين كما تنقصهم مساندة الطيران . وكانت نسبة القوى المتقابلة تتناقص يوماً بعد يوم . ومنذ حدوث الاختراق الاول في الواحد من أيلول والذي كان من المفروض فيه ان يحقق أقصى تأثيره على جبهة العدو ، فقد برهن ملياً ان هذا العدو اخذ يشعر بأنه أصبح أقوى مما سبق وصمم على عدم الخضوع بسهولة . ولكن لا هنر ولا موسوليني لم يرغباً في سماع وقبول احتمال انسحاب تعبوي في آتية ، والذي يصبح من المستحيل امكان اجراؤه عند اجتدام الموقعة أو في إبانها لأن الفرقة ١٦٤ ولواء المظليين والاربع فرق الايطالية كانت كلها غير آلية وتنقصها امكانية الحركة اللازمة للانفلات . ولم يبق والحالة هذه سوى حل واحد وهو تنظيم التموين تماماً وارسال نجدات عاجلة من المعدات على جبهة الملمين . وهل يعقل ان يكون رجال براين وروما اكثر تفاؤلاً مما كان رومل الذي كان مثقلاً بالأعمال والواجبات والاضاع التي ينوء تحت حملها أعظم الرجال العباقرة ؟ وكان تعباً وبحاجة الى كثير من الراحة . لقد وعد بكل ما كان في حاجة اليه . ألم يتلق الفرقة ١٦٤ والمظليين هذه القوات المختارة من قوى الماريشال غورنغ الجوية المعدة لتعزيز النصر الجوي ؟ وبعيداً عن مواطن العمليات الحربية كان من المستحيل اتخاذ فكرة واضحة دقيقة عن الوضع . وما كانت زيارات الماريشال كيسرلنغ السريعة للجبهة لتستطيع أن تجلي لهذا الزائر الحقيقة الثابتة الراهنة . ولكن مع ذلك كان في الامكان جعل هذا المستحيل ممكناً . وكانت المحاضرات والتعليمات والاوامر تتوالى دون أن تتجاوز هذا الحد . وبالرغم من الملام الشديد والتأنيب الصارخ الذي كان يوجهه الماريشال رومل الى المسؤولين ، كانت تمر الايام والاسباع تباعاً دون تبدل منتظر بينما كانت الوقت يسمح بحلب المعدات والقوات اللازمة لاملأ الصفوف الشاغرة من اليونان وكريت والجزر مع قليل من حسن التطبيق والهمة والنشاط لاعادة قوة الجيش المدرع الى سابق

عهدا . وكانت الاسكندرية تدعو الجيش الالماني الاندفاع في التقدم، وكانت دنيا النيل قيد انتظار الهجوم التالي وقد اصبحت قاب قوسين أو ادنى من الوقوع في قبضة الجيش المدرع حتى قناة السويس . ولكنهم كانوا يسرفون في اضاءة الوقت وتخدير الاعصاب طويلاً الى ان يدرك سوقيو فولغشانه Wolfechanze ذلك يكون الحرب في افريقيا في حكم الضياع والانهاء .

ولمرة الاخيرة ايضاً تصرف الخصم بصورة مختلفة عن الواقع . وكان انتصار رومل ما يزال يثذر لندن وواشنطن اللتان اتخذتا قرارات واسعة . وصمم البلدان على بذل أقصى الجهود لمنع الكارثة . وطالما برهنت بريطانيا عن حسن تصرفاتها واثبتت عظمتها في ادق الساعات هولاً وأشدّها خطراً . فأخذ الفيض يتوارد على مصب النيل والمرافئ الساحلية حاملاً النجديات والمعدات التي لا تقدر . وكانت الايام بساطتها ونهاراتها ولياليها تشهد وتربح الانزالات المنقطعة النظير من الدبابات والمدافع والوقود والطائرات والاسلحة الجديدة والتموين والاعاشة والمواد الطبية والسيارات . وفي منتصف تشرين الاول كان الجيش الثامن البريطاني يعد اكثر من ١٥٠,٠٠٠ جندي في الخطوط الامامية للجهة فقط والفيلق المدرع العاشر المؤلف من الفرق المدرعة الاولى والعاشرة واللواء الرابع والعشرين المدرع بقيادة الجنرال هيرت لومسدن G. herbert Lumsdon ، كامل العداد . وكانت وحدات الفيلق الثلاثين تحت قيادة الجنرال اوليفر ليز G. oliver Leese ، استعادت قوتها السابقة . وكانت تتألف من الفرقة التاسعة الاسترالية والفرقة الثانية النيوزيلاندية والفرقة الاولى لجنوب افريقيا والفرقة الهندية الرابعة واللواء التاسع المدرع والفرقة الجبلية المسماة هيلاندر High Landers ، الواحدة والخمسين التي دحرها رومل وأسرّها في شهر حزيران عام ١٩٤٠ في جوار



سان فاليري « St. Valery » في فرنسا والفيلق الثالث عشر تحت أمرة الجنرال هواركس « G. Horacks » الذي كان يجمع الفرقة المدرعة السابعة القديمة والفرقة الرابعة والاربعين والفرقة التحسين يضاف اليها اللواء الرابع المدرع الخفيف واللواء الاول الافرنسي . وكان الجيش الثامن البريطاني يشتمل على ١١١٤ دبابة منها ١٢٨ دبابة غرانت و ٢٦٧ دبابة شيرمن و ١٠٥ دبابات ثقيلة واكثر من ٢١٨٢ مدفع منها ٨٣٢ مدفع من عيار يزيد على ٣.٥ سم و ٨٥٨ مدفع ضد الدبابات . وكانت الذخائر من الكثرة بحيث لا ينضب معينها . وكانت كافة المطارات البريطانية تعج بالطائرات الانكليزية والاميركية الواصلة حديثا من المصانع معدة وجاهزة في كل أونة للعمل والاجراء المتكامل . وكان يوجد ما يزيد عدده عن ٥٠٠ مقاتلة و ٢٠٠ قاصفة ولم تشهد جبهة في مثل هذه الحدود المحصورة كثافة جوية بمائلة طيلة هذه الحرب الامر الذي جعل القوى الجوية البريطانية تفوق القوى الجوية الالمانية اضعافاً مضاعفة والتي ظهرت اثارها سراعاً بصورة فعالة في هذا الفصل . وكان الجنرال الكسندر « G. Alexander » القائد العام للشرق الاوسط يتمتع بثقة لندن الشاملة وذو تأثير كبير بفضل علاقاته المتينة مع اوساط العاصمة الرسمية العليا . وهو ينتسب الى أولئك القادة النادرين الذين لا يغالون في مواهبهم الشخصية والذاتية ليستهيذوا بقدرة وكفاءة الآخرين . وهو يعرف حق المعرفة شخصية مونتغمري ويلمس ارادته القوية جسيماً وروح الحازمة المتبدة . وكان حكيماً ومتواضعاً . عرف كيف يترك للجيش الثامن البريطاني حرية العمل والتصرف وفق رغبته ومشتهاه . وكان دوره الاساسي في تحضير الهجوم على غاية من البساطة . وتضمن دوره في هذا المضمار الاشارة فقط الى أن العدو سيهاجم قريباً ويقلب على أمره ، كما طلب الى الجيش الثامن ابداء كافة مطالبه وحاجاته التي وعد بتنفيذها مع شديد الرغبة . وكانت لندن على استعداد في الامر كما كانت وزارة الحرب

أكثر استعجالاً منها في أن تشاهد انطلاق الهجوم العاكس المنتظر الذي كانت ترجو وقوعه منذ شهر أيلول . وأبرق مونتغمري قائلاً بعدم استطاعته القيام بالهجوم في شهر أيلول خشية الاندحار ، وفي حالة الانتظار حتى شهر تشرين الأول فإنه يتعهد شخصياً بالظفر . وانتهت برقيته بسؤال قطعي حاسم : « هل يتوجب الهجوم في أيلول أو في تشرين » ؟

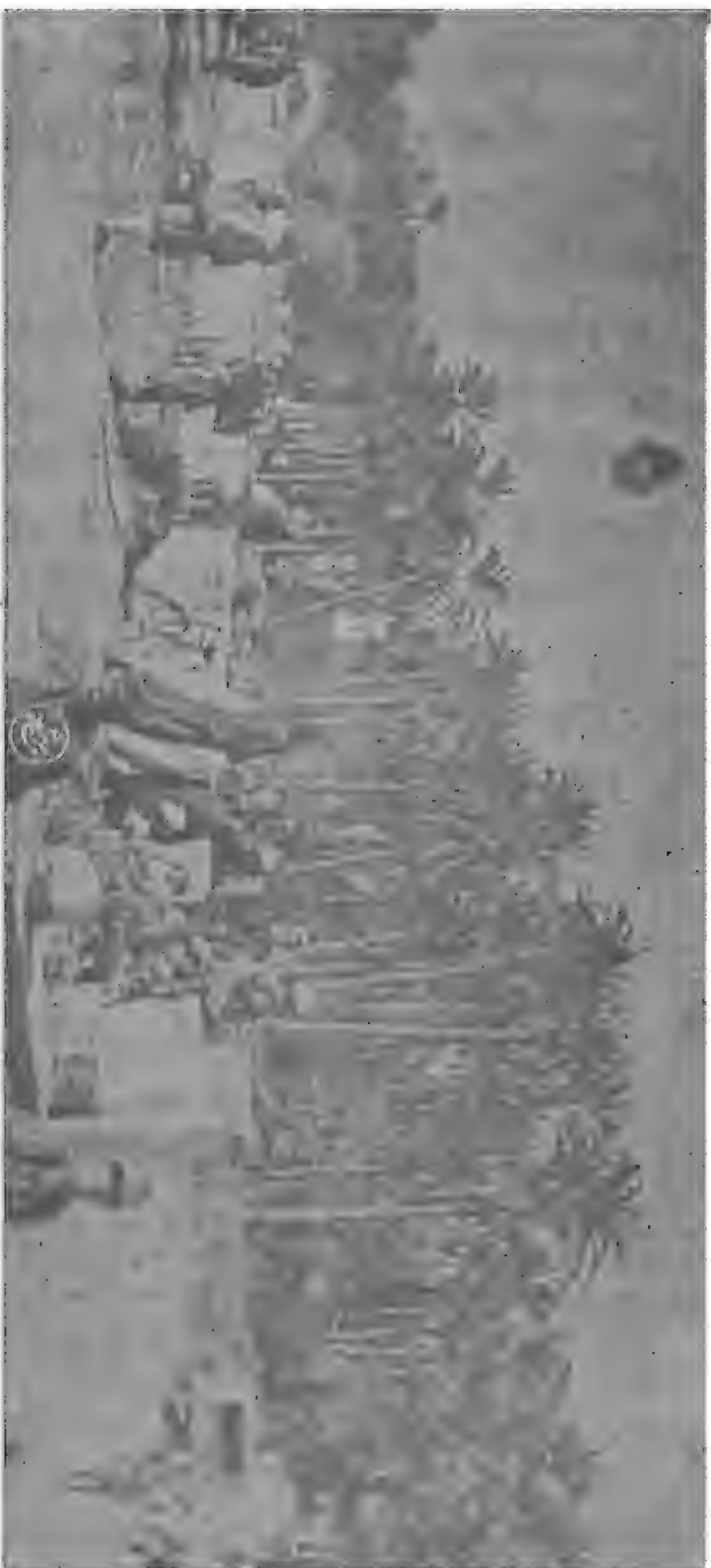
فوجهة نظر مونتغمري المؤيدة من قبل الكسندر تغلبت في نهاية الأمر . وفي بضع أسابيع تمهيّ الجيش الثامن للهجوم بقوة جبارة وعدة طاغية بصورة يستحيل تحقيقها مع أقوى إرادة ممكنة وأصبحت بريطانيا الأولى هذه المرة استعداداً لهذا الصراع القادم .

وفي الثالث والعشرين من تشرين الأول أصدر الجنرال مونتغمري أمره اليومي التالي :

١ - لدى استلامي قيادة الجيش الثامن أعلنت بأن المهمة المترتبة عليّ تقضي بتدمير رومل وقواته وتنفيذ هذه المهمة فور الاستعداد .

٢ - نحن مستعدون الآن للعمل . والموقعة التي سنخوضها هي إحدى المعارك الحاسمة في التاريخ وهي تشكل مفرق الحرب . إن انظار العالم أجمع تركزت علينا ، وإن العالم ينتظر بقلق ليرى في مصلحة من تدور دائرة القتال . ولكننا نستطيع إجابته حالاً : « سيكون في مصلحتنا » .

٣ - إننا نملك أفضل الأسلحة والمدافع والمدافع ضد الدبابات ومدفعية عديدة وذخائر لا ينضب معينها ، ووراءنا أحسن طيران في العالم معداً ومهيئاً لانزال الضربة القاصمة على العدو . وعلى كل منا ضابطاً كان أو جندياً أن يتقدم إلى القتال بعزم وتصميم ماضياً حتى النهاية تحدوه إرادة العراك والقتال والغلبة . فإذا تصرفنا جميعاً على هذا المنوال فإننا سننقهر العدو وسنطرده خارج صعيد أفريقيّا وبالتالي فإننا سنربح هذه الموقعة الجبارة التي ستكون مفرق الحرب القائمة . وعندها نعود إلى وطننا



واحة من واحات بنغازي حيث يستقى السكان والجنس

لنلتقي جميعاً بأهلنا وعائلاتنا .

٤ - وايتقدم كل ضابط وكل جندي الى القتال بقلب ثابت وعزيمة ماضية وإرادة جبارة قاهرة طالما تبقى في المروق نقطة واحدة من نحيب جائل . ولا يجوز لاحد ان يستسلم او يزعن طالما لم يصاب بجراح تمنعه من مواصلة القتال . انسأل الآله القادر إله هذه الجيوش أن يمنحنا النصر . وفي المساء ذاته وفي الساعة الثانية والعشرين انطلقت حمم النيران تلفظها آلاف المدافع . وكانت بروق الاطلاق تكاد تحول الليل الى نهار . وكان الجيش الالماني - الابطالي الذي لم تعذب عنه تحضيرات مونتغمري ثابتاً في مواضعه لم يغربل انتظار الهجوم المتوقع وهو في أسوأ وضعية عرفها التصور .

وكانت الفرقة المدرعة الخامسة عشر تعد ٣٩٤٠ رجلاً ، والفرقة الواحدة والعشرون ٣٩٧٢ فرداً ، والفرقة التسعون ٢٨٢٧ بندقية والفرقة ١٦٤ تبلغ ٦٢٤٣ جندياً . ولواء قوات الطيران بقيادة الجنرال رامكه ٣٣٧٦ مظلياً . وكانت مدفعية الجيش تشتمل على ٢٣٣١ رجل والفرقة التاسعة عشر ضد الدفاع الجوي ٤٣٨٤ جندي . وكان الجيش المدرع الالماني يملك ٢٤١٧٣ محارباً . وقبل وقت قصير بلغت دبابات الفيلق الالماني - الافريقي ٢٣٠ دبابة ودبابات الفيلق العشرين ٣٠٠ دبابة وكان يوجد في افريقيا سبع وحدات وقود و ٣٠٨ وحدات نارية . وكان من بين ال- ١٢١٩٤ سيارة التابعة للفيلق الالماني بما فيها الدراجات النارية ٤٠٨١ سيارة مقتنصة من العدو . وكان من بين ١٢٩ ٣ سيارة ايطالية ١١٣ سيارة انكليزية .

وكانت الفرق موزعة على طول الجبهة وممزجة مع الوحدات الايطالية ماعدا الفرقة التسعين الخفيفة التي كانت ترابط في منطقة الضبعة . وما كان يوجد أي احتياط سيار فهل هذه خطيئة ؟ وكانت الجبهة من ضعف

الكثافة في العداد ان اضطرت القيادة لوضع الفرق المدرعة في الخطوط الدفاعية ذاتها خشية ان ترى الضربات الاولى تنصب على الايطاليين فتزعزعهم وتمزقهم شراً ممزق .

ولكن الامر الاشد خطورة هو ان الجنرال شتوميه في الجنوب كان ينتظر الجهد الاساسي وترك نفسه يتخدد بتحركات تظاهرية من قبل العدو ولم يعط أمره للمدفعية بفتح النار على مواضع الانطلاق البريطاني .

اجل انه كان ازاء عاملين اثنين فقط . فاما ان يتدخل فوراً لتفريق تجمعات العدو التي تنهي الانطلاق الهجومى فيسرف في ذخيرته المنقوصة مع احتمال نفاذها او قسم كبير منها اثناء هذه العمليات واما ان يحتفظ بهذه الذخيرة لاستعمالها بصورة مباشرة اثناء سير الموقعة بالذات او استمرارها تاركاً للعدو حرية التجمع للقتال . وقد اختار الحل الاخير وهو اهون الشرين بالرغم مما في هذا التصرف الحربى من غشافة لنظام التعبئة الحربية . ولكن عامل نقص الذخائر اجبره على اتخاذ هذا الاجراء المنقوص بما فيه من اخطاء وهو محق في اعتماد احد الحلين بحسب الوضعية الحرجة التي يتخبط بها .

هاجم الفيلق البريطانى الثلاثون قبل طلوع النهار القطاع الشمالى الواقع بين البحر والطريق وسبق ان بنى على جانبي الجبهة مناطق محصنة لم يشاهد مثلها حتى الآن في افريقيا . ولاعطاء فكرة عن هذا الدفاع والتحصين يكفي تعداد المعدات التي استعملت فقط في قطاع الفرقة ١٦٤ حيث بلغت الالغام المبتوثة ١٠٠٣٠٠ لغماً ضد المدرعات اي بنسبة لغم واحد في المتر المربع و ١١٠٤٠٠ لغماً ضد الدبابات على نفس الكثافة تقريباً ووضع مايزيد عن ٦٠٠٠ حزمة شريط شائك للاشرط الجبهية والعرضية على جبهة كل سرية .

قرر مونتغمري تدمير المنطقة الالمانية في بدء الامر وتبنى تعبئته الخاصة

وفقا للوضع القائمة . واعتمد بعد اجراء القصف الكثيفة من قبل المدفعية والطيران لتدمير حقول الاغنام والموانع والمواقع ، اطلاق فرق المشاة التي تتقدم لاختراق الخطوط الدفاعية . وعند حدوث الاختراق المطلوب تعبر الدبابات والمدفعية وتتقدم على اخلاف الجيش الالماني الايطالي لزعة نظام التموين واطاقة المصالح الخلفية . وكان نظام التحصين ذو الجوانب المحمية شمالا على البحر وجنوبا عند منخفض القطارة عبر المهاجمة بصورة مباشرة . اذا فحركة التطويق واعني نظام المناورات القديمة المألوفة في حرب الصحراء اصبحت على هذه الجهة غير قابلة التطبيق .

اذا فالتجربة الانكليزية لم تبدع شيئا جديدا . والجديد في تعبئة ومنتغمري هو الاستعمال الكثلي للأسلحة الثقيلة التي حوت ساحة الميدان الى بركان حقيقي يتفجر بالحمم والنيران .

وفي صباح الرابع والعشرين من تشرين الاول توجه الجنرال شتومه يتفقد الخطوط الامامية ولكنه لم يرجع الى مقر قيادته وقد وجدت جثته في اليوم التالي فوق ميدان القتال وتسلم الجنرال فون توما G Von thoma الذي وصل منذ وقت قصير الى افريقيا القيادية مكاث الجنرال نهرنغ G. Nehring وهبط رومل اليابسة اثر الحوادث الجديدة بعد ان كف عن التدوي والاستحمام في الوقت الذي اصبحت المارقة في حكم الخاسرة . وكان كل ما امكن جمعه من قوات الاحتياط الموقعة دمر تحت قصف المدفعية . وكانت الجهة تدعى وتمزق من كافة الاطراف . ولم يبق لرومل أي أمل سوى محاولة استخلاص خير ما يشتمل عليه اسوأ الامور . وكان يظن استنادا الى بعض الاسباب الحقة ان الصيف سيساعد الجيش على المقاومة وصد كل هجوم جبهى مع الاعتقاد بأن حركة تطويق عبر منخفض القطارة أمر ايسر بالامكان . وبالفعل كانت باستطاعة الجهة ان تقف سدا حائلا في وجه الجيش الثامن البريطاني لو فكرت

براين قليلا في تقويتها وتمكينها اكثر مما كانت عليه عند بدء الهجوم البريطاني وفقاً لطلبات رومل الملحة ومقترحاته . ولكن الجيش المدرع كان في عوز شامل لكل شيء مما منعه عن تحقيق امكانية ايقاف وصد هجوم واسع المدى كالهجوم الانكليزي المنطلق . ولنتسأل قائلين : لو أن رومل وجد أثناء انطلاق الموقعة الجارية فهل كان في وسعه ان يتصرف على نسق آخر وان يعطي اوامر غير الاوامر التي اصدرها الجنرال شتومه ؟ ما من احد يستطيع اعطاء جواب قطعي سلمي او ايجابي على ذلك غير رومل نفسه الذي لم يسأل رأيه في هذا الصدد . وكل ما يُعرف عن ذلك انه وضع خطة لصد هجوم متوقع من قبل العدو ولكن تفاصيل هذه الخطة ظلت مكتومة في حكم السرية .

والخلاصة ان هذه الخطة كانت تترتب على سحب كافة القوات الآلية من الجبهة حتى ولو أدى ذلك الى احتمال إضعاف الخطوط الدفاعية الاولى التي كان يحميها ما يقارب من نصف مليون لغم بانتظار نتيجة عملية الاختراق التي يقوم بها العدو . وبعد تمادي اندفاع العدو الى حد يراه رومل مناسباً لعمليته الحربية المقررة يطلق هجومه الماكس بكامل قواته مجمعة على العدو لتدميره . ولكن الوقت كان فات من اجل هذا التدبير ولم يعد في الامكان تلافي الوضعية اليائسة . وقام المارشال آتشد بمجولة استطلاعية على جبهة الميدان حيث شاهد بمنظاره آلاف السيارة والدبابات المحطمة التي نسفتها الالغام في القطاع الشمالي . ولاحظ أيضاً نجاح الفيلق البريطاني العاشر المدرع في احداث الاختراق والذي كان في انتظار الاوامر الجديدة لاستغلال هذا النجاح . واستدعيت الفرقة الخفيفة التسعون التي سبق ان ارسلت الى منطقة الضبعة لاطلاق هجوم معاكس . ولكن قصوف التدمير البريطاني كانت تتوالى والارض تميد وترتج تحت انفجار القنابل . وكانت القاصفات البريطانية تفرغ في كل خمس ثوان محاولتها

من القنابر التي كانت تلقي على الفرقة النسمين الخفيفة التي اوقفت العدو يومين كاملين وكثيراً ما كانت تلتحم معه بالسلاح الابيض . وكانت وضعية الذخائر والمؤن والوقود ماتزال في اسوأ حال . ولم يبق في افريقيا سوى ثلاث وحدات وقود . وطلب المارشال ان تخصص فوراً كافة قطع الاسطول الايطالي مع الغواصات الشاغرة لعمليات تموين الجيش المدرع كتدبير قطعي من شأنه وحده ان يوطد الوضعية على الجبهة . ومع الاسف لم يواجه هذا الطلب القبول ولم يؤخذ بعين الاعتبار ولم تعط له الاهمية المتوجبة .

وفي اليوم الرابع من سير القتال استوجب سحب الجيوش من القطاع الجنوبي خوفاً من تحول كتلة قوى العدو وجهودها صوب هذه الناحية . وكانت الخطوط بوجه عام ضعيفة الكثافة لان الدفاع نظم بصورة خاصة معتمداً على الفرق الالمانية التي وحدها يمكن الثقة بها والاعتماد عليها . وكانت الجيوش التي احدثت في جبهة الشمال اغلقت من قبل النجديات والدبابات الالمانية . وكانت في بادئ الامر محدودة جداً بيد انها اخذت تتوسع شيئاً فشيئاً . ولوحظ من الخرائط التي وجدت مع الاسرى البريطانيين ان الفيلق العشرين كان مكلفاً بعد اجراء الانطلاق ، اطلاق القوات المخنارة المؤلفة من النوزيلانديين باتجاه الضبعة على طول الساحل لتحقيق التطويق الاول في هذه المنطقة .

وفي ليل ٢٨ / ٢٩ تشرين اول صدرت محاولة اجراء انزال في منطقة مرسى مطروح ترمي الى احتلال المرفأ . ومن حسن الحظ فشلت هذه المحاولة فشلاً زريعاً لأن المرفأ المذكور كان الوحيد الذي يمون الجيش المدرع بحراً عن طريق طرابلس . وكانت مسألة الوقود ابعد من ان يتناولها التحسن والتطور . وفي هذه الاثناء غرقت ناقلة الزيت بروسرينا التي استعيرت عنها بالناقلة لوزيانا وهذه غرقت بدورها بعد ثلاثة أيام



اخرى . واخبرت القوات الإيطالية بأن فرقتين انكليزيتين اجتازتا منخفض القطارة وهي على بعد مائة كيلو متر من جنوب المرفأ . ولم تكن هذه الاخبارية سوى اشاعة مخلقة روجتها الإيطالية .  
وفي السادس والعشرين من شهر تشرين اول بلغت الخسائر العداد التالية :

مفقود	جريح	قتيل	
١٠٥٧	٤٩٥	١٤٨	الامان
١٣٧٢	٤٢٤	١٩٥	الايطاليون

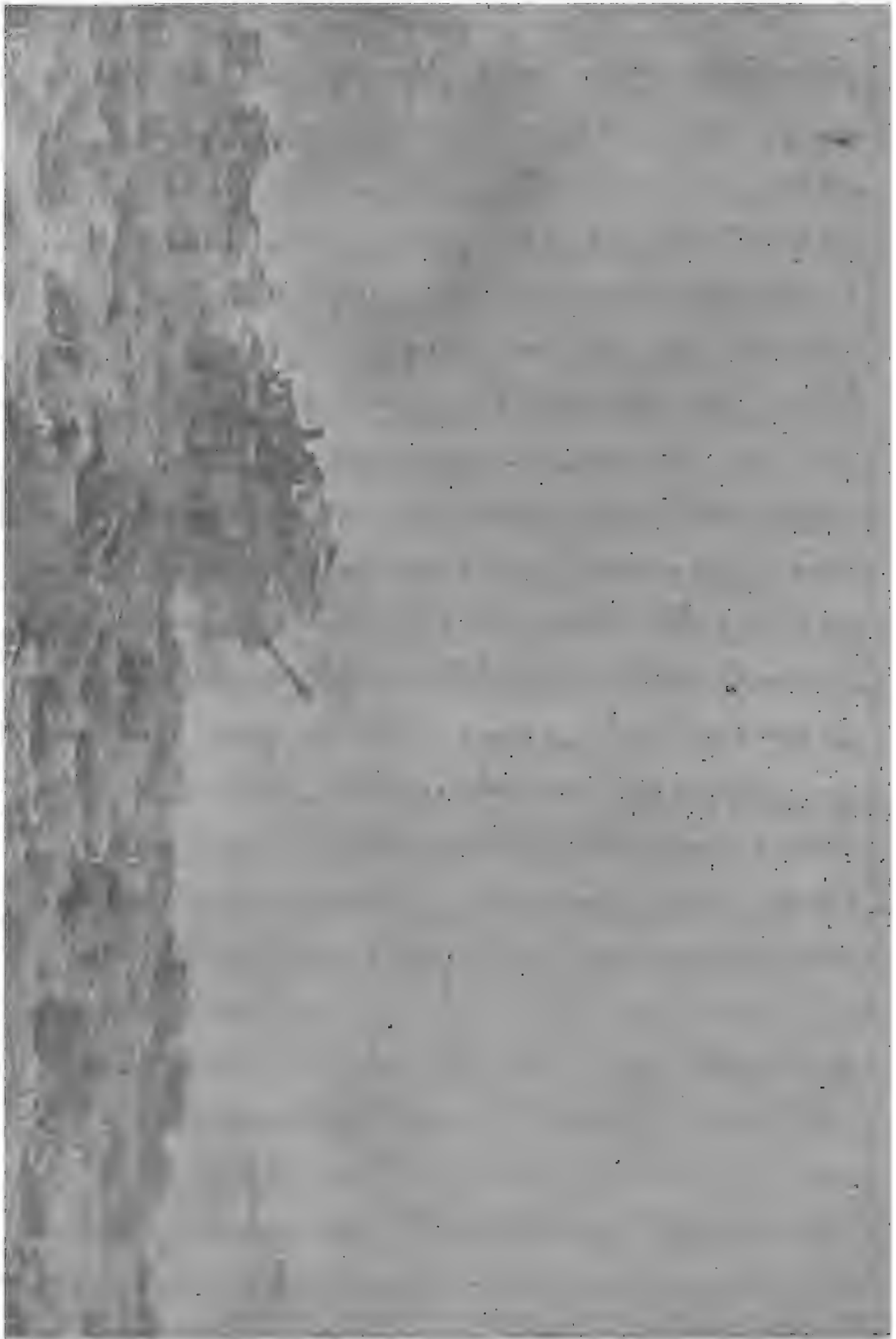
وكان الفيلق المدرع الالمانى الخامس عشر يملك ٣٩ دبابة من اصل ١٠٠ دبابة سابقاً . والفيلق المدرع الواحد والعشرين ٩٨ دبابة من اصل ١٠٦ دبابات ، بينما الفرقة المدرعة الإيطالية لم تصاب بخسائر كبيرة . وكان لدى فرقة تريستا ٣٤ دبابة فقدت كلها ، وفرقة آريتا دبابتين من اصل ١٢٧ دبابة ماعدا فرقة ليوريتا التي فقدت ٥٦ دبابة عطلت عن القتال وظل لديها ٦٠ دبابة فقط . وفقد العدو ٢١٥ مدرعة و ٣٨ سيارة استطلاع دمرت تدميراً كاملاً . ولكن عداد الفيلق الافريقي تناقص في اليوم التالي . ولم تبق لديه سوى ١١٤ دبابة ، والفيلق الآلى الإيطالى ٢٠٦ دبابات . وفي الثامن والعشرين من تشرين الاول لم تسجل الفرقة المدرعة الحادية والعشرين سوى ٤٥ دبابة والفرقة الخامسة عشر ٢١٨ دبابة فقط ولم يتحقق عدد الدبابات بالضبط الا في اليوم الاخير من الشهر . وكان في وسع الفرقة المدرعة الواحدة والعشرين وضع ٤١ دبابة في وجهه العدو والفرقة الخامسة عشر ٥٠ دبابة بينما لم تعد دبابات فرقة تريستا سوى ٢٧ دبابة وفرقة آريتا ١٢٤ وفرقة ليتوريا الإيطالية ٣٨ دبابة . وفي بون هذا الوقت اي من تاريخ ٢٣ الى ٣١ تشرين اول بلغت الخسائر التي اصاب الجيش البريطانى الثامن ٣٤٧ دبابة مدمرة او مقتنصه و ٢١

سيارة استطلاع و ٥٦ جرارة و ٦ مدافع و ٤٥ مدفع ضد الدبابات وما يقرب من ١٣٧ سيارة نقل . وفي هذه الاثناء تمادت وضعية الجيش المدرع مشلولة تنذر وتهدد بالخطر . وفي الخامس والعشرين من شهر تشرين اول لم يبق لدى الجيش سوى وحده ونصف الوحده من الوقود . وكانت الذخائر تقدر ١ / ٥٠٠ بالنسبة الى ذخائر المدفوع . وارسل نداء بالنجدة الى الطيران الالماني لنقل الوقود فاجاب بعدم امكانية اجراء النقل المطلوب في الوقت الحاضر . وفي السابع والعشرين ازدادت الوقود قدراً يسيراً فبلغت ١٠٦٠ وحدة .

وفي الثاني تشرين الثاني لم تصل سوى باخرتين تبلغ مجموع شحناتها ٨٩٣ طن من الوقود بينما اعلنت روما انباء ارسال ثمانية بواخر مجموع حمولتها ٤٢٤٤ طن . ومنذ ٢٣ و ٢٧ تشرين اول لم يصل الى الجبهة سوى ٤٠ طن من الذخائر . وغرقت سفينتان منها كانت تحمل ٣٧٠ طن . وفي وسط هذه الازمة الخائفة توفق النيوزلانديون في اخر يوم من شهر تشرين اول في التسلسل على طول الخط الحديدي الساحلي وعلى اخلاف كتيبة الرماة المدرعة الالمانية التي عجزت ودفعت نحو ساحل البحر واستوجب دعوة الفرقة المدرعة الواحدة والعشرين التي تمكنت من توطيد الوضعية المهددة . وحوصرت جبهة انكليزية دمرت منها ١٨ دبابة وحررت الكتيبة المذكورة من التطويق . وقد تمكن فوجان منها من المحافظة على مواضعهما دون خسائر تذكر . بيد ان الفوج الثالث الذي قاتل افراده حتى اخر طلقة اُعيد عن آخره . واثار الانكليز بان كفاية الاسرى بدون تميز كانوا بين عداد الجرحى .

وفي الثامن تشرين الثاني قرر الماريشال رومل إرسال البرقية الصريحة التالية الى مقر الفوهرر العام قائلاً :

« ان الجيش يتربص على الدفاع وهو في اقصى حدود المقاومة



وتل دبابات المانية اثناء القتال

بعد قتال عنيف استمر عشرة ايام بلياليها ضد عدو متفوق بشكل هائل في البر والجو ، وان الموقعية التي احرزها اليوم لا تغير ولا تبدل شيئاً في الوضعية الراهنة وليس في مقدوره ان يصد بعد اليوم محاولات اختراق جديدة يقوم بها العدو بقوات مدرعة عديدة قوية هي قيد الانتظار هذه الليلة او في صبيحة اليوم الثاني . وان نقص السيارات ووسائل النقل لا تسمح بتنظيم رجعة امينة بنظام معين مع اجراء نقل ست فرق ايطالية وفرقتين المانيتين ، والوية المانية اخرى لا آلية . ويجب التنبؤ مؤكداً بأن قسماً كبيراً من هذه القوات سيقع في ايدي العدو لان اغلب قواته هي آلية ولا يمكن مجاراتها ، وان الوحدات الالمانية السريعة تخوض هي بالذات موقعة طاحنة تقيها عن الانفلات والتخلص بكليتها والذخائر الجاهزة للاستعمال التي تملكها مركزة كلها في منطقة القتال . ولا توجد منها مقادير كافية وراء الجبهة ، والسكينة الهزيلة من الوقود الموجودة لا تسمح باجراء انسحاب بعيد المدى . وسيتعرض الجيش اثناء رجعته الى غارات الطيران البريطاني المستمرة ، وتحت هذه الشروط وبالرغم من البطولة ومعنوية الجيش الفائقة يجب انتظار اباداة الجيش بصورة متلاحقة . وكانت تقديرات رومل قاطعة لا ترد . ولكن طبيعة المتفائلة لم تبد هذه المرة كبير حظ في السلامة والخلاص اذ ان جيشه يروح تحت عادية تفوق عددي لا حصر له .

وبدت الوضعية من جديد في شكل آخر . وقام الانكليز بمحاولة اجراء انزال بحري في منطقة الضبعة ولكن الانزال اخفق ورد على اعقابهم دون عناء كبير . وظهر انهم كانوا يرمون من وراء هذا الانزال العمل على مساندة هجوم بري جديد اطلق على القطاع الشمالي بعد اجراء تحضير مدفعي شديد دام عدة ساعات متوالية . وعلى الاثر توغل رتلان عبر الخطوط الالمانية التي تم اختراق بعض اطرافها وحاولا التقدم عمقاً

بشيء الاستيلاء على بعض الاراضي الملاصقة . وتبعاً في الثاني من تشرين الثاني ظهرت مدرعات خفيفة في منطقة الاخلاف واخذت تجمد في اقتناص سيارات النقل وسيارات التموين والتذخير . ولكن الدبابات الالمانية اندفعت ورائها في دورها واستمرت الوضعية في هذه الاثناء مهمة غامضة . ولكن العدو ابعد في النهاية ابادته كاملة . وبالرغم من هذه الموقية الرائعة فالخطر والتهديد ما زال متواليين في كل لحظة وآونة . وكانت الوحدات الالمانية والوحدات البريطانية طالما تصطدم وتتداخل فيما بينها في معارك حامية وقاتل وحشي حيث كان من الصعب إعطاء فكرة واضحة عن سياق الموقعة الجارية .

وأمكن إيقاف وصد رتل العدو الايمن في الصباح . ثم ما لبث ان ظهر في ميدان القتال حوالي (٤٠٠) مدرعة تتقدم ببطء نحو الغرب بينما اشير أثناء ذلك الى وجود ٤٠٠ مدرعة اخرى في منطقة حقول الالغام . وتحقق عندئذ ان الفيلق العاشر البريطاني برمته يخوض الهجوم المنطلق وقد تدخل آنئذ الطيران البريطاني بقصفه الشديدة التي منعت الفرق المدرعة الالمانية من اجراء هجومها الماكس المنتظر . وتعطل عدد كبير من مدافعها وخاصة المدافع ضد الطيران . ولم يبق سوى أربعة وعشرين مدفعا في حالة العمل . وتوجب انئذ إخلاء وتفريغ القطاع الجنوبي حيث استدعت فرقة اريتا ومدفعية الجيش . وسحب من الموقعة لواء مظليين رامكي انتظاراً واستعداداً لهجوم معاكس عرضي من جديد . وتراجع الجيش خطوة خطوة تحت ضغط شديد لا يرد ولا يقاوم . وسقط القسم الشمالي من موضع العلمين في ايدي العدو وصار من الضروري سحب الجبهة الجنوبية التي اصبحت بدورها معرضة لخطر التهديد بالالتفاف والاخذ من الورا من قبل قوات مونتغمري الزاحفة . ومنذ الايام الاخيرة من شهر تشرين الاول اوعز الباريشال رومل بوجوب التربع على موضع الايقاف الجديد في فوكا وتحضيره للدفاع . وبسبب الاختراق المتسع الحاصل على جبهة واسعة فقد

توجب وحالت الوقت لاستئناف الحرب المتحركة . فهل في الامكان اجراء هذه الحركة مع النقص الممهود في الوقود ؟

وفي المساء ذاته اخبر قائد مدفعية الجيش المدرع نفاذ الوقود الموجودة لديه ، وتمذر إمكان نقل الذخائر الى جبهة الضبعة . وكانت الخسائر في المدافع والسيارات والرجال تزداد يوما بعد يوم . وبالرغم من الجهود النشيطة المتوالية لم يبق لدى الفرق سوى نصف بل ثلث قوتها النارية المعتادة . وكانت الجيش المدرع يشتمل على ٣٠ دبابة فقط . وسقطت في نفس الليلة ما يزيد عن الف قنبلة على مساحة لا تزيد عن ثلاث كيلومترات في قطاع الفرقة التسعين الخفيفة . وبدأت دبابات الاستطلاع الانكليزية تزعج تموين الفيلق الايطالي العشرين . وشوهدت بغلة مدرعات وسيارات الفرقتين الايطاليتين تريستا ولبوريتا محملة بالجنود التي كانت تخرج من قبضة قيادتهما وتتفرق في الاراء الاربعة .

وبدا التراجع رويداً رويداً . وأرسلت مصالح التموين والنقل الى ما وراء فوكا ومنطقة مرسي مطروح . ولم تكن هذه الوظيفة من السهولة المتوقعة لان الطرقات والدروب والسبل كانت تقصف تباعاً ليلاً نهاراً ، وكانت تقع تحت مراقبة الطائرات المقاتلة باستمرار . وكان يتوجب قطر ما لا يقل عن ثلث السيارات مع العلم انه لم يصل محرك ولا قطع تبديل او غيار منذ ثلاثة اشهر . وتوجهت الوحدات السريعة صوب الجيوش الآلية التي تقرر نقلها . وكان الفيلق العاشر الوحدة الاولى التي بدأت بالانفلات عن العدو ما عدا لواء المظليين بقيادة رامكة الذي استمر في الدفاع وايقاف العدو في القطاع الجنوبي وراء حقول الالغام . وكانت الحركة سائرة سيرها المعتاد المرضي عندما وصل أمر الفوهرر الذي كان أسوأ أمر صدر ابان الحرب العالمية الثانية وهذا نصه بالحرف الواحد :

« ان الشعب الالماني برومته يشاهد معي بطولتكم في هذه الموقعة الدفاعية التي تخوضون غمارها في مصر . وهو يثق بصفاتكم الحربية كثرئيس وبالجيش الالماني الايطالية الباسلة التي تقودونها . وفي الوضعية التي تجدون انفسكم فيها يجب الا تعترىكم فكرة اخرى غير فكرة المقاومة العتيدة وعدم التراجع خطوة واحدة والقاء كافة المحاربين والاسلحة التي تستحوزون عليها في حلبة الميدان . لقد ارسلت اليكم نجيدات وفيرة من الطائرات بواسطة القائد العام للساحة الحربية الجنوبية . فالدوتشي والقيادة الايطالية العليا سيدلان اقصى الجهود لتقديم كافة الوسائل التي تساعدكم على متابعة القتال ...

ان العدو ايضا في منتهى حدود قوته بالرغم من تفوقه ، وليست هي المرة الاولى في التاريخ حيث الارادة الاقوى تنتصر على الافواج الاكثر عدداً . وليس امامكم سوى طريق واحدة تشيرون بها الى جنودكم وهي طريق الظفر او الموت ..  
وعلى الفور اعطى رومل أوامره في هذا المعنى :

« بموجب الامر السامي يجب المدافعة عن المواضع الحالية حتى النهاية ومنع اجراء أي انسحاب بدون موافقتي القطعية . ان التدابير التي اتخذت من اجل الانكفاء تصبح ملغاة بموجب البرقية المؤرخة بتاريخ ١١ / ٣ الساعة الثالثة عشر والدقيقة الاربعين » .

ومن الصدف أن احد ضباط المارشال كان في طريقه الى مقر الفوهرر العام وقد لاحظ بعد وصوله من الاسئلة الملقاة عليه والتعليمات المعطاة له قبل إعطاء هذا الامر الاخير كانت كلها تبرهن على ان مقر القيادة العام ليس لديه أية فكرة صحيحة ثابتة عن خطورة الوضعية الراهنة . وحق هذه الساعة كان يعتبر رجال ( الفولفسانزه ) بأن كل شيء لم يكن سيئاً الى هذه الدرجة . فهل كانوا يزوقون التقارير الواردة الى قيادة مقر

الفوهرر العام ؟ وهل كانوا يسقطون الامور والنقاط البارزة منها والتي  
عنى رومل باظهارها واضحة صريحة ؟ وإلا كيف يستطيع هتلر اذاً ان  
يقول بأن العدو كان في اقصى حدود قوته ؟ فلو انهم أرادوا نجاة الجيش  
المدرع ومواصلة الحملة ، لتوجب عليهم العمل العاجل في مدة الاربعة  
وعشرين ساعة القادمة وفي ١٣ تشرين ثاني ازداد نشاط الطيران البريطاني  
نشاطاً محسوساً مما كان يدل على اقتراب ساعة العمل القادم وفي اقل من  
اربعة ساعات اعتلت اجواء الضبعة ثمانية عشر قاصفة بريطانية كانت تغير  
كل واحدة منها سبعة عشر مرة لتلقي قنابلها على هذه المنطقة . وكانت  
اكثر من ١٠٠ طائرة مقاتلة قاصفة تظل باستمرار فوق وحدات الفيلق  
المدرع وثلاثمائة اخرى تهدر حتى غياب الشمس بين الجهة وفوكا . وعند  
ابتداء الليل كانت تلقي قنابلها المنورة على الطريق الساحلية وعلى مئآت  
السيارات الابطالية المحصورة وراء فوكا . وفي هذا اليوم شوهدت خمس  
طائرات المانية فقط تحلق فوق ميدان الموقعة .

وفي الرابع من تشرين الثاني ، امكن توطيد جبهة جديدة في الشمال .  
وارسلت الفرقة ١٦٤ كقوات للنجدة نحو الشرق . وامام الفيلق الالماني  
الذي ما كان يملك سوى ٢٢ دبابة توطدت الفرقة التسعون الخفيفة على  
نصف دائرة واسعة تنتظر الهجوم المهيء ، تحميه ١٥٠ مدرعة من طراز  
شيرمن الجديدة التي تشتمل على مدفع طويل من عيار ٧٥ مم قائم على  
برج مسلح ومدفع من عيار ٥٠ مم في وضع مركز تحت المدفع الاول .  
وخاضت الموقعة دبابات اخرى قوية قادرة بمجهزة بمدافع من عيار ١٠٥ مم  
وتملك درعا اماميا سماكته ٢ مم وعلى الجوانب ١٠٠ مم والذي ليس  
في استطاعة المدافع الالمانية عيار ٨٨ مم خرقه مطلقا . وما كان النهار  
ليجمل في ظلماته عوادي المباغثة ولم تتقدم المدفعية كما هو منتظر للهجوم  
الكبير . وهذه بادرة من بوادر الاخطاء ايضاً . وهاجمت المدرعات الانكليزية



فرقة اريتا الايطالية ودمرت مدرعاتها القديمة ، واخترقت جبهة الفيالق الالمانى الافريقى .

وقبل حدوث هذه الازمة الجديدة ارسل رومل الى المقر العام تقريراً جديداً تناول فيه عرض المعلومات التالية قائلاً :

« البارجة قامت ٥٠٠ مدرعة باحداث اختراق تشكل اثنائه جيب عرضه عشرة كيلومترات وعمقه خمسة عشر كيلو متر في القطاع الشمالى وتوفقت في تدمير المواضع الدفاعية .

وفي هذه الحالة لم تبقى ثمة جبهة متينة مترابطة . واعتقد بأن التعبئة التي يقوم بها الانكليز تترتب على تدمير الوحدات المحورية واحدة بعد واحدة بفعل تركيز نيران قوية تم اطلاق غارات جوية عنيفة اخذت تعطي ثمارها اليانعة بصورة قطعية كما اخذت تلاحق بقوات المحور خسائر باهظة . انني لم أعد أرى اية إمكانية في إلحاق الخسائر بالعدو او منع انهيار هذا الميدان في حرب سائرة متحركة حيث كل شهر من الارض هو موضع نزاع عنيف .

ان موافقة المقر العام على سحب الجيوش الى مواضع فوكا الذي يبعد ٧٠ كيلومتراً خطأ كون هذه المسافة لا تغير ولا تبدل شيئاً في الوضعية الراهنة . ولا تستطيع المدرعات الالمانية ان تجتاز منها سوى ثلاثين كيلومتراً فقط بسبب نقص الوقود ونفاذه . وأشار كيسرانغ الذي وجد في الساعة التاسعة صباحاً في مقر قيادة الجبهة بأن برقية الفوهرر لم تشمل على صفة اجبارية . ولو كنت في مكانك قال لرومل فأنتي اتصرف حسباً تفرضه علي الوضعية الحربية واستطرد يقول : وان هتلر لا ينظر الا الى الشرق فقط اي الى روسيا ، ولكأنه لاحظ بأن المقاومة العنيفة الثابتة لتنجح في اكثر الاحيان وتحقق التوفيق . فمز روميل رأسه بحميا انه لا يوجد اي تشابه بين روسيا وافريقيا وأن أمر هتلر في منتهى الصراحة ولا يقبل

أي تأويل وتعديل . ولكن كيسر انزع ماد الى الاشارة الى رأيه بأن الوضع الراهن وحالة القوات الايطالية المستضعفة ، وتوالي وصول النجيدات الانكليزية الجديدة باستمرار الى ساحة القتال لا تسمح بالتقيد بهذا القرار وكرر القول بأنني لو كنت مكانك لتصرفت وفق ما تفرضه الوضعية الراهنة .

— انه لمن الافضل اعادة تنظيم القوات الايطالية وراء الجبهة حتى ولو بتشكيلات افواج عمال من بقائهم على الجبهة وفي الخطوط الامامية حيث لا يشكلون سوى كرة جامدة اجاب رومل بمرارة .

— انك وحدك قال كيسر انزع الذي يستطيع ان يعطي حكماً على الوضعية وعايك وحدك يتوقف اجراء ما يتوجب عمله . ان تدمير وهلاك الجيش لا يتفق واغراض الفوهرر .

— واذا حدث اختراق جديد آخر فمعناه ان الجيش اقترب من النهاية .

— ولكن ماذا يستطيع ان تعمل مع العلم ان الفقرة الاخيرة من أمر

هتلر صريحة لا تدع مجالاً لأي اجتهاد لتفسير آخر والقائلة :

« لا يمكنك ان تروى لجنودك طريقاً اخرى غير طريق الظفر او الموت » .

قالعدو قال رومل يمكنه ان يتقدم حتى طرابلس دون ان يواجه أية

مقاومة جديدة لان الايطاليين حسب معرفتي بهم سيتراكضون وحدهم بلا

وازع حالما تترك لهم حرية الانسحاب ومن ورائهم جحافل الالمان الذين

ليس لديهم سوى البنادق طراز ٩٨ . أجل اننا لم نترك للعدو سوى

الارض التي يشغلها الآن وقد استغل كافة تفوقه الساحق ودمر الوحدات

المعادية الواحدة تلو الاخرى . وما اشبه هذه الموقعة بموقعة فردون

« Verdun » التي جرت أمام حصون هذه المدينة ابان الحرب الكبرى

الماضية . وقد تردى الجيش المدرع تحت ضربات المطارق وأفاض قائلاً :

« ان الينبوع الذي يستقى منه العدو مع الاسف اغزر بكثير

من ينبوعنا الذي يكاد يشرف على النزوح » .



خليج السلوم وقربة السلوم الاعلى والسلوم الادنى

وفي مساء الرابع من تشرين الثاني وصل اخيرا الامر الجديد الصادر عن مقر الفوهرر العام اجابة للبرقية التي ارسلت في نفس الصباح . جوابا على التقرير الذي ارسله رومل مع ضابط الاتصال الالماني لمقر الفوهرر بهذا قوله :

« بسبب تطور الحالة اوافق على مقترحاتك اجاب الفوهرر المارشال رومل . وقد ارسل موسوليني تعليقاته المتعلقة المشابهة بواسطة القيادة العليا الايطالية . واعطيت الاوامر اللازمة للجيش حالا » .

وقد اتخذ الفوهرر قراره قبل ان يُنبه الى الحوادث التي وقعت بعد الظهر . وعرض على رومل وجوب اقامة جبهة دفاعية جديدة في أية نقطة ممكنة كما أعطى أوامر جديدة تقضي بارسال العمداد والعدة اللازمة والمدافع الجديدة ضد الدبابات عيار ٧٥ مم ومدافع عيار ٨٨ مم الجديدة طراز عام ١٩٤١ . وكان هذا الامر ليشكل عوناً قيمياً ثميناً لو تحقق تطبيقه وتنفيذه بالسرعة الممكنة التي تتطلبها الوضعية المتهالكة ولكن الجبهة الحالية ان تلتظر بعد اليوم الاقوال لا عن النجيدات العاجلة ولا عن الاسلحة الجديدة فالمسألة مسألة ساعات فقط .

فالنقطة الجوهرية الرئيسية في هذه الاونة هي ان الجيش المدرع تمكن من استعادة حرية العمل والتصرف على هواه . فالامر المشؤوم الذي اصدره الفوهرر البارحة لم يكن له من حسن الحظ مايتلووه . واثناء الاختراق وقع الجنرال فون توما قائد الفيلق الاقربقي اسيراً في ايدي العدو وحوصر لواء المظليين تحت امره رامسكي واعتبر في حكم المفقود . وقد قطع على الفرق الايطالية خط الرجعة . ولم يكن لديها وسائل نقل فاستسلمت الى العدو . وكانت السيارات المخصصة لنقل الفيلق العاشر الايطالي لم تصل بعد . وسمياً وراء انقاذ القوات السليمة اهمل رومل هذا الفيلق وكان القرار المتخذ على جانب كبير من الخطورة والدقة ، وان النهاية المحتمة

لاشد خطورة من القرار . وهذه الحالة المتأزمة كلها جرت بفعل الاخطاء التي لا تغتفر والصادره عن القيادة والمقرات العليا لجهلها وتهاونها . بيد ان رومل كان يحفل بالامر جهده ليمنع وقوع كارثة عامة وفاجعة شاملة . ان المسؤولية الكبرى لتقع على هذه القيادات وحدها التي لم تأخذ ولم تحفل بالذرات المارshall المتواليه ولا بالاهتمام بمطالبه وحاجاته من المعدات ووسائل النقل . فلو ان منظمة المصالح الخلفيه انهارت برمتها دفعة واحدة لما استطاع احد ان يوجه كلمة لوم او تأنيب لهذا القائد الفذ .

وبعد الاختراق الذي حدث في اليوم التالي لم يتمكن الا قسم من الجيش من الانسحاب الى موضع فوكا كما لم يتمكن من التربص على هذا الخط الجديد لان قوات مونتغمري كانت تجدد في الملاحقة تباعاً حيث اخترقت الخطوط الجديدة في عدة نقاط . وكان الفيلق العاشر مؤلفاً من فرقتي بافيا وبريشيا والواء المظلي الباسل وفرقة فولفورو التي هوجمت من قبل قوات مدرعة عديدة بينما كانت تتراجع وتنكفاء الى مواضعها الجديدة . وقد تمكنت من شق ثغرات عديدة لتمهيد طريق الافلات اثناء المارك الحامية ولكنها بسبب نفاذ وقودها لم تتمكن من الاستمرار في التراجع ووقعت كلها اسيرة في قبضة العدو على خط فوكا وليس لديها ماء ولا وقود .

وقد الفيلق الحادي والعشرين مع فرقة ترانتو نصف عداده منذ بدء الهجوم وُاحيط اكثر من مرة واصيب بخسائر فادحة . واثناء محاولاته الانسحاب الى خط فوكا الدفاعي هوجم الفيلق وابيد بكامله تقريباً ماعدا فوج مشاة ونصف الفوج وفوجين مدفعية تمكنت من الافلات والنجاة . ولم يبق من الفيلق العشرين الاآلي سوى فوج منقوص بدون دبابات . واصيبت فرقنا ليتوريا وترستا اللتان كانتا متربستان في القطاع الشمالي بخسائر كبيرة . وقتل قائدها الجنرال فيراري اورسى G. Ferrai orsi

والجنرال بريدوري G. Frieduri آمر فرقة بريشيا ايضا امام جبهة العلمين . كانت عملية اخلاء موضع فوكا الفصل الثاني من الموقعة . وخسر رومل موقعة فوكا المتوجب خسارتها ولكنه لم يخسر عملية التراجع والانكفاء . ولم يأل مونتغمري جهداً بعد ظفـره الحاسم في جبهة العلمين من ان يستغل كل مآلديه من القوى وان يحتاط لكل المناورات والتدابير الممكنة وان يضعها موضع العمل العاجل خشية ان ينقلب وضع العدو من الحالة الدفاعية الى الحالة الهجومية مباغتة . وكان على ثقة بأن امامه جيشٌ مذبذبٌ عنيد محارب وعلى رأسه قائد من ابرع القادة الذين اخرجتهم هذه الحرب الضروس . وبالرغم من محاولات القائد الانكليزي لم يتوفق الجيش الثامن في القبض على رومل او في تدمير الجيش المدرع . اجل إنه لم يبق منه سوى قبضة من البشر كانت تتلقى الضربات المسددة العنيفة من قبل المدرعات البريطانية والطيران الانكليزي والتي لم يتمكن العدو من تمزيقها او القبض عليها . وكانت الفرق الالمانية اشبه بلعبة البوشا التي تعود لتلتصّب على قدميها مهما يكن الوضع الذي تلقى فيه ، وكانت مقاومتها تلازمها كارواح جنودها تناضل وتقاتل دون انقطاع كالحيل المسومة النافرة معدة في كل لحظة لوضع العدو في حرج يتعارض ورغباته .

وكانت هياكل عظام جنود الالمان تقترش الصحراء في كل مكان . وكم من القادة والجنود كانوا يرقدون مع وحداتهم قرب تلة من الرمال او كومة من الاحجار البيضاء حيث ريح السموم تهدر وتصفر نادية فوق رفاتهم الراقدة رقدتها الاخيرة وتسقوا عليهم الريح ومالها فتغطي تلك الرفاة التي ضمها لباس القتال كفنًا الى العالم الابدّي . وكانت المعجزات تنطلق من اسرارها ومعجزاتها بين الحين والآخر ، وتنتفض الحياة المنبعثة من بين نموش الصحراء المحطمة فتظهر من جديد المعجلات الحربية والسيارات الانكليزية والمدافع الالمانية والمدرعات الاميركية تجمعها وتسوقها من جديد

هذه القوات الالمانية المبعثرة التي لفحتها الشمس المحرقة وجففت اجسادها الرياح المحمومة وهصرت عزيقتها المشاق والمتاعب ، قبضة من ضباط ورجال لم يقتلهم اليأس ولم يفقدوا الرجاء ولا هدت اركانهم الفاجعة المبيدة ولا حطمت اعصابهم النيران الفولاذية يلتفون حول مرشالهم المحارب ، قبضة من البشر الحي يقفون مصممين كما وقفوا من ذي قبل فيرتدون ارتداد الصاعقة وينقلبون على العدو من مكائهم ويرتمون على ارتاله ووحداته يعبثون فيها ويلحقون بها الاضرار والخسائر . ثم يخنفون ويذوبون في عرض الصحراء بعد ان يصرف العدو جهده ومجهوده في الانتشار والعرض والاحتياط من جديد للقضاء على هذه الفئة النافرة الشائرة .

وبعد ثمانية ايام من اخلاء العلمين جمع الجنرال لونغر هاوزن G. Longer hausen في السلوم كل الرجال الذين وصلت اليهم يديه واقام بهم جبهة جديدة . واجتمعت بقايا الفيلق الالماني والفرقة التسعين الخفيفة وفلول الايطاليين المتراجعين رويداً رويداً . وكان الفيلق الالماني يناور دوماً على الجناح الايمن لصد مناورات وحركات العدو المطوقه ولينمعه من التقدم والانطلاق .

وفي احد هذه الايام الاليمة ظهر بغتة رتل انكليزي ولكنه لم يتبين تماماً حتى عرف بأنه كتيبة المظليين تحت امرة الجنرال رامكي التي اخترقت صفوف العدو وشقت لنفسها طريقاً بالقوة بضربة جريئة مجنونة باغتت فيها الارتال الانكليزية وقواتها المتقدمة وهاجمتها وانتزعت منها معداتها وسياراتها ودباباتها ومدافعها واستمرت في طريقها حيث التحقت بالقوات الالمانية المسحبة ترد عنها عادية العدو وفاراته المنطلقة المتلاحقة . انه عمل عجيب في تاريخ الحروب . وفي ايام قليلة تجمع حول الجنرال رامكي آلاف من الابطال البواسل الذين كانوا في بعض الاحيان ينساقون بمفردهم ليلتحقون بوحداتهم المتراجعة . ثم تولدت فيما بعد وضعية دقيقة في ساحة الميدان

التقديم لموقعة عام ١٩٤١ عندما تقدم الجيش الثامن على سيدي عمر ، وحاول تطويق السلوم الأدنى . وتمكنت القوات الالمانية هذه المرة ان تنجو من التطويق واستأنفت طريقها نحو موضع الغزالة وان المرء ليتساءل بدون شك كيف تمت هذه الرجعة المعجبية دون وقود ولا ذخائر وكيف سيرت بنسق ونظام وتعاون لانظير لها في تاريخ الحروب ؟ لقد رتب الامر بموجب حساب دقيق المراحل مع اعتبار كافة الاعراض المحتملة . وتوجب اجراء ذلك لعدم تطور مسألة التموين او تحسينها عن السابق . وظل الجيش المدرع في هذه الاوقات الدقيقة يعبش على يومه كما كان في السابق . وغرقت في هذه الاونة الباخرة الابطالية ساجيستنا واحتوت ناقلتان زيت اخريتان كانتا على وشك الدخول الى ميناء طبرق وبنغازي وكان من المعجز وضع اية خطة جديدة . فقرارات القيادة الالمانية لم تكن محكومة بوضع العدو فحسب بل بوضع امتلاء او فروع خزانات المعجلات الحاربة والسيارات الناقلة . وبالرغم من كافة الوعود التي كالمها مقر الفوهرر العام ظلت هذه الوضعية ذاتها يحقق بها الشلل التام ولم يمتريها قط تحوير او تطور .

وقد اظهرت روما رغبتها الملحة ازاء رومل اذ اوجبت عليه مهمة سوق القوات الابطالية غير الالية التي ماتزال على قيد الحياة واوكلت اليه ان يعمل على نقلها اثناء عملية التراجع . وهذا يعني ان روما كانت تجهل حتى هذه الساعة خطورة الموقف والوضع جهلاً تاماً . واستدعي المارشال كفاليرو ليحضر بنفسه مشاهدة الوضعية ولكنه لم يزعج ذاته بالقيام بهذه المهمة التي يعرفها اكثر من روما التي كانت وما تزال تعتقد بان قوات المحور الابطالية - والالمانية ماتزال قادرة على اشغال طبرق والدفاع عنها طويلاً . ولكن رومل رد هذه الفكرة رداً قاطعاً ولم يجب حتى على هذا الاقتراح الوهمي . فالبقاء في طبرق كان يعني قبول الحصار برأ وبجرماً وفناء الجيش

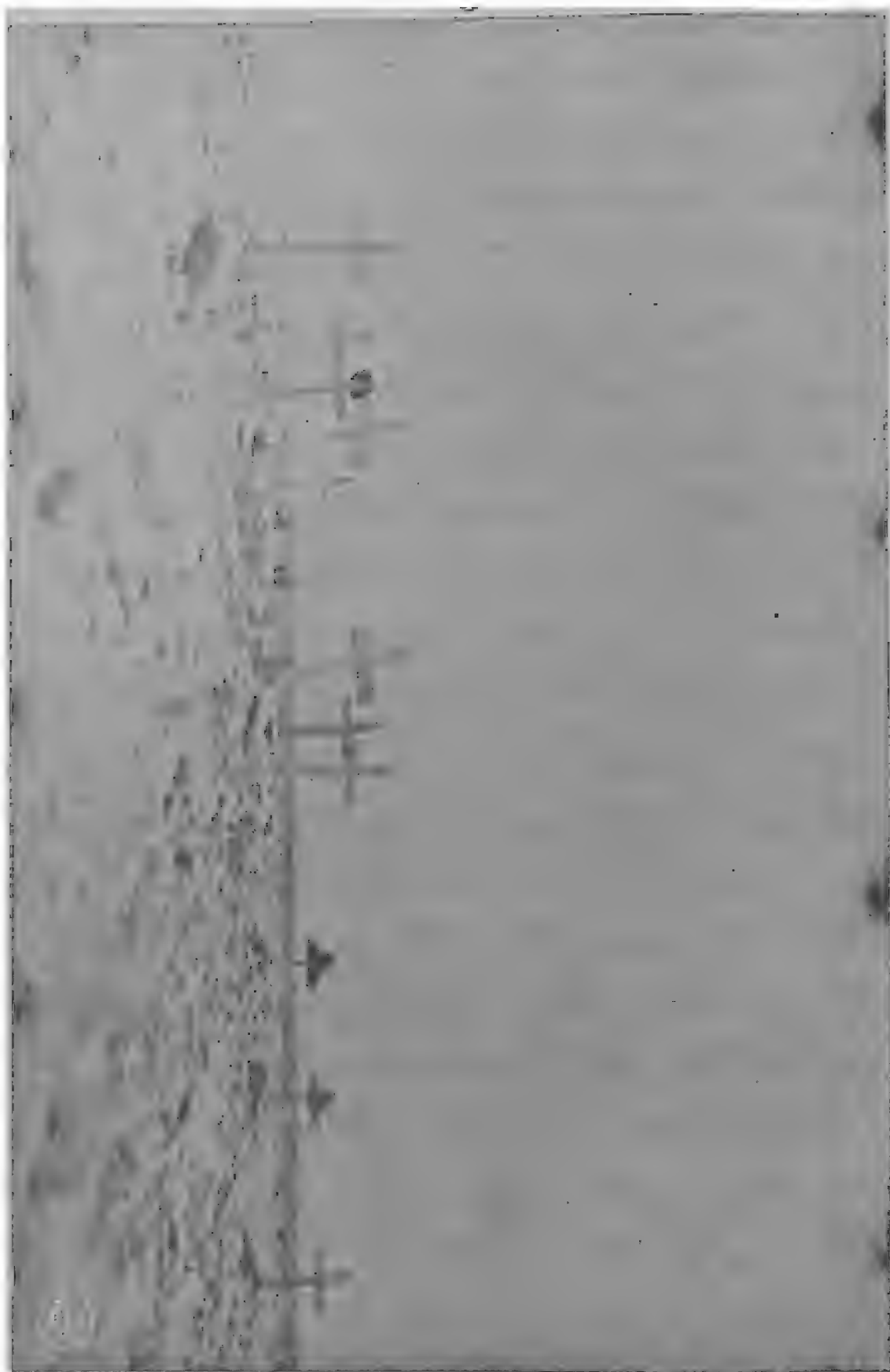


المدرع وتدميره في ايام معدودة . وكانت الحقيقة الثابتة التي لامراء فيها هو عدم الاعتماد على التموين في طريق المحاصرة . وتحقق رومل عدم امكانه المحافظة حتى على برقة البيضاء برمتها . وسبق ان اعطي الاوامر اللازمة لاجراء هذا الاخلاء بانتظام وسرعة في الحين الملائم . وكان في قيد الاحتمال اجراء توقف عند موضع مرسى البريغا شريطة اكال العداد وجلب النجيدات من طرابلس الغرب قبل ان يستحوذ الطيران البريطاني على السيطرة والسيادة على اجواء منطقة السرت . فاذا استحال تحقيق هذه الشروط فليس من مسوغ مطلقاً إيقاف الجيش المدرع في اي خط من خطوط دفاع هذه المنطقة الجرداء لخوض مواقع جديدة مع العدو دون فائدة تذكر ثم الاسراع اخيراً في الانسحاب الجبري المتدفع نحو طرابلس .

وكان رومل يرى من الافضل اقامة جبهة دفاع موقتة في برقة الغربية حيث يقوم بعملية جلاء بحري شامل تشترك فيه كافة الوسائل البحرية من غواصات وسفن بحرية وحربية وطائرات وزوارق سريعة لنقل القوات المحورية وتأمين سلامه وصولها الى الاراضي الاوربية استعداداً لعمليات المستقبل . ولم تعد القضية في حدود اجراء انصاف تدابير بل في اتخاذ قرارات مثبتة صريحة فعالة وجدية لتحقيق سلامة الجيش فقط . وقد اعلم الفوهرر المارشال رومل اثر مقابلته لضابط الاتصال الذي اوفده رومل اليه بأنه ليس من الممكن اعتماد عملية إجلاء بحرية للقوات المحورية بسبب طغيان السيطرة الجوية والبحرية البريطانية على البحر المتوسط والتي من شأنها ان تمنع نجاح عمليات الجلاء المقصود . والحل الوحيد هو وضع كل ما في الامكان تحت تصرف الجيش المدرع لتعزيزه وتقويته وتأمين عمليات التموين بصورة فعالة عن طريق طرابلس . وقد ابان المارشال رومل احتياجاته ومطالبه من جميع النواحي ووعد بالعناية الكلية ووضع كافة

الامكانيات موضع التنفيذ . وبالفعل فقد جرى ضغط على الجانب الايطالي في موضوع النقل والتموين .

وفي هذه الحالة كان يستوجب الاحتفاظ بموضع مرسي البريغا اطول مدة ممكنة ليصار الى تعزيز القوات الحورية استعدادا لهجوم قادم جديد. وبالرغم من صعوبة هذه المهمة التي هي ماثار النقد من نواح عديدة فقد فرضت الظروف محاولة اقامة رأس جسر هام في افريقيا والاحتفاظ به مدة من الزمن ريثما تتطور الظروف المنتظرة . وقد اكد الفوهرر للمارشال ايضا بأنه يتمتع بثقته التامة كما ابدى اعجابه الفائق بما قامت به القوات الالمانية الباسلة من دفاع مجيد وبطولة فائقة في جبهة العلمين مما لم يسبق لاية قوات ألمانية اخرى معاناة قتال مماثل في آية جبهة من جبهات الحرب القائمة ، ولم تشاهد مثل هذا التمرکز المتيد في تفاعيل قوى العدو وطغيان فيرانه وقصوفه الجوية الشديدة . وقد ذكر راديو القاهرة في تاريخ ٨ تشرين الثاني بأنه التي ما يزيد عن مليون قنبلة وقنبيرة في الايام العشر الاول التي رافقت سير الموقعة الكبرى . وهذا المقدار العظيم هائل اذا قدرت حدود ومساحة الجبهة الضيقة التي تدرخت لمثل هذه الكثافة من النيران الحامية . ولكن كان يظهر ان كل هذه الاقوال لم تخرج عن حدود الوعود الفارغة والتي من الحقق عدم امكان تنفيذها في مستقبل قريب . وهبط المارشال ارض المطار في البرجه يوم عيد ميلاده حيث احتفل الطيارون الالمان بعودته وبمناسبة يوم ميلاده واقاموا حفلة انيقة ومأدبة عشاء ولكن وقع هذه الدعوة لم يلفظ من الآلام والمرارات التي كان يعانيها هذا الرجل الصابر المقهور على امره . وكان يقر ويعترف بأنه لا يواجه قتال العدو الذي يريد قهره ودحره بل القتال الحقيقي الذي كان يخوضه بالذات ضد المصالح الاوربية والقيادات العليا للحصول على المواد الضرورية من أجل جنوده ولتأمين الحياة والمقاومة . وقد وعد



مدافن الصحراء

سلاح الطيران الالماني ان يجلب يومياً لرومل ٢٥٠ طن من الوقود ولكنه لم يتمكن من شحن سوى ٦٠ طن . ولما لام رومل الجنرال فون بوهل G. Von Bohl لعدم تنفيذ الوعود المقطوعة اجاب بأنه طلب الى السلطات صاحبة الصلاحية تزويده بالوقود الضرورية لاجل العمليات الحربية فظهرت عجزها عن تسليمه الكميات المطلوبة . وكان الطيران المذكور في عجز عن نقل هذه الكميات . وكأن الوعود المقطوعة اثناء الازمات تتأزم هي ايضاً بفعل تأزم الاحوال . وبالرغم من حاجة الجيش الى ٢٥٠ طن من الوقود يومياً لم يكن يصله سوى ٦٠ طن بالرغم من تحسن الاحوال الجوية . ان اسواء ما يمكن ان يجابهه الجيش في الحرب هي الوعود الفاشلة لان تفاعيلها على سير العمليات ذات تأثير بعيد ونتائج سيئة جداً لتفاوتها مع التقديرات والحسابات الموضوعة ، وكثيراً ما تكون سبباً هاماً في وقوع كارثة او حدوث فاجعة لم يحتسب لها بسبب هذه الاعتمادات الواهية . ان رومل كان في حاجة الى وقود وذخائر فقط وما كان في حاجة اليه الى اقوال ووعود لم توف . وكان يظهر ان الطيران الالماني كان يهتم بنقل الخضراوات اكثر من اهتمامه بنقل الاسلحة والذخائر والوقود .

واثناء الايام الدقيقة من شهر تشرين الثاني ١٩٤١ كانت الكنايب المدرعة في عوز ماس الى ٢٨٠ صندوق من قطع التبديل والغير التي كانت تنتظر منذ اسابيع في مطارات صقلية بينما كانت الطائرات الالمانية تنقل في كل يوم طنين من الخضر والفواكه لقوى الطيران في افريقيا . وكانت الطائرات من طراز يونكر تستطيع كل واحدة نقل ١٨ جندياً بكامل اسلحتهم ولكنها ما كانت تنقل سوى ١٤ جندي من سلاح الطيران لان هؤلاء كانوا ينقلون معهم حوائج شخصية ذات اهمية خاصة . وفي هذه الحالة المتردية كان كل شيء يبدو مؤسفاً ومحرزنا وكأنه سباق الى الحالة التي كانت تسوء يوماً بعد يوم . واعلنت مدفعية الجيش انه لم يعد

لديها اية ذخائر للصرف . وأشار احد ضباط الاركان متألماً بأنه تم نسف رحبات برجه دون الاهتمام بمعرفة ماذا كان الغيلق الالماني بحاجة للاستعانة بقسم كبير من محتوياتها . ودمر ايضا ٤٠٠٠ نغم كانت ذات اهمية كبيرة لاستعمالها في الجبهة والتي نسفت دون ضرورة قاهرة . وعبساً طال انتظار الغواصات والمدرعات القادمة الى ميناء بنغازي . ووجهت الاولى الى تونس وعادت الاخرى التي كانت تحمل الوقود في طريقها بداعي سوء حالة الطقس . وحوالت السفينة هانس ارب التي كانت تشحن قسماً من الوقود من بنغازي الى رأس علي النقطة المجهولة على ساحل برقة الغربية وقد تركتها السلطات الايطالية لنفسها بعد ان اخذت الميناء . وقد تلقت هذه الباخرة برقية لاسلكية بالوصول الى هذا المرفأ . وفي الساعة التي اوشكت فيها ان تدخل المرفأ وصل أمراً برقية من روما يوعز الى الباخرة بالابحار الى رأس علي حيث ضربت بطوربيد وُاغرقت مع حمولتها البالغة ٧٠٠ طن من الوقود ؟ وفي هذه الاثناء اشارت الفرقة المدرعة الخامسة عشر انه لم يعد لديها وقوداً البته وانها مجبرة على التثبت في مكانها دون حراك . وهنا بدأت السماء تجود بقطرها المتدفق وتفتحت مزاريعها كافواء القرب تملر كالسيل ارجاء الصحراء التي تحولت الى بحر من الوحول . ولم يعد في وسم السيارات والمجلات الصغيرة او الكبيرة التحرك وغرزت عجلاتها في الوحول الطامية . وتوقف من جراء ذلك كل نشاط حتى على ارض المطارات . ولم تظهر اية طائرة من المعسكرين ولم يستطع الطيران اعتلاء الاجواء البته . وتسمرت طلائع الجيش الثامن الامامية في اماكنها في منطقة العظم وأجبر مونتغمري وقواته على التوقف والتثبت . وكاب من حسن الحظ ان الطقس عطل الحركات والعمليات واقصى خطراً آخر عن الوقوع . وكانت بعض الوحدات البريطانية السريعة التي تركت واحة

جُتِيبَ تَجْتَازَ الصَّحراءَ فِي الجَنُوبِ لَتَعْرِجَ عَلَى طَرِيقِ اجْدَابِيَا وَتَقْطَعَ مَوَاصِلَ الجَيْشِ المَدْرَعِ وَتَطُوقَهُ فِي بَرْقَةِ الغَرْبِيَّةِ . وَكَانَتْ تَشْمَلُ عَلَى قَوَاتٍ مِنْ المَغَاوِرِ تَقْلُهَا سِيَارَاتُ جِيْبٍ وَسِيَارَاتُ اسْتِطْلَاعٍ مَرَّةً سَرِيعَةً الحَرَكَةِ . ظَهَرَتْ هَذِهِ القَوَاتُ فِي جَنُوبِ بَرْقَةِ البَيْضَاءِ ، وَاعْلَمَ عَنْ وَجُودِهَا فِي جَوَارِ الخَيْلِيِّ بَيْنَا ارْتَمَالَ الفَرْقَةُ الخَفِيفَةُ التَّسْمِيعِ المُنَاخِرَةُ مَا تَزَالُ فِي جَوَارِ طَبْرِقِ وَقَوَاتٍ وَتَتَنَحَرَّى فِي اطْرَافِ غَامِبُوتٍ . وَلَكِنْ الطَّيْرُ النِّسَابِيُّ تَنَاقَلَ هَذِهِ القَوَاتُ المُنْتَدِمَةُ بِنَارَاتٍ مُتَوَالِيَةٍ وَابَادَهَا عَنْ آخِرِهَا . وَتَوَقَّفَ قِسْمٌ مِنْ هَذِهِ السِّيَارَاتِ فِي جَوَارِ مَرْوَسٍ بِسَبَبِ الوَحْلِ الكَثِيرِ وَقَدْ هَاجَمَهَا الطَّائِرَاتُ الالْمَانِيَّةُ وَدَمَرَتْهَا فِي اَمَاكِنِهَا . وَكَانَتْ اَحَدُ المَطَارَاتِ الالْمَانِيَّةِ مَا يَزَالُ قَابِلٌ لِلِاسْتِثْمَالِ مِنْ بَيْنِ كَافَّةِ المَطَارَاتِ المَوْجُودَةِ . وَاكْتَشَفَتْ عَمْرَضًا بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ السِّيَارَاتِ البَرِيطَانِيَّةِ يَبْلُغُ عَدْدُهَا اِلَى ٥٠٠ سِيَارَةٍ تَتَجَمَّعُ فِي اَرْجَاءِ الصَّحراءِ الغَرْبِيَّةِ فَهَاجَمَهَا وَدَمَرَهَا قِسْمًا كَبِيرًا مِنْهَا . وَكَانَتْ مَنَاطِقُ مَرْوَسٍ حَتَّى اقْلَاتٍ وَاجْدَابِيَا كُلُّهَا مُحَاطَةٌ بِالمِيَاهِ وَكَانَتْهَا جُزُرٌ فِي بَحْرِ لَجِي مَا خَلَا المَرْتَفَعَاتِ وَالْجِبَالِ المَحَاوِرَةَ وَحْدَهَا كَانَتْ تَبْرُزُ ظَاهِرَةً فِي هَذَا البَحْرِ الوَاسِعِ .

وَفِي خُلُصَةٍ مِنَ الوَقْتِ لَفَجَتْ رِيحٌ سَمُومٌ قَوِيَّةٌ وَعَمَلَتْ عَلَى تَجْفِيفِ الصَّحَارِيِّ وَزَادَتْ اَلْأَمْرَ سَوْءًا ، فَوَعَزَ الجَيْشُ المَدْرَعُ اِنْشُدًا بِاخْلَاءِ بَنْغَازِي وَالتَّاقْدَمِ بِكُلِّ سَرْعَةٍ عَلَى الطَّرِيقِ السَّاحِلِيَّةِ لِلْوُصُولِ قَبْلَ الْاِنْكَازِ اِلَى اجْدَابِيَا وَتَوَقَّفَتْ كَثِيرًا مِنَ الْوَحْدَاتِ اِثْنَاءَ السَّيْرِ بَعْدَ اَنْ نَضَبَ وَقُودُهَا كَمَا تَوَقَّفَتْ طَائِرَاتُ النُّقْلِ الالْمَانِيَّةِ فِي الْوُصُولِ اِلَى الْيَابَسَةِ تَحْمِلُ مَعَهَا ١٦٠ طَنًا مِنَ الْوَقُودِ بِدَلَا مِنْ ٤٠٠ طَنٍ الْمَوْعُودَةِ . وَاعْلَنَ بِأَنَّ الْفَوَاصِلَ وَالْمَدْمَرَاتِ تَنْقَلُ ٥٠٠ طَنٍ وَقُودٍ وَهِيَ فِي طَرِيقِهَا اِلَى مِينَاءِ بَنْغَازِي فَهَلْ تَصِلُ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ يَأْتَرَى ؟

وَلَمْ تَصِلْ هَذِهِ الْمَرَّةُ اَيْضًا لِأَنَّهَا رَجَمَتْ خَشِيَّةَ الْعَاصِفَةِ الَّتِي ثَارَتْ عَلَى

السواحل الافريقية بينما كان مونتغمري يؤمن تموينه عبر البحر تحت اقسى الشروط . وقد شوهدت خمسة عشر باخرة بريطانية في عرض البحر على محاذاة ميناء درنه . كما شوهدت ايضا زوارق زبل السريعة تمخر عباب البحر الطاغى تشحن مدرعات ودبابات المانية ومعدات حربية تقرر نقلها من ميناء بنغازي لتنجو من ايدى العدو ، والعمل على ايصالها الى منطقة السرت .

وصلت القوات المتراجعة خط مرسى البرينا في ٢٠ تشرين الثاني . وتجمعت الوحدات للمرة الاولى في منطقة اجدابيا . وتثبتت الجبهة من جراء الوجود المتراكمة . واحتترقت ثمانى طائرات اثر هبوطها على ارض المطار بفعل قصوف العدو وكانت تحمل الوقود للجيش . وغرقت الباخرة جيورانا حاملة الزيت وكانت تشحن مقدار ٣٩٠٠ طن وقود ونسفت بطوربيد جوي من قبل طائرة بريطانية امام ميناء مصرطة . وكانت السماء مازال تمطر الارض بسيولها الهائلة كأنها تحاول اطفاء سمارها المحرق الذي عاتته ابلت الايام الطويلة الدامية في معارك الصيف الالهية .



# الفصل السابع

## بين مرسي البريقا وتونس

تشرين الثاني الحالك

WISCHEN TUNIS UND MARSA EL BREGA

Dusterer November

في الثاني من شهر تشرين الثاني بينما كان الجيش المدرع يقاتل في جوار سيدي عمر ومضيق حلفايا اتخذت تدابير جديدة كانت تقرر ترتيباتها في معسكر الحلفاء اثناء محنة الصيف الماضي وقد حان وقتها وآن أوانها الآن لتوضع مرضع التطبيق والتنفيذ .

أنزل الحلفاء في شمال افريقيا فرقا بريطانية وأميركية في مقاطعات الجزائر ومراكش واعطيت لها مهمة واسعة المدى . وكانت هذه المهمة تنص على التقدم عبر الاراضي التونسية لقطع الطريق الاساسية المعدة لتعمين جيوش المحور في طرابلس الغرب واستعجال تدمير جيش رومل المدرع وتأمين التلاقي مع الجيش الثامن البريطاني المتقدم من الشرل . وحال انتهاء احتلال افريقيا الشمالية تبدأ عمليات احتلال جنوب القارة الاوربية على الفور . وقد تقرر اجراء الانزال في مطلع عام ١٩٤٣ :



وبصورة عاجلة انزات عن طريق الجو قوات محورية لم تستطع في بادئ الامر جلب اسلحتها الثقيلة معها . وبالرغم من الفوضى القائمة تمكنت من احتلال ميناء تونس بغارة جوية مفاجئة وتمكنت من تنظيم المنطقة الواقعة حول ميناء بيزرت . واقام رأس جسر كان يزداد قوة ومناعة يوما بعد يوم . ومن حسن حظ الحلفاء ان القوات الافرنسية في تونس لم تبد أية مقاومة ضد قوات الحلفاء التي انزات على الشاطئ الافريقي والتي تمت حركاتها وعملياتها بمنتهى الخبطة والحذر . وكان من السهل عليهم احتلال تونس وايجاد وضعية تختلف بالنسبة لقوات المحور . وقد ازيلت طرابلس من قبل طائرات تنطابق من المطارات التونسية وتقدمت قوات الحلفاء على الساحل دون ان تلاقي أية مقاومة . وظهر ان الحرب في افريقيا لا بد أن تنتهي قبل نهاية العام .

وساعد تردد العدو وبطء حركاته قوات المحور على تنظيم جبهة دفاعية في تونس بكل هدوء وسكون . ويظهر ان العدو نال بسبب هذا العمل نتيجة هامة جداً . ويحتمل انه قصد هذا الإبطاء عن اعتماد ورغبة . وقد ارسلت الى رومل كافة المعدات والقوات التي سبق ان طلبها بالحاح والتي رفضت المرة بعد المرة وجمعت بسرعة هائلة لا يكاد يصدقها العقل . وظهرت بصورة واضحة كافة الاخطاء التي وقعت من جانب الالمان والايطاليين في الساعة الاخيرة . فلو ان المحور ارسل في الصيف الى جبهة العلمين القوات والمدافع والدبابات والمدرعات والوقود وقطع التبديل ومواد التموين التي اجبر على ارسالها الى تونس في الشتاء لسقطت مصر بدون ريب في ايدي قوات الجيش المدرع منذ زمن طويل ولأمكن تمحاشي فاجعة تشرين الاليمة .

ولكن الوقت كان متأخرا والنجدة عديمة الفائدة . وليتساءل المرء الآن لماذا ضرب بكل التعهدات والوعود السابقة عرض الحائط وتطارت مع ذرات الهواء أمر واحد كان بيناً وظاهراً وهو أن الروسيا لم تتبلغ

كل الموارد الحربية وكان في الامكان اعداد وايجاد ما تتطلبه الجبهة الافريقية لو احسن الحساب . وكان المارشال باستينكو يقول بمرارة اليعة عندما شاهد حملة ليبيا تنقلب الى أسوأ منتظر وأشنع مآب لو ان كل وعود روما التي كذبت له جمعت ورتبت اجزاؤها بعضها فوق بعض لتجاوزت في ارتفاعها أعلى قمة في افريقيا ولاستطاع رومل رفع هذا العماد عاليا وعاليا جدا .

بدأت المعركة في ٢٣ تشرين الاول واستمرت الجبهة تصد العدو حتى الرابع من تشرين الثاني اليوم الذي شحت فيه الوقود والذخائر وتأخرت النجدة التي تقرر ان يكون قوامها ٣٠٠٠٠٠ الف جندي لاملأ الشواغر . ثم تلى ذلك اليوم الاخير الانسحاب على خط فوكا الذي اخترق في اليوم التالي .

وكان في الامكان ايقاف قوات مونتغمري اياما أمام حقول الالغام في مرسى مطروح ولكن قواته البحرية كانت تزعج باستمرار الارتال المتراجعة . وفي الحادي والعشرين من تشرين الثاني تمكن الجيش الثامن من قسر مضيق حلفايا حيث تم امحاء فوجين ايطاليين وفوج مدفعية المانية . وحدثت أزمة قصيرة في المعظم وفي طبرق . وقد اعيدت الجيوش لايقاف تقدم العدو ثم انطلقت الارتال الواحد تلو الآخر الى منطقة برقه البيضاء . وفي هذا الوقت احتل الفيلق الالماني والفرقة الالمانية التسعون الخفيفة خطوط دفاع الغزاة . وكان التراجع فيما بعد يسير خطوة خطوة حتى الرابع والعشرين من شهر تشرين الثاني بصورة ان الطلائع الخلفية تمكنت من دخول منطقة البريقا المحصنة .

وأثناء هذه الاسابيع الدقيقة كانت وحدات الهندسة تحت امره الجنرال بولوفويس ( G. Bulovius ) تقوم بعمليات خارقة وعملت اعمالا مجيدة من اجل استيعاب وايقاف العدو . وكانت تلغم كل الطرقات والمسالك



صورة المارشال رومل بلباس المارشالية

متراً بعد متر وشبراً بعد شبر . وكانت الألغام الكاذبة تتناوب مع الألغام الصحيحة التي لا تستطيع كشفها أجهزة كاشفات الألغام الخاصة . وكانت تنسف الطرق الهامة فتجعلها منحدرات خطيرة . وكانت المصائد توضع في هياكل السيارات المتروكة على حافة الآبار وأطراف الحفر والطرق وأبواب المنازل وتحت جزوع النخيل التي كان يركن إليها محاربو العدو أثناء الراحة . وكانت تتطاير انفجاراتها في كل مكان وتأخذ معها من محبت اسمائهم من عالم الأحياء . لقد سطرت هذه الوحدات الهندسية بأعمالها وحركاتها الجريئة التعميرية والتخريبية في هذه الحرب اعجب القصص وأروعها . كل هذا الإبداع العظيم مدين لعقل رومل في إيجاده وتنفيذه . وكان المارشال باستيكو قد احتاط مقدماً لتأمين خط دفاعي جديد على جبهة مرسى البريغا الذي بلغ طوله ١٧٠ كيلو متر بينما لم يكن خط دفاع العلمين سوى ٧٠ كيلومتراً . ووطد في هذا الخط فرقة سبيريا « Spezia » و « بيستويا » Pistoia ، وبينهما فرقة الشباب الفاشي التي استمدعت من قطاع سيوه . وكانت كشافة الأشغال ضعيفة جداً . ولم يكن في واحة مراده التي تهبط حماية الجانب الأيمن سوى فوج وطني وبطارية واحدة . وكان خط المقاومة يتألف من نقاط استناد متفرقة يفتح بينهما فرجات يتراوح عرضها بين ٤ إلى ٦ كيلومترات . وكانت حقول الألغام قليلة العمق والكثافة . وتشتمل على حوالي ٣٠٠٠ لغم وأغني ٧/١ من مجموع الألغام التي زرعت أمام جبهة العلمين . وفي هذه المواضع توطد الجيش المدرع وتربص على الدفاع وقد اشتملت وحداته على القوات التالية:

- الفيلق الألماني = عداد فرقة مشاة
- الفرقة الخفيفة التسعون = عداد فوج مشاة ونصف الفوج
- الفرقة ١٤٦ = ٣٠٠٠ آلاف جندي بدون أسلحة ثقيلة وبعضهم بدون بنادق

- لواء المظليين = عداد فوج فقط .
- الفرقة التاسعة عشر = عداد كتيبة .
- مدفعية الجيش = ثماني بطاريات من اصل سبعة عشر بطارية .
- الفيلق العشرون = مؤلفاً من كتيبة مشاة ذات عداد منقوصة ودون دبابات ومدفعية ؛ بينما كان لديه سابقاً ٢٢٠ مدفع و ٥٥٠ مدرعة .
- ويلاحظ ان وضعية الاسلحة الثقيلة كانت مرتبكة وخطرة . وكل ماتبقى لدى الفيلق الالماني ٣٥ دبابة من اصل ٣٧١ دبابة و ١٦ سيارة استطلاع من اصل ٦٠ سيارة و ١٢ مدفعا ضد المدرعات من اصل ٢٤٦ و ١٢ مدفعا ثقيلاً من اصل ٦٠ مدفع ومدفعين من عيار ١٠٠ مم من اصل ٨ مدافع ولم يبق لدى الفرقة الخفيفة التسعين سوى مدفعين ضد المدرعات بدلا من ٢٠٠ مدفع والفرقة ضد الطيران ٤٠ مدفعا عيار ٨٨ مم من اصل ٧٢ مدفع و ٢٠ مدفعا عيار ٢٢ من اساس ٢٢٥ مدفع .
- وكان المظليون يملكون ٢١ مدفعا من اصل ١٠٢ مدفع ضد المدرعات ، ومدفعين من اصل ٢٤ وتبقى لدى مدفعية الجيش ٢٤ مدفعا من اصل ٥٦ ماعدا فرق المشاة الايطالية تحت قيادة الجزال باستيكو التي كانت تملك بعد عدداً اوفر من المدافع الخارقة للدروع ، ولكن جنود السدنة كانوا قليلي الخبرة والتدريب في هذه المعدات .
- وكانت المهمات تزداد صعوبة من جراء نقص التموين بالذخائر .
- وكان الجنود يحملون نصف وحدة نارية وبالكاد كان يوجد وحدة كاملة في طرابلس وكميات الذخائر الضرورية تنقص عن هذا الرقم .
- وكان مصروف الوقود اليومي في هذه الايام يبلغ ٤٠٠ طن والتموين يغطي اربعة ايام كاملة ويعني ١٦٠٠ طن . ونقص تموين الاطعمة الى أدنى مستوى في بعض الوحدات الى حد انها لم تتلق خبزها اليومي طيلة اسبوع كامل .

هذه وضعية الجانب الالماني ولننتقل الآن الى المعسكر البريطاني . كانت الفرقة المدرعة البريطانية ترابط في منطقة مزوس — انقيلات والفرقة اليوزبيلاندية الجديدة تتوطد على جانبي طريق اجدايه . ونظم مونتغمري وسائل تموين جيشه بعناية تامة ولامد طويل . وكان على استعداد تام للقيام بهجوم في منتصف كانون الاول بمجموعة قواته او على الاقل بقوة تتألف مباشرة من فرقتين مدرعتين واربع فرق آلية . وهذه القوة لتشتمل في مجمرعتها على ٤٠٠ دبابة و ٤٠٠ مدفع و ٥٠٠ مدفع ضد الدبابات . وكان في وسعه والحالة هذه ان يقوم بهجومه المنتظر قبل ان يصل الى الجيش المدرع الالماني اية نجدة تذكر . وكان يرغب في تطويق الجيش المدرع في منطقة مراده ، ويحاول ان يقطع عليه طريق التراجع والتقدم بصورة مستقيمة باتجاه طرابلس . واذا اراد العمل باطمئنان وأمان فما عليه الا ان ينتظر لوقت قصير وصول مجموعة قواته المؤلفة من الفياق العاشر والفيالق الثالث عشر والفيالق الثلاثون كي يصبح في حالة يستطيع معها اطلاق هجومه الكاسح على مواضع مرسى البريغا بقوة قوامها ثلاث فرق مدرعة وثمانى فرق مشاة . فاذا امكن في هذا الوقت تنسيق العمليات الحربية المنتظرة مع القوات الانكليزية — الاميركية الزاحفة الى تونس اصبح من السهل التنبأ بمجري الحقائق القادمة . وكانت قوات انزال الحلفاء في شمال افريقيا لتشتمل في بادى الامر على فرقتين مدرعتين وأربع فرق مشاة أميركية والفرقة ال ٦٠ البريطانية .

ولا يخفى بأن الجيش الثامن البريطاني ذاته اصيب بنحسائر جسيمة من جراء الالغام التي يشتملها القوات الالمانية المتراجعة ولكن الفراغ الحادث في العداد والمعدات سد على الفور واكملت الشوارع دون ابطاء . ويجب ان لا يغيب عن الفكر نسبة القوى المقابلة في المعسكرين المتحاربين . واذا عن لنا اجراء محاكمة قياسية عن ماهية القرارات المتخذة من قبل القيادة

الالمانية بعد فهم حالة ووضع الجيش المدرع لتبين عدم امكانيته المطلقة تنفيذ الاوامر المعطاة .

لقد كان واضحاً جلياً ، بأن العدو سيهاجم سعياً لتحقيق قرار معين . وهو بلاشك سيحصل عليه بصورة قاطعة حاسمة . وبالطبع ففكرة روميل كانت تنحصر في عدم قبول القتال على اساس الوضع الراهن بل بسحب القوات الى مواضع جديدة في البويرات ، وان يقوم فقط بعملية تأخير تقدم العدو واجراء حركات وعمليات بواسطة قواته المتحركة ثم الانسحاب على الطريق الساحلية . وهذا يعني إخلاء مطارات منطقة السرت التي يستعملها العدو لقصف ميناء طرابلس وتهديد طريق مواصلات المحرر وحزف أهمية منطقة طرابلس من ميدان العمليات الجريية ؛ وبالتالي منح الفرصة التامة لجزيرة مالطة لاستعادة شأنها وقوتها لتلعب دورها الفعال في العمليات القادمة . والمهم في الوضع هو عدم انتظار هجوم العدو على موضع البرينا كي يتمكن الجيش المدرع من الانكفاء . اما قبول الموقعة الحاسمة فمعناه تدمير القوات الاخيرة الباقية والتمجيد في قطع طريق طرابلس نهائياً وبالتالي أيضاً تسهيل سقوط رأس جسر تونس . والحل الوحيد هو اجراء انكفاء متوالي من شأنه ان يؤخر تقدم العدو السريع والسماح للقوات الراجلة والمشاة بالانسحاب في الوقت الملائم كسباً للوقت وهذا كثير جداً بالنسبة للوضع وأقصى ما يستطيع الجيش المدرع اجرائه اخيراً .

وافق الجنرال الباسل نافاريني قائد الفيلق الواحد والعشرين على الخطة . وليس في وسعه ان يتصرف تصرفاً آخر مع العلم ان فرقته التي شكلت حتى الآن الاحتياط العام للجيش لم تكن لديها الخبرة الكافية في القتال وانها في نظره غير قادرة على مجابهة ومقاومة هجوم عنيف قوي كالهجوم البريطاني المنتظر .

ومن الواضح ان خطة روميل لم تحفل بمسألة تعزيز الطيران . وقد

سبق ان اعلن عن مساعدة الطيران الممكنة التي وعد بها من قبل الفوهرر في شهر تشرين الثاني ولكن الواقع فوق الارادة . فالطائرات غير موجودة والوقود مفقودة ولم يكن هذا الامر بالسر المكتوم وخاصة بالنسبة الى الجيش المدرع .

وضعت هذه القوات تحت قيادة المارشال باستيكو القائد العام للقطر الليبي . ولم تجر اية مناقشات حول الموضوع بين القيادتين الالمانية والايطالية لان أمراً صدر عن مقر قيادة الفوهرر وموسوليني ومآله « الدفاع عن مرسى البريغا » ولم تتم الموافقة على خطة البويرات التي أمست عديمة الغرض والفائدة . وفي هذه الاثناء عقد اجتماع خاص في قرية « اكرودوفيليني » في صحراء السرت حضره المارشال كيسرانغ القائد العام للجهة الجنوبية والمارشال كافاليرو وعدد من القادة والضباط الالمان والايطاليين من ذوي المراتب العليا للبحث والتداول في الوضعية وقرار ما يتوجت عمله ازاء الحالة الراهنة فبرهن رومل من جديد عن انعدام الامكانيات المطلقة من اجل توطيد مقاومة قوية على الموضع المذكور والتي لا تستثاف العمليات الهجومية في المستقبل . فلم يتجرأ احد على اتخاذ اي قرار ايجابي في هذا الصدد لاني هذه الجلسة ولا في الجلسات العديدة التالية .

وفي هذه المرة كما في المرات السابقة جرى الحديث حول الامدادات والنجادات الجديدة من مدافع ودبابات ومدرمات ومدافع ضد الدبابات ووقود وطائرات وخلافها . ولم يجهل كافاليرو بأن اثنا عشر طناً المستوردة كل يوم على مسافة ٨٠٠ كيلو متر الفاصلة بين طراباس والجهة لا تكفي لتموين القوات بالاعاشة والتموين فقط . وكان يريد ان يعرف أي رقم يجب اعتماده من اجل اعادة اكمال المواد الاحتياطية . وكان هذا الرقم معروفاً جداً وهو ٤٠٠ طن في اليوم . ولكن لا كيسرانغ ولا كافاليرو لم يتمكنوا من اقرار الوصول الى جوهر المسألة . فالاول لم يكف عن العودة



الى موضوع امكانيات الانقطاع عن موضع البويرات بينما كان يعرف جيداً الامر الصادر للقتال على موضع البريغا وكان يعرف انه من المستحيل تحقيق الامرين في وقت واحد .

ضاح كيسرلنغ في الاعتبارات العامة وابدى دفاعه بشأن موضع البريغا واكد بان العدو لا يستطيع التهيؤ بصورة كاملة بسبب استتالة خطوط تموينه الممتدة على مسافة ٣٠٠ كيلو متر . وهكذا كان من جملة الاخطاء التي سبقت والزاعمة بأن الفياق الجوي العاشر كان يهاجم مواصلات العدو بانتظام بجناحين فقط وانه احرز نتائج ساحقة وانه سيأتي قاصفات ومقاتلات جديدة لمساندة الجيش المدرع بصورة اكيدة حاسمة ، وانه يجب بشق الوسائل استحضار اسلحة جديدة ومدافع من عيار ٨٨ ملم طراز عام ٤١ ودبابات النمر والمحروقات التي يحتاج اليها الجيش وان في وسعه بواسطة القوات الجوية الناقلة جلب المدافع المضادة للطائرات لوحدة الفرقة الـ ١٤٦ . وافاض كيسرلنغ قائلاً :

اذا تقرر الدفاع عن البويرات وطرابلس فمن الضروري ارسال كافة القوات الاحتياطية لانشاء موضع دفاعي للاتجاه اليه حتى وصول النجدة الكافية عن طريق تونس لدفع الجبهة الى الامام . وابدى ايضاً ملاحظاته بان كل انسحاب جديد يسوق الانكليز كما يدفع الاميركان للقيام بهاجتهم فوراً . فاجاب رومل بصراحة مطلقة قائلاً : ( ان الفاجعة ممكنة الوقوع بمثل هذه السرعة اذا ظل الجيش المدرع على موضع البريغا وهو لا يملك سوى ثلث وحدة نارية . اذاً فليس والحالة هذه باستطاعته ان يعمل شيئاً . يستحق الذكر والاعتماد عليه .

اجاب كيسرلنغ بأنه جاء خصيصاً مع المارشال كافاليري للدراسة ما يتوجب عمله في حالة عدم امكان الاحتفاظ بهذا الموضع .  
هز رومل كتفيه قائلاً : اننا متأخرون ومتأخرون جداً لايجاد واعتماد



معركة دبابات السلوم

أي حل آخر . لقد اتخذ القرار واعطيت الاوامر للدفاع في اماكننا . وأبدى كيسرلنغ بأن الفوهرر كلفه منذ عدة ايام بمسؤولية التكوين وانه سيعمل كل ما في استطاعته ليمكن الجيش من المقاومة مع العلم بأن التكوين لا يمكن أن يصل دفعة واحدة ، وانه سيتقاطر تباعاً مع الاسلحة الجديدة التي سيكون لها تأثيراً فعالاً جداً .

كل هذه الاقوال كانت بعيدة عن حقائق الجبهة ، وما هي إلا أقوال وكلمات ليس لها قيمة يعتمد عليها . وأبدى رومل ملاحظته المدعومة بالخبرة التي عاينها في جبهة العلمين قائلاً : ( ان الطيران البريطاني ليبذل مقاومة الجيش الدفاعية في اقصر وقت ممكن وحتى قبل أن يبدأ الهجوم بوقت طويل . هذا قول مشهود اجاب كيسرلنغ : واني لا فكر بامكانيات حد نشاط الطيران البريطاني باستمرار مهاجمة مطاراته من قبل وحدات الطيران الألماني المعززة . وأضاف بأن هذا الطيران توفيق في منطقة بوجي من تدمير ٨٠ في المائة من طائرات العدو التي كانت جاثمة فوق ارض المطار المذكور .

ولكن رومل ما كان ليؤمن بقوة الطيران الألماني ولمّا يتلقى بعد النجذات الموعودة وكونه في حالة قوية من شأنها أن تطور او تعدل بصورة حاسمة وضعية الجيوش البرية واستطرد يقول : ( ان العدو يستعمل كتلاً جوية من القوة والعدد بحيث ان يكون جهد طائراتنا بالنسبة اليها إلا هباء أو كوخذات الدبابيس بالنسبة الى عملياته الجوية الساحقة . ويكفي ان يستعمل طائراته المساندة المشاة لتدمير كل عمليات تمويننا .

وسأل كافاليرو عندئذ اذا كان في الامكان حقاً تقوية وتعزيز سلاح الطيران . كلا! اجاب كيسرلنغ ليس ذلك ممكناً في الوقت الحاضر ولكن الفيلق الجوي العاشر سيعمل كل ما في وسعه ومقدوره من العمل لمساعدة القوات البرية .

وأخيراً انتهى رومل بإلقاء السؤال الجديد التالي : « ماذا يحدث اذا تمكن العدو من تثبيت الجيش المدرع على الجبهة في الايام القليلة القادمة وعمل على إحاطته بقوات هائلة ؟ . خيم السكوت آنئذ على القادة ، السكوت الاليم على سؤال لا جواب له في عرف الفن العسكري سوى قبول الواقع وهو الاستسلام والهلاك . وقد شعر القادة المتحدثون بأن رومل يقصد من قوله الاساس التالي :

« كل جيش محارب ثبت او طوق معاً فاما ان يستسلم او ينتحر » . استأنف كافاليرو حديثه بعد سكوت لا يجب على سؤال رومل بل ليتحدث من جديد عن قدرة التفريغ الممكنة في ميناء طرابلس ، هذا الحديث الذي ليس له أية علاقة بما سبقه . وطلب المجتمعون ايجاد حل قطعي لهذه الحالة القائمة . فأجاب رومل على الفور : « اني سأترصد على الدفاع في الموضع المختار حسب الاوامر الصادرة ولكن في حالة تمكن العدو من اختراق الجبهة الدفاعية فاني اناور حالا لاجراج قواتي من حلقة الوقوع في الاسر » .

وفي الايام التالية بدأت الاخبار السيئة تتوارد تباعاً . وعلم بأن جنود الفرقة الـ ١٦٤ الذي يبلغ عددهم ٣٠٠٠ جندي ليس لديهم خياما يحتمون بها من عادية الامطار الهائلة . فأرسلوا الى طرابلس ليستريحوا وليتجهزوا بالسلاح والمعدات اللازمة . ولم تلتق وحدات المظليين خبزهم منذ خمسة أيام . وهوجت السفينة الجيرينو « Algerino » التي كانت تحمل الذخائر والوقود ونسفت واغرقت قريباً من ساحل البويرات . وغداة هذه الايام اعلن بأن الاعاشة ستأخر اسبوعاً كاملاً ، ويعني ان الارزاق لن تصل قبل كانون الاول . وفي نفس اليوم وردت اوامر من القيادة العليا للميدان الجنوبي تنص على ارسال قوات الى قابس في تونس التي تم احتلالها من قبل قوات الديغوايين في منتصف شهر تشرين

الثاني وتوجب استعادتها من قبل الافواج الايطالية . وقد نفذ الامر فوراً بتسيير جمهرة الاستطلاع الثالثة ولم تصل بعد اية اخبار تدل على ان الوضعية اعتراها اي تطور او تبدل .

سلم رومل القيادة العامة للجيش المدرع الى الجنرال فيهن « G. Fehn » القائد الجديد للفيلق الالماني وأقلع بالطائرة الى مقر قيادة الفوهرر العام ليعرض عليه رأيه في الحالة الراهنة . وكان يرمي من وراء هذه الزيارة اطلاع القيادة على وجوب نقل القوات الالمانية ذات القيمة الحربية الممتازة في حالة عدم نجاح العمليات الحربية في تونس ، وانستزاع آلاف الجنود المحرنة المدربة من ايدي العدو .

أظلمت الدنيا في وجه الفيلق الالماني ولكن شعاع من الامل انبعث من أعماق هذه الظلمات لينير الافق ولو لأمد قصير . وفي غمرة هذا الظلام الدامس ، وصلت السفينة هانس هارب « Hans Harb » التي ضربت من قبل العدو منذ مدة الى الشاطئ قرب منطقة الجهة وكانت مشحونة بالمواد الغذائية والوقود وتم تفريغها على الفور . وكانت الفيلق في أمس الحاجة الى هذه النعمة غير المنتظرة .

ترك رومل مقر قيادته في الثامن والعشرين من الشهر الثاني في الساعة الثانية صباحاً فوصل في الساعة السابعة عشر الى مقر قيادة الفوهرر . فهل قدم هذه المرة ليضرب على أجنحة طاحونة الهواء او جاء ليتلقى الاوامر المطبوعة المشبوعة بالنتفاؤل الواسع الذي يسيطر على أجواء برلين وأرجاء المقر العام الذي يحركه فقط التصميم العنيد الاعمى للغلبة ؟

وكان كما عهده لم يتغير فيه شيء البتة منذ اليوم الذي اعطيت له فيه الوعود الاحتفالية السخية من قبل الفوهرر في الرابع من تشرين الثاني القاضي بارسال كل مطالب الجيش المدرع بسرعة وسخاء من مواد ومعدات

ضرورية وكل الاسلحة الشاغرة . ان المعركة الخلفية الدائرة كانت أكثر ارهاقا للاعصاب من تهديد فيالق مونتغمري الثالث . وكان المارشال مع ذلك مصمما للمرة الاخيرة على اجراء كل محاولة لانقاذ جنوده باعتبارهم المسؤولين عنهم والمكلف بأمرهم .

عرض رومل وجهة نظره التي لم تتغير ولم تتبدل . اننا نتخيل التأثيرات التي ستحدثها حججه وبراهينه . انها ليست التأثيرات التي يحدثها بروز الاسد بين قطعان الغزلان البريئة ولكنها من الطراز الهائل التي تشبه وقع الاحجار المتساقطة على السقوف المسلحة . ان ستار الثقة العمياء بالنصر كان من الغلظة بحيث لا يستطيع تبديده وتمزيقه في هذا الجو المليء بالالوهام الخفية . انه لمن الصعب ان يدخل بحاله الرهيب شعور الحقائق المقدسة . اجل ان ميدان شمال افريقيا قد يشكل ساحة عمليات حربية ثانوية ولكن كان في الامكان مع ذلك قهر بريطانيا في هذا الميدان والتضييق عليها بقوة في الميادين الاخرى .

عرض المارشال اعتقاده الجازم بأنه من المستحيل المحافظة على افريقيا طالما لم تتمتع اوضاع التموين في اساسها ، والتي لم تتمتع حتى في الظروف التي كانت أكثر ما تكون ملائمة ولم يكن من الممكن الحصول على تموين كاف . واذا تعذر اقرار تغيير هذه الوضعية الحرجة بصورة حاسمة عاجلة فليس أفضل من العمل على نقل القوات الالمانية الى اوربا بدون ابطاء . وفي الحالة الراهنة يستحيل الدفاع عن افريقيا . وبالإضافة الى ما تقدم فالفرق الابطالية لم تحسن التمرس على القتال طيلة هذه المدة وليس لها أية قيمة حربية يعتمد عليها . وانتهى بعرض التقرير التالي على مطالعة الفوهرر والى القارىء بيان التفاصيل :

## القوات الألمانية

- المعدات : ١٠٠.٠٠٠ جندي بدون سلاح  
 المدفعية تملك : ١٠٣ وحدة نارية فقط  
 — الفيلق الألماني ويشتمل على ٥٤ دبابة و ١٨ سيارة استطلاع و ٦٦ مدفع ضد الدبابات ومدافع مختلفة .  
 وتشمل الوحدات التالية على المعدات التالية :  
 — الفرقة الخفيفة التسمون : ٦ سيارات استطلاع و ٤ مدفعاً ضد الدبابات ومدافع مختلفة .  
 — فرقة الدفاع الجوي التاسعة عشر : ٤٨ مدفع من عيار ٨٨ مم و ١٢٠ مم .  
 — مدفعية الجيش : مدفعين من عيار ٧٢ مم و ٤ مدافع عيار ٨٧,٦ و ٧ مدافع عيار ٠٠ مم و ٣ مدافع ثقيلة و ٨ مدافع هاون عيار ١٧٠ مم و ٢١٠ مم .  
 — المظليين : ٢٢ مدفع ضد المدرعات .  
 — كتيبة المدرعات الرماة التابعة للفرقة ١٦٤ : ١٥ مدفع .  
 العدد :

العدد المرابطة على الصعيد الأفريقي :

- ٦٩,٣٦٥ جندي منهم :  
 — ٥٠٠ جندي بحار  
 — ٢٢,٠٩٩ جندي من سلاح الطيران  
 — ٤٦,٧٦٥ جندي قوام الجيش المدرع  
 — ٥,٥٢٧ عدد الفرقة الخفيفة التسمين  
 — ٤,٧٠٢ الفرقة ١٦٤  
 — ٦,٥٩٠ العدد التابعة لمصالح التعوين والمصالح الخلفية

## القوات الإيطالية :

## المعدات :

— الفيلق الواحد والعشرين ويشتمل على :

٣ سيارات استطلاع و ١٦٤ مدفع ضد المدرعات و ٢١٨ مدفع  
من عيار ٦٥ مم الى عيار ١٥٠ مم .

— الفيلق العشرون :

١٩ سيارة استطلاع و ٤١ دبابة و ١٥ مدفع ضد الدبابات و  
٧ مدافع .

ومنذ الثالث والعشرين من شهر تشرين الاول حتى ٣٠ تشرين الثاني  
بلغت الخسائر العدد التالي :

المفقو-ون	الجرحي	القتلى	
٨٠٠٥٠	٣٠٨٨٦	١٠١٢٢	القوات الالمانية
١٥٠٩٣٨	٩٣٣	٩٧١	القوات الإيطالية

لائحة تعداد قوات العدو المقابلة :

- ٤٠٠ دبابة ومدرعة
- ٣٠٠ سيارة استطلاع
- ٣٦٠ مدفع خفيف
- ٤٨ مدفع ثقيل
- ٥٠٠ مدفع ضد الدبابات

وضعية الجيش :

وفي السابع عشر من تشرين الثاني نصبت كافة الوقود . ووصلت  
سيارات الجيش المدرع خطوط البريقا فارغة الخزانات ومن جراء نفاذ  
الوقود شلت حركتها تماما .





راقبة موقعة طبرق وظهور مدرعة صناديدية تحترق

وبفضل سعة المجال كان من المستحيل جاب الوقود عن طريق الجو .  
وفي هذه الاثناء وصلت ١٠ اطنان وقود الى موضع بويرات الحسون على  
بعد ٤٠٠ كيلو متر الى الغرب و ٥٠٠ كيلو متر عن طرابلس وتم نقلها  
طيلة عدة ايام . وفي التاسع والعشرين تشرين الثاني لم تمل خزانات  
المدرعات الآلية . وكان التوين لا يؤمن بصورة اعتيادية والاعاشة والماء كانا  
غير كافيين مطلقا والمدرعات لاتملك من الوقود مايسيرها اكثر من ثلاثين  
كيلو متر .

وقبل خمسة ايام وصلت برقية من المارشال كايتل Keitel تشير الى  
ان الفوهرر يوافق بدون تحفظ على القرار المتخذ من قبل موسوليني  
بشأن تأمين الدفاع بأي ثمن كان عن خط العقيلة - مراده ولكن كيف  
وبأي الوسائل ؟ وتقرر ان يرسل لهذا الغرض عدد كاف من الدبابات  
ومدافع الدفاع الجوي بقدر ماتسمح به وسائل النقل البحرية والجوية وان  
تعزز وحدات الطيران في حدود الامكانيات .

فماهي هذه الامكانيات الواردة في البرقية ياترى ؟

اما فيما يتعلق بعمليات التفريغ ايلا فقد اوقفت الاعمال في ميناء  
طرابلس وانقطع العمل عن العمل ايلا بسبب الانذارات الجوية المستمرة  
وكلفت سفن التجريم الآلية المدة لانزال البضائع والسيارات لنقلها الى  
الداخل معدومة .

وفي مطلع كانون الاول لم يبق سوى ٢٥ دبابة لدى الفرقة المدرعة  
الخامسة عشر و ٢١ دبابة لدى الفرقة الاحدى والعشرين و ٤٢ مدرعة  
في حوزة الفرقة الإيطالية اريشيا . وقد وصلت برقية المارشال كايتل قبل  
هذا التاريخ بشائية ايام وبالطبع فهذه المدة ليست بالطويلة في مجرى وقائع  
الحرب ولكن كان كل يوم يمضي ويضيع يقرب المدى والاجل الاخيرين  
من المفاجعة .

وقد اتى رومل بصورة مفصلة على حالة موضع البريغا . وابان بان القسم الجنوبي منه بين مراده وماتن جيفر يمتد على مسافة ٩٠ كيلو متر والقسم الشمالي منه من جيفر الى البريغا يبلغ حوالي ٧٠ كيلو متر . وكانت الدفاعات والاستحكامات القائمة ضعيفة جداً تموزها الاعماق الكافية لتمكين الدفاع بصورة عديدة . ولما كان في المحتمل ان مونتغمري سيهاجم اولاً على جانب طريق فيا باليبا لم يشغل الا القطاع الشمالي من الطريق . وكان كل فوج يشغل على الاقل جهة طولها ثلاثة كيلو مترات . وبسبب هذه الكثافة الرقيقة واحتمال امكانية رؤية العدو بطوق الموضع للتقدم في اتجاه النوفلية . وكان من المتوجب الاحتفاظ بالقوات الآلية بمجموعة وراء الخطوط الخلفية . ومنذ السادس عشر تشرين الثاني وقبل الوصول الى البريغا طلب رومل بالحاح ارسال ٥٠ مدفع ضد المدرعات من عيار ٧٥ مم و ٥٠ مدرعة من طراز مارك / ٤ و ٧٨ مدفعاً من عيارات مختلفة تتراوح بين ١٠٠ - ١٧٠ مم مع الذخيرة والسدنة والجرارات اللازمة ولكن حتى الآن لم يصل أي أشعار بان الطلب وضع قيد التنفيذ .

واشار رومل الى عدم امكان الاحتفاظ بهذه الوضعية وارت مسألة الدفاع عن مواضع البريغا الدفاعية من قبل فرق الشمال الآلية غير مأمونة العاقبة لأن أي امتحان شديد يسبب انهيار معنوية الفرقة المذكورة والذي من شأنه ان يضع عملياً الجيش في وضع مشلول . وفي حالة حدوث احاطة او تطويق يجد الجيش نفسه امام حالتين لا ثالث لهما وهما اما ان يترك فرق المشاة الآلية الى مصيرها الخاص او ان يدفع نفسه الى التضحية الكاملة . ولذا استوجب سوق هذه المشاة بعيداً الى بويرات التي في حد ذاتها تؤلف ثقلًا عديم الفائدة ، والاقتصار اخيراً على اشغال موضع البريغا اطول مدة ممكنة بقدر ماتسمح له به الوسائل والوحدات الشاغرة رفض هتاز كل فكرة ترمي الى اجلاء القوات الألمانية الى اوربا

واعلم وجوب المحافظة على مدينة طرابلس بأي ممن كان قائلاً وسيكون الامر كذلك وافاض انه من الضروري المحافظة على رأس جسر كبير في افريقيا لاسباب سياسية بحته . ولم يكن يدور في خلد هتلر اي احتمال قهري يفرض اخلاء طرابلس الغرب . فالجيش سيتلقى كل ما يحتاج اليه من السلاح والمعدات . ولا ثبات هذا التأكيذ اعطى أمراً فورياً بوجوب نقل السلاح والذخائر اللازمة الى افريقيا بشقي الوسائل ، وارسال التجهيزات اللازمة لا الى تونس كما كان مقرراً بل الى الجيش المدرع مع الدفعة الاولى من المدافع عيار ٨٨ سم الجديدة طراز عام ١٩٤١ . وكانت تصريحات هتلر هذه واضحة صريحة . واعتبر المارشال رومل ان رغباته تكاد تتحقق وبالاخرى تحققت بكاملها . ولم يكن احد اكثر استعداداً من هذا الرجل لتنفيذ ارادته . وكان يمثل بالفعل اعلى سلطة في الجيش . ووجد رومل نفسه في وضعية جد مزعجة . وكان يعتمد تقديم اقتراح سبق ان فكر فيه طويلاً وهو ينص على جمع جيشه مع القوات المربطة في تونس لتوطيد الوضعية الراهنة مشتركا في الغرب ثم الارتداد الى الشرق لمنازلة الجيش البريطاني . وكان يعتبر بأن الجبهتين القائمتين في افريقيا لا تشكل سوى جبهة واحدة ينقصها قيادة مشتركة موحدة . ولكن هذا الاقتراح بطل مفعوله بحكم القرار القطعي القاضي بالدفاع عن منطقة طرابلس الغرب . ولم يعد رومل يرى لزوماً لعرضه على المقامات العليا .

ولطالما برهنت الحادثات الجارية في المقر العام بأن المسؤولين كانوا يعتمدون افكاراً خاطئة عن الوضعية القائمة في الجبهة وكان من حسن الحظ ان استدعى رومل بصورة رسمية لمقابلة موسوليني بحضور المارشال غورنغ Marschal Gôering لتحديد بعض التفاصيل ومعالجة القضايا الهامة . وقد اتخذ في هذا الاجتماع قرار على جانب من الاهمية يتناول اهمال خطة عمليات البريغا بصورة نهائية . واهدى موسوليني رغبته الاكيدة

بعدم ضرورة خوض قتال حاسم في الموضع المذكور . ووافق على وجوب الانسحاب الى خط البويرات ، هذا الانسحاب الذي من شأنه ان يقيم بين الجيش والعدو كافة منطقة السرت ، ويعني المنطقة الشاسعة الجرداء الخالية من الماء في الصحراء . ولكن فكرة رومل كانت تدور حول دمج الجبهتين الافريقيين . وكان كلما فكر في النتائج التي تحققت في مقابلة هتلر ازداد في نفسه دافع الحل الجديد لاستئناف العمل بطريقة جديدة تختلف عن الطريقة السابقة فالانسحاب الى خط البويرات اذا لم يكن له مداراً فان خسرا ان طرابلس ليجعلها على مجال قريب من الطيران البريطاني المرباط في ليبيا ويصبحا مرفأَي بيزرت وتونس عندئذ ميناء تموين الجيش المدرع .

إذا فلماذا لا تؤخذ منذ الآن التدابير القطعية الفعالة من أجل ذلك ؟ وبالتالي فإن منطقة قابس التي انتزعت من الديغوليين والواقعة على خليج السدره الصغير تغطي جانب شط الجريد وتسيطر على المدخل الموصل الى الجبل التونسي حيث يشكل نقطة عتيقة لتوطيد خط الايقاف . وبالفعل فموضع البويرات لا يمكن أن يطول دفاعه ولا أي موضع آخر اذا لم يتوفق الجيش في استعادة حرية العمل والحصول على أسلحة وذخائر ووقود كافية . وكانت لهذه الوضعية ميزات عديدة منها اكتساب الوقت ووضع العدو في مناطق جرداء خالية وتقصير خطوط الدفاع والمواصلات والتموين في آن واحد ، والسماح للطيران الألماني بالتدخل بصورة فعالة واضطرار الجيش البريطاني الثامن للبقاء في جوار الطريق الساحلية بسبب وجود البحيرات العديدة والمستنقعات القائمة في هذه المنطقة ، وبالتالي فان موضع البويرات لا يشكل مع ذلك هدفاً مثقفاً عليه ، ولذا وجب اختيار دفاع بعيد يشتمل على خط مقاومة اقوى واصليح وهذا الخط لا يمكن وجوده الا في منطقة قابس المتراصة .

وكان اعتماد هذا المشروع إلزامياً مفروضاً بحكم الوضع الجغرافي والطبوغرافي مما من حيث ان منطقة طرابلس لا يمكن الدفاع عنها دفاعاً مرتباً . بيد ان هتلر كان يرى غير ما يراه الآخرون . وقد برهنت محادثات روما الاخيرة عدم احتمال مواجهة العمليات الحربية السائرة او المناورات الهجومية في الوقت الحاضر . وكان يتوجب ايضاً الاستغناء عن استعمال مرفأ طرابلس . وكان يُحيط بمدينة طرابلس قرابة مليون شجرة نخيل تميل السكان وحدها وتقتات بتحورها . فكيف للجيش اللجب البقاء في هذه الاراضي وخاصة في حالة اخلائها بعد تخريب ميناءها وتدميرها . مما يضطر العدو لنقل تموينه برّاً من مرفأ بنغازي التي تبعد ١٢٠٠ كيلو متر عن طرابلس ، بينما يؤمن تموين الجيش المدرع بسهولة وسرعة بمد تركيزه في منطقة تونس ، ويصبح في مقدور الطيران الالماني ان يعمل على مختلف الجهات ، وبالتالي تتمكن السفن الصغيرة والزوارق السريعة في المياه الساحلية الجنوبية الضحلة نقل المؤن والذخائر والمعدات والوصول بها الى سوسه وسفاقس وقابس دون ان تخشى عواصم العدو . وتحرر وسائل النقل البرية من هذه الخدمات للقيام بخدمات حربية اخرى . وعندما تنسح العمليات الحربية نحو الغرب والتي هي الغاية الاولى ، فالجيوش المحاربة تستطيع ان تعيش على فيض البلاد الوافر . كل هذه الاسباب كانت تبرر عوامل الجلاء عن طرابلس . حتى ان الايطاليين انفسهم كانوا يحبذون هذه الفكرة ويتحمسون لها .

وليس لهذه الخطة سوى محذور واحد يتلخص في عدم امكانية السلاح الجوي الالماني الاشراف والسيطرة على طرابلس . ولذا لوحظ معارضة كيسرلنغ للخطة بينما وافق موسوليني وكافاليرو على المشروع بالرغم من ضياع منطقة طرابلس . بيد ان روميل لم يتلق أمراً إلا بسحب الفرق الايطالية الآلية على خط البويرات والانكفاء فيما بعد بقواته الآلية دون

ان ينساق الى قبول القتال .

وجرت في واحد كانون الاول محادثة في المقر العام الابطالي ترأسها المارشال غورنغ وضمت كيسرلنغ وروميل وكفاليرو وممثلين عن البحيرتين الالمانية والايطالية والمحافظ كاوثان « Der Gouleiter Kaufman » مقوض النقل العام . وأشار غورنغ الى ان تونس تشكل الان النقطة المركزية للجهود في افريقيا ، ولن يتأخر موعد تعيين امكانية المحافظة على رأس الجسر ، وحتى هذا الوقت كان يتوجب على الجيش المدرع ان يشغل موضع البويرات لمنع طيران العدو من حرية التصرف في ارجاء المثلث الجامع بين الجزائر ومالطة وطرابلس من حيث يستطيع تدمير مرفأ تونس وبزرت . وكان لابد من احداث تطور اساسي في الشروط التي بموجبها يجري تموين الجيش المدرع . وكان يتوجب ضمانة الدخول الى مرفأ طرابلس وسوق اكبر عدد ممكن من السفن . فاقترح غورنغ قطع البحر المتوسط الى قسمين وبث شبكات مضاعفة من الالغام بين تونس وصقلية لحماية النقل البحري على الاقل من غواصات العدو واستخدام المقاطلات الليلية على سياق واسع . واتي على ذكر ارتاجات الالغام الانكليزية الممتدة من مصب نهر التايمس الى ايقوسيا حيث كان يجري التفريغ بكل اطمئنان وامان .

وأثار الاميرال الابطالي ريكاردي « Admiral Ricardi » اعتراضات حول موضوع بث الالغام البحرية ولكن هذه الاعتراضات ردت من قبل المارشال غورنغ قائلا ؛ ( ان ما امكن عمله في ميساه بحر الشمال الذي يجتازه التيارات المائية العنيفة والمعرض لاختلاف العواصف لا سهل اجراء في مياه البحر الابيض المتوسط . وكانت البحرية الايطالية تعتنق افكاراً حربيةً ، عتيقة وكانت كل استدراساتها قديمة العهد . وكان يتوجب وضع قواعد جديدة لعمليات الشحن والتفريغ من السفن وتنظيمها تنظيمًا حديثاً

متقناً . وكان على مفوض النقل ( كاوفمان ) ان يستحضر ابرع الاختصاصيين في هذه العمليات من ميناء هامبورغ كما توجب على الحزب الفاشي والجيوش الايطالي القيام بجهد مماثل . وكان يقتضي اجراء العمليات المذكورة بدون انقطاع مع استبدال الورشات العاملة كل ثماني ساعات على التوالي . وحماية للعمليات واقتضى توطيد مائة بطارية مدفعية معدة لحماية المرافىء من الغارات الجوية .

وضع غورنغ اصبعه بالضبط على الجرح وعلى النقطة الحساسة لهذا النظام . وكان من جراء التأخير في التفريغ واهمال التدابير المقررة ان فقدت كثيراً من الشحنات او اغرقت بالفعل من جراء الغارات الجوية . وكان عمال المرافىء العرب ينتابهم الزعر والخوف لدى اول انذار بالغارات الجوية فيتركون السفن وينفرون الى اليابسة مم لا يعودون الا بعد مضي عدة ساعات فينقطع العمل ويتوقف التفريغ وما كانت تجري اي محاولة لاستبدال هؤلاء العمال .

وبعد ان نقد المارشال غورنغ اهل البحرية الايطالية والحزب الفاشي تناول مسألة مقدار الشحن والنقل . وأشار الى ان من مجموعة المدافع العشرين الجديدة عيار ٨٨ مم التي وعد بها الجيش المدرع لم يصل منها سوى مدفعين فقط الى تونس . وكان المفروض ان يتلقى رومل الثمانية عشر الباقية وان اربعة منها فقط شحنت الى تونس وما يزال الباقي قيد الشحن .

ولما سئل كيسرانغ عن المدافع اجاب انه سيوصلها الى الجيش المدرع بواسطة الطريق البرية ولكن غورنغ تصدى للفكرة وأشار بان سلامة الطريق غير مأمونة بصورة تامة ، واوعز بوجوب ايصالها الى طرابلس بواسطة زوارق زيل السريعة .

واقاض كافاليرو مؤكداً انه في الفرصة القادمة سيخصص اربعة





مدفع مضاد للدبابات عيار ٨٨ مم في جبهة طبرق

سفن لمصلحة النقل الى طرابلس . واعلم كاولمان مفوض النقل أنشد بأن  
المفاوضات جارية مع فرنسا للحصول على بواخر تقدر حمولتها بـ ٧٦٠.٠٠٠  
طن وقد سلم منها بالفعل ١٠٠.٠٠٠ طن حتى الآن واخبرت البحرية  
الالمانية بأن هذه البواخر جاهزة معدة للإبحار . ولكن الاميرال فايكهولد  
Admiral Veichholb اشار بتعذر استعمال هذه البواخر الا بعد اجراء  
معاملات استلامها وتصديقها .

ويظهر ان غورنغ ما كان ينتظر ان يستمع مثل هذا القول ولذا  
انفجر صاخاً بالقول : « هذا منتهى السخافة والسخرية ! اننا نرى باعيننا  
التهاب الارض تحت اقدامنا في كل صوب ، وما تزال الادارة والمكاتب  
البحرية نتمسك بالاوراق المطبوعة والترتيبات الادارية الواهية . لقد اهملت  
هذه البحرية التدابير الضرورية عندما توجب التدخل في تونس ، وهامي  
الآن تمتنع عن تقديم المساعدة الممكنة لمفوض النقل لاسباب ودواعي  
واهية وصلاحيات عقيمة » . ثم تناول الماريشال كافاليرو بالنقد والوم قائلاً :  
« كان يجب تجهيز الفرق الايطالية بالاسلحة الجديدة الحديثة . فاذا  
كانت ايطاليا عاجزة عن تقديمها فما عليها الا ان تطلبها الى المانيا للحصول  
عليها . وفي المستطاع استخلاص الآف الاطنان من الفولاذ الذي تحتويه  
السفن الحربية المدمرة في ميناء طولون . اجل الآف الاطنان من الفولاذ  
الجيد لصنع المدافع والمعدات . واخيراً يجب حشد كافة اسطول الغواصات  
ووضعه تحت تصرف خدمة النقل . اننا اكتفينا من هذه الخرافة القائلة  
بان مياه البحر المتوسط البراقة الصافية تحظر استعمال هذه الوسائل في  
عمليات النقل ولكنني ازيدكم تأكيداً بأنه يوجد في البحر المتوسط مالا  
يقبل عن مائة غواصة بريطانية تجوب اطرافه بصورة دائمة وان مايقوم به  
البريطانيون اني استطاعة الايطاليين القيام به ايضا مع الاعتبار بان تموين  
الجيش المدرع لا يمكن ان يجري بغير طريقة الغواصات لانها افضل

الوسائل واكثرها نفعاً وسلامة .

تناول هذا الاجتماع الصاحب تدابير عديدة كلها ممكنة التنفيذ ولكنه جاء متأخراً جداً اي بعد ثمانى عشر شهراً من مواعده المتوجب وبالتالي كان نظرياً اكثر منه عملياً لان طيران غورنغ كان في الواقع نظرياً محضاً . وعند ظهيرة اليوم وقبل التوجه الى الجبهة وصل الى علم رومل بان السفينة الايطالية غوالدي المشحونة بالوقود والمعدات للجيش المدرع عرجت على تونس بأمر المرشال كيسرلنغ فاحتج رومل على هذا التصرف ولكن فهم بنتيجة المناقشات ان السفينة نسفت وهي مازال في ميناء الرموه . ووصلت اثناؤها برقية تشير الى ان وقود الجيش المدرع نضبت منذ اربعة ايام وان الجيش الايطالي صرف وقوده منذ الثالث كانون الاول مساء . ولدى عودته لاحظ رومل عدم امكان سحب العناصر الآليه مؤقتاً على مواضع خط البوارت وارسل الجنرال باستيكو ٥٠٠ سيارة شحن لنقل هذه الوقود ولكنها وجدت نفسها متوقفة عن السير بسبب فقدان الوقود وكان في الامكان اجراء الحركات وانتقالات المذكورة في مدة ثلاثة ايام ولكن ليست حركات واسعة من هذا الطراز . وعلى الامر ابرق باستيكو الى روما قائلاً : تستحيل الحركة طالما لم نملك وقوداً . وكان ينقص الجيش ١٢٠٠ طن وقود لاجتياز مسافة ٣٠٠ كيلو متروهي المسافة التي تفصل بين المواضع الدفاعية القديمة والمواضع الجديدة الواجب اشغالها . وأخيراً وجد حلاً لهذه الازمة وذلك بابقاء معسكرات المعدات في اماكنها وتعزز اجراء نقل فرق المشاة ابتداء من كانون الثاني وانضم باستيكو عندئذ الى رومل يؤيد مقترحاته المتعلقة بجهة قابس لانه كان يعتقد بان التهديد الاساسي سيصدر عن جهة تونس حيث لوحظ ان ارتالا معادية كانت تتقدم باتجاه سفاقس وقابس . وكان الفراغ الحاصل بين فرق تونس وفرق ليبيا يمكن ان يكون سبباً في عوامل خطيرة في المستقبل . واذا

لم يعمل باستيكو على احتلال واشغال منطقة قابس الموضوعة تحت سلطته الاقليمية وكاد الارتباط مع تونس يصبح مهدداً بالانقطاع . ولذا اتفق مع رومل على فكرته القائلة بأن ميداني العمليات القاعين في افريقيا لا يشكلان سوى ميدان واحد كما يقتضي ربط الجيش بقيادة موحدة . بدأ الانسحاب الى موضع البويرات كما كان متفقاً عليه في ايل ٥ - ٦ كانون الاول . وفي الليلة الفائتة اعلن بأنه لم يصل من السفن الخمسة العابرة البحر سوى سفينة واحدة الى ميناء طرابلس وكانت تقل سلاحاً وسيارات ولكن بدون وقود .

وبالرغم من وجود العدو على مقربة من القوات الايطالية كانت السيارات الايطالية تنطلق في طريقها مشعة الانوار تثير ضجة مزعجة . وبالرغم من وجود ضوء القمر وبالرغم من الاوامر القطعية المعطاة من قبل الجنرال نافيبي ، والتي تنص على وجوب التملص دون إحداث اي ضجيج او حركة ، وإطفاء الانوار بالكلية وإطلاق الرصاص على كل سيارة لا تطفئ مصابيحها ولكنها لم تنقيد بهذه الاوامر . وكان الجنود يسرون في كل مكان بدون تحفظ وانصياع الاوامر الصادرة . ولكن من حسن الحظ ان الجيش البريطاني الثامن لم ير ولم يسمع شيئاً من هذه الضجة الصاخبة . واخليت واحة مراده دون أن يفتن العدو لهذا الانسحاب . وقد أظهرت حاميتها الايطالية بلاهة غريبة محضة حيث فتح الجنود الايطاليون كل ارتاجات النار على رتل الماني كان يجتاز الصحراء في جوار الواحة . وكانوا يحبونهم في نفس الوقت من بعيد غير عارفين اذا كانوا من الاصدقاء أو الأعداء .

وقد سر الضباط والجنود الايطاليون كثيراً كما حدث أمر القوة المتراجعة عندما علم هؤلاء ان الرتل لم يكن رتلا انكليزيا . ثم ظهرت آثار الحياة والحركة في قوات مونتغمري في الثاني عشر من كانون الاول وفتحت

المدفعية نيرانها أثناء الليل . وعند الفجر انطلقت الهجمات التي ردت مدحورة من قبل مناورات العناصر الآلية . وأشارت تشكيلات الاستطلاع الألمانية التي كانت تستطلع في جبهة الجنوب بأن العدو يعمل على اجراء حركة احاطة كبرى ويحضر هجوما واسع المدى . لقد هجم الشتاء وبردت الليالي وتدنّت درجة الحرارة في الميازين الحرارية ، وبدأت الامطار تهطل وتحوّلت الصحراء الى بحر من الوحول الطامية . وفي ليل ١٢/١٣ شرعت الجيوش المتحركة بالتراجع وفقاً للحركة المقررة . وقد ظل العدو يقذف المواضع التي اخلت ولم تتحرك قواته الا بعد الظهيرة التالية .

وتملص الجيش المدرع في الحين الملائم دون ان يصاب بأية خسائر في الرجال . وفي ١٥ كانون الاول وصل الفيلق الألماني الافريقي الى منطقة موغتا المتراسة حيث تلقى هجوما جبهويا قامت به فرقتان انكليزيتان تلاحقهما ستون دبابة من طراز شيرمن . وكانت الفرقة السابعة المدرعة والفرقة الثانية النيوزيلاندية يندفعان نحو الجنوب في عرض الصحراء الوصول الى النوفلية . وقد وجد الفيلق نفسه محاطاً دون ان تكون لديه الوقود الكافية للعمل هجوما في هذه الناحية . وظن الجنرال فهن « G. Fehn » ان المسألة مسألة احتلال موضع فقط كما كان يجري في أصقاع روسيا ولكنه وفق في التملص من الاحاطة في آخر لحظة . وفي المساء لوحظ ان الفرقتين أمستا بدون وقود وقد امتنع عليهما الاستمرار في الحركة . وقد تمكنت الفرقة الواحدة والمشرون من التعمون بالوقود . بيد ان الفرقة الخامسة عشر لم تتناول وقودها الا في اليوم التالي صباحاً . وتمكنت الفرقتان من شق طريقهما عبر القوات المعادية التي احاطت ببعض عناصرها وتمكنت من دفع طلائع الانكليز الامامية المدرعة ودرت عدداً من دباباتها ونجت من الخطر المهدق وهي مستمرة في اتجاهاها .

ثم عرّجت قوات العدو من جديد على شكل كاشة في الصحراء حيث

تقدمت منها في اتجاه الساحل . وكان الجيش المدرع يلقي تارة نظرة على العدو وطوراً أخرى على خزانات الوقود المناقصة وفرقة مستمرة في انسحابها دون أن تتواني عن كميل وتسديد ضربات الشديدة بين الحين والآخر على الفرقة المدرعة الانكليزية السابعة التي تلاحق القوات الالمانية والتي كانت تحرك وتدعم نفوس رجالها روح النصميم العنيف الذي تثيره المصاعب المختلفة التي كانوا يواجهونها في كل لحظة وآونة . وكانوا يواجهون ما لا عهد لهم به سابقاً من تزايد نشاط العدو . وطالما كانت تنهياً الفرص العديدة امامهم لمهاجمة وتمزيق طلائع العدو الانكليزية على الطريقة السالفة ولكن من أين يتوفر لهم هذا الحظ الآن وليس لديهم الامكانيات الكافية حتى ولا الوقود لاجراء ذلك . وكانت الامور تسير بغير الشكل المنتظر . وكانوا معرضين في كل آن للتوقف والتعطيل بسبب نفاذ الوقود .

وطالما كان الرؤساء والمؤوسون والقوى يرجعون الى الحيلة والتدبير العارض . ولم يعد في وسعهم الاعتماد على الدفاع المنظم وسوقه وفق خطة معينة . وأذاعت محطة القاهرة قائلة : « لقد أوشك مونتغمري ان يضع السدادة على فوهة الزجاجية التي دخل فيها رومل وقواته » . وكان رومل يكتفي بالابتسام فقط لئلا هذه الاقوال المرسلة على عواهنها ولوجد العدو هذه الزجاجية فارغة ولو تبدت اية امكانية لاملأ خزانات الوقود من جديد لان الاهتمام كان كله يدور حول الخزانات فقط . ومنذ العشرين من تشرين الثاني لم ترس في ميناء طرابلس سوى باخرة واحدة تقل الوقود، وغرق في هذه الاثناء ثمانى سفن أخرى . وكان كل ما يصل من سوسه وتونس عبر الطريق البرية من الوقود لا تشكل سوى نقطة ماء هابطة على حجرة ملتهبة حمراء . وكان يقتضي لا يصال ١٠٠ طن من الوقود صرف ما يزيد عن ٣٠٠ طن . ولم يصل عبر البحر حتى الآن اية دبابة او مدفع ضد المدرعات حتى ولا نهجيات جديدة .

وفي السادس عشر من كانون الاول وجد الجيش المدرع نفسه بدون وقود على الاطلاق امام النوفليه وما كان يحتمل وصول شيء منها إلا في الغد . وكان من الصعب ان تستمر الوضعية على هذا النسق طويلا . وأراد رومل ان يقترح على مقر قيادة الفوهرر العام اقرار خطة قابس لأث قرار التوقف على خط البويرات اصبح متأخراً جداً وقد سبقته الحوادث بعيداً . ولو فرضنا وجوب تنفيذ الاوامر المتلقاة فقد كان من الضروري الحصول على دبابات ومعدات وأسلحة وعداد للاستبدال والتي طالما اعطيت من اجلها وعود عديدة جديدة . وماذا جرى بهذه الوعود البراقة الجميلة ؟ فالوضعية لم تتبدل ولم تتغير وان تتغير ولن تتحقق الشروط الضرورية لتأمين الدفاع عن منطقة طرابلس . وكان الطيران البريطاني مسيطراً تمام السيطرة على الاجراء . ولم يظهر حتى الآن اية اشارة تبرهن على أن الطيران الالماني تلقى نجيدات وتجهيزات جديدة . وأرسل الجنرال نافاريني نداءً يائساً يدعو فيه الاسطول الحربي الايطالي للظهور في الميدان . وكان في وسع هذا الاسطول ان يؤمن سلامة عمليات التعوين كما كان في مقدوره ان يقلب الوضعية بكليتها رأساً على عقب بصورة حاسمة .

ولكن الجنرال بالذات لم يكن يصدق بإمكان تحقيق هذه الرغبة التي طالما عرضت على بساط البحث والنقاش . وما كان يدري غير الله وحده ماذا كان ينتظر من هذا الاسطول ولماذا يوفرون استخدامهم واستعماله حتى في أشد الظروف حرجاً وخطراً ؟

والآن لنلقي نظرة عابرة حائرة لنرى ماذا سيلد المستقبل القريب ؟ وصل مونشميري في عشرين كانون أول الى خط البويرات . وكان في استطاعته ان يجتاز الفيلق الافريقي لو فرض عليه التثبت من جديد . وكانت فرق الفيلق لا تملك سوى ٣٨ دبابة بالإضافة الى ١٢ دبابة اخرى في البويرات و ١٠ دبابات في طرابلس . بيد أن هذه الـ ٢٢ دبابة كان يعوزها الوقود للحركة .

ولم يبق من الذخيرة سوى نصف وحدة نارية . وأمسى آلاف الجنود عزلاً إلا من البنادق والرشاشات وتجردوا من كافة الأسلحة الثقيلة . فكيف لهم ان يخوضوا موقعة دفاعية تحت هذه الشروط . وكانت طريق طرابلس مفتوحة عملياً امام الجيش الثامن . وما كان عليه الا ان يتقدم تباعاً وسراعاً بتصميم جريء مندفع . ومن حسن الحظ ان مونتميري كان يرجح دوماً العمل المؤكد المضعون والوصول الى النهاية بحذر واحتياط مهما طال الوقت وتأخرت النتيجة . ولم تبق أية امكانية سوى النجاة الى موضع قابس . ولم تبين الاعتراضات التي ابدوها كل من الماريشال غورنغ والماريشال كيسرلنغ حول اخلاء منطقة طرابلس الا لخوفها من مساعي ومحاولات الانكليز تدمير رأس جسر تونس مع العلم انه لم يبق ثمة قيمة لهذه الاعتراضات بعد الآن ولن يكون لها أية قيمة منتظرة في المستقبل لانها كلها كانت منبثقة عن الافتراضات القائمة على الاقوال التي كان ينتظر ان ترافقها القرارات التي ستصبح حقائق راهنة . وان بين الافتراض وبين الحقيقة مجال متسع الظافر من استطاع التوفيق بينهما .

قرر رومل بالاتفاق التام مع باستيكو التدخل والتوسط بشدة مع برلين وروما مباشرة . ففي حالة تقرير البقاء على الدفاع الثابت الامر الذي يؤسف له حقاً لأن الهجوم الجبهي الذي ستقوم به حتماً الفرق البريطانية الاربعة لكفيل بخرق الجبهة بالسرعة المتوقعة . وما كان يبدو أي أمل في احراز أية موقعية هجومية من جراء ضعف القوات المحورية وخاصة بسبب عامل نقص الأسلحة في المدافع ضد الدبابات والمدفعية والذخائر التي لم يعد في الامكان نقلها من طرابلس الى خط البويرات بسبب قحط الوقود وبالتالي لعدم متانة الموضع الدفاعي بالذات . ومن الحق ان القوات الالمانية ستكون معرضة للتطويق والافناء في بحر ايام قلائل . ولن يتأخر بعدئذ سقوط منطقة طرابلس في ايدي العدو وتصبح طريق تونس مفتوحة دون



عائق . والطريقة الوحيدة لابعاد هذا التهديد هي استمرار الجيش في القتال بقدر ما تسمح له امدادات الوقود والانكفاء بالتوالي بانجاح تونس بغية اكتساب الوقت الكافي لاخلاء منطقة طرابلس بعد تدمير كافة المنشآت الهامة فيها واستلام الاسلحة والذخائر والاطاشة اللازمة لاحتياج الجيش فقط . لقد برهنت التجارب على انه صار من الصعب جلب التموين وعداد الاستبدال الى طرابلس اذ لم يبق ثمة اي حل ممكن سوى الانسحاب ارتالا والانكفاء قتالا من خط مقاومة الى آخر حتى الوصول الى منطقة تونس وذلك بقدر ما تسمح به وضعية الوقود . وطلب رومسل دمج وحدات تونس مع وحداته كي يصار اولا الى توطيد الدفاع عن هذه المنطقة ثم تقوية مجموعة الدفاع حيث يصبح في الامكان انثذ تحقيق عامل المبادأة . فخطوط قابس المحصنة جيداً تهيبى مناظر ومراي مشرفة ملائمة جدا للدفاع . وهي تؤلف تقريباً ردة غريبة معاكسة لمواضع العلمين وقليلة التعرض لخطر الالتفاف لانها تعترض المهاجم اذ تشكل شبه مضيق بينما تقدم للجيش المدافعة امكانيات لا تجاري اوسع من ذلك التي كانت تعطىها الصحراء في كل مكان . وكان في وسع القيادة استعمال قوات المشاة في المناطق الجبلية لخوض القتال بالرغم من حاجتها الى الاسلحة الثقيلة . وكان يستوجب اعطاء قرار سريع بشأن سحب القوات غير الآلية المرابطة في خطوط البويرات الدفاعية والبالغة ١٠٠٠٠٠ جندي الماني و ٣٠٠٠٠٠ جندي ايطالي وامكان نقلهم باكرا وبأسرع وقت ممكن . وفي التاسع عشر من كانون الاول اي بعد مرور يومين اعلنت موسولينى قراره الاخير بالنص الحرفي التالي : « يجب المدافعة عن خط البويرات حتى آخر جندي » . فسأل رومسل فوراً الماريشال الايطالي باستيكو عن الكيفية التي يسير على اساسها القتال اذا كان العدو لا ينبغي للهجوم جبهياً بل بضاعف الجبهة من ناحية الصحراء ويتقدم مباشرة باتجاه طرابلس .



المارشال رومل يراقب معركة طبرق بمنظاره

وكان مايرمي اليه جواب القائد العام الابطالي هو سحب القوات الراجلة ( المشاة ) خشية تعرضها من جديد الى الهلاك والتضحية . وكان يأمل من تديره هذا تخليص الفرق الايطالية من الوقوع في الاسر او الدمار المحقق مع الاحتفاظ بامكانية البقاء في حالة الدفاع في المواضع المذكورة حتى آخر جندي الماني . وبالفعل لم تكن هذه الرغبة لتشكل جواباً مقنعاً بالنسبة الى الجيش المدرع . واعيد السؤال من جديد ولم يكن الجواب الجديد سوى تهرب فقط من الاجابة المطلوبة . كلنا سمعاً وطاعة اجابة لاوامر الدوتشي افاض القائد الايطالي العام . اننا ننفذ الاوامر المعطاة وندافع عن الموضع حتى النهاية ولكنه احجم عن قول ما يتوجب عمله في حالة حدوث التطويق المتوقع . واعيد السؤال ككرة أخرى على باستيكو الذي اجاب اخيراً قائلاً : « اذا قام العدو بحركة تطويق فان لدينا دوماً الوقت الكافي للقيام بالهجوم الجبهي بواسطة العناصر السيارة . ولو فرضنا جدلاً بقاء بعض هذه العناصر السيارة المنزه عنها فانها ستسحق عاجلاً من قبل عدو متفوق جداً . والظاهر ان القيادة الايطالية كانت ترغب في فرض مهمة معينة على الجيش الالماني - الابطالي والتي لا يمكن تنفيذها الا بطريقة واحدة وتعني اجبارها على تحمل مسؤولية هذا الحل وبدلاً من اعطاء اوامر صريحة كانت تملي على الجيش شبه معجزات لتحقيق اوامر التنفيذ والاجراء .

وفي العشية التي سبقت ليلة عيد الميلاد ترك الانكليز منطقة النوفلية وتقدم بقوة تتألف من ٤٠٠٠ سيارة تقريباً . وعندها اخلت الفرقة المدرعة الخامسة عشر الالمانية رويداً رويداً منطقة السرت وانسحبت الى المواضع الجديدة كما حذت الفرقة الخامسة عشر الخفيفة حذوها بعد تماس قصير مع العدو . وواعلمت اسراب الاستطلاعات الجوية التي توقفت عن العمل مدة من الزمن من جراء نفاذ الوقود ان اربع فرق انكليزية

كانت تتقدم على طول الطريق الساحلي . وعرف بالتالي ان جمهوريتين من الجيش الاول في تونس كانتا تتقدمان نحو قفصه وقابس ولكنها لم تكونا من القوة الكافية ومن حسن الحظ انها ردت من قبل قبضة من القوات الإيطالية المربطة . ومع ذلك فقد تبدت الوضعية افضل مما كانت عليه قبلا بسبب وصول الوقود الى الجيش المدرع . وفي التاسع والعشرين كانون اول توقفت كافة الحركات العاملة امام الجبهة ووقفت كافة تدابير الامن المتخذة وشرع العدو يقترب رويداً رويداً من خطوط البويرات الدفاعية الحالية وفي الايام الاخيرة من هذا العام والتي فاضت بالحوادث الاليمة حمل الجنرال غاندى G. gandín الإيطالي تعليمات جديدة من لدن القيادة الإيطالية العليا والتي كان يتوجب ارسالها في الحين الذي كان يطلبها رومل . وليس من عجب ان يشعر المرء في هذه الاوانات بثقل الجو المشحون بالتيارات السالبة من جراء جهل خطورة الساعة مع توالي المصاعب الخفيفة . ولم يبد حتى الان اية جهود مشجعة لا للجيش ولا للقيادة . استأنف المارشال باستيكو المناقشات المعتادة واخذ يتحدث ويشرح ضرورة المحافظة على خطوط البويرات حتى النهاية وذلك سعياً وراء تحسين الحالة في منطقة تونس و اضاف قائلاً : انه من الممكن عندئذ استئناف الهجوم اعتباراً من خط البويرات . وباعتبار الوضعية العامة الراهنة وعدم امكان تأمين التعوين الكامل فالقيادة العليا الإيطالية كانت مجبرة على اتخاذ هذا القرار دون ان تعين بالضبط مدة المقاومة المتوجبة . واذا اخذنا بعين الاعتبار الوضعية الراهنة في تونس ووضعية الجيش المدرع مما كان يتوجب ان تطول المقاومة بعد عدة اسابيع على الاقل . واحتجت روما بعنف على هذه التصريحات التي اطلقت علناً على مسمع من الجنرال غاندى وقد جهل القائمون على الامر بأن مسألة الدفاع والمقاومة المطلوبة لها علاقة وثيقة بارادة وتصميم العدو وقوته الساحقة التي هي وحدها بالذات تفرض

مدة المقاومة على خطوط البويرات من جراء ضعف الجيش ، يضاف اليه عوامل اخرى منها مسألة التموين وحالته المتردية التي تجعل في حكم المستحيل استمرار المقاومة طويلا . وكان في نظر غاندين ان امر المقاومة حتى النهاية لم يكن ليرتبط بصورة قطعية مع موضع البويرات قط وان مدة المقاومة التي قدرها باستيكو بشهرين تتجاوز الحد المقدر وان قدرة المقاومة للدفاع العام عن ليبيا بأكملها لن يتعدى هذه المدة .

وبالفعل فالامر الذي تقله غاندين كان من طبيعة مختلفة . فهو يسمح للجيش بالانسحاب مع المقاومة الممكنة لانه كان يخشى انهيار الجيش برمته . وترتبت مسؤوليات التنفيذ على رومل بينما كان باستيكو هو آمر الايعاز ببدء حركة التراجع . وعينت خمسمائة سيارة لنقل الايطاليين . وكانت تعليمات موسوليني الصادرة تقرر اساس التوقف والترص ووجوب اجرائه على خط الخمس ترهونه ولم تكن توجد اية معدات لبناء هذا الخط وانشائه . واشير ايضا الى اهمية الاستفادة من الوقت الكافي لرفع او تدمير المعسكرات والرحبات والورشات الموجودة في طرابلس والتي يتطلب اجرائها مالا يقل عن شهرين . ولم يبق البته ثمة موضوع المحافظة على هذا المرفأ كما افاد رومل مؤكداً بأن مدة المقاومة على خط البويرات او على اي خط آخر مرتبط بمبدأ بارادة وقوة العدو العاملة وافاض قائلا . « يتوجب لتحقيق المقاومة الطويلة مع تحاشي تدمير قوات الجيش انتظار معجزة كبرى » . ان معارك مونتغمري الاخيرة كشفت النقاب عن مقاصد القائد الانكليزي ومحاولاته الرامية الى تطويق الجيش الالماني المدرع في مجال ابعد من مرامي مدافعه مع العمل على تثبيته بهجمات جبهية . فالجيش المرتبط بخط البويرات لم يكن لديه القوات الكافية ليعتدي بها لتهديدات التطويق المماثلة . فالحالة هنا تشبه الحالة في البريغا وهي تواجه نفس المسألة المعروضة بشأن الوقت الذي يتوجب فيه سحب

القوات الآلية عن الخطوط . وسجلات طلائع الاستطلاع البريطانية ظهورها في منطقة أبو النجوم . ويستدل من هذه الحركات بأن مناورة التطويق المذكورة كانت تأخذ مجراها المقرر . فإذا طال انتظار الحوادث قلت الفرق الراجعة لن تستطيع الانسحاب في الوقت المناسب ولا تستطيع اجراء ذلك إلا على الطريق الساحلية . وكان المفروض اجراء حركة الانسحاب في آنها دون أي تأخير على الاطلاق ودون ان يترك في حلبة الميادين سوى القوات الآلية والفرق المدرعة التي ضعف شأنها الى حد كبير وهي وحدها مكافئة بسوق القتال الى النهاية . وظل الامر على وتيرة واحدة . ولنتسائل الان فيما اذا كانت القوات الإيطالية التي بلغ عدادها ٣٠.٠٠٠ جندي والمرابطة في خطوط البريغا وهي لم تسليح بالسلاح الضروري اللازم ولا تتمتع بقيمة حربية متممة أهل ستكون عدداً مغفلاً ووزناً عديماً بالنسبة الى الجيش المدرع ؟

ومنذ مرسا البريغا بدأ الجنود الايطاليون ينتقلون وفي جيوبهم قطعة من قماش ابيض استمداداً للتلوين بها عند الخطر وهي الاشارة التي ترمز الى الاستسلام . وقد شح غذاء الجنود ونقص . وكاد النعمون ينقطع بينما كانت وظلت نوادي الضباط الايطاليين ومطاعمهم عامرة طافحة ولم يمانوا أي حرمان . وكانت الفروق شيئاً مألوفاً لديهم وتفرض شروطها على الجيش الايطالي فرضاً لان كل ما كان يشاهد في هذا الجيش ان هو إلا شذوذ وتفاوت . ولم تكن الخطب الرنانة التي كانت تلقى من شرفة قصر البندقية لتبدل شيئاً من واقع الحال الايطالي حتى ولا الوعود الهتارية لتغير أي شيء من الوضعية القائمة . كلهم يعرف بوضوح نافاريني كانت او رومل او باستيكو بان هذه الفرق كانت سيئة التدريب عديمة الاهلية للقتال وغير قادرة على احتمال أية صدمة جديدة او أي امتحان عنيف . وما اهون واسرع انهيارها امام العدو . وبالرغم من هذه الخصائص الظاهرة

كانت تمحشد لخوض المعارك . وفي حالة التراجع كان يتوجب الا تترك هذه القوات لوحدها والا ضاعت برمتها . وكان في كل مرة توجب فيها القتال او الانكفاء استوجب فيها سحب هذه القوات من الميدان قبل غيرها وارسالها مسبقاً الى الاخلاف . اما الوقود اللازمة لعجلات القتال فطالما تعذر وجودها والحصول عليها ولولا ذلك لما احجمت القوات الالمانية عن ان تهاجم في كل مناسبة وحدات العدو المتقدمة لتأخير انطلاقها وسيرها وتقدمها . وبسبب عدم وجود وقود شاغرة فقد امتنع القيام بأية مناورة هجومية . وكانت الجيش المدرع مضطراً للتراجع من موضع الى آخر والاهتمام قبل كل شيء بسحب ونقل هذه الفرق الابطالية الى الخلف ؛ هذه الفرق التي وقعت مسؤولية ادارتها وحمايتها على عاتق المارشال رومل وحده . وما اثقل هذه المسؤولية على عاتق هذا الرجل المثقل بالواجبات وكانت الوضعية في شهر كانون اول موضحة بالارقام التالية :

الشاعر طن	المطلوب طن	النكية اليومية بالطن
١٥٢	٤٠٠	الوقود
١٦	٥٠	الذخيرة
١٢٥٥	٥٠	الاعاشة
١١	٥٠	متنوعات

واغرق في بحر هذا الشهر ٥٨٨٣ طن من الوقود و ٢٦٢ طن من الذخائر و ٤٤٧ طن مواد غذائية واعاشة ، و ٢٣١ طن مواد مختلفة والبالغة ٦٩١٣ طن وكان يتقص دوماً ٨٠٪ من المدافع ضد المدرعات والدبابات و ٧٠٪ من المدافع الاخرى و ٤٠٪ من السيارات و ٧٥٪ من الجرارات القاطرة وفقد اثناء الشهر في المعارك الجارية ١٧ مدفع ضد الدبابات و ١٤ دبابة و ١٨ مدفع . ويستدل من هذه الالامحة بأن الخسائر تجاوزت ٥٠٪ . واذا تقلصت الفاجعة وتأخرت عن الوقوع فالسبب

الوحيد يرجع الى ان ان الجيش البريطاني الثامن كان كثير التردد تعوزه المرونة التعبوية . وتصدى رومل بقوة ضد التدابير المتخذة بشأن تقرير وتعيين ساعة بدء الانسحاب . واكد على انه على اتم تفاهم واتفاق مع القائد العام الايطالي للدفاع عن خط البويرات اطول مدة ممكنة معتقداً ان في امكانه حمل هذه المسؤولية . بيد ان امر تراجع القوات الالية لا يمكن ان يبدأ إلا بايعاز هذه القيادة مباشرة . وهذا امر لا يمكن قبوله وليس لاحد أي حق في اعطاء هذا القرار في اللحظة المفروضة سوى قائد هذه الجهة بالذات اذا كانت هنالك اوامر مسبقة تقرر وجوب هذا التراجع . وطلب باستيكو تقريراً عن الطريقة التي يواجه فيها رومل نقل العناصر الالية . وكان رومل يعتبر بأن امر الدوتشي القاضي بتأمين نجاة الوحدات الالية دون تعرضها للخطر والهلاك قد أصبح قيد الاجراء . فسأل باستيكو عن الوقت الذي يعتبر فيه أمر الدوتشي في حكم التنفيذ . فأجاب الاخير بأنه اقر وهو قيد التنفيذ . فأجاب رومل اذاً لقد حان عندي الوقت للعمل والتنفيذ وليس من حاجة الى تدوين تقرير او انتظار جواب الموافقة على الانسحاب والا فاني اترك الحرية لكل جندي على الخطوط ان ينتظر دنو ساعة الانتحار وهو في مكانه أو يبدأ باجراء النقل على الفور . تهرب باستيكو من اعطاء أي جواب او قرار و اشار بأنه مجبر على تنفيذ الاوامر التي تلقاها من روما . بيد انه شخصياً كان على اتفاق تام مع المارشال رومل على فكرته وكل ما كان يؤمل هو اغتنام الوقت لاخلاء منطقة طرابلس ولكن روما ....

حسناً قال رومل اذاً يجب على الفور سؤال القيادة العليا الايطالية وجوب تعيين بدء ساعة النقل ولكن غاندي ابدى ملاحظة بلهجة مباغته قائلاً . انه بالفعل حمل تعليمات تقول بأن على المارشال باستيكو تحديد هذه الساعة . ورجع باستيكو كما هي العادة في أمره الى روما التي في





مدافع ضد الطائرات عيار ٨٨ تم إستعماله ضد الدبابات بصورة فعالة

نظره كما ادعى صاحبة الحق الاول في تعيين تاريخ وبداية الاخلاء ، وحيث ان رومل كان يفرض بدء العمل دون تأخير البتة ، ولذا لم يكن في الامكان الاتفاق بينهما على هذا الامر واكتمل اتفاقا بالفعل على موضوع تسيير العمليات الحربية القادمة مما اوجد نقطة تحسن في الموضوع والتفاهم . والامر الجلي في المسألة هو ان القادة الايطاليين كانت يخشون تحمل المسؤولية ويترهبون اتخاذ قرار حاسم في الامور المترتبة . وأخيراً خضع باستيكو واعطى امره بنقل الوحدات الايطالية في اليوم الثاني من شهر كانون الثاني طالباً تثبيت الجيش الثامن مدة ثلاثة اسابيع على الاقل على خط الخمس - مصراطه ونفس المدة ايضا امام طرابلس - غريان . والحق انه لمن الصعب جداً سحب ٣٠٠٠٠٠ جندي ايطالي و ١٠٠٠٠٠ جندي الماني دون ان يشعر العدو بامر هذا الانسحاب بينما لم يكن تحت التصرف سوى ٥٠٠ سيارة شحن المانية . وانه لمن الجهل ايضا تعيين مدة المقاومة وحدودها اذ انه منذ زمن طويل لم تعد ترتبط مدة المقاومة وتوقف على القوات الايطالية - الالمانية بل اصبحت ذات علاقة وثيقة بارادة العدو المهاجم . وقد توفى المحور حتى الان من توطيد خطة قابس التي بدأ تنفيذها وفق ما هو مقرر . وبمحكم قبول اخلاء منطقة طرابلس فقد توجب توحيد الجبهتين الالمانيتين كما كان يقترح رومل منذ زمن طويل . بدأت عمليات النقل والاخلاء في الثاني والثالث من كانون الثاني حيث نقل الفيلق الواحد والعشرين الى الخمس ولم يبق في الموانع الدفاعية سوى الفيلق العشرين الآلي والفيلق الالمانى . وبدأ الطيران الالمانى يظهر نشاطاً محسوساً مدة من الزمن . وحقق بعض السيطرة على الجيش الثامن الذي لم يتمكن حتى الآن من توطيد وتجهيز مطاراته الجديدة . وفي السابع من كانون الثاني دخلت باخرة ايطالية ميناء طرابلس وانزلت اربعة عشر دبابة المانية واربعة عشر دبابة ايطالية واربعمائة طن من المعدات . ومع

ذلك قرر رومل ارسال احمد ضباطه الى مقر الفوهرر ليذكره من جديد بمسألة التموين وارسال عدد وفير من الاسلحة الثقيلة في الوقت الملائم الى جبهة قابس حيث يجدها الجيش المدرع جاهزة عند وصوله . وكانت الرغبة تزداد يوماً بعد يوم بوجود الاحتفاظ بالدفاع عن الجبهة التي بدأت خطورتها اذدياداً بالاضافة الى ان الطيران البريطاني بدأ يظهر اكثر نشاطاً عن ذي قبل مما كان يدل على قرب استئناف العمليات الحربية من جديد . وكان الماريشال كافاليرو يطالب بارسال الفرقة ١٤٦ الى سفاقس للدفاع عن هذه المنطقة . اذاً فالجيش مكلف بالدفاع عن مواضع البويرات « حتى النهاية » لتأخير تقدم العدو مدة شهرين على الاقل ثم سحب فرق المشاة الايطالية تباعاً وحشد احدي هذه الفرق التي لم تتلق حتى الآن سلاحاً ولا ذخائر ولا نجذات ، مفروضة لاستكمال عدادها المنقوص .

وعلى اثر ارسال ضابط الارتباط الى مقر الفوهرر العام قرر هتلر نقل الفرقة المدرعة الواحدة والعشرين الى منطقة سفاقس بدون اسلحتها التي يجب ان تترك للفرقة الخامسة عشر ، وابلغ الماريشال عدم اهتمامه الامر وانه سيرسل الى افريقيا احدث واكوى الاسلحة التي تملكها المانيا ليصار الى تجهيز الفرقة الواحدة والعشرين المدرعة . واكد ان المانيا تستحوز الآن على احدث واهم الاسلحة الحاسمة في القتال . وقد تلقي الماريشال كيسرلنغ اوامر قطعية من اجل تنظيم النقل البحري لانه اصبح لدى الحور سفن كافية لهذه العمليات . وكل ما تقتضي الحاجة اليه هي تأمين سفن الحماية الحربية فقط . وما كان احد ليجهل الصعوبات الجمة التي كانت تلاقيها القيادة بسبب تنظيماها وتشكيلاتها الحالية ولكنها كانت مجبرة على قبول ذلك بسبب الاعتبارات السياسية القائمة . وطلب الى الماريشال العمل على تأمين تجاوبها وتنسيقها قدر الامكان . ان سقوط منطقة طراباس لا يخلو

من احداث ذي تأثيرات عميقة على الشعب الايطالي ولذا كان من الطبيعي ان يترك للسلطات الفاشية حرية التعبير عن مشاعرهما وعواطفهما كما يحلو لهما بالنسبة لمسألة افريقيا وضياعها ، بينما القرارات الالمانية كانت تتمشى ومنطق الحال والضرورات التعبوية والسوقية .

وفي الرابع عشر من كانون الثاني تقدمت قوة انكليزية مؤلفة من اكثر من مائة سيارة استطلاع باتجاه القسم الجنوبي لموضع البويرات بينما بدأت قوات اخرى تنهباً لمهاجمة الساحل . وفي الخامس عشر وجدت الفرقة المدرعة الخامسة عشر نفسها تخوض في قتال شديد وقد تمكنت من تدمير ٣٢ دبابة انكليزية بينما لم تفقد سوى دبابتين فقط . ثم اغتنمت فرصة الليل الانسحاب . وما عمت ان انطلقت في اليوم التالي الهجمات العنيفة التي كانت تزداد شدة وحدة ساعة بعد ساعة على مواضع البويرات . وكان الدفاع يستعمل المدافع الجديدة عيار ٨٨ مم ضد الطائرات طراز ٤١ ذات المرمى والمخراق المستقيم .

بدأ الفيلق العشرون والفيلق الالمانى تحت قيادة الزعيم ليبينشتاين « Oberst Libenstein » الذي استبدل الجنرال فرن الجريخ اثناء غارة جوية بالتراجع رويداً رويداً ، ودمرت الفرقة المدرعة الواحدة والعشرون ٢٠ دبابة انكليزية وقد اجبرت على التثبيت في موضعها . وكانت وحدات الاستطلاع التابعة للفرقة في عوز للوقود ولا يمكن ان تتلقى شيئاً قبل الليلة القادمة . تراجعت الفرقة المذكورة حتى ترهونة وهي تخوض اعنف القتال وفي الساعة السادسة عشر حاول موسولينى اخفاء الصعوبات الناجمة فأوعز بالرجوع الى الهجوم . وظهر ان المقاومة طيلة يومين على خط الخمس - ترهونة بقيت في مخيلة الثقة والاطمئنان . وجهل بأن نسبة القوى كانت بالفعل غير ملائمة مطلقاً . وكان قحط الوقود يشكل عجزاً قاضياً لامكان الخروج من حلقة الدفاع الى الهجوم . واضطرت فرقة سانتوره

بسبب قحط الوقود الى نسب ١٨ دبابة من دباباتها وقسم كبير من سياراتها . وترك القسم الآخر في أيدي العدو . واستؤنف قتال المدرعات بوحشية ضارية وسعة كبيرة . وظهر ان الانكليز كانوا مصممون على الوصول الى اهدافهم بقوة وصلابة يدفعون دباباتهم الشيرمان الى مسافات قريبة من الخطوط الالمانية وكان بعضها يصل الى مسافة ٣٠ متراً من المواضع الدفاعية . وقد دمرت المدافع الالمانية عيار ٨٨ مم ٢٨ دبابة شيرمان « Sherman » وكانت مرتفعات ترهونه تشتمل على مواضع دفاعية هامة من شأنها أن تساعد على استمرار المقاومة الدفاعية حتى وانهاء عمليات إخلاء كافة الجيوش الى الوراء . ومن قممها كان الرأي يشاهد اقتراب وحدات العدو على جهة واسعة يواكبها فرقة مدرعة تسير على الطريق العام ترهونه - غريات . وحشدت كافة المدفعية والفرقة ١٦٤ ولواء المظليين . وكان الانكليز يسمعون للتلقيح نحو الشمال الغربي عبر الجبال وقد اخليت ترهونه ودفاع المضيق الحصن ووزعت الفرقة المدرعة الخامسة عشر ووحدات الاستطلاع وفرقة الشباب الفاشي على سفوح الاودية بصورة كانت ترقب كافة السبل والدروب الموصلة الى طرابلس .

بدأ الهجوم على المضيق في ٢٠ كانون الثاني وكانت تخيم فوق طرابلس والعزيزة سحب الدخان الكثيف المتصاعد من جراء التدمير التي كانت تجري في تلك الارحاء . وبينما كانت الموقمة تستهلك أقصى الجهود وصلت تعليمات من المارشال كافاليرو يقول فيها ان موسوليني لا يوافق على التناحيث المتخذة للدفاع عن منطقة طرابلس وأعاد القول مذكراً ضرورة الدفاع عن خط الخمس - ترهونه مدة ثلاثة اسابيع . على الاقل وافاض قائلاً بأن الجيش المدرع انسحب مبكراً وسراعا من مواضعه الدفاعية .

فاذا كان من الصعب على روما ان تهيب لنفسها صورة واضحة عن الوضعية الراهنة فما كان عليها الا أن تستوضح وتستعلم تماماً قبل أن توجه

الملام الى الجيوش التي كانت تقا تل بشجاعة وعزيمة قل أن عرفها أحد غير  
 التاريخ في العالم وخاصة الى قائدها الكمي المعلم وضباطها البواسل .  
 والحقيقة ان الجيش كان بحاجة الى عشرة اضعاف العدد المرابط ليتمكن  
 من اشغال خط الخمس - ترهونه لانه بالاضافة الى المهمة الدفاعية الموكولة  
 اليه كان يتوجب تأمين انسحاب ونجاة المشاة التي كانت في طريقها الى  
 قابس وصد مناورات العدو التطويقية وتأخير تكاملها من اجل كسب الوقت  
 اللازم لتحقيق الخلاص . وكان كل ما لدى رومل الذي وضعه في طريق  
 العدو ١٣ دبابة ألمانية و ١٦ دبابة ايطالية حتى استطاع بهذه القوى الضئيلة  
 أن يؤمن دفاع المرتفعات ويمنع تقدم العدو ويحمي قواته من حركة التطويق  
 التي كان العدو مصمم على اجرائها من الجهة الجنوبية . هذه هي القوة  
 التي اوقفت الجيش الثامن البريطاني برمته ولكن لمدة قصيرة طبعاً ، هذه  
 القوة التسافهة الهزيلة التي كانت روما تلومها وتلوم قائدها الفذ لانه لم  
 يستطع ان يستوقف القوات البريطانية الكاسحة العديدة بعد ثلاثة أسابيع .  
 وما أطول هذه الاسابيع بالنسبة الى وضع الجيش المذكور . وفي هذه الاثناء  
 اقتنصت مستندات استدل منها على أن مونتغمري كان يريد الوصول الى  
 الساحل عند الجاعونه الواقعة غربي طرابلس لماصرة كافة القوات الباقية  
 في أرجاء ليبيا وطرابلس دفعة واحدة فلو ان رومل استمر على الدفاع  
 عن خط الخمس - ترهونه وفقاً لأوامر موسوايني الصادرة لتمكن العدو  
 من اجتياز مواضعه وتطويقها في أقل من أربع وعشرين ساعة وانتهى  
 مصير الجيش المدرع الى الخاتمة الشنيعة . وكانت مساعي رومل الجبارة  
 تتناول لم الشعب المبعثر وعلق على هذا الوضع بقوله : « انني اقاتل  
 أحدث المجلات الحربية بمجلات ما قبل الطوفان » قال ذلك لكافاليرو  
 وباستيكو اللذين جاءا ليراه مع كيسرلنغ في مقر بيانكي « Binchi »  
 حيث احتدم نقاش شديد طالب رومل اثباته وجوب اصدار امر ثابت

يفهمه ما يتوجب عليه عمله ازاء هذه الوضعية ، وانه هل يتوجب خوض معركة حاسمة على خط ترهونه او سوق الجيش الى مواضع قابس ؟ ان احد الحليين يزبح الآخر حتما . فاختراروا ما يطيب لكم من هذين الحليين الوحيديين . والتصور خطورة الوضعية الراهنة وردت اخبار جديدة تشير الى أن من بين الاربعة عشر زورق زيبيل العاملة على تموين السواحل فقد منها عشرة دمرت واغرقت في غربي طرابلس من قبل زوارق الطوربيد البريطانية السريعة . وظلت مسألة الوقود تلاقي الازمات المتوالية كما كانت عليه في السابق لا تحول ولا تبدل . وفي مساء ٢٢/٢١ تقدمت أرتال قوية من جنوب المضيق تقامها ٦٠٠ سيارة شحن متجهة نحو العزيزية . واجتازت وادي مدين الذي لا يختلف عن غيره من وديان الصحراء الذي سبق ان استطلعه الضباط الايطاليون وأفادوا انه غير قابل الاجتياز فكيف استطاعت اذا القوات البريطانية الآلية والمدرعة اجتياز هذا الوادي . ان الجواب عند ضباط الاستطلاع الايطاليين وحدهم . ونجحت الفرقة المدرعة الخامسة عشر ووحدات الاستطلاع الالمانية مدة في استيعاب العدو الذي ما فتى يتلقى النجيدات العاجلة الواحدة تلو الاخرى وتمكن اخيراً من الاستيلاء على المخرج الغربي المضيق بفعل هجوم قوي جداً . وتسنى له ان يتقدم على اخلاف الجيش المدرع الذي اضطر بحكم هذه الحركة الخطيرة على اخلاء الموضع المحتلة . وتم الانكفاء بصورة مأمونة ومرضية . وفي الثاني والعشرين من كانون الثاني اكدت الاستطلاعات من جديد بأن الجيش البريطاني الثامن يتقدم باتجاه غرب المرتفعات على أرتال مختلفة تتبعها قوات اخرى ايضاً متجهة نحو الجاعونة . وافتكر الجيش المدرع ازاء هذه الحركة الجديدة في إخلاء طرابلس فوراً خشية الفاجعة . وامتلأ فؤاد رومل بالحركة والاسى عندما امضى أمر الانسحاب . لقد شعر بالآلم المرير الذي سينتاب الايطاليين من جراء هذا الاخلاء بيد أن هذا الآلم

ليكون اعظم وأشد ايلاما لو ان الاخلاء تأخر حتى الخامس والعشرين من كانون الثاني ولكن الثمن حينئذ أغلى وأبهظ لانه سيكون تضحية الجيش بأسره . وفي مساء هذا اليوم التاريخي الحزين وصلت برقية من مقر قيادة القوهرر العام تتسأل فيما اذا كانت صحة المارشال تساعد على الاستمرار في القيادة بعد وصول الفرق الى منطقة قابس . وقد عرض هذا السؤال لأن القوهرر كان يعتمد ان يسلم القيادة العامة لمجموعة العمليات في جبهة تونس الحربية الى رومل . وعاد الجواب يشعر الى أن صحة المارشال متأخرة وان تمكنه من الاستمرار في العمل زمنا طويلا على رأس الجيش . والحقيقة فقد تأخرت صحة رومل وتزعزعت كثيراً بفعل المشاق التي احتملها والاعباب التي عاناها اثناء معارك المعلمين الاولى . وقد استعاد المارشال صحته قليلا في نهاية تشرين الاول ولكنه لم يستجمع تماما ، وكان ما يزال في حاجة ماسة الى راحة طويلة وعناية تامة . وكان يرغب في الانسحاب منذ حين ولكن الاوامر الصادرة في هذا الشأن كانت عارية من الصراحة التامة . كانت كل شيء في هذا الميدان يسيء اليه ويزعجه وخاصة الوعود الواهية المتوالية التي تعطى اليوم لتتقضى في الغد والتي تثبط المعزائم وتغرس في النفس اليأس والقنوط . وبالإضافة الى هذا الانزعاج النفسي كانت تلقى عليه كافة تبعات المسؤوليات بينما كان غيره يصدر الاوامر دون معرفة وإدراك تام بالوضعية . وكانت كافة الاعمال الجيدة التي تقوم بها جنوده تذهب ادراج الرياح بدون جدوى ولا فائدة بينما ارتوت ارض الصحراء من دمائهم وامتلات أرجاءها باجداثهم . وقد ترك لوحده يجابه خصوصا شجعانا عنيدين يرأسهم قادة اكفاء يملكون الموارد والمعدات التي لا ينضب معينها . لقد فقد المارشال تقريبا كافة رفاقه القدماء الذين كان يعتمد عليهم في الشدائد . وقتل قائد سيارته اكثر من مرة وهو على مقود السيارة ، وقتل أو جرح أو أسر أكثر





نواة ممسك السلوم المتصدعة

مما ونيه وضباطه المرافقين ورجال أركان حربه وقادة وحداته البارزين أمثال بريوتوتز ، ونويغان سيلكو ، وبسبارك ، وسومرمان . ولم يكن وحده يتمتع بهذه الشعور المريعة بل ان كثيراً من القادة الايطاليين امثال نافاريني كانوا يمتدحون بكل ما أسرف وبدد وخرب بفعل الاهمال والاوامر الخاطئة المألوفة والتردد والتقولات والسفاسات الفارغة والتناحر والخصومات الشخصية والادعاء والغرور الذاتي .

واشار رومل في جوابه ايضا الى ضرورة ارسال الاسلحة الجديدة والمدفعية الثقيلة وخاصة الى المواضع التي ستدخل في صفحة التاريخ باسم خط ماريتا لأن مواضع قابس الدفاعية لا تشكل المضيق المحصور بين الشطوط وخليج السرت الصغير فحسب بل كان يقوم خط دفاعي محصن بُني في شرق المحلة المسماة ماريتا . وفي جنوب البحيرة الافريقية الكبرى غير القابلة الاجتياز والمستندة الى المنطقة الجبلية .

تم اجتياز الحدود التونسية في الايام الاخيرة من شهر كانون الثاني وجرى الانكفاء دون مواجهة اي عائق يذكر . ولم يتوقف الجيش الثامن في تطويق او اسراية وحدة هامة . ولم يبق بعد اخلاء الزوار في الواحد والثلاثين الجاري سوى الطلائع الخلفية . ولم تخل هذه المواضع المتقدمة الا في الثاني عشر شباط يوم نهاية السنة اثنائية لوجود رومل على الصيد الافريقي . في هذا اليوم التاريخي الالم سجلت نهاية حملة ليبيا واصبحت في ذمة التاريخ .

كانت هذه الموقعة الانكفائية معجزة من المعجزات الحربية حيث انجز اثنائها سوق الجيش الالماني - الايطالي عبر مئات الكيلو مترات تحت اقسى شروط العجز والحرمان ونفاذ الوقود والذخائر المتوالي وبسببها كان يمتنع على هذا الجيش خوض القتال الهجومي احياناً وفي ظروف ملائمة . اجل انه تراجع قهري امام عدو قوي مصمم ولكن لو أخذت بعين

الاعتبار نسبة القوى المقابلة والصعوبات الجمة التي كان يواجهها الجيش المدرع ودرجة الاهمال التي تعرض لها والهجر الذي لاقاه لتشكل هذه الاعمال اكبر مجد حربي شوهد في هذه الحروب الاخيرة .

وعندما وصل المارشال الى خط ماريتا احيط علماً بعدم وصول أية موانع دفاعية حتى ولا اسلاك شائكة . وكانت تجري بعض الاعمال لحفر الخنادق ضد الدبابات وكانت ما تزال بعد قيد الانشاء . ولم يبق للملاحي التي شيدت سابقاً من قبل الافرنسيين اية قيمة حربية يعتمد عليها أو انها دمرت منذ حين . وفي نفس اليوم اوعزت القيادة الايطالية العامة بأن المارشال رومل مرخص لترك قيادته في الوقت الذي يعينه للجنرال الايطالي ميسه لاستلام القيادة . وطلب رومل خطياً دعوة القائد المذكور الذي كان حتى الآن على رأس فيلق ايطالي على الجهة الشرقية الروسية كي يطلعه على مجرى الحالة الراهنة بصورة واضحة . وكان يعتبر نفسه غير قادر بعد الآن على قيادة الجيش تحت الشروط الحالية . وعند قراءة هذه الجملة الاخيرة من الكتاب ، توقف المارشال لحظة ثم تناول القلم وشطب الكلمات الاخيرة وبخطه الحاد استبدلها على الحاشية بالعبارات التالية :

« لم يعد لها ( اي للحرب ) اي طعم او مذاق » ...



# الفصل الثامن

## حصار تونس

الاندفاع في اتجاه تبessa

In der Festung Tunis  
Forstoss Nach Tebessa

ادرك المارشال رومل مليا بأنه لم يعد في الامكان البقاء طويلا في البلاد الطرابلسية ولذا اخذ في وضع مشروع قابس مسبقا وهو ما يزال متربصا في موضع مرسى البريغا . وفي هذه المنطقة التي تقرر ان يقام فيها رأس الجسر الغربي كان يتوجب جمع كافة القوات المحاربة . ثم العمل على توسيع المنطقة نحو الجنوب اولا وبالتالي نحو الغرب للاحتفاظ بمرفأى تونس وبيزرتا المهمين لامكانيات تموين وتجهيز الجيش . وكانت الخطة تترتب على نقل فرق المشاة فورا الى جهة قابس ليتمكن من منازلة الجيش الثامن البريطاني اثناء انكفائه الى المنطقة المذكورة بواسطة قواته المتحركة بعد ان يتخلص من اعباء واثقال قوات المشاة .

وحال اتمام هذه التعبئة الجديدة وتوطيد الخطوط الدفاعية المقررة على هذه الجهة تعمل القوات الجوية الالمانية القوية في تونس على السيطرة على قطاعات طرابلس ومنع مونتغمري من الاستفادة من ميناء طرابلس

لتأمين عمليات تموين القوات البريطانية مما يجبر والحالة هذه الجيش الثامن على سوق تموينه على الطريق الساحلية من بنغازي عبر منطقة السرت الجرداء الصحراوية .

وكان رومل يعتمد بعد اعادة النظر في تنظيم وتدعيم قواته ان ينقض على اخلاف الجيوش الانكليزية البريطانية المقاتلة في تونس لدفع فرق الجيش الثامن البريطاني المتقدمة في ليبيا الى مناطق برقة الغربية وبرقة الشرقية والاستيلاء على رحبات التموين الانكليزية المتمركزة في طرابلس والقاء مونتغمري بقواته في ارجاء الصحراء . فهذه الخطة البارعة الذي كانت اعظم ابداع في نظام الخطط الحربية وخاصة اذا سيرت تحت اشراف قائد عبقرى فذ مثل رومل . وقد رفضت الخطة من قبل برلين وروما رفضاً مطلقاً . ولدى وصول رومل الى خط ماريتا تلقى اخبار تؤكد بان الشاحنات البحرية الانكليزية دخلت ميناء طرابلس في اول نيسان وانزلت شحناتها على اليابسة دون اي حادث او مقاومة وهكذا فقد عمل مونتغموي على التخلص من التزامات النقل على الطريق الساحلية الممتدة على طول ١٦٠٠ كيلو متر الفاصلة بين طبرق وطرابلس و ١٢٠٠ كيلو متر القائمة بينها وبين ميناء بنغازي . وتنظمت عمليات التموين البريطانية تنظيماً كاملاً .

وبالتالي لم تكن الحالة على مايرام في مواضع خط ماريتا . بيد ان الجيش المدرع توطد في هذا الخط القديم الذي بناه الافرنسيون عام ١٩٤٠ وقد دمر قسم كبير منه بعد الهدنة من قبل الالمان . وما كان من المناعة وحسن الاختيار بحيث يتجاوب مع شروط الدفاع الجديدة . وكان معرضاً للاحاطة والتطويق من جهة الجنوب مخططاً بين ساحل البحر وجبل الكسور وبحكم بنائه وتخطيطه كان يتطلب قوات عديدة هامة لحمايته والدفاع عنه وخاصة من الجانب الشمالي الغربي على امتداد طرفه الايمن لخط الجبل .

كما كان يتوجب ايضاً مراقبة منطقة قفصة الواقعة شمال شط الجريد من قبل قوات احتياطية سيارة لأن هذه الشامبات كانت مشغولة من قبل العدو وفي وسعها القيام بتحركات على اخلاف الجيش الالماني .

وظل الخط الدفاعي الافرنسي القديم الذي بني في وقت قصير وبأيد محدودة العدد في الحالة التي وجد عليها من قبل . ولم تتناوله التحسينات المضطردة وظل في حالة غير مرضية . وعلى بعد عدة كيلو مترات من الخط كانت تقوم المرتفعات التي تعميق اعمال المدفعية والتي من شأنها ان تنجح بسبب كثرة الميزات العائدة لمصلحة العدو المهاجم الذي يتمكن من الاستيلاء عليها . وتوجب على الجيش والحالة هذه ان يشغلها بقوة للدفاع عنها . ولا شك ان الانكليز كانوا يعرفون هذا الخط ويعرفون عنه المعلومات الوفيرة ومدى وقابلية المناورة الممكنة توجيهها ضد هذه المواضع وكيفية اجراء التفافها . وكان في الامكان مهاجمتها من الشمال لاختذ هذه المواقع الجنوبية من الخلف . وبعد احتلال المرتفعات الساقفة المذكور وجوب الاستعداد اليها لاجراء خرق في جهة الخط المذكور .

وكانت المعدات الدفاعية الهامة تقدر بـ ٦٥ مدفع الماني و ٣٤٠ مدفع ايطالي تابعة للفيالق العشرين الذي يشغل الجهة المذكورة مع الفرقة التسعين وعناصر اخرى موزعة بين الخطوط قوامها ١٨ بطارية ايطالية ثقيلة وخفيفة ضد الطيرن و ١٢ بطارية عيار ٨٨ مم و بطاريتين ٨٨ مم طراز ٤١ ، و ١٠ بطاريات خفيفة من الفرقة التاسعة عشر ضد الطيران . وكانت الفرقة الخامسة عشر المدرعة في حالة احتياط وغير مستعدة العمداد يضاف اليها الفرقة الافريقية التسعون التي لا يتجاوز عدادها ٣٥٠ رجل لكل كتيبة وكان ينقصها المدافع ضد المدرعات .

وكانت الفرقة ١٦٤ مكلفة بمنع المضايق والممرات الواصلة من الشرق الى الغرب ومنها مضيق كراشه ومضيق الخلوف . ولم يكن لديها سوى



مقام سيدي زرق في منطقة برقة

بطارية خفيفة واحدة معدة للقيام بمهمة دفاعية فقط في المنطقة الجبلية .  
ولم تكن مجهزة إلا من الناحية الغربية في حالة تطويق بعيد الاحتمال .  
وكانت مهمة الجيش مقتصرة على الدفاع المطلق بحسب الواقع والحال وبسبب  
نقص الوسائل التي تمنحه على التصرف هجومياً ولم يجر ما يبدل وضعيته  
منذ كانون الثاني كي يستعيد قدرته وقوته السابقة . ولم ينل سوى الوعود  
والاقاويل . وان نظرة واحدة على لوائح عداؤه لتؤيد هذه الظاهرة  
بصرف النظر عن وضع جيش الجنرال فون ارنيم « G. Von Arnim »  
وهي :

المفقد اثناء الانكفاء	المفرق	الواصل	
٦	٦	١٩	الدبابات
-	٧	٢٤	سيارات الاستطلاع
١٧	٢١	٣٩	المدافع ضد الدبابات
٥	٤	٨	المدافع العادية
١٣٦	١٦	٧١	السيارات

تعداد القوات الالمانية بتاريخ ١٠ / ٢ / ١٩٤٢

الموجود	النقص	
١٢٩	٢٥٧	الدبابات
٧	١٧٧	سيارات الاستطلاع
١٨٢	١٦٥	المدافع ضد الدبابات
٨٦	١٠٦	المدافع العادية
٧٠٧٣	٥٧٩٤	السيارات
٣٠٢	٩٣٨	الجرارات
٤٨٠	١٨٣٩	الدراجات النارية
١٤١١	٢٣٨٦	الرشاشات



الموجود	النقص
١١١	٩٤
١٨٤١	٧٨٨
٦٠٦٨٥	٣١٠٣٦

قاذفات القنابل

( الضباط )

( الافراد )

بما فيه تعداد خدمات المصالح

وبلغت خسائر وحدات الجيش الالماني في عام ١٩٤٢ العدد التالي :

قتيل	جريح	مفقود	مريض
٣٥٢٠	١٣٠٩٣	٨٦٢٨	٦٣٧٨٧

وقد شفي قسم كبير من المرضى في مستشفيات ليبيا واعيدوا الى الجهة ولكن هذه العدد لا يمكن اعتبارها عددا استبدال لانها لم تعوض حتى الخسائر التي وقعت في شهر كانون الثاني . وكانت هذه الخسائر من الخطورة الى حد كبير ولكن الجيش كان يعتقد انه سيجد في قابس العمداد والمدركات والاسلحة الكافية التي طالما وعد بها سابقاً . قام الجيش الثامن الانكليزي بهجوم جوي من جهة الشرق كما اطلق مناوره احاطة عبر منطقة قفصة على مواضع دفاع خط ماريتا الذي اصبح غير قابل المدافعة . ولم يبق اي أمل حتى في احراز نصر دفاعي متواضع . وفرضت الظروف القاهرة بالرغم من عدم كفاية الوسائل الموجودة اطلاق هجوم معاكس على منطقة قفصة لتحرير الاخلاف من العدو قبل تجديد هجوم آخر لابعاد الخطر الداهم الذي سببه وجود العدو في هذه المنطقة .

دخل الجنود بلاد تونس دون ان يهتموا بمسائل القيادة وتخطوا الحدود اثناء ربيع قاصم وبرد شديد جداً وكانهم استيقظوا من حلم ثقيل حيث ظهرت امام انظارهم لأول مرة افريقيا جديدة لاعهد لهم بها ، ولم يشاهدوا منظرها من قبل ولم يتخيلوا مطلقاً ما يرونه اليوم . وعلى سعة المرأي كانت تنبسط امامهم المناظر الخلابة الرائعة والجبال المتوجة بالثلوج وهي تبرز تحت أشعة الشمس . وكانوا في طريقهم عبر بساتين

الزيتون الخضراء يشاهدون القرى العربية الصغيرة ببيوتها ذات الابراج  
الدائرية والطوابق المتعددة المحاذية للطريق الضيقة وتزين تونس الاحراج  
اليانعة والحداثى الغناء والحقول الخضراء يرويها الماء الزلال الجاري .  
وكانت مناظر شيقه تفرح القلوب وتؤنس النفوس وخاصة النفوس التي  
مجت حياة الصحراء واجوائها القاسية بعد حرب دامت سنتين . وكانت  
عيونهم لا تكاد تصدق صحة هذه المرائي والمناظر . وما كان منظر البلاد  
النونسية التي حبتها الطبيعة الكريمة بكل روائع ونفائس الربيع الاخاذ  
يبعد عن جنود الصحراء القـدماء شعور الحنين الجديد الذي تولد في  
أعماق نفوسهم الى تلك الصحراء التي فارقوها منذ عهد قريب . ومع انهم  
كانوا يتذوقون جمال وروعة هذه الارض المباركة الخصبة المطرزة بحقول  
نبات الخشخاش الموشي بالالوان الحمراء القرمزية الزاهية ونبات الجبل  
المسمى « لارنيكا » الذي يستعمل في الطب والالوان . انهم مازالوا  
يحفظون بذكريات ارجاء الصحراء الليبية الفسيحة وسعة السهول التي  
لا تحدها الحدود وهبوب رياح السموم وسكون الليالي الهادئة المقمرة  
والمنورة بملايين النجوم الالامعة . ويتذكرون بحنين كل ما يدركون  
عن هذه الارض التي تسيطر عليها الآلهة العجيبة والشياطين الخيفة . اجل  
على سعيدها الف هؤلاء المحاربون القدماء حب الهدوء الصامت والوحدة  
الحالمة بأيام الخليقة الاولى . وهذا الماضي القريب كان يميزهم عن رفاقهم  
جنود الفرقة الخامسة المدرعة الذين كانوا بوسعهم ان يسيطروا لهم ايديهم  
بالتحية والمصافحة الاخوية . هؤلاء الذين ما كانوا ليفهمون ويدركون  
التأثير الروحي العميق الذي تركته حياة الصحراء في نفوس هؤلاء  
الرفاق ولا يعرفون الشروط التي دارت بموجبها وقائع الصحراء في هذا  
العصر . وهنا في تونس السعيدة تبدل الحال وتغير المجال . لقد اودعت  
شرائع الصحراء في الصحراء وتوجب اتباع اسس وشرائع وانظمة جديدة

في هذه الارض الجديدة بالنسبة الى شيوخ الصحراء . واختلف نظام الحرب ونظام اطلاق سفن الحرب البريه عبر الصحراء والمجالات الرحبة للتلاقي والاختراق والاختلاط وتوجب العودة الى الفن الحربي المعتاد . وتوجب على جنود المشاة اخفاء أجسادهم في حنايا سلسلة جبل الاطلس وحفرها واوكارها وقد اصبحوا اليوم الممثلين الاساسيين لادوار القتال والمعارك .

وكان العرب يختلفون في الحضر عن البدو الرحل في الابداء . وكانوا يعيشون عيشة الكفاء والراحة وبينهم الاغنياء الموثرين اصحاب الاراضي والمزارع الفنية والمتعلمين والمتحضرين والادباء وكانوا مواطنين متمدنين مهذبين لم يخفوا ميلهم وودهم للجنود الالمان . وبفضل هذه المولاة السريعة تمكن الالمان منذ اليوم الاول من توطيد سبل الامور والشؤون على احسن ما يرجى ويؤمل . ومن الحوادث المعروفة ان الكولونيل دافيد ستيرلينغ David Sterling رئيس مصلحة الطيران الخاصة الذي سبق ان قاد وحدات مغاوير الصحراء أثناء قيامه بمهام عديدة خاصة . وكان هؤلاء الجنود المختارون رجال الشجاعة والاقدام والمخاطر الجريئة يعملون منذ شهر كانون كالاطفال الشاردين على اخلاف الجيش المدرع حيث كانوا يهاجمون المطارات والارنال السائرة ويقطعون الطرقات والمواصلات ويزرعون الالغام في طريق الجيش المعادي حيث قتل فوق واحد منها الجنرال فون راندو « G. Von Randou » قائد الفرقة الواحدة والعشرين المدرعة . وقد قبض على رئيسها الزعيم ستيرلنيك في يوم من الايام جنود الدفاع الجوي ولكنه تمكن من الهرب في الليلة التالية وانضم الى بعض الاعراب اللاتحاق فيما بعد بالخطوط البريطانية . وقدم للعرب مبلغاً كبيراً من المال لقاء ايوائهم له ولكنهم سلموه اخيراً الى الالمان دون ان يقبلوا اية مكافئة على خدمتهم الطيبة .

وانتهت اعمال التخريب التي كانت تقوم بها فصائل سترانغ نهائياً بعد القبض على زعيمهم المدبر الموجه في منطقة قابس كما توفقت جبهة قتال الماريشال الذاتية قبل وقت قصير ايضاً من قنص سيارات لاسلكية وسيارات ناقلة وعدد كبير من جنود وحدات سترانغ متخفين في ذي عربي ومن بينهم حفيد تشرشل الذي كان يلبس بزة المانية . وكانت الاوامر العليا المعطاة للجيش المدرع تفرض اعدام رجال العدو الذين ينتسبون الى جماعات المغاوير رمية بالرصاص فوراً . وقد وصل الامر الى رومل وهو في جبهة العلمين ولكنه لم يطبق ولم ينفذ في افريقيا مطلقاً . وكان الماريشال رومل ينظر الى المغوار كجندي من جنود العدو في البر كان او البحر او الجو لا يجوز الاعتداء عليه مطلقاً وفقاً للعرف العسكري المتبع في عدم قتل العدو الاسير . وقد اُخرق الامر الصادر من هتلر على الجبهة ذاتها دون أن يعبأ بتنفيذه احد .

وكان الفيلق الافريقي ايضاً يشتمل على تشكيلات متشابهة مهمتها العمل على ما وراء خطوط العدو وقد حرر كثيراً من هؤلاء المغاوير الالمان اكثر من مرة اثناء المارك الجارية . ومثل هذه التشكيلات كانت معروفة منذ عهد بعيد حتى في ايام الحرب العالمية الاولى حيث استعملها الزعيم لورنس الشهير . وكانت هذه الوحدات مؤلفة من شباب شجعان مختارين مدربين بعناية . وكانوا يظلمون بعض الاحيان اسابيع بل شهور عدة منقطعين عن وحداتهم يخطفون بالسرعة التي يظهرون فيها كما تختفي الثعالب في البيداء . وقد تركوا لانفسهم وشأنهم ، وقاموا باعمال مجيدة في الصحراء تحت امره المقدم بونفوليد Bonvolid ثم تحت قيادة الزعيم بوندرغابت Bondergite . وكانت محاولاتهم اجراء ما عرف عنها من الاقدام . ثم استلم قيادتها الزعيم سترانغ الذي كان يعمل على ضرب الجيش المدرع ضربات قاصمة في شهر ايلول عام ١٩٤٢ . وارسلت عدة جبهات من مصر

في شهر ايلول حيث ضاعفت جهة العلمين بسير طويل عبر الصحراء الجنوبية . وقد قرر سترلنغ سوق نصف سبارته الجيب البالغة ٥٠٠ سيارة والمجهزة برشاشين طراز فيكرز ذات القصبات المضاعفة والمشحونة بالالغام والمفرقات . واعتمد سترلنغ الوصول الى بنغازي واحتلال الميناء واغراق السفن الراسية فيها واحراق مستودعات الذخائر والمؤون واثارة الفوضى والاضطراب في صفوف وحدات الجيش المدرع بصورة لا عهد للمغاوير بمثلهما . وعهد الى النصف الباقي من سيارات الجيب تحت امره الزعيم هز الدين Hezaldin مهمة مباغته طبرق والبرجة وبنينا والمطارات التابعة لها . وبالفعل فان هذه القبضة من الرجال كان في وسعها ان تفاجي منطقة برقة الغربية مفاجئة هائلة وتستولي عليها وتخرب وتقطع كافة مواصلات الجيش المدرع . ولكنها اخفقت محاولة سترلنغ الجسارة لانه نسي الدروس التي اجادها سلفه لورانس كما جهل بأن الجيوش غير النظامية لا تستطيع مهاجمة المواقع المحصنة ولا الحصول على قرارات حاسمة لانها غير مؤهلة لهذا العمل ، وان قيمتها الحربية تتوقف على اعمالها في الاعماق وليس على قوتها في الصدام . وقد دمر قسم كبير منها اثناء تقدمها والقسم الاخر انهكه السير الطويل عبر الصحراء واصبح في حالة لا يستطيع معها القيام بعمل يذكر وقتل اثناؤها الزعيم هز الدين ومن المؤكد ان محاولة الانزال التي قام بها الانكليز على طبرق في منتصف شهر ايلول كانت على ارتباط بعملية الزعيم هز الدين وقد اخفقت اخفاقا زريعا والواقع لو ان هز الدين هاجم في الوقت المناسب بقوة ٢٠٠ سيارة جيب مسلحة لاستطاع احداث ازمة محلية خطيرة ولاثقل الجيش المدرع بخسارة باهظة في المعدات والتموين . ومهما كانت النتيجة فان جنود الزعيم سترلنغ الشجعان كانوا يتمتعون باعتبار كبير من قبل افراد الفيلق الالمانى الافريقي وكانوا موضع اعجابهم التام حتى ان الزعيم ذاته كان يعتبر في نظرهم

كائناً روائياً من رجال الاقاصيص القديمة ولكن نشاطه توقف منذ الآن مع جمهرة الصجراء التي تفرق افرادها في كل صوب وحذب .

وحدث في هذا الوقت تبدل في القيادات الابطالية العامة حيث استبدل الكونت الجنرال كافاليروا بالجنرال امبروزيو Ambrozio واعيد الجنرال باستيكو الى ايطاليا بينما ارسل الجنرال ميسه الى تونس لتسلم القيادة . وفي اليوم الذي استسلم فيه الماريشال فون باولوس G. Von Paulaus في ستالينغراد كانت الفرقة المدرعة الالمانية الواحدة والعشرين بعد ان اعيد تسليحها وتجهيزها تسير من جديد لمقابلة العدو . واستولت على مضيق فيض واسرت ماينوف على الف اسير ودمرت تسعة عشر دبابة . وقد اخذت التدابير واجريت التحضيرات اللازمة من أجل عملية حربية عنيفة ضد قفصه . ووافقت القيادة الابطالية العليا على الخطة الموضوعة شريطة ان تظل الطلائع الخلفية للجيش بعيدة عن العمليات وجرت مناقشات ومحادثات حول الموضوع وتقرر نهائياً استعمال كافة الوحدات السريعة للجيش واشراكها في العمليات تحت قيادة روبرت العامة .

واثناء الاجتماع الذي اشترك فيه الماريشال كيدرلنغ والجنرال الفريق فون ارنيم قائد الجيش الخامس المدرع ، اعلن القائد العام للجبهة الجنوبية المحورية بأن الهدف المعين من قبل القيادة الالمانية العليا هو تدمير الجيش الاول الاميركي تدميراً كاملاً . وبما ان مجموعة الجيش الاميركي كانت انسحبت الى سميتلا وفريانا كان يتوجب من الجيش الالماني والحالة هذه الاستيلاء على سيدي بوزيد ومحاولة تطويق اكبر عدد ممكن من القوات الاميركية واجبارها على اخلاء منطقة قفصة الزور . وكان على الجيش الخامس الالماني المسير الى سيدي بوزيد بينما الجيش الالماني - الابطالي الاول يحرر جوافه الغربية والشمالية الغربية كي يتمكن بكل سرعة من سوق عناصره السريعة على خط ماريتا . وطلب الى اللواء الجوي المحافظة

على حماية المناطق المحتلة . ولوحظ ان مسألة استكمال اسلحة الجيش المدرع لا يمكن ان تكون موضع بحث في الوقت الحاضر . وكانت الفرقة المدرعة الاولى والعشرين التي اعيد تشكيلها من جديد ما يزال ينقصها كثيراً من سيارات النقل .

وقد احدث وصول الجنرال الايطالي الى تونس جواً آخر في صفوف الايطاليين . وقد اعلن اهتمامه باكمال تعداد الوحدات الحاربة بواسطة المصالح الخلفية . وكانت تبلغ القوات الحاربة ٣٠٠٠٠ مقاتل بينما القوات الاخرى الخلفية بلغت ٥٥٠٠٠ جندي وطبعاً كان يترتب اعادة النظر في هذه النسبة غير المتعادلة بينما كانت النسبة  $\frac{1}{4}$  في الجبهة الروسية وليس  $\frac{1}{4}$  كما هو الحال في القوات الايطالية .

بدأت عملية سيدي بوزيد في الرابع عشر من شهر نيسان عند مطلع الفجر . وقد نجحت نجاحاً باهراً واجبرت الانكليز على اخلاء قفصة بصورة اختيارية . وهذه المنطقة جبلية وعرة محاطة من الشمال الغربي بقمم منطاة بالثلوج وهي تؤلف حتى شط الجريد في الجنوب منطقة كثيرة التقاطيع تخططها الوديان العميقة التي تشكل مانعاً طبيعياً فعالاً ضد اي هجوم منطلق .

وكانت الفرقة الخامسة عشر المدرعة التي تملك ٥٢ دبابة فقط تخوض معركة حامية في مدين الواقعة جنوبي شرقي خط ماريشا ضد قوات معادية متفوقة جدا والتي اضطرت اخيراً الى اجراء حركة تملص وانفلات . كما ارسلت فوراً فصائل من المظليين مع قوات من المدفعية لمساندتها . وكانت جبهة الماريشال رومل تتقدم بعيداً عن قفصه وقد وصلت في سيرها الى الزور الذي اخلي ايضاً من قبل العدو . واحتل الفيالق الالمانى مدينة فريتا التي ساعدت على احتلال المضيق ايضاً والتقدم نحو تيبسا . ولوحظ

## مصور ملهنة درنة





بان العدو "بوغت" تماماً لأن القوات الألمانية اقتنصت غنائم كثيرة ومنها طائرات سالمة فوق ارض المطار . وتوقفت الفرقة المدرعة الخامسة عشر من التوطد قرب ميدينين في مواضع حصينة حيث تمكنت من صد كافة الهجمات الجديدة . قرر رومل عندئذ ان يضرب على الفور ضربة ثانية ويتقدم سائراً الى تيبسا .

وقال الماريشال رومل يجب معرفة المخاطر والقيام بها دوماً . وقد ظل حتى الآن يحسن التقدير والتحديد كي يظل مسيطراً على الوضعية حتى اثناء اخطر تدابير و ترتيباته . ولكن الوضعية الراهنة تغيرت كثيراً عن الوضعيات السابقة واقتضى الاعتماد على المخاطر اكثر من السابق . واجراؤها كثيراً في مثل هذه الاحوال والتي قد يمكنها ان تحول مجري الحوادث لمصلحة المخاطر الذي يستطيع حسابها بالارقام وموازنتها بالعقل والاستدراك الصحيح . وكان يأمل من تقدمه على تيبسا اطلاق جمهرة استطلاع قوية في اتجاه الشمال مع احتمال زعزعة نظام قتال العدو على كافة الجبهة التونسية وبالتالي تهية انهياره العام . وفي حالة تهديد يتناول طريق سوق العربى مثلاً لا يبقى للعدو سوى طريق بون ليؤمن انسحابه المفروض . وهذا التهديد وحده كاف لاجبار العدو على اخلاء جيب تونس والانسحاب .

وكان رومل يعتمد القيام بهجومه المقرر بقوات الفيلق الألماني والفرقة الواحدة والعشرين المدرعة والفرقة المدرعة العاشرة التابعة للجيش الخامس المدرع . وكان مصمماً على مجابهة الخصم ومستعداً لمقابلته بأمل كبير وكادت الشمس ان تشرق من جديد على الظفر الضائع والنصر المفقود وان ترسل اشعتها الاخيرة من جديد على شعاب الامل لتفتح له سبيل الافق الجديد . ان الجرأة والمهارة التي اتصف بها الماريشال رومل والخبرة الحربية الطويلة المجربة التي اقتبسها طيلة سنتين في الحرب السائرة الصاعقة كانت كافية لتعطي الفيلق الألماني الافريقي اوسع الغايات والنتائج

ولكن قيادة الجيش الخامس لم توافق على هذه الخطة ولم تثق بها وقررت ان تعيد الفرقة التي تخصصها الى مواضع الخروج الدفاعية وكانت يتوجب آنئذ عرض القضية ونقطة الاختلاف على قيادة الجبهة الجنوبية للحصول على قرار موسوإيني ، ووصل القرار المنتظر في الليلة التالية وكان يشتمل على نفس الاغنية المعهودة « الرفض » .

ان الذين لم يخشوا حتى الآن ان يفرضوا على الجيش المدرع مهام لم يكن معداً للقيام بها بفعل نقص التموين ، والذين كانوا يقررون له حدوداً معينة فيما سبق من جراء جهلهم الاحوال الراهنة ووضع العدو وأهميته ، يلاحظ انهم أساءوا آنئذ تقدير قوات الجيش الحقيقية وتهيبوا في السماح له بأية مخاطرة جديدة أو أية محاولة يهدف اليها المارشال رومل ويضعها نصب عينيه لتحقيق ظفر جديد يبعثه الى الحياة بعد انقطاع الامل في الحياة . وكانوا يعجزون حتى عن التفكير بإمكانية تطويق العدو وأخذه من الخلف وقطع خطوط مواصلاته الجوية وزرع الفوضى والاضطراب في صفوفه وفي نظام انتشاره امام جبهة تونس وضرب الوحدات الانكليزية والاميركيه التي تفوق الجيش المدرع اضعافاً مضاعفة وتدمير المشاريع الكبرى التي وضعها الجنرال ايزنهاور « Eisenhower » والجنرال اندرسن « Anderson » وتحويل ظفر الحلفاء الذي بدأ يتشم لهم ابتسامته المطمئنة ؟ .

أجل كل هذه العوامل كانت في نظر القيادة الالمانية بعيدة التصور والاحتمال وابتعد من أن تتناولها قدرة الجيش المدرع . هذه القيادة الجامدة المرتبطة بالاعتبارات والتقديرات البعيدة عن العبقرية وحسن التدبير الحربي اللهم إلا في الايمان بالمعنوية التي آسئ فحما في العصر الحاضر ، معنوية الفرور القائمة في دوائر الحرب العليا . فما بال هذه المعنوية التي قيل عنها انها لا تغلب ولا تقهر تضمحل وتفتي في النفوس التي ابتدعتها وعبدتها

## تحت تأثير الخنوع والخنوع .

ألم يكن رومل فيما سبق ضعيفاً في عداده وعدته عندما دحر العدو أكثر من مرة ومزقه شر ممزق ؟ ألم يقاتل هذا العدو مرة بعدد ٧/١ ومعدات ١٠/١ فكيف انتصر وكيف قهر ؟ ألم يردّ العدو الى اقصى الحدود وكان قاب قوسين أو أدنى من القضاء عليه لو تمكنت له الوسائل المطلوبة أو أقلها ؟ . انها الاغنية المعتادة التي ستوافق المصير حتى النهاية . ولذا فقد عدت مقترحات رومل . وهل تكون برلين وروما في سياق عمليات الصحراء الحربية أعلم من هذا القائد الكبير الحنك الذي كان يقود هذه الجبهة بالذات منذ سنتين ؟ وهل هما أعرف منه في حالها وامكانياتها . ولكن شتان بين رومل في الصحراء والفوهرر في برلين وموسوليني في روما . لقد اقرت القيادة الالمانية العليا احتلال تيسا شريطة ان يجرى الهجوم باتجاه كيف ووضعت تحت تصرف رومل لهذا القصد الفرقة المدرعة الواحدة والعشرين والفرقة المدرعة العاشرة . وظهر جهل القيادة العامة بواقع الحل والوضع من جديد في هذا التوجيه المفروض . ولكن ما شأن القيادة العامة العليا في تحديد الاهداف التعبوية للقتال لقائد جبهة عام يعرف كل ما يكتنف هذا الميدان من ظواهر وخفايا وامكانيات واستدراكات لا تحيط بها القيادة العامة ولا مقرات الفوهرر والدوتشي .

كان رومل شديد الأسف لمثل هذه التصرفات . وكان يعرف ان مثل هذه القرارات المفروضة هي التي ستخرج الوضع وتؤزم الوضعية معاً . وبما قاله في هذا الصدد : انني اعتبر الكيف هدفاً قريباً جداً من الجبهة ومهاجمته معناه الاصطدام باحتياط اندرسن بكامله وهو ما حدث بالفعل . ان هذا الهجوم لن يحقق الغلبة المؤملة وان يحدث في صفوف العدو الاضطراب الحقيقي المنتظر الذي هو الهدف المنظور ، وقد صح ما توقع المارشال وتنبأه . وسارت الامور كما اقترحت القيادة العامة . وكان من جراء ظهور

الدبابات الالمانية في مواضع ( كيف ) و ( تهلا ) حدوث أزمة خطيرة جداً والحقيقة فان الهجوم على تيبسا كان يستدرج نتائج واسعة المدى ولكن رومل وصل الى ما كان يؤمله ويتوخاه .

نفدت اللحظة الجديدة وبوغت العدو في كسرين واصيب بخسائر ثقيلة . وتقدم الجيش المدرع الى سبييلا ، واحتل اربعة مطارات وغنم معدات هامة وموثن ووقود اكثر . اهمية ابضا وتوجب من اجل التقدم الاستيلاء على ممر كسرين . ولكن الفرقة المدرعة العاشرة تأخرت في التقدم وهي في سيرها الى مدينة القيروان بفعل الممارك العنيفة التي خاضتها لاحتلال هذا الممر . وعندما وصلت الفرقة المدرعة بدأت بمحاولة احتلال المضيق . وانطلقت معركة دبابات حامية عندما كانت نخفي اشعة الشفق الاخيرة . وكان يتوجب اجراء الاختراق بسرعة لان النجيدات كانت تتوالى على العدو ساعة بعد ساعة . وفي هذه المعركة الدائرة دمرت ٢٢ دبابة انكليزية و ٣٠ سيارة نقالة مدرعة وسقط عدد كبير من الاسرى في يد القوات الالمانية . وتم احتلال المضيق وتقدمت المشاة بقوة لاشغال المواضع الجديدة . وتميزت في هذه المواقع كتيبة رماة ايطالية تصرفت بشجاعة نادرة المثال .

وبينما كانت الفرقة المدرعة الواحدة والعشرين تتقدم نحو الشمال على طريق سبييلا وزيبيا قرر رومل الاندفاع توكاً باتجاه طحله - جرده . واطلق الفرقة المدرعة العاشرة التي وصلت الى طحله واثت على عدد من المدرعات والمدافع ضد المدرعات الانكليزية . وكانت المدرعات الالمانية تلاحق سيرها حاملة المشاة فوق ظهورها وبدأت مقاومة العدو تضعف وتتزعزع وريداً رويداً . وفي هذه الاثناء خاض الفيلق الافريقي قتال مدفعي عنيف ضد تقدم جبهات الصدام المعادية اضطرت معه الفرقة المدرعة العاشرة الى التملص والانحراف نحو الجنوب وقد خسرت عشرة دبابات . ولكن من حسن الحظ توقفت طلائعها الامامية من اجتياز الممر في جنوب طحله كما وقعت



قلعة العقيلة القديمة مع برج المراقبة

في شرك بريطاني نصبته الافواج الانكليزية المتقدمة التي تركت المدرعات الالمانية تمر بهدوء بغية مهاجمتها من الخلف . ولكن الفرقة تمكنت من توطيد الوضعية واسرت قرابة ٧٠٠ جندي انكليزي . وهنا ايضاً تنادى احتياط العدو سريعاً للنجدة .

ظهر كيسرلنغ في ٢٢ نيسان حوالي الظهر فوق ميدان القتال . وكانت الوضعية تتأزم اثناؤها على خط ماريتا عندما اطلق الانكليز هجمات قوية متباعدة على الفرقة المدرعة الخامسة عشر . وقد اوقف القتال بناء على ايعاز رومل وانسحبت القوات ريثماً الى مواضع الخروج بعد ان لغمت كافة المنطقة ودمرت كافة المنشآت الهامة ونسقت الجسور وجعلت الممر غير قابل الاجتياز .

واغتنم كيسرلنغ هذه المناسبة ليسأل رومل الذي كان يرغب في اجراء هجوم نحو الجنوب اذ كانت صحته تساعد على استلام مهام قيادة زمرة الجيوش التي تشكل آتئذ في تونس ولو مؤقتاً . وما كان في الامكان اجراء غير ذلك لان صحة رومل ساءت جداً ومع ذلك فلم يمنح سوى ثلاثة اشهر للاستراحة فقط وكان يتوجب ان يقضي نقاهة مدة شهرين . وصدر الامر القاضي بتشكيل زمرة الجيوش في ٢٣ نيسان والتي عين لها المارشال رومل قائداً عاماً .

وطالما كانت عوامل الاختلاف مع القيادة الإيطالية العامة قائمة كما في السابق والتي طالما اظهرت استيائها بسبب اخلاء المواضع الامامية من الحدود الليبية بدون موجب كما تدعي قائلة بانه لم يكن اي جندي ايطالي يقر اجراء هذه التدابير في هذه المنطقة حتى ولا في خطوط ماريتا الدفاعية كما تدخلت مرة مع الجيش الخامس الذي كان يحضر هجوماً على منطقة مجاز الباب . وكانت زمرة جيوش الجنرال فون ارنيم التي تشكلت حديثاً تستعد للقيام بهجوم على منطقة مجاز الباب وقبل موعد الهجوم

بيومين تلقى الجنرال المذكور أمراً بوجوب الهجوم ليس على مجاز الباب ولكن على منطقة بيجا الواقعة بعيداً الى الغرب دون ان يشمر المارشال رومل القائد العام لزمرة الجيوش المحورية بالامر الا في الخامس والعشرين الجاري مع العلم انه كان القائد العام لهذه الجبهة . وكانت القوات الموجودة آنشد غير كافية للقيام بمثل هذه العملية الواسعة المدى كما ان القوات السريعة لم تتمكن من الاشتراك في الهجوم . وبالإضافة الى هذه الاوامر العرضية اوعزت روما ايضاً باجراء هجوم عام في مطلع شهر آذار ضد الجيش الثامن البريطاني .

وقد اخفق هجوم بيجا الذي اجرى بقوات ضعيفة وتوقف بعد ان دمرت جمهرة دبابات المانية هامة وعطل عدد من الدبابات النمر ( تايبكر ) عن القتال . وبسبب خطأ القيادة الايطالية العليا اصبحت زمرة الجيوش المحورية باخفاق جديد كانت في غنى عنه في الوقت الحاضر . وبالفعل كان يمكن تحاشي هذه الكوارث لو ان روما سمعت للتوفيق بينها وبين القيادة الالمانية حول تجارب الخطط المختلفة الموضوعة . ولم ينجح رومل فيما بعد من الملامة لعدم تحقيق ذلك التوفيق في الخطط المشتركة . وهل نجح رومل يوماً في توفيق القيادة الايطالية مع مستلزمات القتال المشتركة في افريقيا ؟ وهل كان يستطيع ان يفرض ارادته على القادة الايطاليين الا بالقسر والجور ؟ وهل استطاع ان يحصل منهم على ما يمينه في العمليات الحربية والتموين .

وفي مطلع شهر آذار كانت وضعية زمرة الجيوش كانت كما يلي :  
بلغت القوة المحشودة على الجبهة التونسية البالغ طولها ٤٥٠ كيلومتراً ٣٤ فوجاً ألمانيا و ١٤ فوجاً ايطالياً ( باعتبار الفوج مؤلفاً من ١٠٠٠ بندقية . وكان نصيب الفوج الواحد على الجبهة ١٠ كيلومترات . وكانت مجموعة البطاريات العاملة ٤٩ بطارية منها ٣٣ بطارية خفيفة .

ولحماية الساحل الذي يبلغ طوله ٤٠٠ كيلو متر لم تخصص زمرة  
الجيش سوى فوجين المانيين وفوجين ايطاليين وفوج عربي مع ١٥ بطارية  
ثابته اخذت من الدفاعات الافرنسية القديمة .  
وبلغت قوات العدو المقابلة المقادير التالية :  
الجيش البريطاني الاول ويشمل على :

- فرقة مشاة ( )
- فرقة مدرعة ( ) ومجموعها ٥٠,٠٠٠ جندي
- لواء خاصان ( )

وتؤلف ٢٨ فوجاً و ٢٤٠ مدفعاً و ٤٠٠ مدفع ضد المدرعات و ١٦٦ دبابة  
ب — الجيش الاميركي : وقوامه ٢١ فوجاً و ٢٠٠ مدفعاً ضد المدرعات  
وتبلغ قواته ٤٠,٠٠٠ جندي و ٢٠٠ دبابة .

ح — الفرقة الفرنسية الثالثة البالغ مجموعها ٤٠,٠٠٠ جندي وكانت كل  
هذه القوات مرابطة على جبهة الجيش الخامس وامام خط دفاع ماريتا .  
وكان الجيش الثامن يبلغ ٨٠,٠٠٠ جندي يؤلف ٣٩ فوجاً و ٤٠٠ مدفعاً  
طادياً و ٥٥٠ مدفعاً ضد الدبابات و ٩٠٠ دبابة . اي تعداد تسع فرق كاملة .  
وكانت زمرة جيوش المحور تملك ٨٠,٠٠٠ جندياً المانياً و ٤٠,٠٠٠  
جندياً ايطالياً في الخط الاول . وكانت المصالح الخلفيه بما فيها الطيران  
والبحرية تعد ٢٣٠,٠٠٠ رجلاً منهم ١٥٠,٠٠٠ ايطالي .

ووفقاً لهذه النسبة في القوات المقابلة فان الموضع الدفاعية الالمانية  
الايطالية لا يمكن ان تكون في قوامها سوى مخافر دون اعماق ودون  
مساندة كاملة مجدية بالرغم من انها كانت محمية على قسم كبير من مساحتها  
بسبب وعورة طبيعة الارض غير الصالحة لاستعمال الدبابات في كثير من  
الاماكن . ولكن هذه الجهة كانت معرضة في كل آونة لعمليات الاختراق  
من قبل قوات المشاة واخذها من الخلف بواسطة التسليل والانسياب .



وكان من المتوقع في نظر قوات المحور ان العدو سيهاجم تباعاً حالما يشعر باستعداده للمقاتل في كافة القطاعات وانه سيوفق في اجراء الاختراقات المزعومة بسهولة في هذا الخط المجرد عن الاعمق التعبوية . والمعلوم ان قيادة زمرة الجيوش المحورية كانت تملك بالفعل قوات احتياطية مهيئة ضد الاعراض المتوقعة ولكنها غير قادرة على سوق احتياطها من قطاع الى آخر اجابة لكافة الاحتمالات الهجومية التي يمكن ان يقوم بها العدو ، فانه يتوجب مالا يقل عن أربعة او خمسة ايام لامكان نقل قوات هامة من اقليم جيش الى اقليم آخر بالاضافة الى ما تطلبه هذه الحركة من الوقود الكثيرة .

والدور الوحيد الذي كان بوسع زمرة الجيوش ان تقوم به هو محاولة زرع الاضطراب في صفوف العدو بمهاجمات وغازات عنيفة محتملة الحدوث واعاقة تحضيراته الهجومية وتأخير انطلاقها اطول مدة ممكنة . ولكن هذا الهجوم المنتظر محتمل الحدوث بين يوم وآخر حيث يواجه الجيش الاول آتئذ احتمال انفراده وانعزاله في الجنوب . وللاحتياط ضد هذا التهديد كانت زمرة الجيوش المحورية تسعى لتقصير خطوط الجهة حتى ولو اضطرت لاخلاء بعض المطارات التونسية . وكانت تعتمد المقاومة اطول مدة ممكنة حتى في حالة انهيار خطوطها ازاء الهجمات الاولى القوية .

ألم يكن من الممكن استنتاج الحوادث ؟ وهل وجب ان تتردد الفاجعة ؟ فاجعة الجيش المتروك دون عداد ودون وسائل كافية ؟ ولماذا الانسياق في مثل هذه المغامرة اذ ان ادراكا بسيطاً للوضعية الراهنة ليبرهن على ان التدابير المتخذة كانت خاسرة وان الاندحار لا يمكن ان يؤجل بفعل خسائر وتضحيات جديدة ، وان الاندحار امر غير قابل التحاشي والتلافي ، وما تزال برلين على عقيدتها الخاطئة بان معنوية الجيش الالماني المتفوقة لا تغلب ولا تقهر . وكان يقنيتها بان النصر والظفر لينبتق عن

الازمات العنيفة التي طالما عرف قادة الالمان الاستفادة منها لتحقيق الغلبات الكبرى . أجل لقد كانوا يقولون في المانيا ( بان العجلات تعمل لاجل النصر ) وكنت تقرأ هذه العبارات على مدخل المصانع والمعامل في كل بقعة من المانيا .

وفي شهر آذار لم يحدث أي تجديد في حالة التموين وقد مضت خمسة اشهر على الوعود التي اعطاها هتلر في شهر تشرين اول . وكانت المؤن والذخائر التي تصل لا تكفي الحاجة الجارية ولم تكن هناك مسألة ايجاد مستودعات احتياطية قط . وكانت الوحدات ذاتها بعيدة عن استكمال عدادها الاستبدالية والاسلحة اللازمة التي كانت تنتظرها .

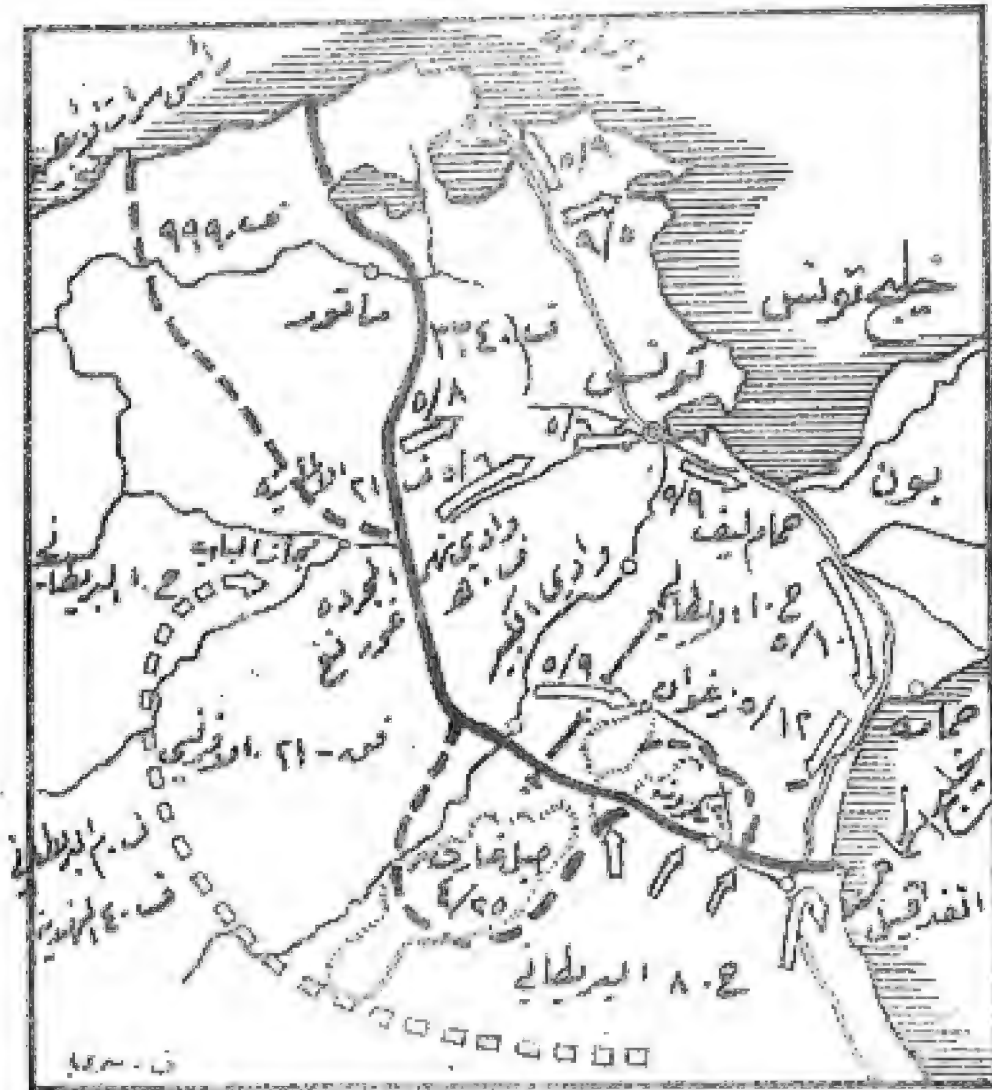
وبما انه كانت من المستحيل توقع حدوث عمليات حربية تنهى باخراج الجيش الثامن البريطاني من حلبة القتال او القوات البريطانية - الاميركية العاملة على جبهة تونس الغربية واستبعاد امكان دحرها وتدميرها فقد طلبت قيادة زمرة جيوش المحور الى مقر الفوهرر العام والى القيادة الايطالية العليا رأيها وغايتها ونيتها ورغبتها الواضحة والطريقة التي ترغب بها مواجهة سير العمليات الحربية في تونس . وعرض الجنرال فون ارنيم للقيادة العامة لميدان العمليات الحربية وضعية زمرة جيوشه بدون أي تمويه او تحوير او تزويق وبما قاله : « ان منطقة تونس قلعة محصنة وموضع مركزي وتعبوي عظيم ولكنه خال من الاحتياط والذخائر والمؤن تتحكم في مصيرها مسألتان حاسمتان وهما :

— هل القوات المتحركة كافية لتدمير احدى زمرتي العدو الشرقية او الغربية ووضعها عملياً خارج امكانية القتال ؟ .

— هل يمكن لتونس ان تجهز وتمون بصورة كافية لتشكيل احتياط ضروري مستلزم ككل قلعه محصنة او وضع مركزي مشابه ؟ . ولكن لا جواب على هذه الاسئلة الحرجة سوى الجود الاصم على الحالة الراهنة

والسكوت الآخرس .

وكانت الحالة في روما كما في برلين ينعمرها النفاؤل القائم على اساس واه عديم الاشمية . ألم يصرح هتلر اثناء أزمة العلمين بقوله :  
« اني اصدق موسوليني اكثر مما اصدق قادتي الاسكويين » .



## القتال النهائي حول تونس

لقد طلب اليه رومن ان يأتي لزيارة افريقيا وأن يتحقق بذاته الوضعية الراهنة . ولكن منذ عام ١٩٤١ انقطع هتلر عن زيارة الجبهات الحربية ولربما افكر بأن الموفقيات المحدودة التي اكتسبها الالمان في معركة تيبسا

دفعته الى الاعتقاد بأن زمرة الجيوش كانت أقوى مما قدرت اليه واكثر قوة مما كان يظهر وكان يكفي ان يجيب بشرف على السؤالين اللذين عرضها الجنرال فون ارنيم ليمزق بجوابه آخر الحجب والاشياء التي تحتوى وراءها كلمة مقطوعة ( لا ) وكفى وهي الكلمة المحبوبة الى هتلر عندما يخرج عن مجال وعيه وقناعاته الذاتية .

ووضعت اهمية السلاح الجوي الالماني الرئيسية تحت المجهر بصورة لا تقبل المعارضة والرد ايضاً . وكان عليها ان تؤمن سلامة النقل البحري ولكنها لا تستطيع تحقيق هذه الغاية وقد تدنت قدرتها الى حد لم تعد تغيب حق عن بصر وبصيرة اصغر الجنود المهاريين . وبالرغم من خوضها اخيراً الممارك الطاحنة ببطولة وبسالة لم تكن لتستطيع ان تبدل او تغير شيئاً في الوضعية القائمة . وبالرغم من التضحيات التي كان الطيارون يهرعون اليها باختيار ورضاء كانوا يجدون انفسهم في تدن يائس امام عدو متفوق الى درجة قصوى . وكانت مقاتلاته وقاصفات مدمرة لان تتدخل في كل آونة وبأية عداد مطلوبة وتقلع من قواعدها ومطاراتها المدينة الواسعة السكاملة التنظيم والتجهيز . وكان من أعظم الاخطاء التي قام بها المحور احتلال جزيرة كريت الذي ظل دون نتيجة وتدمير جزيرة مالطا بفعل القصف دون احتلالها واستغلال اهمية موقعها السوقي وهي اخطاء غير قابلة للتلافي . وحقاً فجزيرة مالطا المهشمة المخطمة الجريحة ضمدت جروحها ونهضت من جديد واستعادت قوتها ومركزها السوقي للعمل على مؤازرة عمليات الحلفاء . ولا نقالي اذا قلنا بأن المواقف المديدة التي احرزتها قوات المحور في ميادين عمليات البحر الابيض المتوسط لم تستغل القيادة العليا نتائجها الا ما ندر . وبالرغم من الانذارات المتوالية والنداءات المتعاقبة في كل ساعة وفي كل يوم من اجل النجدة والعون يرسلها عبر الاثير قائد مغوار يعرف ما يقوله وما يعمله فقد ظلت هذه القيادة العليا

طرشاه امام التوسلات اليائسة وتركت هذا القائد بدون وسائل ومعونة وفي اذار ١٩٤٣ فكر رومل في التحفلة الاخيرة وليس في امكانه ان يعمل غير ذلك مقترحاً انقاذ ما تبقى لديه من القوات من الهلاك والالسر بغية الاستفادة منها ومن خبرتها الحربية في ميادين اخرى ولكن رفض اقتراحه ولم يؤخذ به . ولو توفق في ذلك ، ورضيت القيادة عن مقترحاته لوجدت



تمت تصرفها قوات كافية في جبهة ايطاليا تعتمد عليها في المستقبل وكل ما ارادته القيادة العليا لم يخرج عن فكرة العمل على تأخير وقوع الكارثة وازعاج الجيش الثامن البريطاني وبالتالي مضاعفة الخسائر

والتضحيات السابقة . ان فكرة غارة تبيسا المظفرة لم تستطع ان تعطي النتائج المتوقعة التي كان يتوخاها رومل لتدخل القيادة العامة بغياوة في سياق ومجال العمليات الحربية . وكان رومل يسمى بحركاته الى زرع الاضطراب والفوضى في صفوف قوات مونتغمري كلها وكان يهدف الى احتلال مدينتين اولاً ثم الاندفاع الى بن غردانه الواقعة على الحدود الطرابلسية حيث يلتقي بمجموعة الجيش الثامن البريطاني المؤلفة من :

— الفرقة الرابعة والاربعين من الفيلق الثاني عشر .

— الفرقتين المدرعتين .

— اللواء المدرع من الفيلق العاشر .

وكان يرمي رومل الى التدبر والعمل بمجموعة مدرعاته ودباباته مستفيداً من وعورة الاراضي المجاورة وتردد العدو لاطلاق حركة كاشة تطوقه من الشمال والجنوب . وكانت لهذه الحركة خطورتها الهامة على نظام قتال العدو وسياقه .

وفي هذه الاثناء تسلم الجنرال الابطالي ميسه من رومل قيادة الجيش الاول المدرع . وكان رجل عمل وقاتل يمتاز كثيراً عن اقرانه القادة الابطاليين ويفوقهم علماً وثقافة عسكرية . واكتسب خبرة متميزة في الجبهة الروسية . وبالرغم من ذلك فما زال يعتنق الافكار الحربية العتيقة ويتأثر بتعاليم المدارس العسكرية القديمة . ولم يكن متعقلاً ومتفرساً بافضلية واهم المسائل التعبوية . ولم يتمرن على حل المسائل المفروضة بحكم نقص العدد والاعتياض عنها بالتدبير التعبوي . ومع ذلك فقد كان يُعتبر بين القادة الابطاليين الذين يمكن ان يعتمد عليهم ويركز اليهم . وقد تحقق بذاته اسباب الكوارث الناتجة عن مساوئ تشكيلات القيادة الابطالية الملحقة بالجيش الابطالي . ولذا حاول التأثير مباشرة على معنوية الجيش بالاتصال المباشر دوماً مع جنوده في الجبهة . كما يفعل

الضابط الالماني في وحداتهم . وهذا التأثير النفسي على الجند كان موضع اهتمام الجنرال الايطالي الكلي . وكيف لا وهو ربيب الجيش ؟ واحد القادة الايطاليين النادرين الذين تخرجوا من مدرسة نقباء الجيش ووصلوا الى درجات القادة . وكان واسع الطموح في شيء من الخيلاء والزهو . وكانت افضل خصائله العسكرية تتمتع بروح العمل والتدبير والنشاط الفعال المستمر .

وكان الجنرال ميسه يعتبر ان خطة الماريشال رومل غير قابلة للتنفيذ ويبدله الرأي بان الهجوم على الشمال عملية كثيرة الصعوبة وغير واضحة النتائج مستنداً في ادعائه الى اسباب لها بعض الشأن والتقدير لأن المنطقة المذكورة كانت ملغومة بعناية قصوى من قبل افواج الهندسة التابعة للجنرال بلوفوس . وكان من الصعب في نظره رفع هذه الالغام وعزلها ووجوب اصعاقها ونسفها مما يستلقت نظر العدو ويشير انتباهه الى هذه الناحية . وكان القادة الاخرين يشاركون الجنرال ميسه ارائه وقد ابدوا اعترافهم على الخطة المشار اليها وبينوا بالفعل عدم امكانية اجتياز حقول الالغام او فتقج ثغرات في ارجائها المرور وخاصة في مثل هذه الليالي غير القمرية التي عينت لاجراء العملية الحربية المقررة من قبل رومل . وبالرغم من اعتقاد رومل خلاف ذلك ونزولا على المعارضة البادية لاساس الهجوم على المنطقة الساحلية اظهر اقتناعه بان الهجوم على الشمال لم يكن من الحكمة تحت الشروط الراهنة . وطلب الى الجيش ان يتقدم بمقترحات جديدة عمل رومل على اساسها لتنفيذ قراره . والمرة الاولى في حركات الصحراء تلقى الانكليز الصدمة المباشرة على جبهتهم والتي ما كانوا ينتظرون حدوثها مطلقاً .

وفي السادس اذار تقدمت فرق الفيلق الالماني الافريقي والفرقة التسعون الخفيفة على السهل الساحلي تحت قيادته الجنرال كرامر G. Gramer

غير مجدية ويضطر العدو لمهاجمة الموضع الحصنة في الجبل دون الاعتماد على اسناد كاف من المدفعية وايضاً مجابهة قوات مرابطة مستورة وان كل حظ العدو في النجاح المؤمل يتوقف على وصول مدافعه الاسنادية التي لايمتثل ظهورها في الميدان قبل مضي عدة اسابيع لامكان سوقها ونقل ذخيرتها الى الموضع الجديدة . ويكون هذا الوقت ربما ومتسماً للقيادة الالمانية لترتيب وتنظيم عملياتها الحربية القادمة .

ما كان رومل ليأمل قط بعد الآن في امكان تبديل الوضعية في افريقيا ، ولكن كل ما كان يرجوه هو ان يصار الى اخلاء كافة القوات التي لا تشكل قيمة حربية ايجابية او التي لا تملك سلاحاً والتي ليست في ذاتها سوى حمل ثقيل على القيادة العامة وباعتبار الوضعية الزاهنة التي لاجمال لتبديل مجراها المهتم ، كان المارشال رومل يعتبر ايضاً بأن الموقعية الوحيدة والممكنة هي المحافظة على رأس الجسر اطول مدة محتملة والعمل على انقاص الحاميات تباعاً الى ادنى حد ممكن بصورة يمكن معها اخلاء مجموعة القوى للاستفادة منها في المعارك القادمة التي ستنتقل حتماً في ارجاء القارة الاوربية مبتدئة من الجبهة الابطالية الجنوبية .

ولكن المقرر العام كان بعيداً عن التفكير بمثل هذه الامور لان فكرة النصر النهائي المستحوذ على رجاله كانت تمنعه من رؤية الاشياء كما هي في الواقع . وفي شهر اذار ١٩٤٣ لم يكونوا يعتقدون قط بظهور مثل هذا الاحتمال واعني امكانيات المحافظة على افريقيا فحسب بل تعدى هذا الاعتقاد الى كسب الظفر العتيد في مهلة قصيرة جداً والعودة الى الهجوم . وكان المقرر عودة رومل الى الجبهة في الحين ولكنه تلقى أمراً بالاستراحة والاستجمام وبما يستعيد صحته المتأخرة . وكان تعباً للغاية وفي حاجة الراحة الطويلة . وكان اثناء انسحابه الاخير من سيراكيا يضرب بنوبات غثيان حادة لم يعالج منها منذ ذلك الحين ، واعلمه الاستاذ





الجنرال فون ايزينيك يدرس سير الممركة على الخارطة ويدون ملاحظاته

هورستير الذي كان يعتني بمعالجته بوجوب انصرافه حتما الى الراحة الطويلة بدون توان وان هذه الراحة اصبحت ضرورية الى حد بعيد والا يخشى على حياته حقاً . وهكذا تبين ان دعوة هتلر لرومل من افريقيا لم ترم الى اقضاء اسمه الداوي من الاشتراك في الاندحار او منع كسوف اوراق الغار الالامعة على رأسه بل ليحتفظ به تحت تصرفه وإمرته لاستعماله في ساحات المستقبل التي كان يأمل من ورائها النصر الاخير . وقال له اتنى لك العافية العاجلة وبعد النقاهة ارجو ان اراك قويا صحيحا . واتي اعدك انك ستقود العمليات الحربية الكبرى القادمة على كازابلانكا .

والحقيقة انه بالرغم من الوضعيه الراهنة في افريقيا وبالرغم من التطورات المؤسفة التي وصلت اليها هذه الوضعيه الحربية وبالرغم من اراء القادة الذين كانوا يواجهون ويواجهون الحقائق، ظلت الاحلام الغريبة تداعب رجال مقر الفوهرر العام . ويظهر ان اخبار التوفيقات الاخيرة التي وردت عن مواقع قفصة وسبيتله وجنوب تيبسا بعثت في نفس هتلر بالذات تفاعلا جديداً بعيد التصور . وكان الجانبان الالمانى والايطالى يسترسلان في تزويق وتنميق المعلومات الواصلة من افريقيا واحاطتها بكثير من الدعايات الواسعة، وما اسهل تزويج الاخبار المسرة ، وما اصعب تهيئة الحقائق امام الانظار التي لا تريد ان ينكشف لها الواقع وكان يقول هؤلاء الرجال ازاء تصريحات رومل المكفهرة الصادرة عن اعماق الحقائق :

« ان الرجل المريض يظل دوماً متشائماً وكانو يقصدون بالرجل المريض رومل بالذات » . ولم يطل الوقت حتى بدأ مقر الفوهرر العام يتلقى تقارير منلوطة كاذبة فيما يتعلق بالتموين ووسائل النقل الخاصة بافريقيا وكان يتلقى التأكيدات الجازمة بان زوارق زيبيل السريعة تستعمل بكثافة وعداد وفيرة والتي مع الاسف مازال قيد الصنع في المصانع . والحقيقة التي لا ترد ان الجيش الخامس كان يملك ٣٤ دبابة والجيش الاول ٨٩ دبابة

المائة و ٢٤ دبابة ايطالية فقط . هذه هي الحقيقة التي تشهد لها الارقام الممدودة . وكانت الفرق الالمانية في حاجة وحدها الى ٤٠٠ دبابة . والحقيقة ايضا ان الرجال في برلين وروما ما كانوا يرون العالم الخارجي الا من بين السحب والغيوم الوردية اللون . فالامال التي كانوا يبثونها في رؤوسهم والاحلام التي كانت تتموج في مخيلتهم المطلقة الزمام كانت وحدها في انظارهم الحقائق الثابتة ومن فوقها تخلق شرعة كلادزوتير القائلة :

افضل الدفاع الهجوم . وطالما كان هؤلاء الرجال عاجزين عن التخلي عن احلامهم الاليفة . اذا فالدبابة والمدرعة والسفينة والجيش لم تكن معدودة الا على الاوراق وكانوا يعيشون في مجال معين ويمتازون الاجواء ويعبرون البحر المتوسط ويخوضون القتال وينظمون الخطط ويمطون الاوامر والقرارات المستندة الى التقرير والخديعة . اما الحقيقة فهي غير ذلك .

ولاحظ الماريشال كيسرلنغ منذ عهد طويل هذه الالساب الحقيرة ولكنه ظل مخدوعا ايضا بالوعود التي اعطيت عن امكان تعزيز وسائل النقل البحري والجوي واستئناف القتال بشروط مواتية . ولكن هذه الامل اخفقت معه للمرة الاخيرة ايضا كما ضاعت مع رومل فيما سبق . واجابة لتقرير رومل المرفوع الى الفوهرر اوعز هذا الى كيسرلنغ بوجوب مضاعفة التموين اضعافا . وقد سألته قيادة زمرة الجيوش اذا كان في استطاعته تنفيذ هذه الاوامر والتعليمات الصادرة ؛ لم يتمكن من اعطاء وعد جازم . وهكذا تبخر امر هتلر في الهواء كما كانت تبخر اوامره وقراراته السابقة . وكان قرار رومل يتناول الوضعية بطريقة غير الطريقة التي كانت اعتمدها الماريشال كيسرلنغ في نهاية السنة السابقة والذي بعد التأكيدات القاطعة التي تلقاها من السلطات العليا المتنفذة ظن بان تقصير الخطوط الدفاعية الحادثة من جراء الانسحاب عن خط ماريثا يساعده على اعادة النظر في تنظيم وحداته وان النجدة كانت

بانتظار الجيش في تونس . بينما لم يقرر رومل اي توقف نهائي عند هذا الخط وان القيادة الإيطالية العليا هي التي فرضت عليه هذا التوقف بالرغم من أن جهة قابس تمتاز بأوضاعها الدفاعية عن اوضاع خط ماريتا .  
رفض هتلر سحب الجبهة على ييزرت في الشمال وعلى انفيديفيل في الجنوب وأوعز بوجوب المقاومة على الخط الواصل بين رأس السراط والشطوط الجنوبية . وفي الثالث عشر من آذار صرح كيسرلنغ بأن موسوليني ابدى رأيه الخاص بالوضعية بالاتفاق مع هتلر على ان تمنع المواضع المشغولة حتى النهاية وابدى الاسباب التالية :

١ - إن قوات معادية هامة مثبتة في افريقيا ولا يمكن ان تستعمل في عمليات حربية اخرى .

٢ - ان مضيق صقلية قائم تحت المراقبة الدائمة وطالما يضطر سفن العدو للانتظار طويلا وفي حالة تعرضها لمهاجمات غواصات المحور التي تشكل خطراً عليها ونجاحاً مضموناً لقوات المحور .

٣ - ان منطقة تونس تشكل قاعدة استناد هامة للهجوم ضد اوربا الجنوبية ولذا يتوجب منع العدو من الاستيلاء عليها مهما كلف الثمن ، وأضاف الى تعليقه قائلاً ان كل يوم يربح له اهميته الفائقة وقد يستدرج حوادث غير منتظرة او يحدث انقلابا اساسيا في الوضعية القائمة . واعلن موسوليني بأنه مستعد لخوض العمليات الحربية القادمة حتى آخر سفينة تجارية وانه بالاتفاق مع هتلر قرر استعمال زمرة الجيوش في تونس حتى آخر جندي .

وكتب الجنرال فون ارنيم بعد عدة ايام من تسلمه القيادة على هامش المذكرة ما يلي : ان الذخيرة لازمة للقتال ، وان المهمة الملقاة على عاتقي ليست مسرة على الاطلاق ولم يجر حق الآن ما يؤكد تسهيل هذه المهمة . وفي الخامس عشر من آذار اعلم الجنرال الإيطالي روسي « G. Rossi »

انه لا يملك سوى ثلاثين سفينة فقط لتأمين التموين وان كل واحدة باستطاعتها ان تنقل ٣٠٠٠ طن في الشهر الواحد . وبما ان نسبة الخسارة المتوقعة هي ٢٥ ٪ اذن فان كمية التموين يمكن ان تصل الى ٧٠٠٠٠٠ طن في الشهر وهذا المقدار يكفي لتغطية حاجات الجيش في حالات الركود . كما أعلن أيضاً بأنه من المستحيل ايصال هذه الكمية الى ١٥٠٠٠٠٠ طن كما طلب وأمر هنر . تحقق عندها الجنرال فون ارنيم بصورة واضحة من قدرة وسائل التموين الراهنة، وكان جواباً صريحاً للسؤال الذي طلب الاجابه عليه كي يتدبر الامر ويتصرف حسب واقع الحال . ورأى ايضاً انه مضطر للعمل بهمة ولكن كيسرلنغ كان يحول دون اتصاله مباشرة مع القيادة الالمانية العليا . وكان يتدخل بالفعل في سياق العمليات التعبوية . وكان هذا التدخل في غير محله الاعتباري اذ انه :

« ليس في القيادة مجال لأمرين اثنين . فقائد زمرة الجيوش وحده هو الذي يتحمل مسؤولية تنفيذ التوجيهات المعطاة من قبل القيادة العليا وان القائد العام لميدان العمليات يجب ان لا يتدخل في المسائل التعبوية والتعبوية البحتة ) بهذا القول رد ارنيم على تصرفات المارشال كيسرلنغ . والحقيقة فان مهمة المارشال كيسرلنغ تنحصر في تمثيل هنر لدى موسوليني والقيادة العامة الابطالية كما يوفق في التجاوب بين تعليمات برلين وروما المعطاة الى زمرة الجيوش . ويمكن اعتباره من هذه الناحية فقط رئيساً لفون ارنيم . وكان بالإضافة مكلفاً ومسؤولاً عن تنظيم وتنفيذ عمليات التموين وقيادة عمليات السلاح الجري الالمانى والبحري .

وفي غداة زيارة الجنرال روسي توجه كبير امراء البحر الاميرال دونيتز « Doenitz » الى روما بذاته محاولاً بسلطته الكبرى زيادة مقادير التموين . وفي ذات اليوم السادس عشر من آذار وصل المارشال كيسرلنغ الى مقر فون ارنيم العام . وانتقد اوقف الاركان العامة لزمرة الجيوش

من الوجهة المعنوية وكان على حق كبير في هذا النقد الصريح . وأفاض قائلاً انه لمن الخطأ النفسي اعطاء الاوامر الدائمة للدفاع عن موضع ما وبالتالي اخلائة لأول صدمة او غارة يقوم بها العدو . ان هذا التصرف يحملنا على الاعتقاد بأن خط الجبهة ان يتركز عند قابس على خط الشطوط لأن الجيوش تنهت الى دوافع وعوامل هذه العمليات وجعلها تفكر مسبقاً بأن هذه الخطوط سيجري اخلاؤها ايضاً .

وكان هذا القول على جانب كبير من الحقيقة . بيد أن هذا الخطأ لم يصدر عن زمرة الجيوش ولا عن قيادة الجيش المدرع ولكنه كان يصدر عن سلطات أعلى بكثير وبمعنى اوضح عن برلين . وأخيراً وافق المارشال كيسرلنغ على الاوامر التي اصدرها هنلك بتاريخ ١٣ آذار التي تقرر الدفاع عن خط ماريتا حتى النهاية . واذا ما بدت من قبل العدو محاولة تطويق يقتضي ردها بعمليات هجومية . بيد ان هذه الاوامر لم تكن لتسر زمرة الجيوش التي استقبلتها بتحفظ لانها لا تملك الوسائل التي تمكنها من تطبيقها وتنفيذها . وما كانت تملك آنذاك سوى وحدة نارية ونصف الوحدة للاستعمال ونصف وحدة احتياطية .

بيد ان الجنرال فون ارنيم طلب ايضاً حلاً لهذا الامر قائلاً « انني أطلب أمراً خطياً كي استطيع ترتيب المهمة الملقاة على عاتقي الآن . ان الامر الذي تلقينته في كانون الاول والقاضي بالاندفاع باتجاه كازابلانكا كانت اشبه بفقايع الصابون المتطايرة التي ترسلها فولفشانزه « Wolfeschanze » والتي رجالها يعيشون بعيداً عن العالم الحقيقي الامر الذي جعل الحوادث تخنق هذا القرار ولما يلد بعد .

بيد ان المارشال كيسرلنغ اجاب قائلاً ان رأيه في المهمة الحالية ظاهر صريح . فالجيش الخامس يجب ان يدافع في مكانه وأن يقوم بالاندفاعات هجومية مستمرة بصورة تمكنه من ازواج تحصيرات العدو واضافه معاً



الجنرال فون بريثويتز مع أحد ضباط أركانه

بقدر الامكان . أما الجيش الاول فيتوجب عليه المقاومة في خط ماريتا حتى آخر جندي . وهكذا نرى بأن كيسرلنغ كان يعطى امراً شكلياً فقط لان زمرة الجيوش ما كان في مقدورها ارسال حتى ولا فرقة مدرعة واحدة من الشمال على خط ماريتا بسبب نقص الوقود فأية وسائل يضعونها تحت تصرفي ؟ سأل الجنرال فون ارنيم الذي كان يعرف الجواب المنتظر من كيسرلنغ وقد تجنب الاجابة بالفعل سائلاً اياه عن السبب الذي حدا باعادة هذه الفرقة من الشمال .

— لان الامير كان يقومون هنا اجاب الجنرال ارنيم . وكيف يتخيل الجنرال يودل « G. Yodel » اننا نحارب ضدهم فالجيش الخامس في الشمال يواجهه الجيش الاول البريطاني ، وفي الجنوب يقابل الجيش المدرع الاول الجيش الثامن البريطاني ، ويوجد اذن بين الجيشين الجيش الاميركي الذي ليس لدينا أية قوة نضعها في وجهه .

— انني لم اتكلم مطلقاً مع يودل أجاب كيسرلنغ . ورأيي الخامس بأن الامر لا يعني القيادة العامة العليا للجيش ولا القيادة الايطالية ايضاً . — انني اقدر القوات الاميركية بثلاث فرق وليس في مقدوري أن اقابل هذا العدد بكتيبة معززة ثم اين تضاعف التموين الذي أوعز به الفوهرر ؟ .

— ان هذه المضاعفة غير ممكنة في نظري .

— وماذا تعتقد انني سألتقي في بحر الاسابيع القادمة ؟ .

— لا استطيع الاجابة على أسئلة دقيقة لانني من جهة لا استطيع أن أتعهد بصورة قطعية الامور ومن جهة اخرى فلانني هوجمت وتعرضت للامانة كوني لم اقم بالوعود التي قطعها سابقاً .

— هل تمتد بأن مقدار التموين الحالي سيظل كما هو أو انه معرض للنقص ايضاً ؟ انني اريد ان أعرف ذلك بالتدقيق كي أتمكن من سوق



القتال على خط ماريتا وايضا لا يستطيع ان احدد لرجالي كمية الذخائر التي يجب ان يعتمدوا عليها .

- انني لا استطيع ان اعطيك جوابا دقيقا في هذا الصدد .  
أجل انه لا يستطيع اعطاء الجواب المطلوب لانه سيكون جوابا سلبيا ،  
وكان كلاهما يعرف تماما الجواب . ان كيسرلنغ استطاع ان يملأ الدنيا  
بالحلم الذي يعيشون به في روما ولكن الجيش مجبر على ان يلعب بعد  
قليل لعبته العملية الاخيرة للفاجعة التي تتلقاها البطولة .

وكان الجنرال بايرلين « G. Beirlein » رئيس الاركان العام للفيلق  
الافريقي والجيش منذ زمن طويل ضابط ارتباط الجنرال ، يسه الايطالي ،  
قد هيا جميع القوات في منطقة الشطوط عندما تميز الجيش الثامن من  
جديد في مساء السادس عشر من آذار بنشاط فعال في الوقت الذي لم يتلق  
الجنرال فون أرنيش بعد أية نجذات يستطيع معها ان يضرب أو أن يرد  
الضربات المنتظرة .



# الفصل التاسع

## الرأية المهمة

### Die Unausweichliche Niederlage

منذ ايام عدة والسماء الرمادية تضغط على الارض بكلكها والهواء ينقخ عبر الاودية سائفاً في وجهه السحب الهائلة الممطرة . والمعهود ان شهر آذار في ليبيا هو شهر العواصف الرملية بينما هو في تونس بعيد الاختلاف والتباين . فالجبال الزمردية تحدد الافق والسهل يشبه في منظره رقعة من الارض الزاهرة او حديقة غناء فيحاء تطرزها الزهور المتنوعة الالوان وحدائق الزيتون والرمان . وبعيداً عن المواضع الدفاعية التونسية كانت أرتال عديدة تتقدم ببطء تشير الى اقتراب ميعاد الحوادث القادمة .

وفي ١٦ آذار في الساعة العشرين والدقيقة الثلاثين اطلق الانكليز هجومهم الواسع على القسم الشمالي من خط ماريتا « Marethe » وتساقطت آلاف القنابل على المواضع الدفاعية الالمانية . وبالرغم من الهجمات العنيفة والمساندة القوية فقد ردت كافة الهجمات المتوالية . وفي منتصف الليل تمكنت القوات الانكليزية المهاجمة من اختراق قطاع وحدات الشباب الفاشي الذين كانوا يقاثلون بهمة وشجاعة . ثم حدثت اختراقات اخرى في خط

المرتفعات ١١٩ و ١١٧ وحوالي الفجر انطلقت غارات معاكسة مهدت  
للألمان استعادة المرتفعات التي احتلها العدو بالسلاح الأبيض .  
ثم تحركت القوات الأميركية أثناء الليل واندفعت كالسيل الجارف  
على جهة قفصه . وكان ضغط قواتهم المدرعة شديداً جداً لدرجة اجبرت  
الألمان على اخلاء الواحة اليانعة . وكانت الفرقة الأميركية بقيادة الجنرال  
باتون « G. Patton » والتي كلفت بمهمة هامة جداً بالنسبة الى سياق  
ومجمل العمليات المقررة التي يوجهها الجنرال البريطاني الكسندر  
« G. Alexander » غايتها الوصول الى ساحل البحر عند مدينة صفاقس  
وقطع خط رجعة الجيش الألماني - الإيطالي من الجنوب ومنع تدخل  
القوات النازلة من الشمال والعمل على تدمير القوات التي تحتل خط  
ماريتا الذي يشكل الهدف الاساسي للجيش الثامن .

وفي العشرين من شهر آذار تمكنت الفرقة المدرعة البريطانية من احداث  
الاختراق بين جبهتين استطلاع . وتقدم الفيلق العاشر البريطاني تباعاً من  
منطقة فوم الطاحونة وشق طريقاً للوصول الى الموضع الذي اعتمد  
منه اطلاق الهجوم على الجانب الجنوبي الغربي لخط ماريتا . وفي الساعة  
الواحدة والعشرين والدقيقة الخامسة والاربعين انطلقت نيران تدمير مدفعية  
حامية على القطاع الشمالي فاقت بقوتها كل النيران التي شوهدت حتى اليوم  
وكانت القاصفات الانكليزية في نفس الوقت تهاجم المواضع الألمانية واخلافها .  
وفي منتصف الليل غمرت القوات الانكليزية المرتفعات المتقدمة ووصلت الى  
الخط الدفاعي الاساسي حيث اصطدمت بالمقاومة العنيفة التي ابدتها وحدات  
الرماة المدرعة وسقطت بعض المرتفعات اثر معارك شديدة وقد ردت باقي  
الهجمات على اعقابها مدحورة . وقد توفى الانكليز أثناء ذلك من احداث اختراق  
في جهة واحدة ايطالية ولكن المدرعات وقوات الاحتياط الشاغرة تحت قيادة  
الجنرال ميسه « G. Messe » انقضت على الاعداء القدماء وردتهم الى موضعهم السابقة .

ثم توالى القتال بعنف وشدة في الشمال واستطاع مونتغمري ان يحقق نجاحاً ما يريد انه لم يوفق في احداث الاختراق المطلوب . وبالعكس توقف هجوم الفيلق العاشر فوراً في القطاع الجنوبي ولم يتمكن من احتلال سوى دفاع واحد استرد منه في ٢٣ آذار . وظل الدفاع العتيد مستمراً في وجه الجيش الثامن من قبل محاربي افريقيا القدماء .

وبلغ عدد الانطلاقات المتوالية تسعة شتتها اجنحة القصف الانكليزية مستهدفة المواضع الالمانية . وكانت الطائرات تتقدم على صفوف ثماني عشرية كأنها سائرة الى استعراض في يوم عيد الاحزاب كما كان يصفها الجنود الالمان . وتأكد مونتغمري في نهاية اليوم مقتنعاً بعدم امكانية اختراق خط مارينا دون ابداء جهود جديدة . لقد فقدت كثيراً من المعدات واهرق غزير الدماء دون نتيجة حاسمة . فأوعز بوقف المهاجمات في القطاع الشمالي وجمع قواته والقاها في جنوب قوم الطاحونة على نسق قوس دائري على طول السفوح الغربية لمرتفعات ( الوير-خيا ) ضد الجانب الالمانى المتربص على جبل الدباغة .

وكانت الفرقة التسعون القديمة تتربص على الدفاع في هذه المنطقة حيث هوجمت واحيط جانب منها . وتمكن اللواء المدرع البريطاني من اجراء توغل عميق . وبالرغم من الممارك الليلية الشديدة لم تتمكن الفرقة المذكورة من توطيد الحالة وتم اختراق الجانب الايمن لخط ماريتا . ثم أوعز باستئناف الحركة باتجاه خط الشطوط ( المستنقعات ) الذي احتلته فرق المشاة . وانطلق هجوم عنيف آخر قامت به المدرعات الانكليزية على الفرقة التسعين فاجتاز مواضع المدفعية اثناء الليل ووصل اخيراً الى اطراف قرية الحمة الواقعة غربي قابس . وفي هذه المرة ايضاً تقدمت القوات النيوزيلاندية لتجرب حظها من جديد وتضيفه الى سمعتها السالفة شرفاً . وكانت الوحدات الآلية الالمانية - الايطالية واقعة تحت تهديد خطير جداً ، بينما القوات

الاميركية التي تمكنت من احتلال قفصه ومكناسا توقفت عند هذه النقطة ولم تتمكن بعد من مواصلة تقدمها الى الجهة . فاذا تمكنوا من الوصول الى البحر عند قابس يصبح مصير الجيش الاول في حكم المقرر نهائياً .

وكان يظهر ان مونتميري لم يتأكد ولم يستوثق من النجاح المارتقبي ، وان الفرقة الانكليزية التي قامت بعملية الاختراق كانت تحذر مغبة الالمان وتدبرهم ، وتصرفت كما كان يتصرف الانكليز في غالب الاحيان . وبدلاً من الاندفاع بشدة الى الامام لتحقيق كل ما ينتظر والقضاء دفعة واحدة على الخط المتزعزع القائم بين الخطين الالمانيين ظهرت في حالة تردد وعدم اطمئنان وتوقفت أخيراً . وبالإضافة الى الارتباب وضعف الثقة ، لوحظ ان الانكليز تنقصهم المرونة التعبوية التي حالت في السابق غير مرة دون استغلال النتائج الحاصلة الى اقصى حد ممكن لوضعية شاذة . واثناء التراجع شكل الجنرال فون ليندشتاين « G. Von Libenstein » جمهرة قتال مختارة مهمتها مجابهة العدو والمصدي لمنعه من التقدم . وتبعاً أطلقت الفرقتان المدرعتان الانكليزيتان هجوماً جانبياً . وشوهد بأن الفرقة النيوزيلاندية تحركت ولكنها اخطأت الهدف واضطرت للتقدم على محور منفرج مما ابعد الخطر عن القوات الالمانية . ولو ان القوات الانكليزية تصرفت بحجراً واقدام لتمكن من تقرير مصير الحملة الافريقية منذ شهر آذار ولوضعت حداً نهائياً لعمليات هذه الساحة الحربية .

تم احتلال الشطوط طبقاً للخطة المقررة دون تجديد اية تقاعيل من جانب العدو . وبينما نجح الالمان في درء الضربة القاتلة في القطاع الجنوبي ، دارت معارك لا تقل اهمية وتأثيراً عن هذه الاخيرة من جهة الغرب حيث احتل الجنرال باتون قرية سنيد في العشرين وقرية مكناسة في الثاني والعشرين آذار ولم يبق لديه سوى قوات محدودة لقطع الطريق الساحلية . وكانت

تقابل الفرقة الاميركية جبهة قتال رومل وحدها تحت امره المقدم ميدكوس Major Medicus ، الذي كان لديه مدفع واحد عيار ٨٨ مم وبعض المدافع ضد الدبابات وبعض اسلحة مشاة عادية . وكانت ترافق مدرعات وقوات بانون عشرة بطاريات من جملتها بطاريتين دفاع جوي . وكانت تدق المواضع الالمانية في الممر دقا عنيقا دام خمس ساعات متوالية . وعندما انطلق الهجوم الاميركي ارتطمت مدرعاته بالمواقع ووقعت في حقول الالغام وردت كافة هجمات المشاة على اعقابها . وقد توفى احد افراجها من اختراق نقطة من الموضع الدفاعي حيث بدت الوضعية خطيرة نوعا . وكانت الجبهة الالمانية ما تزال تحتفظ بفصيل من قوات الهندسة تعززه بعض فصائل سرايا المشاة التي اطلقت مباغنة هجوما معاكسا حقق المستحيل وطرد الفوج الاميركي من المواقع الجديدة التي احتلتها بالاسلح الابيض . وجرى اختراق اميركي آخر حيث احتدم القتال بالاسلح الابيض ايضا . وكانت معركة شديدة خاضتها قوات النقل الالمانية الشاغرة . وانتهت المعركة بتوطيد الوضعية لصالح الجانب الالمني . وتلت هذه الهجمات غارة اخرى على النقطة الخطرة من الجبهة التي تقرر فيها احراز القرار ، فأسرع احد الوكلاء وانكب على مدفع من عيار ٨٠ مم ضد الدبابات سبق ان قتلت سدنته بكاملها واجبر بنيرانه العدو على التراجع والانكفاء . وتدفى عداد الجبهة الى ٨٠ جنديا . وكانت على آخر رمق من المقاومة عندما وصلت النجيدات حول الظهر وكانت تملك عددا من المدافع من عيار ٨٨ مم المضادة للدبابات .

استمر احتدام القتال عدة ايام بمعدات واهية وقوات معدودة . وكانت موجات الغارات الاميركية تتوالى بدون انقطاع على المضيق . وتبعثرت قوات المشاة وحصدت القوات المدرعة والدبابات ، واخيرا حاول الجنرال باتون تحقيق توغل جديد في الجبهة . ولم يبق لدى الجبهة قوات كافية تستطيع

معها القيام بأي جهد إضافي لمنع تقدم العدو . وفي هذه الاثناء ظهرت في الميدان دبابت التيكور ( النمر ) وكانت نجدة الخلاص . وحوالي الظهر طرد العدو المتفوق من كافة المواضع وخسر كافة الميزات التي حصل عليها اثناء القتال بشمن باهظ . وكانت خسائره ثقيلة جداً لدرجة انه توقف عن القتال فوراً الامر الذي ما كان منتظرا قط . وظل المضيق في يد الالمان ولم تتوفى القوات الاميركية في قطع طريق رجعة القوات الالمانية - الايطالية التي استطاعت مع ضعفها التام من حيث المعدات والرجال إيقاف كافة غارات العدو . ودافعت دفاعاً مستبسلاً مجيداً ونجحت في ابعاد العدو مؤقتاً عن تحقيق مقاصده والوصول الى اهدافه .

وفي الثامن والعشرين من آذار كانت آخر فصائل الوحدات الآلية البالغة ٧٥ دبابة وراء خط قابس . وخيل بأن العدو سيواصل تقدمه ولن يتوقف عن استمراره في الهجوم . فأخذت فرق المشاة مواضعها تاركة للعناصر المتحركة عناية الدفاع عنها . وقام العدو ايضاً بمناورة تطويقية مع هجوم جبهى على منطقة الحمة . ففشلت المناورة وصعد الهجوم وكف العدو عن القتال . ثم انتقلت المقاومة على موضع قابس ، وقد حولت الامطار الاخيرة منطقة الشط ( البحيرات ) الى شهاب غير قابلة الاجتياز وشكلت في ذاتها تغطية جانبية ممتازة . وكانت الجبهة الالمانية معرضة لاحتمال حدوث اختراق في قطاع مكناسة أو بالاحرى في شمال قرية فندق والذي من شأنه ان يقرر وضع الجيش الالماني نهائياً . ولذا توجب اخلاء منطقة الشط والانسحاب الى منطقة مدينة انفيدافيل ( Enfidaville ) . ويلاحظ ان الالمان كانوا مجبرين تحت ضغط الحوادث على تنفيذ ما كان رومل يريد اجراؤه اختياريًا .

وفي التاسع والعشرين ارسل الجنرال ارنيو برقية الى الجنرال بودل

« Gr. Yodel » مألهبا ؛



المارشال رومل وأركانہ يراقبون موقعة طبرق



التعويض مضطرب . لم يبق من التنازلات ما يكفي ليوم او يومين  
فقط وخاتمة ذخيرة مدافع الليبان البقية . وتناقصت اللقود وتعثر  
من جرائها التيام بآية حركة هامة . لم تصل اية باخوة منذ عدة ايام  
للاطنة تكفي لثلاثة اسابيع .

ارسلت هذه البرقية بعد مرور خمسة عشر يوماً على صدور الامر  
بمضايقة كيات التعويض فوراً لجلبها ضيقين او ثلاثة اضيق على الاقل .  
وان مالا ينسب معرفته حتى على الطفل بلت الانسحاب الى موضع  
« اتيلافل » الذي لم يوزن بقتضيه وتحكيه للمرة الاولى من قبل روما  
الا في القد ، والذي به منذ زمن طويل تحت شروط سيئة جداً .  
ولسوا من التي عرفت في منتصف الشهر . وفي هذه الاثناء قد الجيش  
الاول اتى حراً فوجاً ايطاليا وخمس اقولج لاية و ١٧ بطارية ايطالية  
و ٨ بطاريات للاية . هذه هي النتيجة الحقة للوامر الاساسية التي  
شجب كيرلج لخطاها من قبل دون ان يتبا بطل هذه النتائج المؤلمة .  
وقد أعلن الجنرال فيستال G. Westphal الذي ارسله القدر العلم  
لؤمرة الجيوش من قبل قائد علم الساحة فالا بهذه المناسبة : « لان لعداء  
روما يشير الى ان القيادة هنا موجهة انظارها دوما الى الورا » .  
انه صحيح جداً اجاب الجنرال فرن ارني ( انني انظر الى الورا دوما  
عني اشاهد باخرة او سفينة ولكن مع الاسف الكبير لا ارى منها  
شيئاً . انه ليس في مقدوري البتة ولا في مقدور اي قائد منها عظم  
شانه حشو مدافعه ببارود التفاؤل فقط .. فاذا لم اوفق في الحصول على  
شيء جديد في هذه الجهة افاض قائلاً : فاننا سائرون الى الزوال غدا  
او بعد غد . وقد نقد الوضعية الراهنة وعمليات التعويض تقدماً لادعاء  
جارحاً ، وكان بين آونه واخرى يقول : كان اولي بالقيادة العامة ان تحاول  
اصلاح وتعديل الحالة من ان تتدخل في شؤون قيادة الجهة الخاصة » .

وازيد قولاً بأنه ليس عندنا خبزاً ولا ذخيرة نعتد عليها كما لم يكن  
عند جيش رومل منها شيئاً ، « فالنتيجة المتوقعة محتمة » وخاصة اذا  
تأزمت الوضعية اكثر من الآن في منطقة الفيتار والتي لن يطول امدها  
اكتر من مساء الغد . ولم لا يطول اكتر من ذلك ؟ لأن العدو يوجه  
ثلاث فرق مقابل ثلاثة افواج وتصبح النسبة على هذا الاساس  $\frac{27}{3}$  فهل  
حدث في تاريخ الحروب والوقائع مثل هذا التفاوت في العدد ؟ اجاب  
الجنرال فون ارني .

ومع ذلك فقد اعلن الجنرال فيستفال G. Westphal بأن خمس سفن  
تعبّر البحر الان في طريقها الى افريقيا . وستصل قافلة جديدة في الايام  
الاولى من نيسان . ومنذ ٢٣ اذار حتي اليوم لم تصل الميناء اية سفينة  
جديدة . وكان فيلق الجيش يملك فقط ٨٧ دبابة . وكما الحت القيادة في  
شهر كانون اول وكانون الثاني لتشكيل احتياط صغير ولكن لم يؤبه  
لهذا الاحلاح الشديد ؟ فلو تحقق هذا الطلب آتئذ لما اعترضت الطريق  
كل هذه المصاعب . لقد وقفت ثلث السيارات المستعملة فهل في الامكان  
ان تعدونا بشيء اخر . ؟ افاض ارني في القول .

نعم اننا نعدكم بتحسين كبير في النقل الجوي اجاب فيستفال ، وفي  
امكان الطيران الجوي ان يجلب لكم ٤٠٠ طن يومياً . وفي الصيف  
( وقال حقاً في الصيف ) عندما يصبح اسهل للملاحة ستأتيكم بواخر  
جديدة .. ( وهذا هو الحال دوماً حيث اعتمدنا دق الابواب قبل خمسة دقائق  
من اغلاقها . ) كان ارني متعباً متأثراً من هذه الكلمات الخاوية والوعود  
الفارغة . انه كان يعرف بأن نصف طائرات النقل لن تصل الى الصعيد  
التونسي بسلام

ودارت الممارك التالية بين سلسلة جبال الاطلس الصحراوية الجنوبية

والساحل . وفي ٣١ اذار كان يتمركز ثقلها في القطار من نواحي طريق قفصه . وقدمضى الجيش الثامن مندفعاً نحو قابس . وكان عدد سياراته الناقلة تزيد على سبعة آلاف سيارة . وبالرغم من هذه القوات السكاسحة فقد تمكنت القوات الالمانية من ايقاف جميع محاولاته للاختراق وصدت كل غاراته العنيفة . ومن حسن الحظ فقد سببت الطرقات الموحلة صعوبات جمة لقوات العدو كما انها اعاقت القوات الالمانية - الايطالية ايضاً واثقلتها بالمشاق وخاصة منها القوات غير الالية .

وفي السادس نيسان قام مونشغمرى بمحاولة جديدة حيث شنت ٦٠٠ قاصفة ومقاتله انكليزية هجوماً ساحقاً . وشرعت تقصف الموضع الالمانية على موجات متتالية وخاصة ممر فطنه والمرتفعات المجاورة طيلة الليل حيث احتل العدو جبل روماننا . وبالرغم من ذلك فقد صدت كافة الهجمات والغارات العنيفة وردت على اعقابها . وكانت القتال يستمر بالسلاح الابيض . ولنتسائل الآن تحت اية شروط تحقق هذا النجاح المحدود ؟ ؟

فالإيطاليون كانوا على آخر رمق من المقاومة . وضعف عامل الاعتماد عليهم في الهجوم والدفاع معاً ... وبلغت خسائر الجيش الاول ٢٣ فوجاً و ٣٩ بطارية ، وكان القسم الاكبر من هذه القوات ايطالية . ولذا عمد الجنرال ارنيم الاستعمال للقوات الايطالية كثيراً لخوض المعارك الدفاعية وكلف الوحدات الالمانية وحدها بصورة خاصة للقيام بالدفاع والقتال الشديد . ولم يبق سوى خمسة افواج من قوات الشبيبة الفاشية و ٢٧ مدفعا فقط ، واربعة افواج من فرقة تريستا و ٢٩ مدفعا وفوجان و ٣١ مدفعا من فرقة بيدستويا . اما فرقنا سانتورو وسبيزيا فقد اصبحتا عملياً غير موجودتين وفي حكم العدم . ولم يبق للافواج الاخرى الباقية اي قيمة محاربة . وكل ما تبقى من مدفعية الجيش الايطالي لا يتعدى ١٧ مدفع . ومن الجهة الالمانية صار عداد الفرقة التسعين والفرقة ١٦٤ مجتمعاً لا يتعدى عداد

فرقة واحدة كاملة وتدني عداد الفرقة المدرعة الخامسة عشر الى جبهة  
يضاف اليها سبع بطاريات ضد الطيران وعدد من افواج المدفعية .  
عندها تملصت المشاة من العدو وتراجعت نحو الشمال كيلو متراً بعد  
كيلو متر . هذه المشاة التي كانت تقاتل منذ اسابيع وهي محرومة من  
النوم والراحة هزيلة محطمة منهوكة وقد تناقص طعامها حتى صار كسيراً  
قليلاً وهي تتحمل فوق ذلك عادية الرطوبة والبلل بفعل الامطار  
المستمرة النافذة .

ولم يستمر الانكاز في الملاحقة الا في الثامن نيسان . وفي الغد  
تقدمت قوات عديدة من المدرعات حيث وصلت غربية ومهارس ومنطقة  
العقارب الواقعة غرب سفاقس حيث اخلت منذ وقت قصير بعض مستودعات  
الذخائر الهامة . وتوالى المعارك الصاخبة في هذه الارحاء في ليلة التاسع  
والعشر الجاري . واخلت سفاقس التي احتلها العدو وعرجت جموعه في  
اتجاه مدينة القيروان .

ومنذ الايام الاخيرة من شهر اذار دارت معارك عديدة على جانب  
ومخلف الجيش حيث وضعت من جديد مصيره ووجوده تحت عادية الخطر .  
وما كادت تنتهي معركة موقعة مكناسه حتى اطلق الاميركان عملية جديدة  
في اتجاه الفندق للوصول الى البحر عن طريق القيروان مدينة البسط  
والسجاد . ولم تنته هذه المعركة الا في ١٠ نيسان مساء .

وفي ٢٢ اذار تلقى العقيد فولريده Follride امرأ باتخاذ كافة التدابير  
اللازمة لصد الهجوم على منطقة الفندق . وبعد خمسة ايام شوهدت فرقة  
اميركية تتقدم في هذا الاتجاه معززة بدبابات ومدفعية عديدة . ومنذ ٣١  
اذار بدأ القتال العنيف الوحشي لاحتلال طريق الممر . وكان قتال مرير  
يشبه القتال الذي دار قبلا حول طبرق . ووقفت جبهة واحدة المانية  
تصد هجوم الفرقة المذكورة بكاملها وكان القتال يستخدم بالقنابل اليدوية

والرشيديات . وكانت نسبة القوات الاميركية تقدر بثلاثة افواج ضد سرية واحدة . وظهر بان الجنود الاميركية الحديثة العهد بالقتال لم تكن ممرنة على القتال القريب او السلاح الابيض . وكانوا مجهزين تجهيزاً اكمل وأحسن من تجهيزات الجنود الالمانية والانكليزية ومثقلين بها توعيةهم عن الحركة والمرونة الكافية . وكان يقودهم ضباط ورؤساء احدات لم يتعمقوا بأي ماض عسكري يسانداهم تعاون تام من كافة الاسلحة والطيران . ولم يكتسبوا بعد صفات المقاومة والضراصة اللثاث تعطيان مع الزمن الى المقاتلين التدريب الكافي والخبرة النامة . وكانوا طالما يعجزون عن استغلال النتائج التي يحصلون عليها بالتضحيات الثقيلة . وكانت الهجمات الممكسة حتى الضعيفة جداً تنتزع منهم ماغنموه عاجلاً وسريماً . وفي اول نيسان تدخلت الفرقة المدرعة البريطانية السادسة في هذا القطاع بعد مكوثها على الانتظار منذ التاسع نيسان كي تتمكن من اجراء اختراق على جانب الممر وتوسيع الفرجة بينما ظلت القوات المدرعة مثبتة في مكانها على الممر . وكانت الطلائع الخلفية مازال في سفاقس حيث توجب عليها اجتياز مدينة القبروان للوصول الى مواضع مدينة انفيديفيل . وكان يتوجب على الاقل المحافظة على منطقة الفندق حتى مساء العاشر نيسان . وانتهت فاجعة القتال المستمر في هذا اليوم بتدمير جمهرة من قوات العدو بكاملها بعد ان تمكنت من دخول الفندق . وفي الليلة ذاتها تمكنت الفرقة المدرعة الانكليزية السادسة بمجموعتها من احدات اختراق فتح طريق القبروان امام سيل المدرعات المتدفقة . ولكن الصدف حالت دون وصولها الى هدفها . وقد تأخرت يوماً كاملاً عن موعدها . واخيراً اصطدمت الفرقة المذكورة بجمهرة دبابات المانية تمكنت هذه من تدمير ٦٠ دبابة من دباباتها وردت الفرقة البريطانية على اعقابها بنحسائر فادحة .

اجتازت عناصر الجيش الاول الاخيرة بدون طاق المدينة المقدسة في

تونس الالماء العاشر نيسان . ودخلتها الفرقة المدرعة السادسة ايضا على الفور . واستمرت الفصائل المنفردة التابعة للجبهة العقيد فولريده تقاتل العدو حتى يوم الرابع عشر نيسان . واخيراً وجدت نفسها مطوقة تماماً على اخلاف الجيش الثامن البريطاني، وظلت تقاوم حتى آخر طلقة تملكها ثم اختفت من حلبة الميدان . وسقط في الاسر بعض رجالها والباقي تسرب عبر خطوط العدو فاستقبلهم العرب بود وصداقة واخفوه عن اعين العدو ثم البسوه ثياباً مدنية تحفوا تحتها وفروا للاتجاه بالجبهة الالمانية تحت ظلام الليل الدامس .

وفي هذه الاثناء اجري العدو بعض الحركات صوب الشمال على جبهة السجانة وتوفى في احتلال بعض الاراضي ولكنه دفع ثمن هذه الحركات ظالماً جداً . ولم يتمكن من تحقيق الاختراق الا في الخامس من نيسان بعد معارك دامت ثمانية ايام بلياليها في اتجاه ماتورة وقد اضطر لسوق ثلاثة الوية ليتمكن من القضاء على المقاومة الالمانية العنيفة التي اقامها في وجهه فوج الماني فقط . وعلى القطاع المتوسط في جوار وادي الزرقاء ردت كافة الهجمات الانكليزية بخسائر دامية . وفي الثامن نيسان احتل الجيش الانكليزي الثامن مدينة السوسا وانتهت باحتلالها الموقعة الدفاعية، ولم يلاحق العدو الفلول الالمانية الهاربة بقوة بل ارسل ورائها وحدات آتية وطلائع استطلاع فقط .

وكان الجنرال الايطالي ديسه يتربص في مواضع انفيديافل الدفاعية عندما كان الجنرال الكسندر يجمع قواته للعمل القادم . وكان الجنرال ارنيو يرى نفسه ازاء اصعب واخطر مهمة في حياته . وقد اوعز اليه ان يستوعب العدو بعد عدة اشهر بانتظار المستقبل . ولكنه كان في عوز شديد الى الوسائل التي تمكنه من تنفيذ هذا القرار . وكان ينقصه كل شيء وهو في حاجة الى كل شيء . وكان يعلم حق العلم ويعرف تماماً

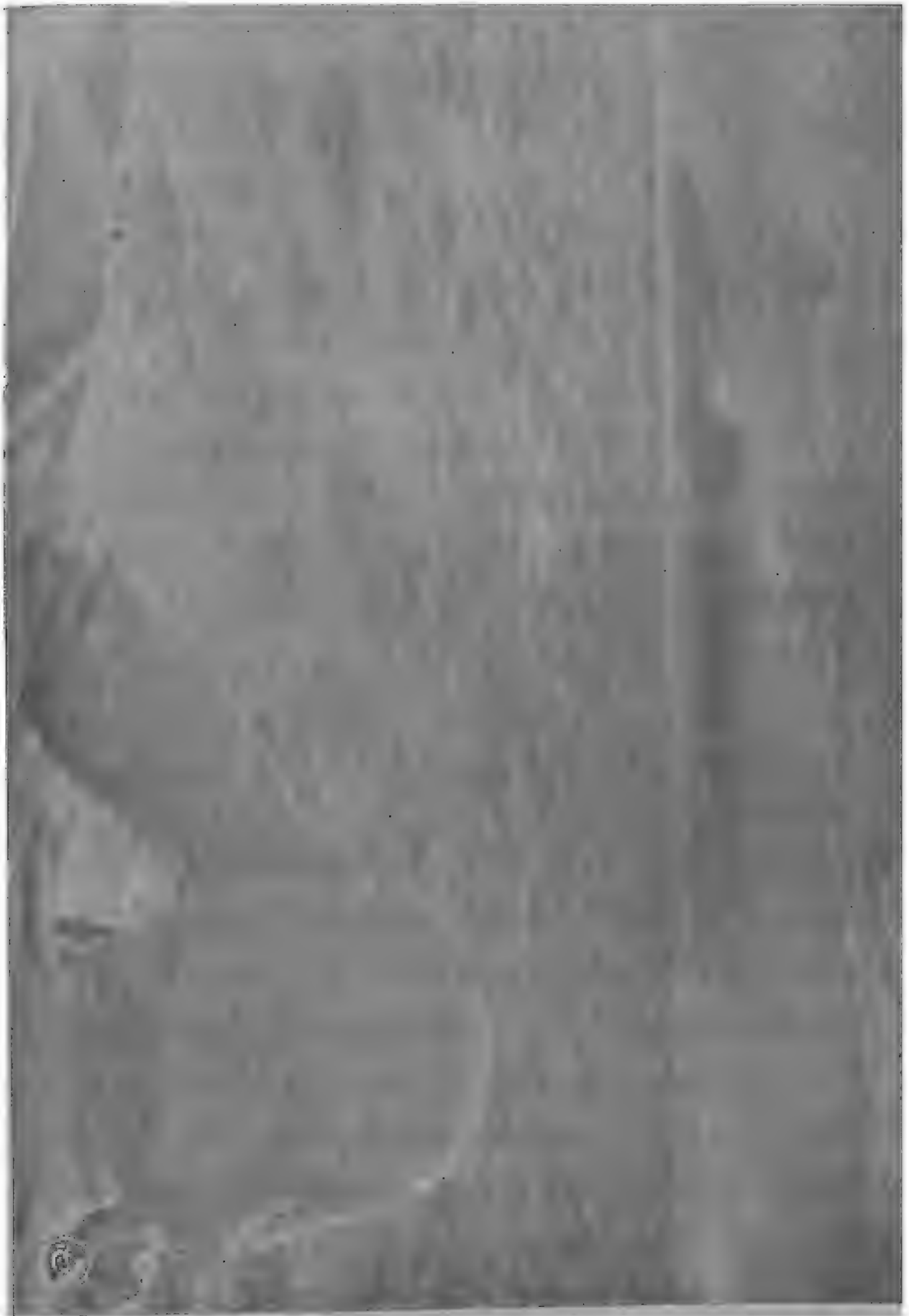
النتيجة المحزنة المنتظرة التي كانت قريبة جداً من الخاتمة .  
 « ان الحوض الذي يرتوي منه الآخرون مع الأسف اوسع بكثير  
 من الحوض الذي منه نستسقي » .

هكذا قال رومل قبلا وهو في جبهة العلمين . وهذا هو اساس  
 الموضوع . ليس من المعقول ولا من المنطق ان 'يحقق الامل المرغوب  
 امام عدو يملك الاحتياط الذي لا ينضب والمعدات التي لا تنزح . واذا كان  
 هذا المعجز متوقع في افريقيا فهو لا بد اكثر توقعا في اوربا .

فالاخطاء التي وقعت من برلين وروما لا تنحصر نتائجها بقوات المحور  
 في افريقيا فحسب بل انها ستتناول كافة الجبهات الاخرى . واعظم هذه  
 الاخطاء خطراً وفداحة هو عدم التمكن او بالاحرى عدم قبول الاعتقاد  
 بأن المانيا سافت نفسها وطوحت ذاتها من اجل خسارة حرب ضد  
 عالم كبير تصنع لها وهو يملك موارد غزيرة في الرجال والمعدات والالات  
 والمؤن والوسائل .

ماذا عملت المانيا وايطاليا منذ عام ١٩٤٣ لتسليح وتجهيز مجموعة  
 الجيوش المكلفة بالدفاع عن رأس الجسر لتضعها في وضع قوى مكنين تستطيع  
 معه ان تحقق الظفر وتحطم العدو ؟ فلو ان هتلر اراد حقاً ان يطور  
 حقيقة حلم كازابلانكا لصب النجذات والمعدات كالسيول على افريقيا وعلى  
 جيوش افريقيا المحاربة ولوصل الى درجة من القوة والمناعة اكثر من  
 اي وقت مضى . ولاستطاع ان يغير خاتمة الحوادث في افريقيا كلها وان  
 يقضي على محاولات العدو قضاء نهائياً ، ولتطور وجه الحرب بصورة اكيدة  
 في النهاية بعد الدرس العنيف الذي تعلمه المحور في السابق ولظلت افريقيا  
 برمتها من قنال السويس الى جبال الاطلاس في قبضة منيعة ضد  
 كل عدوان .

وفي شهر كانون وصل ٤٦,٠٠٠ طن و ٥٠ دبابة و ٢٠٠٠ سيارة



ضابط يراقب بمنظاره معركة المربع سيدي عمر بين الفوجي



و ٢١٤ مدفع الى تونس وهذا المقدار كان يكفي لحاجة الجيش الاول المدرع وحده فقط والذي كان يطلبه منذ شهور عدة . وفي شهر شباط بلغ المقدار ٥٢٧٥٠ طن منه ٥٠ دبابة و ١٣٠٠ سيارة و ١٢٠ مدفع وكان يتوجب على الاقل ارسال ٧٠٠٠٠٠ الف طن لتأمين الضروري للبقاء ، ودون ان يستدرك حتى امكان تشكيل الاحتياط اللازم . وكان من الضروري لتأمين الدفاع عن تونس شحن ما لا يقل عن ٧٠٠٠٠٠ طن اضافي تصل الى افريقيا استعدادا للمعارك القادمة . ولم تكن مسألة اجابة المطالب وتأمين احتياجات الجيش المحارب موضوع اي بحث مجد بعد أن وصلت الحالة الى الخطورة الراهنة . وكانت حالة التموين ما تزال تثقل من سميء الى اسوأ وتزيد في المصاعب الماثمة واضطراب الاحوال وخاصة عندما بدأت المعارك تتوالى . وكانت يتوجب استدعاء قوات جديدة تنقل عن طريق الجو الى تونس . وكانت ارقام الخسائر البحرية تنصاعد يوما بعد يوم ، وتزداد بدون توقف . وبلغت نسبة الخسائر ٢٥ ٪ في السفن ولم يطل زمن تأخر الامكانيات وارتباك الاحتياطات المتخذة ازاء النشاط الجوي البريطاني - الاميركي الذي مركز كافة جهوده على وسائل النقل واصبح سيد الموقف والوضعية بدون منازع .

وعندما انسحبت الجبهة الى مدينة انفيديفيل لم يعد يحتاج طيران العدو لاكثر من بضع دقائق للوصول الى اجواء تونس ومينائها - لاغوايت . لقد ازداد عدد طائرات النقل الالمانية ولكن وجودها وتنقلها كانا دوما عرضة للخطر الاكيد . فما تكاد الطائرات تهبط ارض المطار حاملة شحنتها الثمينة حتى تنصب عليها قاصفات العدو لتعطرها وبابل قذائفها وقنابلها فتدمرها وتدمر شحنتها معاً . وكانت المقاتلات تنتظر عودتها لتلاقيها في منتصف الطريق فتهاجمها وتقضي عليها وهي في طريق العودة لأن سرعتها كانت بطيئة بالنسبة الى سرعة طائرات القتال . وكانت

طائرات النقل الالمانية الكبيرة المسماة جيان « Giant » تقل المدرعات الكبيرة والوقود وخلافها . ويبلغ عدد ملاحى الطائرة عشرة اشخاص ، وكانت قوية التسليح بشكل انه لم يكن اسقاطها سهلا على المقاتلات ولكن خطورتها كانت تتأني من شحنها الوقود والمحروقات ، وقد نقصت اعدادها نقصاً كبيراً . وكثيراً منها غرق في البحر المتوسط وبعضها استوت هياكلها المحترقة تملأ مطار تونس . وكان كل طيران يصاب بكوارث وكثيراً ما دمرت اغلبها اثناء الطيران .

ولم يكن الجنرال فون ارنيم وحده عارفاً بهذه الامور بل كان الجميع يعتقدون بأن وضعية كهذه لا نهاية لها سوى الانتحار المحتم والقتال سائر الى النهاية المعجلة . وكان يكفي ان يقوم العدو باندفاع اكثر قوة واختراق اجراً يحسن استغلاله اثبتت مصير زمرة الجيوش المحاربة على ارض تونس . ولم يكن احد ليفهم سبب تردد الجنرال الكسندر في سوق القتال كما كان يتوجب ولا معنى انتظاره الطويل مع العلم ان الجيش الثامن كان كامل العداد والعدة . وان الفرق الانكليزية — الاميركية تحت قيادة الجنرال اندرسن « G. Andersen » تعززها قوات الجنرال جيرو الافرنسية التي كانت كلها مستعدة للانتقال الى الهجوم النهائي .

وفي هذه الاثناء بلغت قوات الحلفاء على الجبهة العداد التالية :

- الفرقة الانكليزية الواحدة والخمسون
- الفرقة النيوزيلاندية الثانية
- الفرقة الهندية الرابعة
- الفرقة الهندية الخمسون
- الفرقة المدرعة السابعة
- الفرقة الافرنسية القادمة من مراكش والجزائر
- الفيلق الافرنسي الحر .

- يضاف الى هذه القوات من الجنوب الى الشمال
- الفرقة المدرعة الانكليزية العاشرة
  - فرقة المشاة البريطانية السادسة والاربعون
  - فرقة المشاة البريطانية الرابعة
  - فرقة المشاة البريطانية الثامنة والسبعون
  - الفرقة المدرعة الاميركية الاولى
  - فرقة المشاة الاميركية الاولى
  - فرقة المشاة الاميركية التاسعة
  - فرقة المشاة الاميركية الرابعة والثلاثون
  - قسم كبير من الفرقة المدرعة الاميركية الثانية
  - الفرقة المدرعة البريطانية الاولى
  - الفرقة المدرعة البريطانية السادسة .

ولكن العجيب في الامر انه لم يكن احد في المعسكر الالماني يتجاسر على إعطاء استنتاج مقرر للوضعية المسيطرة في تونس . وكان الايطاليون يركبون البحر من ميناء لاغوليت للعودة الى بلادهم . وكانت الزوارق التي تقلهم الى السفن الراسية خارج المرفأ تقل جنود فرقة هرمان غورنغ بثيابها الجديدة واسلحتها العتيقة الحديثة القوية ، وقد دربت عناصرها تدريباً فائداً متيناً طيلة عدة اشهر . وكان على رأس الفرقة ضباطاً شباناً تملأهم الحمية والهمة والرغبة الجارحة لمقاولة ومناضلة العدو . ولكن مع الأسف فقد أعدت كل هذه القوات لتسلم الى العدو اسيرة بعد أيام قليلة . وكانت هذه التدابير الجديدة عقيمة في ذاتها ولكن لوحظ عدم إمكان تغيير وتعديل القرارات السابقة وتنفيذها بعد الاصدار . وكان رؤساء الوحدات وأماؤها المكلفون بالالتحاق بوحداتهم بعد نقاهة او جراحة او تعيين جديدي يصلون الى روما ويتقدمون بأوراقهم الى مراكز الارسال الى تونس . انهم لم

يسمعوا بصراحة قط من يقول لهم بأن اجتياز البحر المتوسط عملية خطيرة،  
وان ابحارهم الى الاراضي الافريقية لم يبق له أي هدف ما سوى التوجه  
بسرعة الى معسكرات الاسر البريطانية - الاميركية لبقاء هناك حتى  
نهاية الحرب . وما كان يجد هؤلاء اية ادارة او مصلحة تأمرهم بعدم  
الخضوع لهذه الحركات الجنونية ووجوب البقاء في روما أخيراً . وكانوا  
يغضون ابصارهم عن هذه الوقائع وتعمى بصائرهم عن الحقائق الأليمة  
ويقومون بواجباتهم كأنهم لا يتوقعون فاجعة قادمة ويرسلون الضباط والجنود  
حتى في اليوم الاخير من الموقعة ، وانتهت ايام كثير من هؤلاء الجنود  
الاشاوس الابطال تحت أمواج البحر المتوسط قبل ان يصلوا الى تونس أو  
يروا صعيدها للدفاع عنه .

وكانت تقتصر حاجة زمرة جيوش المحور في تونس على الوقود والذخائر ،  
وما كانت في عوز الى القوات والرجال . وكانت القيادة تشعر بالعكس  
بالمواساة الطيبة باعادة كافة المصالح الخلفية الى ايطاليا ومنها ذاتية المعتمدات  
والورشات والرجال ووحدات الصيانة والادامة التي كانت منذ زمن طويل  
مصالح اضافية شاغرة . وطالما اقترح رومل فيما سبق وجوب إعادة القسم  
الاكبر من القوات والجيوش الى اوربا وخاصة الأشخاص الذين منهم الذين  
اكتسبوا خبرة تامة وتدريباً جيداً كي يستفاد منهم في المستقبل للدفاع عن  
القارة . ولكن في شهر نيسان فكرت بعض السلطات العسكرية في امكانية  
المقاومة بعد عدة اشهر . وكان آخرون يفكرون ايضاً باعتبار رأيهم انه منال  
شرف أسمى ، مع بعد هذا الرأي عن الحكمة والتعقل وجوب القتال حتى آخر  
طلقة كي يجملوا من تونس ستالينغراد افريقيا بدلاً من أن يصوروا امام  
الشعب كارثة واقعة . توالى القتال بين الجانبين بحدة وشدة لا مثيل لهما .  
فبحال الصحراء الحسرة الفخورة لم يعد يرى في ارجاء تونس . وكنت ترى  
الشعور المتضرم بنار الحرب والحقد في هذه المواقع المنيفة أقسى وأشد حيث

كانت المشاة تسير الى مواضع العدو بالسلاح الابيض لاحتلالها وحيث المحاربون في الجانب الآخر يجهدون لدفع العدو المتفوق بالقنابل اليدوية والحرايب ، ما خلا رجال الجيش الثامن البريطاني والجيش المدرع كانوا وحدهم يحافظون على احترام وتقدير العدو المقاتل بالتبادل في المعارك التي خاضوها منذ سنتين في أرجاء الصحراء . وكان هذان الجيشان العتيدان المتقابلان ( الانكليزي والالماني ) يتمتعان ويتجهلان بخلق خاص ومألوف معتاد ، ويتفاهمون على اساسه فيما بينهم تفاهماً لجمته الرفقة الطويلة وسداه روح الفروسية السامية . وكانوا يتميزون بالفارق العظيم بين هؤلاء المحاربين القدماء وهؤلاء المحاربين الاحداث الذين لم تطلأ أقدامهم قبلاً صعيد افريقيا ولا ارض تونس ولا خاضوا معاركها الطويلة . وباعتبار كون الجيش الثامن بشكل وحدة مختارة ، كان الفياق الافريقي يؤلف وحدة مختارة اخرى . وبينما كان الجيش الخامس المدرع يعيش على خبرته في روسيا ويتغذى بكبريائه الخاص وينظر نظرة عجيبة الى الفيلق الافريقي في ليبيا نظرة غير عادلة وغير مقبولة فيما يتعلق بالقيام بواجباته وبانجاز مهمته المقررة . وكان رجاله يرفضون الاقتناع بأن هذا الاندحار كان نتيجة خسارة موقعة التموين اكثر منها اندحار في القتال ،

واذا اعتبرنا ان الجيش الخامس الالماني الذي تشكل في ١٠ كانون اول تمكن من تحقيق بعض الموفقيات البدائية بقبضة من الجنود واخيراً اشغال كافة المواضع المقررة فما ذلك الا بفضل جرأة وتصميم القيادة وبفضل رغبة العدو في تأخير خوض المعركة الحاسمة حتى وصول الجيش الثامن لانه كان يحاذر الوقوع في الخطر الدائم مع فرقه التي لم تكن قد تمرنت وتمرست بعد على القتال . واحتدمت الموقعة الكبرى في القرعة الواقعة بين الجيشين المبشرين في رأس البحر . وقد طأت وحداتهما كثيراً بسبب نقص التموين والقحط العام .

وفي ١٧ نيسان بدأ الاميركان الفصل الاول من الموقعة بقيامهم بهجوم على مجاز الباب لقسر طريق تونس وفتحها أمام القوات المتقدمة . وقد وصلوا الى هدفهم في البداية ولكنهم ردوا على اعقابهم متقهقرين بفعل هجوم الماني مما كس واعيدوا الى مواضعهم الاصلية قبل الخروج ، واسر منهم عدة مئات ودمرت خمس بطاريات مدفعية . وتوالى القتال بصورة عنيفة في شمال مرتفات حيدوس . وبعد معارك متعددة حامية فقد الالماني مرتفع ٦٦٨ بيد أن كافة المحاولات التي قام بها الاميركيون لاجراء الاختراق والحصول على القرار ذهبت ادراج الرياح . ثم دارت موقعة اخرى في الجنوب حيث اطلق الجيش الثامن البريطاني فرقتين مدرعتين وأربع فرق مشاة على موضع انفيديل . وكانت وحداته موطدة جيداً على قمم المرتفعات المنحدرة الممتدة الى شاطئ البحر . وكانت قصوف مدفعية مونتغمري تسمع من حمام الليف مقر الباي تونس . وفي ٢١ نيسان كانت موجات المشاة المستورة ترافقها الدبابات تتقدم عبر الخطوط الالمانية . وسقطت مدينة تكرونة ولكن القوات الايطالية استردتها من جديد . واخليت مدينة انفيديل التي ظلت دون اشغال من قبل الفريقين وسقطت تكرونة مرة اخرى في يد العدو الذي لم يتمكن من احتلال مرتفعات طريق انفيديل - زغوان . وكان الانكليز والنيوزيلانديين والهنود يتابعون بدون انقطاع غاراتهم المتوالية دون أن يتمكنوا من الوصول الى المنطقة التي تساعد على انتشار مجموعة قواتهم . وقد انهكتهم واثقلتهم متاعب هذا القتال الجبلي الخفيف من جراء الخسائر الدموية الجسيمة التي لحقت بهم وتوقفوا عن القتال نهائياً .

وفي هذه الاثناء استؤنف القتال حول مجاز الباب فدفع الجنرال الكسندر ثلاث فرق من قوات مونتغمري لسوقها الى الغرب حيث تركز منذ الآن مركز ثقل القتال في هذه النقطة الضعيفة من الجبهة الالمانية . وكان مجرى نهر المجردة في مجاز الباب ينفرج ليشكل وادياً واسعاً يمتد حتى الساحل

قريباً من قريتي بتوريا والجديدة . وكانت المرتفعات الممتدة الى مسافة ٢٠٠ متر على الشاطئ الغربي للنهر تهيباً امكانيات عظيمة المدافعين كما ان لهذا الوادي في حد ذاته اهمية عظيمة لاطلاق هجـوم مدرع واسع المدى . وقتل الجنرال فيشر « G. Fischer » قائد الفرقة المدرعة الالمانية العاشرة الاول من جراء انفجار لغم في الايام الاولى من نزوله الى اليابسة ، كما جرح ايضاً العقيد الكونت شتاوفنبيرغ « Oberst. Von Staufenberg » الذي لعب فيما بعد دوراً عظيم الالهية في حادث المؤامرة على القوهرر في ٢٠ تموز من السنة التالية وقد كلفت الفرقة المذكورة مع فرقة هرمان غورنغ بالقيام بالدفاع . وقد غرقت كافة المهجمات التي جرت حتى تاريخ ٢٤ نيسان بالذناء على حد تعبير المراقبين . وفي مساء الواحد والعشرين نيسان ابرقت قيادة زمرة الجيوش الى روما بأن حركتها شلت تماماً . فالفرقة المدرعة العاشرة لم يبق لديها وقود يكفيها اكثر من نصف اليوم وتجمدت الفرقة المدرعة الاحدى والعشرون في مكانها . ولم يبق لدى الوحدات الاخرى من الوقود ما يزيد عن الرابع والعشرين مساء كما ولم يبق لدى بعض الوحدات الاخرى من الذخائر ما يكفي حتى ٢٥ نيسان وبعضها لغاية ٢٦ / ٢٨ نيسان . وعلى جسر فحص في شمال مجاز الباب دمرت مئات الدبابات وكثيراً منها على ابعاد قصيرة لانها وصات الى مسافة خمسين متر من الموضع الالمانية . وكانت بين الصفوف الالمانية بعض الافواج العربية المتطوعة التي كانت أفرادها مشبعين بالروح العسكرية ومنعورين بالكبرياء والعزة العالية ولكنهم اخلوا فاحص وفروا تاركين ضباطهم الالمان لوحدهم منذ بداية الهجوم الاول . وكان من الخطأ حشدهم في هذه الجبهة أمام قوات الجنرال جيرو المراكشية بينما قاتلت جمهرة من القوات الافرنسية المتطوعة ببسالة عظيمة وثبات لا يتزعزع بجانب الجيش المدرع الالمني . وفي الثامن والعشرين من نيسان لم يبق لدى الجيوش اكثر من ١ / ١٠

و ٧ / من وقودهم و ٢ / - ٢٢ / ١ من ذخائرهم المعتادة وفي هذه الحالة الحرجة تحركت فرق الجيش الثامن البريطاني التي اعيدت من انفيذايل واخترقت منطقة بحيرة الكوزيا ولكنها اوقفت قسرا ودارت في هذه الارضاء معارك طاحنة عاتية تبداث اثنائها كافة وجوه القتال . وكانت الهجمات والهجمات المعاكسة تتوالى من الجانبين بدون انقطاع تحت قصوف المدفعية الهادرة وصغير القنابل والقنابل المتساقطة ، وقعقة الاسلحة الآلية وصرير عجلات وجنازير الدبابات الصاخب ، وامتلأت الاجواء بالضجة الجهنمية الثائرة .

وأعلنت لندن في ٢٦ نيسان قائلة : يجابه الجيش الثامن البريطاني مقاومة الرماة المدرعة الالمانية الشهيرة وهي قوات الجنرال ارنيم الختارة . وثبتت القوات الالمانية في أماكنها في الايام الاخرى التالية ونظفت بعض النقاط التي اخترقها العدو حتى جبل ابو عكاظ كما احتلوا مرتفع ١٨٧ ولكن الارتباط قطع بينها وبين الاخلاف وظل الرماة في مواضعهم الجبلية دون طعام وماء . وقد انهكهم التعب واضعف قواهم الجوع . وكانوا كلما لاحظوا بدء القصف المدفعية يهربون الى مواضعهم واسلحتهم وينسحبون بين نقاط استناد العدو الذي ابدى هو ايضا جهودا تفوق التصور والقدرة البشرية . وكانت قواته تصعد المنحدرات بعزيمة وبطولة دون توقف وتستأنف غاراتها العنيفة على مواضع الالمان صاعدة سفوح الجبال الجرداء الخالية تحت نيران المدافعين المحكمة التركيز .

وقد وقعت في ايدي القوات الالمانية بعض الوثائق التي تشير الى حدة القتال القائم وعنقه والى الخسائر الفادحة التي لحقت بالقوات المهاجمة وفرق الهجوم . وعلم بأن كتيبة المشاة الملكية خسرت ٤٠٠ جندي في يوم واحد وخسرت كتيبة الحرس الالمانية التي انزلت الى اليابسة في منتصف شهر آذار ٧٣٠ جنديا والتي وصل تعدادها الى ٨٥٠ جنديا وخسر حرس الغال ٨٠ / من



عداده . وكان يتمدد امام احدى المواضع الالمانية ٦٠٠ قتيل وكان الجو مفعما بروائح اللحوم المتفسخة .

وقد علق احد الكتاب البريطانيين المرافقين للجيش الثامن مانصه : كانت حاميات هذه المواقع الجبلية الالمانية مستعدة لتموت اثناء القتال . وكان جنودها يدافعون عنها بعناد مصمم لا يمهد ولا يصدق وليس في امكان البشر تصويره . وما كنا ننتظر قط دفاعاً من هذا الطراز . وحتى الرابع من أيار ظلت هذه المواضع المرتفعة المنيعه المنال في ايدي الالمان ، وقد حفروا ملاجئهم الامينة في الصخور بالفؤوس اليدوية ولم يبق لهذه القبضة من الرجال نصيب آخر غير الموت او الاسر . وكان الجنود يتربصون في حفرهم وملاجئهم لان الموت كان يتربق كل واحد منهم يحاول الخروج او البروز من الخنادق . وكان اذا حاول احدهم الاتصال بمقر آمر سريته الشاب ينطلق اليه كالسهم النافر والموت في اثره . وكان هيكل آمر الفوج او أي ضابط آخر ما يكاد يظهر حتى يختفي في طيات الارض . وصل الجميع الى أقصى حدود الطاقة والمقاومة . وكانت امرتهم وشاشاتهم ومدافعهم يضجعون عليها ويرقدون لحظة اتوقفهم قنبلة أو قنبلة تنفجر في جوارهم فتسل من فوق رؤوسهم شظايا الفولاذ والاحجار القاتلة وقد ارهقهم الحر والمطش والجوع والنعاس . كانوا يتقاسمون فيما بينهم لقافات التبغ الاخيرة . وفي اللحظة التي يتبدل فيها هذا السكون الموقت وتبدأ الانفجارات والقصف ، كانوا يهبون بسرعة البرق الى اسلحتهم ومعداتهم دون حاجة الى ايماء جديد او أمر صادر مصممين على القتال حتى آخر لحظة وحتى النفس الاخير .

هذه هي وضعية المعسكر الالمانى فما هي وضعية المعسكر البريطانى يا ترى ؟ كان الجنود البريطانيون أوفر غذاء وأحسن تجهيزاً وأكثر عدداً . أما أحوال القتال فكانت متشابهة والبطولة متماثلة من جانب أو آخر ولكن

الفرق بينها عظيم . فالجانب الالمانى يعتقد بعدم الفائدة من استمرار القتال ولكن هذا الاعتقاد لم يكن ليضعف من معنوية الرجال المحاربين . اما الجانب البريطانى فكان يعتقد واثقاً من النصر والظفر الاخير وما كان يوفر اية تضحية للوصول الى هذا الغرض والحصول عليه . اجل انها بطولة ولكنها تشتمل على كافة الاسباب المعززة لتركيز وتوجيه هذه البطولة . وفي هذه الاثناء استبدل جبل ابو عكاظ اربع مرات الاحتلال والاستيلاء . وكان الفيالق الاميركي الاول يخوض هو ايضا معارك دموية عنيفة . وتوقفت اخيراً المعارك ليعمل الجنرال الكسندر على جمع فرقه التي كان يعتبرها ثغرة منهوكة . ولم يستأنف بعد هجومه حتى تبدي الخطر المهدق من الجانب الاخر على الوضع الالمانى . وفي القطاع الشمالى بين الساحل والمرتفعات المشرفة على مجرى وادي السجانة كانت ترابط الوحدات الاميركية والافرنسية . وهذه المنطقة مطاة بالنباتات العالية التي يصل ارتفاعها ارتفاع قمة الرجل المنتصب مؤلفة من اعشاب شائكة شوكة تحدد النظر وتمنع الرؤية . وكان يتوجب في هذه المنطقة تأمين التموين والاعاشة والماء على ظهور الرجال والبغال والدواب معاً . وكان الاميركان والافرلسيون يتقدمون في ارجائها يبطء وهواة متسللين بين المواضع التي تشغلها فرقة الرماة الايطالية في القطاع الساحلي والمستندة الى الفرقة الالمانية بقيادة الجنرال فون مانثويفل G. Von Man teuffel .

وتوقفوا في تدمير عدة جبهات هامة بصورة ان الفرج التي احدثت كانت من السعة بحيث تعذر اغلاقها بسبب نقص الاحتياط . وتنازمت بالفعل الوضع بصورة خطيرة واصبح سياق الدفاع في وادي السجانة تحت عادية الخطر ايضاً ومعرضاً للانهيال العاجل . لم تبق اية وسيلة ممكنة للاعتماد عليها لان جل الاحتياط عبي في قطاعات مجاز الباب . لقد وجدت القيادة الالمانية نفسها مرغمة على اتخاذ قرار قطعي من شأنه ان يفرض ارجاع

خط الجبهة في هذا القطاع الى الوراء تاركا للعدو اراض متقطعة طالما حاول الاستيلاء عليها حتى الان . وعملت فرق الجنرال مانتوفيل على التملص من العدو خلسة اثناء الليل الذي سبق عيد الفصح وشغلت موضعها جديداً على طريق بيجاماتور مستنداً الى البحيرة الكبرى التي يتوسطها الاهرام المنفرد النافر لجبل اشكول الذي يقطع طريق بيزرتا . واخذت ماتور وظلت بيزرتا منذ الآن خلف الجبهة مباشرة .

حقق الاميركان بهذا التقدم نجاحاً ممتازاً دون ان تلحق بهم اضراراً كبيرة ، وساعدهم الانكليز في هجومهم على مجاز الباب مما اجبر الجنرال فون ارنيم لدفع كلفة احتياطه في هذا القطاع . وفي الثالث ايار دخلت المدرعات الاميركية الاولى مدينة ماتور . وفي الغد هوجمت من جديد جبهة مانتوفيل ولكن دون جدوى . وفي الخامس ايار تحركت المدرعات الاميركية منطلقة الى الامام شرق ماتور واثنتان دمر الالمان ثلاثة عشر دبابة من مجرع اربعة وعشرون دبابة اميركية بفعل مدفع واحد ضد الطائرات . ولكن لم يكن في الامكان ايقاف وصد كتلة المدرعات المتقدمة التي كانت تتبع الموجة الاولى ، فوصلت الموضع وتقدمت في السهل المرتفع جنوب فيرفيل ، كما توغلت المشاة في الفرج . فسقطت بيزرتا عاجلاً دون مقاومة في ايدي الاميركان ولم يبق سوى قبضة من رجال المدفعية والمشاة والبحارة والطيارين الايطاليين الذين تمكنوا من البقاء بعد مدة ايام متربسين في القلعة . وانفردت افواج وسرايا مانتوفيل بمحضائر وفصائل مبعثرة جاهلة ماذا يجري حولها وما يحيط بها ومع ذلك كانوا يقاتلون بنشاط وهمة اليائس . واستمرت المعارك طيلة ثلاثة ايام نفذت اثنتان كافة المؤن والذخائر والماء . وتقرر مصير هؤلاء المحاربين النهائي وارتبط مصيرهم بمصير الجبهة التي اوشك اجلها على الانتهاء ايضا .

استأنف الجنرال الكسندر هجماتة على مجاز الباب معتمداً ومقرراً

هذه المرة تحقيق القرار النهائي . وكان القتال يستخدم بالسلاح الأبيض على كل شبر من الأرض . وتمكنت القوات الانكليزية من احتلال المرتفعات ٢١٢ و ٢١٤ التي طالما دار القتال حول هذه النقاط طويلا . وكانت المدفعية تقصف المواقع الالمانية بدون توقف ومنذ طلوع النهار والمقاتلات الانكليزية تملأ الاجواء فتمطر برشاشاتها كل ما يتحرك فوق الصعيد من بشر وناقلات ومتحركات . ولم يفت نيرانها اصغر الاستحكامات والحفر ، وكانت تظل جاثبة الاجواء حتى وصول القاصفات التي كانت تلقي حمواتها الثقيلة على الأرض فترتج لانفجار قنابرها الأرجاء والاجواء القريبة والبعيدة الداوي . لقد انقطع كل اثر للطائرات الالمانية . واذا لمحت احدى المقاتلات الالمانية في الجو فلا تلبث ان تحايط وتحصر ثم تسقط على اليابسة في امد قصير . وكان الطيران البريطاني والاميركي يهاجم ليلا نهارا باستمرار ليس المواضع الدفاعية على الجبهة فحسب بل وطرق المواصلات والمعسكرات والمطارات وكل ما يحتمل استخدامه من قبل القوات المحاربة . وفي صباح السادس ايار الهاكر ما كادت تشرق الشمس كالكرة الارضية فوق جبال وادي المجردة حتى انطلقت حوالي الف دبابة انكليزية واميركية متقدمة الى الامام مخترقة المرتفعات للوصول الى السهل . وكانت هذه الدبابات بمجموعة مدرعات الجيش الثامن والجيش الاول ترافقها المقاتلات والقاصفات التي لاعداد لها .

واختلط هديرها الاصم بحجير وصير الدبابات والمدرعات وانطلقت برمتها حائقة غاضبة نائرة صاخبة تحاول تمجيد نهاية المصير وخاتمة الموقعة التي طال عليها الزمن وضاق بها الصبر والاصطبار . وعلى الاثر تصدت الفرقة المدرعة الخامسة عشر بقيادة الجنرال بروتين لهذا السيل الجارف من الحديد والفولاذ والنار . فدمرت الفرقة بكاملها ولما يمضي وقت طويل . وكان من المستحيل ايقاف المدرعات والدبابات التي لاترد

ولا تصد ، تتقدم كسيل من الالهب الزاحف . وصل الانكليز عند المساء الى سان سبريان في جوار تونس حيث توقفوا عن التقدم . وشرق فجر يوم الجمعة الواقع في السابع ايار ولم يبق لدى القوات الالمانية الباقية اكثر من ١ - ١٤ في المائة من الوقود وبقي لدى المشاة ٨٪ في المائة من الذخائر فقط . وظل لدى المدفعية المضادة للدبابات ٥٪ - ٩٪ ، ولدى المدفعية ٥٪ - ١٠٢ . واثناء الليل ترك الباقي من مدرعات الجيش الخامس تونس للانسحاب نحو شبه جزيرة بون . واخذت المدينة الارضية المنشأة تحت حديقة القلعة . وفي الصباح اعطيت الاوامر لتدمير مباني تونس ولاغولت او بالاحرى ما تبقى منها . وبالرغم من القصف الكثيرة المستمرة لم تتأثر المدينة ذاتها بالتدمير ولم تصبها خسائر تذكر ماعدا المرفأ الذي اصبح عبارة عن اكوام وانقاض بينما اصبحت ييزرتا بمجروح عميقة وتلقت اصابات كبيرة مؤثرة . وكانت المدينة مخربة تماماً وقد هجرها سكانها منذ وقت طويل . وفي كانون الثاني تمكن الجنرال غاوزه G. Gouse الذي كان منذ زمن رئيس الاركان العامة للجيش المدرع من وضع اليد على تسع غواصات وثلاث نساكات وثلاث سفن حربية . واقنع ٩٠٠٠ جندي افرنسي ليصار الى نقلهم الى فرنسا . وفي اثناء ذلك اصبح مرفأ ييزرتا غير قابل الملاحة بفعل التدميرات الخطيرة . وكانت المدينة الصغيرة الجميلة تحمل في جنباتها صورة الوحشة والانقباض . وكان طيران الحلفاء يسعى ويجهد لسحق المدينة وتخطيم مركز التحويل فيها للحوول دون تشكيلة من جديد . وكان يصل الى الميناء بعض زوارق زيبيل وبعض السفن الصغيرة بين الحين والآخر .

ان ابشع منظر في سياق الحرب واكثر شناعة هو مشاهدة انحلال الجيش ، هذا الجيش الالماني الذي كان لا يام خلت كالمساعة ذات الجواز الدقيق ، تنظمه الطاعة والانقياد والخضوع والامتثال والدقة والنظام

يَتَحَوَّل في رمشة عين الى فوضى عمياء صماء . وكانت تشاهد اطنان  
 المؤن الثمينة المرتبة المكدودة المسجلة المغلفة تدمر في لحظات معدودة .  
 وكان البشر لا يعملون الا للخراب والتدمير . وكانوا يظهرون فرحين  
 بتدمير واحراق ما كان يقوم باود معيشتهم وحياتهم بالامس القريب .  
 وبينما كانت الانفجارات الهائلة تدمر المرفأ ، وتنسف المستودعات والرحبات  
 كانت تجري عملية حرق المستندات والمصنفات امام الملاجئ الاركان العامة .  
 وكانت السيارات والعربات والآليات تحترق وتلتهب في وسط الشوارع  
 وقوات الدفاع الجوي تدمر ذخائرها ومعداتنا لتجعلها غير قابلة الاستعمال .  
 وكان بعضهم يهرول ذات اليمين وذات الشمال كأنهم يفتشون عن وسيلة  
 للخلاص . وكان السكان المدنيون ينظرون بحيرة تمازجها عدم المبالاة  
 الى ما يجري حولهم من التخريبات وهم منشغلون عنها في اغماطهم واشغالهم .  
 وكانوا حتى النهاية مثال الاعتدال وكانوا يظهرون شعور الصداقة مع الاسف  
 والتحسر ولم يصدر عنهم اي تعمد او تخريب او تظاهر عدواني ولا اي  
 عمل هجومي ضد قوات المحور .

وكانت المستشفيات تعج بالجرحى وقد تحولات كل غرفة وداهليز ومخشي  
 الى مستوصفات وملاجئ للتداوي . وفي كل قرنة وزاوية من المدينة  
 كان يضجع جسم دام جريح يائس ويتألم . وقد حاول الانكليز قصف  
 الباخرة بولوتو الراسية في المرفأ لاغوليت وعليها ٦٠٠ اسير انكليزي  
 واميركي . فابرق الجنرال فون ارنيم الى القيادة البريطانية يعلمها بوضعية  
 الباخرة المذكورة ، وان الباخرة الاخرى الراسية الى جانبها هي سفينة  
 مستشفى . فاعزت هذه القيادة الانكليزية بالكف عن قصف هذه السفن .  
 وكانت الطائرات تهدر فوق اسطح المنازل وتتسابق الى المرفأ لاغرق  
 اخر السفن ، الراسية من سفن صيد وزوارق مختلفة وقد خرجت مساء  
 من المرفأ ولكنها اغرقت جميعها . دخلت المدرعات والدبابات الاولى المدينة

الخالية في الساعة السابعة عشر مساءً وكانت الصحيفة الاخيرة المسماة  
الواحة « Oisis » وهي الصحيفة اليومية للجبهة التي كانت يصدرها الجيش  
المدرع الاول لزمرة الجيوش . لمقااة على ارض الملاحيء ولما يحف حبرها  
بعد . وقد سلحت المستشفيات والمستوصفات بنظام تام للعدو . وفي عرض  
البحر كان يظهر هيكل سفينة تحترق وكان اللهب الاحمر يتصاعد من  
جوانبها باشعته القرمزية فوق صفحة الماء القائمة . واقلمت آخر ناقلة  
جوية ج ٥٢ 52 G تطير على محاذاة الامواج ووجهتها رأس جزيرة  
سيسليا لتنقل الخبر الاخير . قطع سقوط تونس الجبهة الالمانية الى شطرين ،  
وقد شيد خط دفاعي جديد بسرعة كلية لمنع الوصول الى شبه جزيرة  
رأس بون واوقف العدو في سليمان غرب حمام الليف على طول الساحل  
الشمالى .

وكان الجيش الاول مايزال يدافع عن مواضعه في انفيدال دون الاهتمام  
بالحوادث التي فصلته نهائياً عن قواعد توينه . وكانت جنود مختلف  
الاسلحة تحيط بمجرحها وتعنى بهم وتنتظر الهجوم الاخير . وفي الثامن  
عشر ايار وصلت المدرعات الانكليزية الى الشمال الاقصى من شبه جزيرة  
رأس بون حيث انتهى القتال واستسلمت الجيوش الالمانية . وبعد اربعة  
وعشرين ساعة اقلت فرق انفيدايل سلاحها في دورها ورفعت العلم  
الابيض بعد ان نفذت ذخيرتها بتمامها . وبعد الاستسلام استقبل الجنرال  
الكسندر الجنرال فون ارنيو وطلب اليه ان يعبر له عن رغبته وذلك  
اجابه للفتة السمجة التي ظهرت منه لقاء سعيه للمحافظة على حياة البريطانيين  
الاسرى على الباخرة بولونو . وقد طالب الجنرال الالماني اليه الایماز باخلاء  
عدد مساو من الجرحى الالمان ليصار الى ارسالهم الى ايطاليا . وقد قبل  
الطلب ونفذ على الفور . وهكذا تبدت للمرة الاخيرة هذه الروح  
الفروسية المطبوعة بأجمل التقاليد العسكرية التي غمرت عمليات الصحراء



منذ البداية حتى النهاية .

وفي الثالث عشر ايار اعلنت قيادة الجيش الالماني العليا بان العمليات الحربية في افريقيا توقفت نهائيا وان الجيوش الالمانية المحاربة اندحرت بسبب انقطاع عمليات التموين وفقدان المؤن والذخائر وليس بسبب هجوم العدو الذي دحر امام قواتها اكثر من مرة في ميادين حرب افريقيا امام تفوق القوات والاسلحة البريطانية . واثن بدا هذا التصريح مخالفا لاعتقاد القيادة الالمانية المألوف ، ولكن لا يخلو عن كونه اعتراف صريح بالحقيقة للمرة الاولى برغم كل الوعود والاوامر التي اسلفت قبلا للفيلق الافريقي ومن ثم لزمرة الجيوش والتي وضعتها في شروط غير ملائمة للقتال . لقد خسرت موقعة التموين حقاً وسقطت الجيوش صرعى واسرى تحت عادية تفوق العدو المادي ، وانتهت على هذه الصورة موقعة البحر المتوسط وفتحت الطريق الحرة امام قوات الحلفاء لغزو اوربا .

ولو ان المانيا استدركت مسبقاً نتائج هذه الغلبة وما ستجرها من اندحارات اخرى محتمة لانتهى الحرب منذ هذه اللحظة حرصاً على حماية اوربا من الخراب والدمار المنتظر في المستقبل القريب . لقد كان الدرس بيناً ظاهراً لا لبس فيه ولا غموض . ولم يعد في وسع المانيا بعد اليوم ان تنطلع الى الظفر المؤمل المحقق بنجاح وهي تجابه وتقابل طاماً معادياً برمتة يقف في وجهها بهزيمة وتصميم ثابتين . ولا تغالي اذا قلنا بان الظفر النهائي كان غير مضمون حتى ولو تيسر لقوات المحور الوسائل لقهر الانكليز واحتلال مصر . ان تفوق بريطانيا وحلفائها في العدد والعداد والمعدات والموارد لا يمكن ان يخفي من كافة الميادين بصورة نهائية . فجيوش الحلفاء تملك من الموارد الغريزة مالا ينضب معينه ، وما لا ينقطع سيله . وبالإضافة الى ما سبق قوله فانها استفادت من قيام الجبهة الشرقية الروسية واستغلتها احسن استغلال لتحقيق قرار حاسم في ميادين وجبهات



أخرى كما جرى وتحقق بعد مرور سنة ونصف على الجبهة الغربية .  
والحقيقة التي لامراء فيها هي ان القيادة الالمانية العليا غالت كثيراً في  
تقدير قدرتها وطاقاتها بخفة تعد مسألة عنرا وتواخذ عليها مؤاخذه حقه .  
ولم تكن تجهل قط انها لم تعد تستحوذ على السيطرة الجوية الكافية التي  
تستطيع معها ان تجابه قوات العدو الجوية كما واصبحت نهاية الحرب الراجحة  
موضع شك وارتياب بالنسبة لمصلحتها ، واصبح ربحها امراً بعيد الاحتمال  
والمنال . . وقد ظلت لوحدها في الميدان . ولم يعد في طاقها ان تربح  
سوى حرب واحدة ، وهي الحرب التي لن تخوض غمارها بعد اليوم .  
ان الانتصارات والانكسارات التي عاناها هاذان الشعبان في افريقيا الشمالية  
اثناء الحملة السائرة بين ارجاء الشرق والغرب في عرض الصحراء تشكل  
التاريخ المجيد الحافل باعمال القادة العظام والجنود الشجعان البواسل .  
وكان المعسكران يتصارعان ويتنازلان في قتال مرهق مبيد كل منهما يعتقد  
بانه يحارب من اجل غاية مثلى وهدف سام . وكان القتال المستمر بين  
الجانبين يتصف بطابع الشرف العسكري المترف عن الخوف والهوان  
والمتعري عن الهوى والحقد الاعمى ، قتال مثالي انساني يسمح لمتنه  
الشرف وسدانة المرثوة .

وآلاف منهم ودعوا الحياة وتجمعوا على الموت ليستقبلوا عالم الخلود .  
فاستقرت رفاتهم في رحاب الصحراء الفسيحة الهادئة ، هذه الصحراء  
الخفية التي قررت مصيرهم النهائي واحتضنتهم في احشائها الغامضة المقدسة  
الحضانة الابدية وسطرت عنهم سطور المجد الخالد .

فهل يستخلص اصحاب القلوب الكبيرة والنفوس السامية الاعتبارات  
التي تحيط بهذه التضحيات الجليلة في سبيل عظمة بلادهم ومجد امتهم .